

رَسَائِلُ خَوَالِدِ الصِّفَاءِ

وَعَهْدُونَ الْوَفَاءِ

«مصدرة بمقدمة ضافية بقلم
«الدكتور طه حسين أستاذ
«الآداب بالجامعة المصرية
«مقفاة بملاصة تاريخية بقلم
«العلامة أحمد زكي باشا
«سكرتير مجلس الوزراء
«الاسبق»

الجزء الثاني

عنى بتصحيحه
فهير الدين الزركلى

يطلب من المكتبة التجارئة الكبرى باول شارع محمد على بنصر
صاحبها مصطفى محمد

حقوق الطبع محفوظة

المطبعة العصرية بمصر

فهرس الجزء الثاني

من رسائل اخوان الصفا

	الصفحة
انقسم الثاني من الجسمانيات الطبيعية	٣
الرسالة الاولى في بيان الهيولى والصورة والحركة والزمان والمكان وما فيها من المعانى اذا اضيف بعضها الى بعض	٣
فصل في الأجسام الجزئية	٧
فصل في أقاويل الحكماء في ماهية المكان	٩
فصل في أقاويل الحكماء في ماهية الحركة	١٠
فصل في ماهية الزمان من أقاويل العلماء	١٣
الرسالة الثانية الموسومة بالسماء والعالم في اصلاح النفس وتهذيب الاخلاق	٢٠
فصل في بيان معرفة ان العالم انسان كبير	٢٠
فصل في بيان ان السماوات هي الافلاك	٢٢
فصل في تركيب الافلاك واطباق السماوات	٢٢
فصل في أنه ليس للعالم فراغ	٢٣
فصل في أنه ليس خارج العالم لا خلاء ولا ملاء	٢٤
فصل في أن وضع الشمس وسط العالم	٢٥
« « ماهية البروج	٢٥
« « اقطار الافلاك والسماوات	٢٦
« « كمية عدد الكواكب الثابتة والسيارة	٢٧
« « مقادير اقطارها في رأي العين	٢٧
« « نسبة اقطارها من قطر الارض	٢٨
فصل في مقادير أجرام هذه الكواكب من جرم الارض	٢٨
« « مقادير الكواكب الثابتة	٢٨

٢٩	فصل في اختلاف دوران الافلاك حول الارض	٢٩
٣٠	« « ما يعرض للكواكب من الدوران في فلك البروج	٣٠
٣٢	« « بطلان أنها تتحرك من المغرب الى المشرق	٣٢
٣٣	« « ان مثال دورانها حول الارض كدوران الطائفتين حول	٣٣
	البيت الحرام	
٣٦	فصل فيما يرى لها من الرجوع والاستقامة والوقوف	٣٦
٣٦	« « تفصيل الحركات الخمس والاربعين	٣٦
٣٧	« « في بيان الظلمتين الموجودتين في العالم	٣٧
٣٨	« « في علة الكسوفين	٣٨
٣٩	« « ان الفلك طبيعة خامسة	٣٩
٤٠	« « ابطال قول المتوهمين	٤٠
٤٠	« « انها ليست ثقيلة ولا خفيفة	٤٠
٤٢	« « ان الاجسام الفلكية ليست بحارة ولا باردة ولا رطبة	٤٢
٤٢	« « معنى القيامة	٤٢
٤٥	الرسالة الثالثة في بيان الكون والفساد	٤٥
٥٤	الرسالة الرابعة في الآثار العلوية	٥٤
٥٥	فصل في ماهية الطبيعة	٥٥
٧٦	الرسالة الخامسة في بيان تكوين المعادن	٧٦
١١٢	الرسالة السادسة في ماهية الطبيعة	١١٢
١١٧	فصل في كيفية وصول تأثير الاشخاص الفلكية الى الاشخاص السفلية	١١٧
١٢٨	الرسالة السابعة في أجناس النبات	١٢٨
١٣٧	فصل في بيان أجناس النبات من جهة الاماكن	١٣٧
١٣٨	« « في اختلاف النبات من جهة الازمان	١٣٨
١٤٥	« « مرتبة الانسانية	١٤٥
١٥٢	الرسالة الثامنة في كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها	١٥٢

١٦٩	فصل في ذكر تصانيف أحوال الطيور	
١٧٣	« « بيان بدء الخلق	
١٧٩	« « بيان علة اختلاف صور الحيوانات	
١٨١	« « بيان جودة الحواس في الحيوانات	
١٨٢	« « شكاية الحيوان من جور الانس	
١٨٧	« « بيان تفضيل الخيل على سائر البهائم	
١٩٠	« « منفعة المشاورة لذوي الرأي	
١٩٣	« « العداوة بين الجان ونبي آدم	
١٩٨	« « كيفية استخراج العمامة أسرار الملوك	
٢٠٢	« « بيان تبليغ الرسالة	
٢٠٦	« « صفة الرسول وكيف ينبغي أن تكون	
٢٤٤	« « بيان صفات الاسد وأخلاقه	
٢٤٦	« « بيان صفة الشعابين	
٢٥١	« « بيان فضيلة النحل وعجائب أموره	
٢٥٦	« « بيان حسن طاعة الجن لرؤسائها	
٣١٨	الرسالة التاسعة في تركيب الجسد	
٣٢٠	فصل في كيفية تركيب الجسد وكيفية أخلاط البدن ومزاج الطبائع	
٣٢٢	فصل في ان الجسد كالدار وأن النفس كالساكن في الدار	
٣٢٥	فصل في ان في النفس الساكنة في الجسد قوى طبيعية وأخلاقاً غريزية	
٣٣٤	الرسالة العاشرة في الحاس والمحسوس	
٣٣٩	فصل في ماهي الحواس الخمس وماهي القوى الحساسة	
٣٤٠	« في كيفية ادراك القوى الالامسة للحرارة والبرودة	
٣٤٢	« في كيفية ادراك الذائقة لمحسوساتها	
٣٤٤	« في ادراك القوة السامعة	
٣٤٥	« في ادراك القوة الباصرة	

	صفحة
« في ان القوة الحساسة ليست هي من أجزاء النفس	٣٤٦
« في كيفية وصول آثار المحسوسات الى القوة المتخيلة	٣٤٧
« في بيان المحسوسات بعضها بالذات وبعضها بالعرض	٣٤٨
« في ماهية اللذة والألم	٣٤٩
« في ذكر القوى الخمسة الروحانية	٣٤٩
« في العلة التي من أجلها صار علم الانسان بالمعلومات من ثلاثة طرق	٣٥١
٣٥٣ الرسالة الحادية عشرة في مسقط النطفة	
٣٥٦ فصل في ان للنفس النباتية سبع قوى	
« في كيفية حال الجنين في الشهر الرابع	٣٥٨
« في كيفية حال الجنين في الشهر الخامس	٣٥٩
« في كيفية حال الجنين في الشهر السادس	٣٦٠
« في ان بنية الجسد وتركيب أعضائه يتم في أربعة أشهر	٣٦٣
« في ان الكواكب لا يمكن أن تفعل تأثيراتها في شهرين ولا ثلاثة	٣٦٤
« في كيفية تأثيرات الكواكب	٣٦٦
« في ان الموجودات التي دون فلك القمر	٣٦٧
« في فنون تأثيرات الكواكب	٣٦٧
٣٧٦ فصل في ان مكث الجنين بالرحم انما هو لكي تتم البنية	
« في ان الاستغراق في الشهوات ينسى الاخرة	٣٧٧
« في ان كل مولود لا بد أن تكون درجة طالعته من الشرق	٣٧٨
« في ان لكل نوع من الحيوانات عمراً طبيعياً	٣٧٨
« في ان لكل مولود من الحيوان أبوين من الفلك	٣٧٩
« في ان المتفق عليه بين أهل صناعة التنجيم	٣٧٩
« في ان لكل قاصد غرضاً	٣٨٣
« في ان أكثر الناس لا يعيشون أعماراً طبيعية	٣٨٧

رَسَائِلُ خَوَارِجِ الصِّفَاءِ

وَعَهْدَانِ الْوَفَاءِ

الجزء الثاني

عني بتصحيحه

فهد الدين الزركلي

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بمصر

لصاحبها: مصطفى محمد

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة العربية بمصر

١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م

obeikandi.com

القسم الثاني

في الجسمانيات الطبيعية

﴿ الرسالة الاولى ﴾

في بيان الهيولى والصورة والحركة والزمان والمكان وما فيها
من المعانى اذا اضيف بعضها الى بعض
وهى الرسالة الخامسة عشرة من رسائل اخوان الصفاء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون
اعلم أيها الاخ ، أيدك الله وإيانا بروح منه، انا قد فرغنا من الرسائل الرياضية
بمسئلتها حسب ما لوحدنا في صدر الكتاب ، واستوفينا الكلام في ذلك حسب
ما يليق بنا ، فعلينا أن نشتغل بذكر القسم الثاني وهو في « الجسمانيات الطبيعية »
فلنبداً بالرسالة الاولى منها في « الهيولى والصورة » فنقول :
لما كان النظر في علم الطبيعيات جزءاً من اجزاء صناعة اخواننا أيدهم
الله والاصل في هذا العلم هو معرفة خمسة أشياء وهى الهيولى والصورة والحركة
والزمان والمكان ، وما فيها من المعانى اذا اضيف بعضها الى بعض ، احتجنا أن
نذكر في هذه الرسالة طرفاً من معاني الهيولى والصورة شبه المدخل والمقدمات
ليكون أقرب من فهم المبتدئين عند النظر في الطبيعيات وأسهل على تعليمهم فنقول :

اعلم وفقك الله ان معنى قول الحكماء «الهيولى» إنما يعنون به كل جوهر قابل للصورة ، وقولهم « الصورة » يعنون به كل شكل ونقش يقبله الجوهر واعلم ان اختلاف الموجودات إنما هو بالصورة لا بالهيولى ، وذلك انا نجد أشياء كثيرة جوهرها واحد وصورها مختلفة مثال ذلك السكين والسيف والنّاس والمنشار وكل ما يعمل من الحديد من الآلات والادوات والاواني ، فان اختلاف اسمائها من اجل اختلاف صورها لا من أجل اختلاف جواهرها لأن كلها بالحديد واحد ، وكذلك الباب والكرسى والسرير والسفينة وكل ما يعمل من الخشب فان اختلاف اسمائها إنما هو بحسب اختلاف صورها ، فأما هيولاها التي هي الخشب فواحدة ، وعلى هذا المثال يعتبر حال الهيولى والصورة في المصنوعات كلها لان كل مصنوع لا بد له من هيولى وصورة يركب منهما واعلم أن الهيولى على أربعة أنواع منها هيولى الصناعة ، وهيولى الطبيعة ، وهيولى الكل ، والهيولى الاولى . فهىولى الصناعة هي كل جسم يعمل منه وفيه الصانع صنعته كالخشب للنجارين والحديد للحدادين والتراب والماء للبنائين والغزل للحاكة والدقيق للخبازين ، وعلى هذا القياس كل صانع لا بد له من جسم يعمل صنعته منه وفيه فذلك الجسم هو هيولى الصناعة ، أما الاشكال والنقوش التي يعملها فيها فهي الصورة ، فهذا هو معنى الهيولى والصورة في الصنائع . وأما الهيولى الطبيعية فهي الاركان الاربعة وذلك ان كل ما تحت فلك القمر من الكائنات أعنى النبات والحيوان والمعادن فمنها تتكون واليهما تستحيل عند الفساد ، أما الطبيعة الفاعلة لهذا فهي قوة من قوى النفس الكلية الفلكية ، وقد بينا كيفية فعلها في هذه الهيولى في رسالة أخرى . وأما هيولى الكل فهي الجسم المطلق الذي منه جملة العالم ، وأعنى الافلاك والكواكب والاركان والكائنات أجمع لأنها كلها أجسام وانما اختلافها من أجل صورها المختلفة . وأما الهيولى الاولى فهي جوهر بسيط معقول لا يدركه الحس ، وذلك أنه صورة الوجود حسب ، وهو الهوية . ولما قبلت الهوية الكمية صارت بذلك

جسماً مطلقاً مشاراً إليه أنه ذو ثلاثة أبعاد التي هي الطول والعرض والعمق ، ولما قبل الجسم الكيفية وهي الشكل كالتدوير والتثليث والتربيع وغيرها من الأشكال صار بذلك جسماً مخصوصاً مشاراً إليه أي شكل هو ، فالكيفية هي كالثلاثة والكمية كالاثنين والهوية كالواحد ، وكما أن الثلاثة متأخرة الوجود عن الاثنين كذلك الكيفية متأخرة الوجود عن الكمية ، وكما أن الاثنين متأخرة الوجود عن الواحد كذلك الكمية متأخرة الوجود عن الهوية ، والهوية هي متقدمة الوجود على الكمية والكيفية وغيرها كتقدم الواحد على الاثنين والثلاثة وجميع العدد .

ثم اعلم ان الهوية والكمية والكيفية كلها صور بسيطة معقولة غير محسوسة فاذا تركزت بعضها على بعض صار بعضها كهيولى وبعضها كالصورة ، فالكيفية هي صورة في الكمية والكمية هيولى لها ، والكمية هي صورة في الهوية والهوية هيولى لها ، والمثال في ذلك من المحسوسات أن القميص صورة في الثوب والثوب هيولى له والثوب صورة في الغزل والغزل هيولى له والغزل صورة في القطن والقطن هيولى له والقطن صورة في النبات والنبات هيولى له والنبات صورة في الاركان وهي هيولى له والاركان صورة في الجسم والجسم هيولى لها والجسم صورة في الجوهر والجوهر هيولى له ، وكذلك الخبز صورة في المعجين والمعجين هيولى له والمعجين صورة في الدقيق والدقيق هيولى له والدقيق صورة في الحب والحب هيولى له والحب صورة في النبات والنبات هيولى له والنبات صورة في الاركان وهي هيولى له وهي صورة في الجسم والجسم هيولى لها والجسم صورة في الجوهر والجوهر هيولى له

وعلى هذا المثال يعتبر حال الصورة عند الهيولى وحال الهيولى عند الصورة الى أن تنتهي الاشياء كلها الى الهيولى الاولى التي هي صورة الوجود حسب ، لا كيفية فيها ولا كمية ، وهي جوهر بسيط لا تركيب فيه بوجه من الوجوه ، قابل للصور كلها ولكن على الترتيب كما بينا لا أي صورة كانت تأخرت أو

تقدمت ، بل الاول فالأول ، مثال ذلك أن القطن لا يقبل صورة الثوب الا بعد قبوله صورة الغزل والغزل لا يقبل صورة القميص الا بعد قبوله صورة الثوب وكذلك الحب لا يقبل صورة العجين الا بعد قبوله صورة الدقيق والدقيق لا يقبل صورة الخبز الا بعد قبوله صورة العجين وعلى هذا المثال يكون قبول الهيولى للصور واحدة بعد أخرى

ثم اعلم ان الاجسام كلها جنس واحد من جوهر واحد وهيولى واحدة ، وانما اختلافها بحسب اختلاف صورها ومن أجلها صار بعضها أصفى من بعض وأشرف ، وذلك أن عالم الافلاك اصفى واشرف من عالم الاركان ، وعالم الاركان بعضها أشرف من بعض ، وذلك أن النار أصفى من الهواء وأشرف منه ، والهواء أصفى من الماء والطف منه ، والماء اصفى من التراب واشرف منه ، وكلها اجسام طبيعية يستحيل بعضها الى بعض ، وذلك أن النار اذا أظنئت صارت هواء والهواء اذا غلظ صار ماء والماء اذا غلظ وجد صار أرضاً وليس للنار أن تلتطف او للارض ان تغلظ فتصير شيئاً آخر بل اذا تكونت أجزاءها يكون منها المرلدات أعنى المعادن والنبات والحيوان لكن يكون بعضها أشرف تركيباً من بعض ، وذلك ان الياقوت اصفى من البلور واشرف منه وان البلور أصفى من الزجاج وأشرف منه والزجاج أصفى من الخزف وأشرف منه ، وكذلك الذهب أشرف من الفضة وأصفى منها والفضة أصفى من النحاس وأشرف منه والنحاس أصفى من الحديد وأشرف منه والحديد أشرف من الاسرب ، وكلها أحجار معدنية أصلها كلها الزئبق والكبريت ، والزئبق والكبريت أصلهما التراب والماء والهواء والنار ، فهىولاها واحد وصورها مختلفة وصفاتها وشرفها بحسب تركيبها واختلاف صورها ، وكذلك حكم الحيوان والنبات فانها بالهيولى واحد وان اختلافها وشرف بعضها على بعض بحسب اختلاف صورها

﴿ فصل في الاجسام الجزئية ﴾

اعلم أن الاجسام الجزئية منها ما يقبل صورة الكلى اذا صور فيه فيصير بقبوله تلك الصورة أفضل وأشرف من سائر الاجسام الجزئية الساذجة ، والمثال في ذلك قطعة من النحاس اذا صور فيها الفلك مثل الاضطراب وذات الحلق والكرة المصورة فانها عند ذلك تكون أشرف وأفضل وأحسن من أن تكون ساذجة ، وكذلك كل جسم قبل صورة ما فانه عند ذلك يكون أفضل وأشرف وأحسن من كونه ساذجاً ، فهكذا الحكم في جواهر النفوس ، وذلك أنها كلها جنس واحد وجوده واحد وان اختلافها بحسب معارفها وأخلاقها وآرائها وأعمالها لأن هذه الحالات هي صور في جواهرها وهي كالهىولى ، وكذلك النفس الجزئية اذا قبلت علماً من العلوم تكون أفضل وأشرف من سائر النفوس التى هي أبناء جنسها

ثم اعلم أن العلوم فى النفس ليست بشيء سوى صور المعلومات انزعها النفس وصورتها فى فكرها فيكون عند ذلك جوهر النفس لصور تلك المعلومات كالهىولى ، وهي فيها كالصورة

واعلم أن من الانفس الجزئية ما يتصور بصورة النفس الكلية ومنها ما يقاربه وذلك بحسب قبولها ما يفيض عليها من العلوم والمعارف والاخلاق الجميلة ، وكلما كانت أكثر قبولاً كانت أفضل وأشرف من سائر أبناء جنسها ، مثل نفوس الانبياء عليهم السلام فانها لما قبلت بصفاء جوهرها الفيض من النفس الكلية أتت بالكتب الالهية التى فيها عجائب العلوم الخفية والمعانى اللطيفة والاسرار المكنونة التى لا يمسه الا المطهرون من أدناس الطبيعة ، وما وضعت من الشرائع العلمية النافعة لكل والسنن العادلة الزكية ، فاستنقذوا بها نفوساً كثيرة غريقة فى بحر الهىولى ، وأسر الطبيعة ومثل نفوس المحققين من الحكماء التى استنبطت علوماً كثيرة حقيقية واستخرجت صنائع بديعة وبنت هياكل حكيمة

ونصبت طلسمات عجيبة ، ومثل نفوس الكهنة المخبرة بالكائنات قبل كونها بدلائل
فلكية وعلامات زجرية ، والى مثل هذه النفوس أشاروا بقولهم الفلسفة هي التشبه
بالآله بحسب الطاقة الانسانية ، واليها أشاروا بقولهم من خاصية العقل المنفعل
أن يقبل الجزء منه صورة الشكل ، واليها أشار القائل بقوله :

كل الهياكل صورة مدهومة الا التي في صورة الافلاك
واتمها بين الذوات لانها قبلت تماماً صورة الادراك
كم بين نفس شامخ في ذروة أو ما يكون حجارة الحكاك
واليها أشار القائل بقوله :

وما كان الا كوكبا كان بيننا فودعنا جادت معاهده رهم
وأصبح روحاً لم يقيده منزل وأضحى بسيطاً ليس يدركه وهم
رأى المسكن العلوي اولى بمثله ففاز وأضحى بين أشكاله نجم
واعلم يا أخي ان فضائل النفس الكلية فائضة على الانفس الجزئية دفعة
واحدة مبذولة لها دائماً الأوقات ، لكن الانفس الجزئية لا تطيق قبولها الا
شيئاً بعد شيء في ممر الزمان ، والمثال في ذلك فيض الانفس الجزئية بعضها
على بعض ، وذلك ان الاب الشفيق والمعلم الحريص على تعليم تلميذه يود أن
يعلم كل ما يحسنه ويعلمه لتلميذه دفعة واحدة ولكن نفس المتعلم لا تقبل
الا شيئاً بعد الشيء على التدرج

ثم ان المانع للانفس الجزئية قبول فيض النفس الكلية دفعة واحدة هو
لأجل استغراقها في بحر الهيولى وتراكم ظلمات الاجسام على بصرها لشدة ميلها
الى الشهوات الجسمانية وغرورها باللذات الجرمانية ، فتمى انتبهت من نوم الغفلة
واستيقظت من رقدة الجهالة وصيحت من سكرة عمايتها وأفاقت من غمرة
غشيتها وأخذت ترتقي في العلوم والمعارف ودامت على تلك الحال لحقت بالنفس
الكلية وشاهدت تلك الانوار العقلية والاضواء البهية ونالت تلك الملاذ الروحانية
والسرورات الديمومية الأبدية التي كلها أشرف وأعلى منزلة مما كان فوق ما

تقدم قبله ودون ما يأتي بعده ، ومتى هي أعرضت عما وصفنا وأقبلت على طلب الشهوات الجسمانية والزينة الطبيعية بعدت من هناك وانحطت الى أسفل السافلين وغرقت في بحر الهيولى وغشيتها أمواجهاً وتراكت على بصرها ظلماتها ، والى هاتين الحالتين اشار عز اسمه بقوله تعالى « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري » الآية ، ثم قال تعالى « أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض » الآية

﴿ فصل في أقاويل الحكماء في ماهية المكان ﴾

أما المكان عند الجمهور فهو الوعاء الذي يكون فيه المتمكن ، فيقال ان الماء مكانه الكوز الذي هو فيه وان الخل مكانه الزق الذي هو فيه ، وعلى هذا القياس مكان كل شيء هو الوعاء الذي هو فيه ، وكما يقال ان مكان السمك هو الماء ومكان الطير هو الهواء ، وبالجملة مكان كل متمكن هو الجسم المحيط به وقيل أيضاً أن المكان هو سطح الجسم الحاوي الذي يلي المحوي ، وقيل لا بل المكان هو سطح الجسم المحوي الذي يلي الحاوي ، وعلى كلا الرأيين والقولين يجب أن يكون المكان جوهرأ ، وقيل أن المكان هو الفصل المشترك بين سطح الجسم الحاوي و سطح المحوي وعلى هذا الرأي يجب أن يكون المكان عرضاً ، وقيل أيضاً إن المكان هو الفضاء الذي يكون فيه الجسم ذاهباً طولاً وعرضاً وعمقاً وإن كان كل جسم مثله سواء فإن كان الجسم مدور الشكل او مربعاً او مثلثاً او غيرها من الأشكال فإن مكانه مثله سواء لأصغر ولا أكبر حتى قيل في المثل ان المكان مكيال الجسم وعلى هذا الرأي يجب أن يكون المكان جوهرأ واعلم أن الذين قالوا إن المكان هو الفضاء إنما نظروا الى صورة الجسم ثم انتزعوها من الهيولى بالقوة الفكرية وصوروها في نفوسهم وسموها الفضاء وإذا نظروا اليها وهي في الهيولى سموها المكان وهذا يدل على قلة معرفتهم أيضاً بجوهر النفس وكيفية معارفها ومعانيها

واعلم أن من شرف جوهر النفس وعجائب قواها وظرائف معارفها أنها تنزع صورة المحسوسات من هيولائها وتصورها في ذاتها وتنظر اليها خلواً من الهيولى وتفرق بين الهيولى والصورة وانظر إلى كل واحد منهما تارة مفردة وتارة مركبة وان من شدة قوتها الوهمية أنها تارة تنظر إلى العالم وكأنها خارجة منه وتارة تنظر اليه وكأنها داخلة فيه وربما ترفع العالم من الوجود أصلاً وربما تقدمت الزمان الماضى ونظرت الى بدء كون العالم وبحثت عن علة كونه بعد ان لم يكن شيئاً وربما سبقت الزمان المستقبل ونظرت إلى فناء العالم قبل حينه وتصور كيف يكون ذلك ، وان من شدة قوتها أيضاً أنها تضاعف العدد الى ما لا نهاية له وتجربى المقادير الى ما لا نهاية لها وتموهم أيضاً أن خارج العالم فضاء الى ما لا نهاية له وما يشاكل هذا من أفعالها العجيبة وما يتصور بقوتها الوهمية فمن ظن أن الفضاء هو جوهر قائم بنفسه وان خارج العالم فضاء لا نهاية له وأن المدة جوهر اسبق من نشوء العالم وأن الجزء من الهيولى يتجزأ أبداً وما شاكل هذه المسائل ، فكل هذه الاقاويل قالوها لثقله معرفتهم بجوهر النفس وعجائب قواها وكيفية تصرفها في المعارف والعلوم

﴿ فصل فى أقاويل الحكماء فى ماهية الحركة ﴾

الحركة يقال على ستة أوجه الكون والفساد والزيادة والنقصان والتغير والنقلة فالكون هو خروج الشئ من العدم إلى الوجود أو من القوة إلى الفعل والفساد عكس ذلك والزيادة هي تباعد نهايات الجسم عن مركزه والنقصان عكس ذلك والتغير هو تبدل الصفات على الموصوف من الألوان والطعوم والروائح وغيرها من الصفات وأما الحركة التى تسمى النقلة فهي عند جمهور الناس الخروج من مكان إلى مكان آخر وقد يقال أن النقلة هي الكون فى محاذة ناحية أخرى فى زمان ثان وكلا القولين يصح فى الحركة التى هي على سبيل الاستقامة ، فاما التى على الاستدارة فلا يصح لأن المتحرك على الاستدارة ينتقل من مكان إلى مكان ولا يصير فى محاذة أخرى فى زمان ثان ، فان قيل أن المتحرك على الاستدارة

اجزائه كلها تتبدل أما كنها وتصير في محاذاة أخرى في زمان ثان الا الجزء الذي هو ساكن في المركز فانه ساكن فيه لا يتحرك ، فليعلم من يقول هذا القول ويظن هذا الظن أو يقدر أن هذا الرأي صحيح أن المركز انما نقطة هو متوهمة وهي رأس الخط ورأس الخط لا يكون مكان الجزء من الجسم ، وليعلم أيضاً أن المتحرك على الاستدارة بجميع أجزائه متحرك . وهو لا ينتقل من مكان إلى مكان ولا يصير محاذياً بالشيء آخر في زمان ثان ، فأما الحركة على الاستقامة فلا يمكن أن تكون الا بالانتقال من مكان الى مكان والمرور بمحاذيات في زمان ثان ، فاذا قيل أنه يمكن ذلك فان الانسان مثلاً قد يحرك يده أو بعض أجزائه وهو لا ينتقل من مكان الى مكان فإذا ترى كيف يكون حال اليد هل يجوز أن تتحرك ولا تخرج من مكان الى مكان وكذلك حكم الأصبع هل يجوز أن يتحرك ولا ينتقل من مكان الى مكان ولا يمر بمحاذاة أخرى في زمان ثان ؟

واعلم أنه متى تحركت الأجزاء من جسم فقد تحركت تلك الجملة ومتى تحركت تلك الجملة فقد تحركت تلك الأجزاء لأن تلك الأجزاء ليست غير تلك الجملة . وذلك أنه اذا تحرك الانسان فقد تحركت جملة أعضائه. واذا تحركت أعضاؤه فقد تحرك هو ، وان تحركت يده وحدها فقد تحركت أجزاء اليد كلها لان اليد ليست شيئاً غير تلك الاجزاء وكذلك ان تحرك أصبع واحد فقد تحركت أجزاء الأصبع كلها لأن الاصبع ليست غير تلك الاجزاء، فمن ظن أنه يجوز ان تتحرك الاجزاء ولا تتحرك الجملة أو تتحرك الجملة ولا تتحرك بعض الاجزاء فقد أخطأ

وأعلم انه قد ظن كثير من أهل العلم أن المتحرك على الاستقامة يتحرك حركات كثيرة لانه يمر في حركته بمحاذيات كثيرة في حال حركته ولا ينبغي أن تعتبر كثرة الحركات لكثرة المحاذيات فان السهم في مروره الى ان يقع حركة واحدة يمر بمحاذيات كثيرة ، وكذلك المتحرك على الاستدارة فحركته واحدة الى ان يقف وان كان يدور ادواراً كثيرة

ثم اعلم انه لا تنفصل حركة عن حركة الا بسكون بينهما ، وهذا يعرفه ولا يشك فيه أهل صناعة الموسيقى ، وذلك ان صناعتهم معرفة تأليف النغم والنغم لا يكون الا بالاصوات والاصوات لا تحدث الا من تصادم الاجسام وتصادم الاجسام لا يكون الا بالحركات والحركات لا تنفصل بعضها عن بعض الا بسكونات تكون بينهما فن أجل هذا قال الذين نظروا في تأليف النغم إن بين زمان كل نقرتين زمان سكون وقد بينا طرفا من هذا العلم في رسالتنا في تأليف اللحن ماهي وكم هي وكيف هي فاعرفها من هناك

واعلم انه ينبغي لمن ينظر في حقائق الاشياء ويبحث عن ماهياتها أن يبتديء أولا وينظر ويبحث هل الشيء جوهر أو عرض أو هيولى أو صورة جسمانية أو روحانية ، فان كان جوهرأ فأي جوهر هو ، وان كان عرضاً فأي عرض هو ، وان كان هيولى فأي هيولى هو وان كان صورة فأي صورة هي وكيف هي واعلم ان الحركة في بعض الاجسام جوهرية كحركة النار فانها متى سكنت حركتها طفئت وبطلت وبطل وجودها ، وفي بعض الاجسام عرضية لها حركة كحركة الماء والهواء والارض ، لانها ان سكنت حركتها لا يبطل وجدانها واعلم ان الحركة هي صورة جعلتها النفس في الجسم بعد الشكل وان السكون هو عدم تلك الصورة ، والسكون بالجسم أولى من الحركة لان الجسم ذو جهات لا يمكنه أن يتحرك الى جميع جهاته دفعة واحدة وليست حركته الى جهة أولى به من جهة فالسكون به اذا أولى من الحركة

واعلم ان الحركة وان كانت صورة فهي صورة روحانية متممة تسرى في جميع اجزاء الجسم وتنسل عنه بلا زمان كما يسرى الضوء في جميع اجزاء الجسم الشفاف وينسل عنه بلا زمان ، فانك ترى السراج اذا دخل البيت اضاء البيت من اوله الى آخره دفعة واحدة واذا خرج اظلم الهواء في البيت دفعة واحدة بلا زمان ، وكذلك الشمس اذا طلعت بالشرق اضاء الهواء من المشرق الى المغرب دفعة واحدة فاذا غابت بالمغرب اظلم الهواء دفعة واحدة ، فالحرارة

إذا بدت تدب أولاً فاولاً يحمى الجو بزمان ، وكذلك إذا طلعت الشمس يحمى الجو أولاً فأولاً بزمان ، وكذلك إذا غابت الشمس برد الهواء أولاً فاولاً بزمان

واعلم ان الحركة حكمها كحكم الضوء ، وذلك لو ان خشبة طولها من المشرق الى المغرب نصبت ثم جذبت الى المشرق أو الى المغرب عقداً واحداً لتحركت جميع اجزائها دفعة واحدة

وأعلم أن بعض افعال النفس في الجسم بزمان ، وبعض افعالها بلا زمان ، دلالة على ان جوهرها فوق الزمان ، لان الزمان مقرون بحركة الجسم والجسم مفعول النفس وان النفس لما جمعت الجسم الكلي كروي الشكل الذي هو أفضل الاشكال جمعت حركته أيضاً الحركة المستديرة التي هي أفضل الحركات

﴿ فصل في ماهية الزمان من أقاويل العلماء ﴾

أما الزمان عند جمهور الناس فهو مرور السنين والشهور والايام والساعات ، وقد قيل ان عدد حركات الفلك بالتكرار ، وقد قيل انه مدة بعدها حركات الفلك وقد يظن كثير من الناس أن الزمان ليس بوجود اصلاً اذا اعتبر بهذا الوجه وذلك ان اطول اجزاء الزمان السنون والسنون منها ما قد مضى ومنها ما لم يجيء بعد وليس الموجود منها الا سنة واحدة وهذه السنة أيضاً شهور منها ما قد مضى ومنها ما لم يجيء بعد وليس الموجود منها الا شهراً واحداً وهذا الشهر منه ايام قد مضت وايام لم تجيء بعد وليس الموجود منها الا يوماً واحداً وهذا اليوم ساعات منها ما قد مضت ومنها ما لم تجيء بعد وليس الموجود منها الا ساعة واحدة وهذه الساعة اجزاء منها ما قد مضى وآخر ما جاء بعد ، فبهذا الاعتبار ليس للزمان وجود أصلاً

فاما الوجه الآخر اذا اعتبر فالزمان موجود أبداً وذلك ان الزمان كله يوم وليلة اربع وعشرون ساعة وهي موجودة في اربع وعشرين بقعة من استدارة

الارض تكون حولها دائماً . بيان ذلك انه اذا كان نصف النهار في يوم الاحد
مثلا في البلد الذي طوله تسعون درجة فان الساعة الاولى من هذا اليوم موجودة
في البلدان التي طولها من درجة الى خمس عشرة درجة والساعة الثانية موجودة
في البلدان التي طولها من ست عشرة درجة الى ثلاثين درجة والساعة الثالثة
موجودة في البلد الذي طوله من إحدى وثلاثين درجة الى خمس واربعين درجة
والساعة الرابعة موجودة في البلدان التي طولها من ست واربعين درجة الى ستين
درجة والساعة الخامسة موجودة في البلدان التي طولها من إحدى وستين درجة
الى خمس وسبعين درجة والساعة السادسة موجودة في البلدان التي طولها من ست
وسبعين درجة الى سبعين درجة ، والساعة السابعة موجودة في البلدان التي
طولها من إحدى وتسعين درجة الى مئة وخمس درجات ، والساعة الثامنة موجودة
في البلدان التي طولها مئة وست درجات تمام مائة وعشرين درجة ، والساعة
التاسعة موجودة في البلدان التي طولها مئة وخمس وثلاثون درجة ، والساعة
العاشره موجودة في البلدان التي طولها الى تمام مائة وخمسين درجة ، والساعة
الحادية عشرة موجودة في البلدان التي طولها الى تمام مائة وخمس وستين درجة
والساعة الثانية عشرة موجودة في البلدان التي طولها الى تمام مائة وثمانين درجة
وفي مقابلة كل بقعة من هذه البقاع من استدارة الارض ساعات الليل
موجودة كل واحدة كنظيرتها ، ولكل موضع من الارض أقدار مختلفة من
الليل والنهار والشمس تضيء في نصف الارض أبدأ حيث كانت ويستقر قطر الارض
عن نصفها الآخر الذي كان أشرق على نصفها الذي يلي الشمس فيكون ما طاعت
عليه الشمس نهراً وما سترت بقطرها عن نصفها من ضوء الشمس ليلاً ، وكلما دار
النهار دار الليل معه كل واحد منهما ضد صاحبه ، وكلما زال أحدهما زال الآخر
معه فالليل والنهار يتبديان الاقبال من مشرق الارض ثم يسيران على مسير
الشمس فيسبق طلوع الشمس على أول الارض طلوعها على آخرها باثني عشرة
ساعة ، وكذلك الليل . فان شككت فيما قلنا فاسأل أهل الصناعة الناظرين في

علم المجسطي بخبروك بصحة ماقلناه ، فانه قد قيل استعينوا على كل صناعة باهلها ثم اعلم ان من كرور الليل والنهار حول الارض دائماً يحصل في نفس من يتأملها صورة الزمان كلها ، يحصل فيها صورة العدد من تكرار الواحد : وذلك أن العدد كله أفراده وازواجه صحيحه وكسوره آحاده وعشراتاه وهئاته وألوفه ليست بشيء غير جملة الآحاد تحصل في نفس من يتأملها كما بينا في رسالة العدد وهكذا الزمان ليس هو بشيء سوى جملة السنين والشهور والايام والساعات تحصل صورتها في نفس من يتأمل تكرار كرور الليل والنهار حول الارض دائماً فهذه الخمسة الاشياء التي أتينا على شرحها وهي الهيولى والصورة والمكان والزمان والحركة محتوية على كل جسم ، فمن لم يكن مرتاضاً بالنظر في هذه الاشياء فلا يسعه النظر في أمور الطبيعة لانه لا يمكن له أن يعرفها كنه معرفتها البتة ، ولو لم يكن مرتاضاً في الامور الطبيعية فلا يسعه الكلام في الامور الالهية لانه لا يمكنه أن يعرفها كنه معرفتها

فتفكر فيما ذكرنا يا أخي في هذه الرسالة من أقاويل العلماء اتفهم ماقلوه ، وتصور ماوضعوه من معاني هذه الاشياء فان كان عندك زيادة عليها أفدناها وان أنكرت شيئاً مما قالوه فبينه لنا وان اشتبه عليك شيء مما حكيناها فلا تهننا باننا قصرنا في البيان أو قلنا ما ليس بالحق

ثم اعلم ان لكل صناعة أهلاً ولكل أهل علم وصناعة أصولاً هم فيها متفقون وفي فروعها يتكلمون وعلى تلك الاصول يقيسون فيما يختلفون واعلم بان النظر في الامور الطبيعية جزء من صناعة اخواننا الكرام ، أيدهم الله تعالى والامور الطبيعية هي الاجسام وما يعرض لها من الاعراض اللازمة والمزايلة ، وقد عملنا في هذه العلوم سبع رسائل أولها هذه الرسالة التي ذكرنا فيها الهيولى والصورة والحركة والمكان والزمان إذ كانت هذه الاشياء الخمسة محتوية على كل جسم ، وقد ذكرنا في رسالة الحاس والمحسوس الاشياء المعارضة للاجسام بقول وجيز ثم يتلو هذه الرسالة التي ذكرنا فيها السماء والعالم

ووصفنا فيها تركيب الافلاك وكهيتها وسعة أقطارها وسرعة دورانها وعظم الكواكب وفنون حركاتها وأوصاف البروج وتخصيصها ثم يتلوها الرسالة التي ذكرنا فيها الكون والفساد وماهية الأركان الأربعة التي تحت فلك القمر وهي النار والهواء والماء والارض ووصفنا فيها كيفية استحالة بعضها الى بعض وحدوث الكائنات منها ، ثم يتلوها الرسالة الرابعة التي فيها حوادث الجو والتغيرات التي تحدث في الهواء ، ثم يتلوها الرسالة الخامسة التي ذكرنا فيها جواهر المعادن ووصفنا كيفية تكونها في باطن الارض وجوف الجبال وقعر البحار ، ثم يتلوها الرسالة السادسة التي ذكرنا فيها أمر النبات ووصفنا أجناسه وأنواعه وخواصه ومنافعه ومضاره ، ثم يتلوها الرسالة السابعة التي ذكرنا فيها اجناس الحيوانات وانواعها واختلاف طباعها بقول وجيز .

وقد عمادنا خمس رسائل آخر قبل هذه الرسالة في الرياضيات ، أولها رسالة العدد وخواصه وكيفية نشوئه من الواحد الذي قبل الاثنين ، ثم يتلوها الرسالة الثانية التي ذكرنا فيها أصول الهندسة وأنواع المقادير وكيفية نشوئها من النقطة التي هي في صناعة الهندسة كالواحد في العدد ، ثم يتلوها الرسالة الثالثة التي ذكرنا فيها النجوم ووصفنا الافلاك والكواكب وبيننا ان نسبتها الى الشمس كنسبة العدد من الواحد ومنشأ مقادير الهندسة من النقطة ، ثم يتلوها الرسالة التي ذكرنا فيها النسبة العددية والهندسية والتاليفية وان منشأها كلها من نسبة المساواة كمنشأ العدد من الواحد وكمنشأ مقادير الهندسة من النقطة ، ثم يتلوها الرسالة التي ذكرنا فيها المنطق ووصفنا فيها المقولات العشرة التي كل واحد منها جنس الاجناس وبيننا كمية أنواعها وخواصها وان الواحد منها هو الجوهر والتسعة الباقية هي الاعراض وتعلقها في وجودها بالجوهر كتعاقب العدد بالواحد الذي قبل الاثنين . وقد تكلم في هذه الاشياء من قبلنا من الحكماء الاولين ودونوها في الكتب وهي موجودة في أيدي الناس ولكن من أجل انهم طولوا فيها الخطب ونقلوها من لغة الى لغة اغاق على الناظرين في تلك الكتب فهم معانيها

وضاعت في الباحثين معرفة حقائقها ، من أجل هذا عملنا هذه الرسائل وأوجزنا القول فيها شبه المدخل والمقدمات لكيما يقرب على المتعلمين فهمها ويسهل على المبتدئين النظر فيها

فصل

واعلم ان كنت محباً لأهل العلم والحسنة أنك تحتاج أن تسلك طريق أهلها وهو أن تقتصر من أمور الدنيا على ما لا بد منه وتترك الفضول وتجعل أكثر همتك وعنايتك في طلب العلوم وإتقان أهلها ومجالستهم بالمذاكرة والبحث وأن تروض نفسك بالسيرة العادلة التي وصفت في كتب الانبياء عليهم السلام وبالنظر في هذه العلوم التي تقدم ذكرها وهي التي كانوا يروضون أولاد الحكماء بها ويخرجون بها تلامذتهم ليقوى فهمهم على النظر في الأمور الالهية التي هي الغرض الاقصى في المعارف

ثم اعلم ان الامور الالهية هي الصور المجردة من الهيولى وهي جواهر باقية خالدة لا يعرض لها الفساد والآفات كما يعرض للأموال الجسمانية ، واعلم ان نفسك هي احدى تلك الصور ، فاجتهد في معرفتها لعلك تخلصها من بحر الهيولى وهاوية الاجسام وأسر الطبيعة التي وقعنا فيها بجنابة كانت من أبينا آدم عليه السلام حين عصى ربه فأخرج هو وذريته من الجنة التي هي عالم الارواح وقيل لهم « اهبطوا منها بعضكم لبعض عدو وانكم في الارض مستقر ومتاع الى حين. فيها تموتون ومنها تخرجون » فقد قيل في المثل ان أول اناس اذا تفخخ في الصور وشق عليهم القبور يوم البعث والنشور وقيل انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب هو عالم الاجسام ذو الطول والعرض والعمق . فاجتهد يا أخي في معرفة هذه المرامي والرموز التي ظهرت في كتب الانبياء عليهم السلام لعل نفسك تقتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتحيا بروح المعارف الربانية وتعيش بحياة العلوم الالهية وتسلم من الآفات الطبيعية

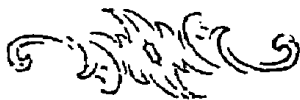
واعلم ان النفس بمجردها لا تلحقها الآلام والامراض والاسقام والجوع والعطش والحر والبرد والغموم والهموم والاحزان ونوائب الحدثنان ، لان هذه كلها تعرض لها من أجل مقارنتها للجسد لأن الجسد جسم قابل للآفات والفساد والاستحالة والتغير ، فأما النفس فانها جوهرة روحانية فليس لها من هذه الآفات شىء .

واعلم انه قد ذهب على أكثر أهل العلم معرفة أنفسهم لتركهم النظر في علم النفس والبحث عن معرفة جواهرها والسؤال من العلماء العارفين بعلمها ، ولقلة اهتمامهم بأمر أنفسهم وطلب خلاصها من بحر الهيولى وهاوية الأجسام والنجاة من أسر الطبيعة والخروج من ظلمة الاجسام لشدة ميلهم في الخلود الى الدنيا واستغراقهم في الشهوات الجسمانية والغرور باللذات الحيوانية والانس بالمحسوسات الطبيعية ولغفلتهم عما وصف في الكتب الالهية والنواميس الشرعية النبوية من نعيم الجنان ومافي عالم الارواح من الروح والريحان والنعيم والسرور واللذة والكرامة وبقاء الابد التي وعد المتقون « فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات والنخيل والاعناب تتخذون منه سكرأ ورزقأ حسناً ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون »

وانما قلة رغبتهم فيها لقلة تصديقهم بما أخبرت به الانبياء عليهم السلام وما أشارت اليه الفلاسفة والحكماء مما يقصر الوصف عنه من لطيف المعاني ودقائق الاسرار ، فانصرفت همهم نفوسهم كلها الى أمر هذا الجسد المستحيل ، وجعلوا سعيهم كله لصالح معيشة الدنيا من جمع الاموال والمآكل والمشرب والملابس والمناكح والمراكب ، وصيروا نفوسهم عبيداً لأجسادهم وأجسادهم مالكة لنفوسهم ، وسلطوا الناسوت على اللاهوت والظلمة والشياطين على النور والملائكة ، وصاروا من حزب إبليس وأعداء الرحمن

فهل لك يا أخي بأن تنظر لنفسك وتسعى في صلاحها وتطلب نجاتها وتفك أسرها وتخلصها من الغرق في بحر الهيولى وأسر الطبيعة وظلمة الأجسام وتخفف عنها أوزارها وهي الاسباب المانعة لها عن الترقى الى ملكوت السماء والدخول في زهر الملائكة والسيحان في فسحة عالم الافلاك والارتفاع في درجات الجنان والتشمم من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن ، وأن ترغب في صحبة أصدقاء لك نصحاء ، واخوان لك فضلاء ، وادين لك كرماء ، حريصين معاوينين لك على صلاحك ونجاتك مع أنفسهم ، قد خلعوا أنفسهم من خدمة أبناء الدنيا وجعلوا عنايتهم وكدهم في طلب نعيم الآخرة ، بأن تسلك مسلكهم وتقصد مقصدهم وتخلص شرك معهم وتتخلق بأخلاقهم وتسمع أقاويلهم لتعرف اعتقادهم وتنظر في علومهم لتفهم أسرارهم وما يخبرونك به من العلوم النفسية والمعارف الحقيقية والمعقولات الروحانية والمحسوسات النفسانية اذا دخلت مدينتنا الروحانية وسرت بسيرتنا الملكية وعملت بسنتنا الزكية وتنفقت في شريعتنا العقلية فاعلمك تؤيد روح الحياة لتتنظر الى الملأ الأعلى وتعيش عيش السعداء مخلداً مسروراً أبداً بنفسك الباقية الشريفة الشفافة الفاضلة لا بجسدك المظلم الثقيل المتغير المستحيل الفاسد الفانى . وفقك الله وإيانا وجميع اخواننا للسداد وهداك وإيانا وجميع اخواننا للرشاد حيث كانوا في البلاد انه رؤوف رحيم بالعباد

تمت رسالة الهيولى والصورة وتتلوها رسالة السماء والعالم



الرسالة الثانية من الجوامع الطبيعية

الموسومة بالسما والعالا في اصلاا النفس وتهييب الاالا
* وهي الرسالة السادسة عشرة من رسائل اخوان الصفاء *

بسم الله الرحمن الرحيم

الالاء الله وسلاا على عبااء الالنا اصطفاى الله ااير اأا يشركون
اعلم اأها الاا البار الالنا ، اأاءك الله واأانا بروا منه ، أنه لما فرانا من
ااكر الالنا المطلق وما ىلنا من الصفاا المقومة لانا من الهىولى والصورة
وما ىلنا من سائر الصفاا اللازمة مثل الالنا والسكون وماشا كلاهما اأنا أن
نااكر في هاء الرسالة الملقبة بالسما والعالا الأالنا الكلىا البسىاا الالنا هى
الأفلاك والكواكب والأركان الأربعة الالنا هى النار والهواء والماء والأرض
ااااا الالنا المطلق أول ما ىلنا الالنا من بعاءها الأالنا الجزئىا المولاءا
الالنا هى الالنا والمعاءن والنباا

* فصل فى بباا معرفة قول الالنا ان العالنا انسان كابل *

اعلم اأها الاا أن معنى قول الالنا العالنا انما ىلنا به السماواا السبع
والأرضىن وما بباا من الألائق أالنا ، وسموا اأنا كابل لأنهم ىلنا
أنه الالنا اااا بألنا أفلاكه وأطباق ساواا وأركان أمهاا ومولاءا وىلنا
أأنا أن له نساواا سارىة قواها فى الالنا ااااا كسرىاا نفس الانسان

الواحد في جميع أجزاء جسده ، فنريد أن نذكر في هذه الرسالة صورة العالم ونصف كيفية تركيب جسمه كما وصف في كتاب التشريح تركيب جسد الانسان ، ثم نصف في رسالة أخرى ماهية نفس العالم وكيفية سريان قواها في الاجسام التي في العالم من أعلى الفلك المحيط إلى منتهى مركز الارض ، ثم نبين فنون حركاتها واطهار افعالها في اجسام العالم بعضها في بعض ، فنرجع الآن الى وصف جسم العالم فنقول

الجسم هو أحد الموجودات بطريق الحواس بتوسط أعراضه كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس ، والموجودات كلها جواهر وأعراض وصور وهيوليات مركب منها كما بينا في رسالة الهيولى والصورة ، والصورة نوعان مقوسة ومنتمة كما بينا في رسالة العتل والمعقول ، والصورة المقومة لذات الجسم هي الطول والعرض والعمق إذا وجدت في الهيولى التي هي جوهر بسيط قابل للصورة ، والصورة المنتمة للجسم المبلغة له الى أفضل حالاته كثيرة لا يحصى عددها الا الله عز وجل ، ولكن نذكر منها طرفاً لتفهم معانيها : فن الصورة المنتمة للجسم الشكل ، والاشكال كثيرة كالتثليث والتربيع والتخميس والتدوير وماشا كلها ، ومن الصورة المنتمة أيضاً الحركة ، والحركات ستة أنواع أحدها النقلة وهي نوعان دورية ومستقيمة ، ومن الصور المنتمة أيضاً النور وهي نوعان ذاتي وعرضي ، وهن الصور المنتمة للجسم الصفاء ، وأفضل الاشكال الشكل الكرى كما بينا في رسالة الهندسة ، وأتم الحركات الدورية كما بينا في رسالة الحركات ، وأبهى الأنوار الذاتية وأصفى النعوت الشفاف كما بينا في رسالة الصفات والموصوفات . فجسم العالم بأسره كرى الشكل وحركات أفلاكه كلها دورية ، ونور الكواكب السماوية كلها ذاتي الا القمر ، وأجرام الكرة كلها شفاقة الا الارض فقد بينا ما العلة في أمر الارض والقمر في رسالة العلل والمعلولات

﴿ فصل في ان السماوات هي الافلاك ﴾

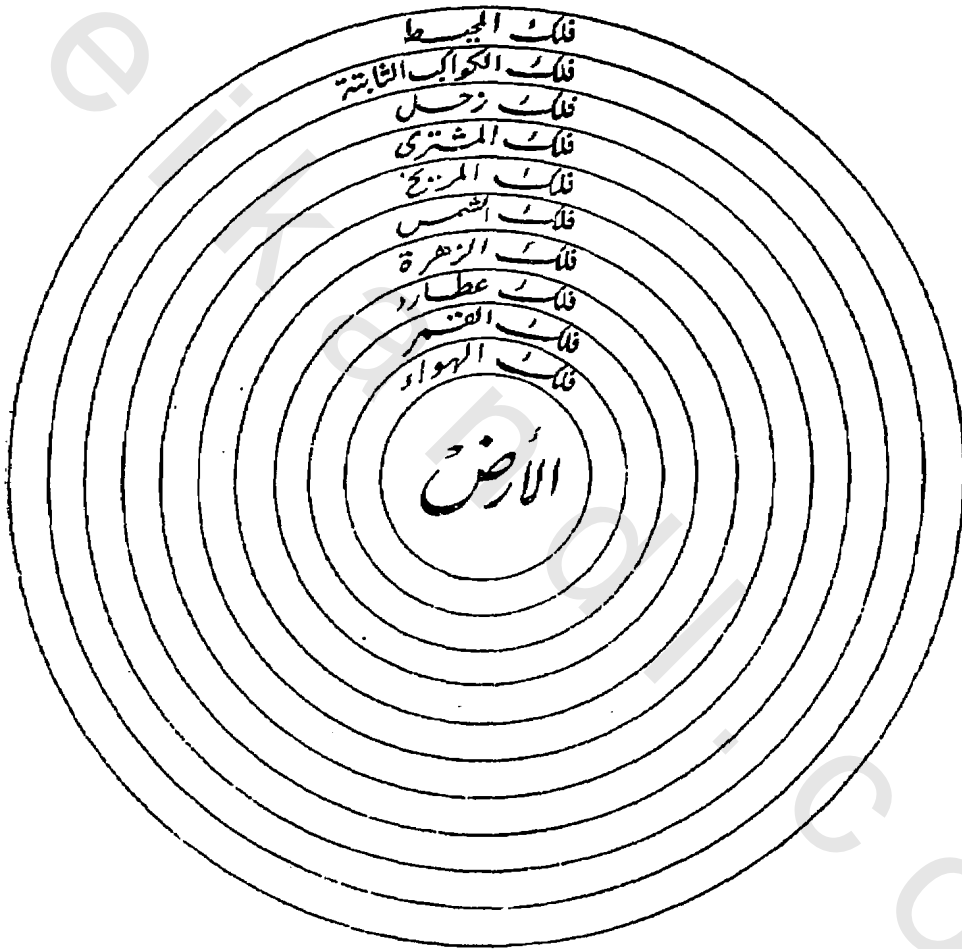
واعلم يا أخي ان السماوات هي الافلاك وانما سميت السماء سماء لسموها والفلك لاستدارته . واعلم بأن الافلاك تسعة سبعة منها هي السماوات السبع وأدناها وأقربها اليها فلک القمر وهي السماء الأولى ثم من ورائه فلک عطارد وهي السماء الثانية ، ومن ورائه فلک الزهرة وهي السماء الثالثة ، ثم من ورائه فلک الشمس وهي السماء الرابعة ، ومن ورائه فلک المريخ وهي السماء الخامسة ومن ورائه فلک المشتري وهي السماء السادسة ، ثم من ورائه فلک زحل وهي السماء السابعة ، وزحل النجم الثاقب ، وانما سمي الثاقب لأن نوره يثقب سمك سبع سماوات حتى يبلغ أبصارنا ، هكذا روي في الخبر عن عبد الله بن عباس ترجمان القرآن ، وأما الفلك الثامن وهو فلک الكواكب الثابتة الواسع المحيط بهذه الافلاك السبعة فهو الكرسی الذي وسع السماوات والارض ، وأما الفلك الشاسع المحيط بهذه الافلاك الثمانية فهو العرش العظيم الذي يحمله قوتهم يومئذ ثمانية كما قال الله عز وجل

واعلم يا أخي ان كل واحد من هذه السبعة المقدم ذكرها سماء لما تحته وأرض لما فوقه ، فلک القمر سماء الارض التي نحن عليها وأرض فلک عطارد ، وكذلك فلک عطارد سماء فلک القمر وأرض فلک الزهرة ، وعلى هذا القياس حكم سائر الافلاك كل واحد منها سماء لما تحته وأرض لما فوقه الى فلک زحل الذي هو السماء السابعة .

﴿ فصل في تركيب الافلاك وأطباق السماوات ﴾

اعلم يا أخي ان الأرض التي نحن غايتها هي كرة واحدة بجميع ما عليها من الجبال والبحار والبراري والانهار والعمران والخراب ، وهي واقفة في مركز العالم في وسط الهواء بجميع ما عليها باذن الله عز وجل . والهواء محيط بها من جميع جهاته كحاطة بياض البيضة بمحها ، وذلك القمر محيط بالهواء من جميع جهاته

كاحاطة القشرة ببياض البيضة ، وفلك عطارد محيط بفلك القمر على مثل ذلك .
وعلى هذا القياس سائر الافلاك الى أن تنتهي الى الفلك المحيط بالكل كما ذكره
الله جل ثناؤه « وكل في فلك يسبحون »
وهذا مثال تركيب الافلاك وصورة سموك السماوات ومن فوقها فلك البروج
ومن فوقه الفلك المحيط :



فقد بان بهذا المثال ان جملة العالم احدى عشرة كرة اثنتان في جوف فلك
القمر وهما الأرض والهواء لان الأرض كرة واحدة والهواء والأثير كرة
واحدة ، وتسع من ورائه محيطات بعضها ببعض .

فصل في انه ليس للعالم فراغ

اعلم يا أخي ان هذه الاكر محيطات بعضها ببعض كاحاطة طبقات البصل ،

مماس سطح الجاوي بسطح المحوي ، وليس بينهما فراغ ولا خلاء إلا فصل مشترك وهمي . وقد ظن قوم من أهل العلم ان بين فضاء الأفلاك وأطباق السماوات وأجزاء الأمهات مواضع فارغة وليس الامر كما ظنوا ، لأن معنى الخلاء هو المكان الفارغ الذي لا يمكن فيه والمكان صفة من صفات الأجسام لا يقوم إلا بالجسم ولا يوجد الا معه

واعلم ان النور والظلمة هما أيضاً صفتان من صفات الاجسام ولا يمكن أن يعقل ان موضعاً في العالم لا مظلماً ولا مضيئاً البتة فأين وجود الخلاء إذن

واعلم انه انما ظن من قال بوجود الخلاء انه لما رأى بعض الاجسام تنتقل من موضع الى موضع آخر توهم انه لولا الخلاء لكان الملاء يمنع من الحركة والنقلة واعلم بأنه لو كانت الاجسام كلها صلبة متماسكة الاجزاء كالحجر والحديد لكان الامر كما ظنوا ولكن لما كان بعض الاجسام رخواً لطيفاً سيالاً كالماء والهواء لم يمنع ان تتحرك بعض الاجسام بين أجزائه كما يتحرك السمك في الماء والطيور في الهواء وسائر الحيوانات على وجه الارض

﴿ فصل في انه ليس خارج العالم لا خلاء ولا ملاء ﴾

اعلم يا أخي ان هذه الاحدى عشرة كرة هي جملة العالم ومساكن الخلائق أجمعين وقد ظن كثير بالاوهام ان وراء الفلك المحيط جسم آخر وخلاء بلانهاية ، وكلا الحكيمين خطأ لاحقيقة له ، لانه قد قام بالبرهان العقلي ان الخلاء غير موجود اصلاً لا خارج العالم ولا داخله ، لان معنى الخلاء هو المكان الفارغ الذي لا يمكن فيه كما وصفنا والمكان صفة من صفات الاجسام وهو عرض ولا يقوم الا بالجسم ولا يوجد إلا معه ، فمن ادعى ان خارج العالم جسم آخر من أجل الوهم الذي يتخيله فهو المطالب بالدليل على دعواه

واعلم ان الوهم قوة من قوى النفس وهي تتخيل ما لاحقيقة له وماله حقيقة فليس ينبغي أن يحكم على متخيلاتها انها حق وباطل دون أن تشهد لها احدى القوى الحساسة ويقوم عليها برهان ضروري أو يقضى لها العقل

واعلم ان حكم العقل هو الذي يتساوى فيه العقلاء وكلهم لم يتفقوا على أن خارج العالم جسم آخر لان الحس لم يدركه والعقل لم يقض به والبرهان لم يقم عليه فأى قضية تحكم ان هناك جسماً آخر غير تخيل الاوهام الكاذبة ، فان كان هناك جسم آخر كما ادعى المدعي فلا يمكن أن يكون من ورائه شئ آخر لان الجسم ذو نهاية والخلاء ليس بوجود براهين قد قامت كما ذكرنا . فأما الدليل على ان كل جسم ذو نهاية فقد اتفقت عليه الآراء النبوية والفلسفية جميعاً . وذلك ان من الرأي النبوي ان كل جسم مخلوق وكل مخلوق ذو نهاية في أولية العقل ومن رأى الفلسفى ان كل جسم مركب من هيولى وصورة وكل مركب ذو نهاية في أولية العقل

فصل في ان موضع الشمس وسط العالم

اعلم ان الشمس لما كانت في الفلك كالمملك في الارض والكواكب لها كالجنود والاعوان والزعيم للملك والافلاك كالأقاليم والبروج كالبلدان والدرجات والدقائق كالتقرى صار مركزها بواجب الحكمة الالهية وسط العالم كما ان دار الملك وسط المدينة ومدينته وسط البلدان من مملكته ، وذلك ان مركز الشمس وسط فلكها وفلكها في وسط الافلاك لانه لما كانت جملة العالم احدى عشرة كرة كما بينا قبل وكان خمس منها من وراء فلكها محيطات بعضها ببعض ، وهي كرة المريخ وكرة المشتري وكرة زحل وكرة الكواكب الثابتة وكرة المحيط وخمس دوتها وهي في جوف كرتها محيطات بعضها ببعض أولها فلك الزهرة ودونها كرة عطارد ودونها كرة القمر ودونها كرة الهواء ودونها كرة الارض ، فصار موضعها في وسط العالم بهذا الاعتبار كما ان موضع الارض في مركز العالم

فصل في ماهية البروج

اعلم يا أخي ان البروج هي اثني عشر قسمة وهمية في سطح فلك المحيط

يفصلها اثناعشر خطأ وهمياً ، وهي تبتدىء من نقطة وتنتهي الى نقطة أخرى في مقابلتها فيقسم سطح كرة باثني عشرة قسمة كل واحدة منها كأنها جزء البطيخة تسمى البرج ، والنقطتان تسميان قطبي الكرة ، وان الشمس ترسم على سطح كرتها بحركتها في كل ثلثمائة وخمسة وستين يوماً دائرة وهمية كما سنبين بعد ، والدائرة تقسم الكرة بنصفين ، وكل برج بقسمين متساويين ، حصة كل برج من تلك الدائرة قطعة قوس قدرها ثلاثون جزءاً من ثلثمائة وستين ، وبهذه الدائرة ودرجتها يقاس دوران سائر الافلاك والكواكب ، وبحركات الشمس تعتبر سائر حركات الكواكب في الزيجات ، وبأحوال الشمس تعتبر أحوال الكواكب في المواليد

❦ فصل في أقطار الافلاك وسموك السماوات ❦

واعلم يا أخي ان لكل كرة من هذه الاكراً قطراً وسمكاً ، وسمك كل واحد منها أقل من قطرها الا الارض فان سمكها مثل قطرها لانها كرة غير مجوفة ، وأما سائر الاكراً فانها لما كانت مجوفة صارت سموكها أقل من أقطارها فقطر الارض الفان ومائة وسبعة وستين فرسخاً وأعظم دائرة على بسيطها ستة آلاف وثمانمائة فرسخ . وأما سمك كرة الهواء فانه سبع عشرة مرة ونصف مثل قطر الارض ، فيكون ذلك سبعة وثلاثين الف وتسعمائة واثنين وعشرين فرسخاً ونصف فرسخ وقطر هذه الكرة مثل سمكها مرتان وزيادة قطر الارض عليه مرة واحدة . وأما سمك كرة القمر فمثل سمك كرة الهواء سواء وقطره مثل سمكه مرتان ، وزيادة قطر الهواء عليها مرة واحدة . وأما سمك كرة عطارد فانه مثل قطر الارض مائة مرة وخمس قطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر فلك القمر عليها مرة واحدة . وأما سمك الزهرة فمثل قطر الارض تسع مائة وخمس عشرة مرة وقطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر فلك عطارد عليه مرة واحدة . وأما سمك كرة الشمس فمئة مرة مثل قطر الارض وقطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر فلك الزهرة عليه مرة واحدة

وأما سمك كرة المريخ فمثل قطر الارض سبع آلاف مرة وستمائة وست وخمسين مرة وقطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر الشمس عليه مرة واحدة .
وأما سمك فلك المشتري فمثل قطر الارض خمس آلاف مرة وخمس مائة وسبع وعشرين مرة وقطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر فلك المريخ عليه مرة واحدة .
وأما سمك فلك زحل فمثل قطر الارض سبع آلاف وستمئة وخمس مرات وقطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر فلك المشتري عليه مرة واحدة .
وأما سمك كرة فلك الكواكب الثابتة فانه مثل قطر الارض اثنتي عشرة الف مرة بالتقريب وقطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر زحل عليه مرة واحدة

فصل في كمية عدد الكواكب الثابتة والسيارة

وهي الف وتسعة وعشرين كوكباً ، الذي أدرك بالرصدها منها السبعة السيارة وهي : زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ، لكل واحد منها فلك يختص به وهي محيطات بعضها ببعض كما بينا من قبل . وأما سائر الكواكب وهي الف واثنان وعشرين كوكباً فكلها في فلك واحد وهو الفلك الثامن المحيط بفلك الكواكب اي زحل وسائر الافلاك هي في جوفه

فصل في مقادير أقطارها في رأي العين

وقطر جرم الشمس في رأي العين مساو لاحدى وثلاثين دقيقة من درجة على أن الدرجة ستون دقيقة وقطر جرم القمر اذا كان في أبعد أبعاده مساو لقطر الشمس ، وقطر جرم عطارد إذا كان في بعده الاوسط جزء من خمسة وعشرين جزءاً من قطر الشمس ، وقطر جرم الزهرة جزء من اثني عشر جزءاً من قطر الشمس ، وقطر جرم المريخ جزء من عشرين جزءاً من قطر الشمس ، وقطر جرم المشتري جزء من اثني عشر جزءاً من قطر الشمس ، وقطر جرم زحل جزء من ثمانية وعشرين جزءاً من قطر الشمس

﴿ فصل في نسبة أقطارها من قطر الارض ﴾

فقطر جرم عطارد جزء من ثمانية عشر جزءاً من قطر الارض وقطر جرم الزهرة جزء ورابع من ثلاثة أجزاء من قطر الارض وقطر جرم القمر جزآن وخمس من ثلاثة أجزاء من قطر الارض وقطر جرم الشمس مثل قطر الارض خمس مرات ونصف وقطر جرم المريخ مثل قطر الارض مرة وسدس وقطر جرم المشتري أربع مرات ونصف وثمان مثل قطر الارض وقطر زحل أربع مرات ونصف مثل قطر الارض

﴿ فصل في مقادير أجرام هذه الكواكب من جرم الارض ﴾

القمر جزء من تسعة وثلاثين جزءاً من الارض وعطارد جزء من اثنين وعشرين جزءاً من الارض والزهرة جزء من سبعة واربعين جزءاً من الارض والشمس مثل الارض مائة وستين مرة وكسر والمريخ مثل الارض مرة ونصف وثمان ، والمشتري مثل الارض خمس وتسعين مرة وزحل مثل الارض احدى وتسعين مرة

﴿ فصل في مقادير الكواكب الثابتة ﴾

وهي الف واثنان وعشرين كوكباً خمسة عشر منها كل واحد مثل الارض مائة مرة وثمان مرات وقطر كل واحد منها مثل قطر الارض اربع مرات ونصف ورابع وفي رأي العين جزء من عشرين جزءاً من قطر جرم الشمس ومنها خمسة واربعين كوكباً كل واحد منها مثل الارض تسعين مرة ومنها مائتا كوكب وثمانية كواكب كل واحد مثل الارض اثنين وسبعين مرة ومنها اربعمائة وأربعة وسبعين كوكباً كل واحد منها مثل الارض اربع وخمسون مرة ومنها مائتان وسبعة وعشرين كوكباً كل واحد منها مثل الارض ستة وثلاثون مرة ومنها ثلاثة وثلاثون كوكباً كل واحد منها مثل الارض ثمان عشرة مرة

﴿ فصل في اختلاف دوران الافلاك حول الارض ﴾

واعلم يا أخي ان الفلك المحيط الذي هو المحرك الاول عن الحركة الاولى التي هي النفس الكاكية يدور حول الارض في كل أربع وعشرين ساعة سواء دورة واحدة ، ولما كان الكوكب في جوفه مماساً له من داخله صار يديره معه نحو الجهة التي يدور اليها ولكن تقصر حركته عن سرعة حركة محركه بشيء يسير فيختلف عن موازاة أجزائه في كل مائة سنة درجة واحدة ، ولما كان أيضاً فلك زحل في جوف هذا الفلك مماساً له في داخله صار يديره معه نحو الجهة التي يدور اليها ويتبعه فلك زحل ولكن يقصر أيضاً حركته عن سرعة محركه بشيء يسير فيختلف في كل يوم عن موازاة أجزاء الفلك المحيط دقيقتين وهكذا يجري حكم فلك المشتري في جوف فلك زحل كل يوم خمس دقائق يتأخر عن موازاة أجزاء الفلك المحيط وكذلك حكم فلك المريخ في جوف فلك المشتري يتأخر عن موازاة أجزاء الفلك المحيط في دورة في كل يوم احدى وثلاثين دقيقة وهكذا حكم الشمس في جوف فلك المريخ وفلك الزهرة في جوف فلك الشمس وفلك عطارد في جوف فلك الزهرة يتأخر كل واحد منها عن موازاة أجزاء الفلك المحيط في كل يوم تسع وخمسين دقيقة . وأما فلك القمر فيتأخر كل يوم عن موازاة الدرجة التي كان موازياً لها ثلاث عشرة درجة وكسراً . فقد بازبهذا الشرح أن كل واحدة من هذه الاكبر متحركة بما فوقها ومحركة لما تحتها الى أن تنتهي الى فلك القمر وان كل واحدة تنقص حركتها عن سرعة حركة محركها وان فلك القمر أبطأها حركة من أجل بعده من الحركة الاولى التي هي فلك المحيط لكثرة المتوسطات بينهما فلمذا السبب صار دوران هذه الاكبر حول الارض

مختلف الازمان

* فصل *

وأما تفاوت أزمان أدوارها فذلك أن الفلك المحيط يدور حول الارض في كل أربع وعشرين ساعة سواء دورة واحدة وفلك الكواكب في أكثر من هذه المدة بشيء يسير وفلك زحل في أكثر من ذلك بما يكون مقداره جزءاً من أربعمائة وخمسين جزءاً من ساعة وهكذا فلك المشتري يدور حول الارض في كل أربع وعشرين ساعة وثمانين جزءاً من ساعة دورة واحدة. وأما فلك المريخ فيدور حول الارض في كل أربع وعشرين ساعة وسدساً وخمس ساعة من ساعة دورة واحدة وأما فلك الشمس والزهرة وعطارد فان كل واحد منها يدور حول الارض في كل أربع وعشرين ساعة وخمس وثلاث ساعة من ساعة دورة واحدة. وأما القمر فانه لما كان أبطأها حركة صار يدور حول الارض في كل أربع وعشرين ساعة وزيادة ست أسابيع ساعة دورة واحدة.

* فصل فيما يعرض للكواكب من الدوران في فلك البروج *

فهذا السبب عرض للكواكب دورانها في فلك البروج في أزمان مختلفة يبان ذلك أنه اذا سامت الشمس بقعة من الارض مع أول درجة من الحمل فان تلك تعود الى سمت تلك البقعة بعد أربع وعشرين ساعة وهكذا دائماً ، أما الشمس فانها تعود الى سمت تلك البقعة مع الدرجة الثانية منه وهكذا دائماً ، أما القمر فانه يعود الى سمت تلك البقعة مع الدرجة الثالثة عشرة من برج الحمل بعد أربع وعشرين ساعة بزيادة ست أسابيع ساعة بالتقريب وفي اليوم الثالث يعود في الدرجة السادسة والعشرين من برج الحمل بعد ساعة وخمس أسابيع ساعة وفي اليوم الرابع يعود مع الدرجة التاسعة من برج الثور بعد ساعتين وأربع أسابيع ساعة وعلى هذا القياس تتأخر مسامته في كل يوم لتلك البقعة مع درجة أخرى الى أن يحصل من هذا التأخر عن فلك البروج في

كل سبعة وعشرين يوماً وتسع ساعات وخمس وشدس ساعة دورة واحدة ويحصل له أيضاً في هذه المدة حول الأرض سبع وعشرين دورة وكسر ويحصل أيضاً لتلك الدرجة في هذه المدة حول الأرض ثمانية وعشرين دورة وكسر وأما الشمس فهكذا حكمها وذلك بأنها اذا سامت بقعة من الأرض مع أول دقيقة من برج الحمل فانها تعود الى مسامة تلك البقعة مع الدقيقة التاسعة والخمسين من تلك الدرجة بعد أربع وعشرين ساعة وخمس دقيقة من ساعة وفي اليوم الثاني تعود مع آخر الدرجة الثانية من الحمل وهكذا تتأخر مسامتتها في كل يوم مع درجة أخرى الى أن يحصل لها في فلك البروج ثلثمائة وخمسة وستين يوماً وست ساعات دورة واحدة ويحصل أيضاً حول الأرض في هذه المدة ثلثمائة وخمسة وستين دورة وكسراً ويحصل لتلك الدقيقة في هذه المدة حول الأرض ثلثمائة وست وستين دورة وكسر وكذلك يجري حكم عطارد والزهرة وأما المريخ فانه اذا سامت بقعة من الأرض مع دقيقة من درجة فانه يعود في اليوم الثاني مع الدقيقة الحادية والثلاثين من تلك الدرجة . وفي اليوم الثالث مع الدقيقة من الدرجة التي تتلوها الى أن يحصل له في فلك البروج سنة فارسية وعشرة أشهر واثنان وعشرين يوماً دورة واحدة وفي هذه المدة أيضاً يحصل له حول الأرض سبع وثمانين وستمائة دورة وتلك الدقيقة ٦٨٨ وهي زيادة دورة واحدة

وأما المشتري اذا سامت بقعة مع دقيقة من درجة فانه يعود الى سمت تلك البقعة مع الدقيقة الخامسة من تلك الدرجة وفي اليوم الثاني مع الدقيقة العاشرة وهكذا دأبه الى ان يحصل في فلك البروج في كل احدى عشر سنة وعشرة أشهر وستة وعشرين يوماً دورة واحدة ويحصل له في هذه المدة حول الأرض ٤٤٣٥ دورة وتلك الدقيقة ٤٣٣٦ دورة

وأما زحل فانه اذا سامت بقعة فانه يعود في اليوم الثاني مع أول دقيقة ثالثة وفي اليوم الثالث مع الدقيقة الخامسة وحصاة كل يوم دقيقتان الى ان يحصل له في فلك البروج في كل تسعة وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة ايام دورة واحدة

ويحصل له حول الارض في هذه المدة ٩١١١ دورة ولتلك الدورة ٩١١٢ دورة.

وأما الكواكب الثابتة فانه اذا سامت واحدا منها بتعة من الارض فانه يعود الى تلك البقعة مسامتا لها مع ثالثة من ثانية من دقيقة من درجة فيحصل له في فلك البروج في ست وثلاثين الف سنة دورة واحدة ويحصل له حول الارض دورات كثيرة

ولما بان لاصحاب الرصد دوران الفلك المحيط من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحت الارض ودوران باقى الافلاك تابعة له بكواكبها ووجدوها مقصرة عنه عن سرعة حركته متأخرة عنه في كل يوم بقدر ما لكل دور دون الاخر كما بينا عملوا لها حسابا ودونوه في الزيجات ليعرفوا أي وقت أرادوا مواضعها وموازاتها من فلك البروج معرفة حقيقةته ولما تبين لأصحاب الزيجات أيضاً ما يعرض للكواكب من الدوران في فلك البروج بسبب ابطاء حركة أكرها عن سرعة حركة فلك المحيط سموها ما يعرض لها في فلك البروج من الدوران حركة من المغرب الى المشرق ليكون فرق بالتسمية بين دورانها حول الارض ودورانها في فلك البروج

﴿ فصل في بطلان ﴾

قول من يقول انها تتحرك من المغرب الى المشرق

وقد ظن كثير من الناظرين في علم النجوم ممن ليس له رياضة بالنظر في علم الهندسة والطبيعيات ان هذه الكواكب السيارة تتحرك من المشرق الى المغرب مخالفة لدوران الفلك المحيط وليس الامر كما ظنوا وتوهوا لانه لو كان كما ظنوا لكان سبيلها ان تطلع من المغرب وتغيب بالمشرق كما ان الفلك المحيط تطلع درجاته من المشرق وتغيب في المغرب وقد شهدوا دورانها في فلك البروج مخالفا لدوران الفلك فسموها حركة من المشرق الى المغرب وشبهوها بحركات

تملات تتحرك على وجه الرحي مستتلة بحركتها معاندة مخالفة لها في حركاتها والرحى
بسرعة حركتها ترد تلك التملات الى دورانها فلو كان كما قالوا حقيقة لكانت
حركاتها سبعة فقط لانها سبعة كواكب والامر بخلاف ذلك لان اصحاب
سيارة الرصد ذكروا انها خمس واربعون حركة كما سنبين بعد وقالوا ان القمر
اسرع الكواكب حركة فلو كان كما ذكروا لدار حول الارض في أقل من
اربع وعشرين ساعة وقد بينا انه يدور في أكثر من ذلك ولو كانت حركاتها
بالقصد معاندة لحركات الفلك المحيط لوجب أن تكون طباعها مخالفة لطباع
الفلك مضادة لها وكان يجب أن يكون لها خمس واربعون طبيعة لانها خمس واربعون
حركة وليس الامر كما ظنوا وتوهموا بل طبيعة الافلاك والكواكب كلها طبيعة
واحدة في الحركة الدورية وقصدها قصد واحد وانما اختلفت حركاتها في السرعة
والابطاء من اجل انها في الافلاك محركات ومتحركات كما بينا قبل ومن أجل
اختلاف حركاتها في السرعة والابطاء اختلفت ازمان ادوارها حول الارض ومن
أجل اختلافها حول الارض اختلفت ادوارها في فلك البروج كما بينا وأما مثل
اختلاف دورانها حول الارض كدوران الطائفتين حول البيت الحرام .

﴿ فصل في ان مثال دورانها ﴾

حول الارض كدوران الطائفتين حول البيت الحرام

وذلك ان مثل البيت وسط المسجد الحرام والمسجد وسط الحرم والحرم
وسط الحجاز والحجاز وسط بلدان الاسلام كمثل الارض وسط كرة الهواء
وكرة الهواء في وسط كرة القمر وفلك القمر في وسط الافلاك وكمثل المصلين
من الآفاق المتوجهين نحو البيت كمثل الكواكب في الافلاك ومطارح شعاعاتها
نحو مركز الارض ومثل دوران الافلاك بكواكبها حول الارض كمثل دوران
الطائفتين حول البيت ومثل اختلاف ادوارها حول الارض كمثل اختلاف اشواط
الطائفتين حول البيت وذلك انا ترى الطائفتين حول البيت منهم من يمشى الهويانا

ومنهم من يستعجل ومنهم من يهرول ومنهم من يسعى فتختلف بحسب ذلك اشواطهم وكلهم متوجهون في طوافهم نحواً واحداً وقصداً واحداً ولكن اذا بلغ الماشى الركن العراقي فقد بلغ المستعجل الركن الشامي والمهرول الركن اليماني والساعي الحجر الاسود فبهذا السبب اذا طاف الماشى شوطاً واحداً فقد طاف الساعي اشواطاً فهؤلاء الطائفون وان اختلفت اشواطهم من أجل سرعة حركاتهم وابطائها فليس قصدوا الا قصد واحد الى جهة واحدة فهكذا حكم الافلاك وكواكبها في دوراتها حول الارض وكما ان الطائفتين حول البيت يتدوّن من عند باب البيت ويجتمعون عنده سبعة اشواط يدورنها حول البيت فهكذا يقال ان الكواكب كلها ابتدأت بحركاتها من موازاة أول دقيقة من برج الحمل الذي كأنه باب الفلك ثم دارت حول الارض ثم اختلفت موازاتها بعد ذلك في درجات البروج بحسب سرعتها وابطائها كما قيل ، واذا اجتمعت هذه كلها بعد دورات كثيرة في موازاة تلك الدقيقة التي ابتدأت منها قامت القومة الكبرى واستأنفت الدور

* فصل في مثال أدوارها *

واعلم يا أخي ان حكاء الهند ضربوا مثلاً لدوران هذه الكواكب حول الارض ليقرب على المتعلمين فهمه ويسهل على المتأملين تصوره : ذكروا ان ملكاً من الملوك بنى مدينة دورها ستون فرسخاً وأرسل سبعة نفر يدورون حولها بسير مختلف : أحدهم كل يوم فرسخاً والآخر كل يوم فرسخين والثالث كل يوم ثلاثة فراسخ والرابع كل يوم أربعة فراسخ والخامس كل يوم خمسة فراسخ والسادس كل يوم ستة فراسخ والسابع كل يوم سبعة فراسخ ، فقال دوروا حول هذه المدينة وليكن ابتداءكم من عند الباب فاذا اجتمعتم عند الباب بعدد دوراتكم فتعالوا فعرفوني كم دار كل واحد منكم فن فهم حساب دوران هؤلاء النفر حول تلك المدينة وتصوره يمكنه أن

يفهم دوران هذه الكواكب حول الارض بعد كم دورة يجتمعون في أول برج الحمل كما كان ابتداءؤهم . فأما حساب أولئك النفر فانهم بعد ستين يوماً يجتمع ستة نفر عند باب المدينة وقد دار واحد منهم دورة والآخرون دورتين والثالث ثلاث دورات والرابع أربع دورات والخامس خمس دورات والسادس ست دورات ، فأما الذي يدور كل يوم سبع فقد دار ثمانية أدوار وزاد أربعة اسباع فرسخ دور ، فيحتاج هؤلاء النفر أن يستأنفوا الدور فبعد مائة وعشرين يوماً يجتمعون مرة أخرى عند الباب وقد دار كل واحد حسابه الاول مرة أخرى ولكن السابع قد دار سبع عشرة مرة وزاد فرسخاً واحداً ، فيحتاجون أن يستأنفوا الدور فبعد مئة وثمانين يوماً يجتمع الستة مرة ثانية وقد دار كل واحد حسابه الاول مرة ثالثة ولكن صاحب السابع قد دار خمساً وعشرين دورة وزاد خمسة أسباع فيحتاجون أن يستأنفوا الدور فبعد مئتين وأربعين يوماً يجتمعون مرة رابعة وقد دار كل واحد منهم حسابه الاول ولكن صاحب السبعة قد دار أربعاً وثلاثين دورة وزاد سبعين ، فيحتاجون أن يستأنفوا الدور فبعد ثلاثمائة يوم يجتمعون مرة خامسة وقد دار كل واحد منهم حسابه الاول مرة خامسة ولكن صاحب السبعة قد دار اثنتين وأربعين دورة وزاد ستة أسباع فيحتاجون أن يستأنفوا الدور فبعد ثلثمائة وستين يوماً يجتمعون مرة سادسة وقد دار كل واحد منهم حسابه الاول مرة سادسة ولكن صاحب السبعة دار احدى وخمسين دورة وزاد ثلاثة فراسخ ، فيحتاجون أن يستأنفوا الدور فبعد أربع مئة وعشرين يوماً يجتمعون كلهم عند باب المدينة وقد دار الاول سبعة أدوار والثاني أربع عشرة دورة والثالث احدى وعشرين دورة والرابع ثمانياً وعشرين دورة والخامس خمساً وثلاثين دورة والسادس اثنتين وأربعين دورة والسابع قد دار ستين دورة

فهذا مثل ضربه حكاء الهند لدوران الافلاك والكواكب حول الارض وذلك ان مثل الارض كمثل تلك المدينة المبنية التي دورها ستون فرسخاً ، ومثل

الكواكب السبعة السيارة ودوراتها حول الارض كمثل أولئك النفر السبعة ،
واختلاف حركاتهم في السرعة والابطاء كاختلاف سير أولئك النفر ، والملك هو
الله البارئ المصور تبارك الله رب العالمين

﴿ فصل فيما يرى لها من الرجوع والاستقامة والوقوف ﴾

اعلم يا أخي ان الذي يوصف من هذه الكواكب السبعة السيارة خمسة منها
وهي زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد ، تارة بالرجوع وتارة بالوقوف
وليس بالحقيقة ذلك وانما هو عارض في رأي العين ، وذلك ان كل كوكب جرمه
على كرة صغيرة تسمى أفلاك التداوير وهي مركبة كل واحدة على فلك من
الأفلاك الكبار التي تقدم ذكرها وغائصة في غلظ سموكها ويكون جانب منها مما
يلى سطوحها العلوى وجانب منها مما يلي سطوحها السفلى ، كل واحدة منها أيضاً دائمة
الدوران في مواضعها من أفلاكها الحاملة لها ، ويعرض لكل كوكب اذا كان
مركباً عليها تارة الصعود الى أعلى سطح فلك فيبعد عن الارض ، وتارة النزول
من هناك فيقرب من الارض ، فاذا كان في أعلى ذراها ترى له حركة على توالي
البروج من أولها الى آخرها واذا كان في أسفل فلكه ترى له حركة من آخر
البروج الى أولها واذا كان صاعداً أو نازلاً يرى كأنه واقف وليس بواقف
ولاراجع ولكن دأبه الدوران وانما جعل أصحاب الرصد هذه الاسماء
ألقاباً له .

﴿ فصل في تفصيل الحركات الخمس والاربعين ﴾

اعلم يا أخي انه يعرض لكل كوكب من هذه السبعة ست جهات مختلفات
إحداها من المشرق الى المغرب ، وأخرى من المغرب الى المشرق ، وأخرى من
الشمال الى الجنوب ، وأخرى من الجنوب الى الشمال ، وأخرى من فوق الى أسفل
وأخرى من أسفل الى فوق . فتكون جملتها اثنتين وأربعين حركة ، ويعرض
للكواكب الثابتة حركتان وللأفلاك المحيطة حركة واحدة ، فملك هي خمس وأربعون

حركة . فأما حركتها من المشرق الى المغرب فهي بالقصد الاول الحقيقي ، وأما سائرهما فبالعرض لا بالقصد ، وأما الذي يعرض من المغرب الى المشرق فقد بينا معناه فيما تقدم ، وأما الذي يعرض من فوق الى أسفل ومن أسفل الى فوق فهو من جهة أفلاك التداوير ومن جهة الافلاك الخارجة عن المراكز ، وأما التي تعرض من الشمال الى الجنوب ومن الجنوب الى الشمال فمن جهة ميل فلك البروج عن فلك معدل النهار وشرحها يطول ، فمن أراد هذا العلم مستقصى فلينظره في كتاب المجسطي أو بعض المختصرات في تركيب الافلاك

﴿ فصل في بيان الظلمتين الموجودتين في العالم ﴾

اعلم يا أخي ان العالم كله بأسره مضيء بنور الشمس والكواكب وليس فيه الا ظلمتان احدهما ظل الارض والاخرى ظل القمر ، وانما صار لهذين الجسمين الظل من أجل انهما غير نيرين ولا مشفين ، وأما النور الذي يرى على وجه القمر فان ذلك من اشراق الشمس على سطح جرمه ولا انعكاس شعاعاتها كما يرى مثل ذلك في وجه المرآة اذا قابلت الشمس ، وأما سائر الاجسام التي في العالم فبعضها نير ونورها ذاتي لها وهي الشمس والكواكب والنار التي عندنا ، وأما باقي الاجسام فكلها مشفات وهي الافلاك والهواء والماء وبعض الاجسام الارضية كالزجاج والبلور وماشا كلها ، والاجسام النيرة هي التي نورها ذاتي والاجسام المشفة هي التي ليس لها نور ذاتي ولا لون طبيعي ولكن اذا قابلها جسم نير سرى نوره في جميع اجزائها مرة واحدة لان النور صوره روحانية ، ومن خاصية الصور الروحانية أن تسري في الاجسام دفعة واحدة وتنسل منها دفعة واحدة بلازمان ، فاذا تقال بين الاجسام النيرة وبين الاجسام المشفة حائل غير مشف منع نور النير ان يسري في الجسم المشف ، والنور في جرم الشمس والكواكب والنار ذاتي لها ، وأما في أجرام الافلاك والهواء والماء فعرضي ، وأما جرم الارض والقمر فلما كانا غير نيرين ولا مشفين صار لهما الظل لان النور لا يسري فيهما كما يسري في

الاجسام المشفة غير ان جرم القمر صقيل يرد للنور كما يرد وجه المرآة ، و سطح
جرم الارض غير صقيل فهذا هو الفرق بينهما

* فصل في علة الكسوفين *

واعلم يا أخي انه لما كان جرم الارض وجرم القمر كل واحد منهما أصغر من
جرم الشمس صار شكل ظليهما مخروطاً وشكل المخروط هو الذي أوله غليظ
وآخره دقيق حتى ينقطع من دقته . فظل الارض يبتدىء من سطحها ويمتد في
الهواء منخرطاً حتى يبلغ الى فلك القمر ويمتد في سمكه حتى يبلغ الى فلك عطارد
ويمتد في سمكه أيضاً الى أن ينقطع هناك ، فطوله من سطح الارض الى حيث
ينقطع في فلك عطارد مثل قطر الارض مئة مرة وثلاثون مرة ، فيكون في سمك
الهواء منه ستة عشر جزءاً ونصفاً وفي سمك فلك القمر مثل ذلك وسبعة وستين
جزءاً منه في سمك فلك عطارد الى حيث ينقطع ويكون قطر هذا الظل حيث
يمر القمر في وقت مقابلة الشمس مثل قطر جرم القمر مرتين وثلاثة أخماس فاذا
اتفق أن تكون الشمس عند إحدى العقدين اللتين تسميان الرأس والذنب
فيكون مرور القمر في سمك الظل كله ممنوعاً عنه نور الشمس فينكسف
ثم يخرج من الجانب الآخر وينجلي

وأما ظل جرم القمر فيبتدىء من سطح جرمه ويمتد منخرطاً في سمك بعضه
والباقى في سمك الهواء ويقطعه حتى يصل الى وجه الارض فيكون قطر
استدارته على وجه الارض هناك مقدار مئة وخمسين فرسخاً يزيد وينقص بقدر
بعد القمر عن الارض وقربه منها وهذا في وقت اجتماعه مع الشمس . فان اتفق
اجتماعهما عند إحدى العقدين ترى القمر محاذياً لا بصارناً ولجرم الشمس فيمنع
عنا نورها فنراها منكسفة . واذا كان القمر في غير هذين الموضعين أعنى الاجتماع
والاستقبال يكون الى أحد الموضعين أقرب فان كان قربه الى الاجتماع
أكثر كان رأس مخروط ظله في سمك الهواء وان كان الى الاستقبال أقرب كان

رأس مخروط ظلّه في سمك فلكه أو في سمك فلك عطارد. وأما رأس مخروط ظل الارض فالى الدرجة المقابلة لدرجة الشمس في أي برج كانت ويدور أبداً في مقابلة الشمس اذا كانت من فوق الارض فظل الارض تحتها وان كانت تحت الارض فظل الارض فوقها وان كانت بالشرق فظل الارض الى ناحية المغرب واذا صارت بالمغرب صار الظل الى ناحية المشرق وهذا دائماً دائماً يكونان حول الارض وهما الليل والنهار

﴿ فصل في أن الفلك طبيعة خامسة ﴾

واعلم يا أخي ان معنى قول الحكماء ان الفلك طبيعة خامسة انما يعنون ان الاجسام الفلكية لا تقبل الكون والفساد والتغير والاستحالة والزيادة والنقصان كما تقبلها الاجسام التي تحت فلك القمر وان حركاتها كلها دورية واعلم ان للاجسام صفات كثيرة فمنها ما تشترك الاجسام كلها فيها ومنها ما يختص ببعضها دون بعض فالصفات التي تشترك فيها الاجسام كلها الطول والعرض والعمق فحسب

واعلم ان الصفات انما هي صور تحصل في الهيولى فيكون الهيولى بها موصوفاً فمن هذه الصورة التي تسمى الصفات مهاييا ذاتية للجسم مقومة لوجدانه كالطول والعرض والعمق لانها متى بطلت عن الجسم بطل وجدان الجسم ومن الصورة ما هي متممة للجسم مبلغة الى أفضل حالاته وهذه الصورة تختص ببعض الاجسام دون بعض وربما يشترك فيها عدة اجسام فمن الصور المتممة ما يشترك فيها الاجسام الفلكية والطبيعية وهي الشكل والحركة والنور والشفافية واليبس الذي هو تماسك الاجزاء ومما يختص بالاجسام الطبيعية الحرارة والبرودة والثقل والتغير والخفة والاستحالة والحركة على الاستقامة وما شا كلها. والذي يختص بالاجسام الفلكية سلب هذه الصفات كلها فمن أجل هذا قيل انها طبيعة خامسة لانها ليست حارة ولا باردة ولا رطبة ولا ثقيلة ولا خفيفة ولا يستحيل بعضها

الى بعض فيكون منها شيء آخر ولا يزيد في مقاديرها ولا ينقص لان البارى
جل ثناؤه أبدعها كلها واخترعها تامة كاملة فهي باقية بحالاتها الى وقت ما يريد
باريها عز وجل أن يفتنيها كيف شاء كما أبدعها وصورها واخترعها وركبها
وحرکها ودبرها فتبارك الله أحسن الخالقين

❦ فصل في ابطال قول المتوهمين غير الحق ❦

واعلم يا أخى أن كثيراً من أهل العلم ظنوا أن معنى قول الحكماء أن الفلك
طبيعة خامسة انه مخالف لهذه الاجسام الطبيعية في كل الصفات وليس الامر
كما ظنوا لان العيان يكذبهم وذلك ان القمر أجسد الاجسام الفلكية وقد
يرى فيه اختلاف قبول النور والظلمة كما يرى في الاجسام الارضية وله ظل
كظلالها وهو غير مشف مثل الارض والافلاك كلها تشارك الهواء والماء والبلور
والزجاج في الاشفاف والشمس والكواكب تشارك النار في النور وكلها يشارك
الارض في اليبس فقد بان بهذا انهم لم يريدوا بقولهم طبيعة خامسة الا الحركة
الدورية وانها لا تقبل الكون والفساد والزيادة والنقصان كما تقبله الاجسام
الطبيعية •

❦ فصل في انها ليست ثقيلة ولا خفيفة ❦

واعلم يا أخى انما قيل ان الاجسام الفلكية ليست خفيفة ولا ثقيلة لانها
ملازمة لاماكنها الخاصة بها وذلك ان البارى عز وجل لما خلق الجسم المطلق
وفصل ابعاضه بالصور المتممة ورتبها محيطات بعضها ببعض كما بينا أولاً جعل
لكل واحد منها مكانا هو اليق الا ما كن به وكل جسم في مكانه الخاص ليس
بثقيل ولا خفيف لان الثقل والخفة يعرضان لبعض الاجسام بسبب خروجها من
أماكنها الخاصة بها الى مكان غريب

واعلم يا أخى ان الارض في مكانها وهو مركز العالم ليست بثقيلة ولا الماء فوقها

بثقيل ولا الهواء أيضاً ثقيل فوق الماء ولا النار فوق الهواء أيضاً بثقيلة لانها في أماكنها الخاصة بها وإنما يعرض الثقل والخفة لاجزائها اذا صارت في أماكن غريبة وذلك أن اجزاء الارض في جوف الماء والهواء غريبة تريد اللجأ بمركزها وجنسها فاذا منعها مانع وقع التنازع والتدافع فيسمى ذلك ثقلاً وهكذا حكم الماء واجزائه في جوف الهواء وحكم اجزاء الهواء في الماء واجزاء النار في جوف الهواء وكل واحد يريد اللجأ بعالمه ومركزه وابناء جنسه ولكن ما كان متوجهاً نحو مركز العالم يسمى ثقيلاً وما كان متوجهاً نحو المحيط يسمى خفيفاً والدليل على ان كل جسم في موضعه ومكانه الخاص به لاخفيف ولاثقيل هو كون اجزائه في جوف كليته لاثقيلة ولا خفيفة وبيان ذلك بالتجربة والاعتبار وطريق تجربته ان تملأ قربتين احدهما من الماء والاخرى من الريح الذي هو الهواء ثم تطرحهما في بركة ماء فانك ترى القربة التي هي مملوءة من الماء تغوص في جوف الماء والتي فيها الريح تطفو فوق الماء فاذا شيلت القربة التي هي مملوءة من الماء لا يوجد لها ثقل مادامت في الماء لان الماء في الماء ليس بثقيل واذا صارت الى فوق الماء أحس بثقلها. وأما القربة التي هي مملوءة من الهواء فانها اذا غوصت في الماء وجد لها تمنع شديد لان الهواء في جوف الماء خفيف فاذا شيلت الى الهواء لا يوجد ذلك التمانع لان الهواء في الهواء ليس بخفيف

واعلم انه اذا أخذ من بركة مملأت ماء قدر من الماء ثم رد اليها وقف ذلك الماء المرود حيث رد كما ان التراب اذا أخذ من الارض ثم رد اليها وقف حيث رد وكذلك اذا استنشق الحيوان من الهواء ما يروح الحرارة الغريزية ثم رده بالتنفس وقف ذلك الهواء المرود حيث رد ان لم يعرض له دافع

* فصل في ان الاجسام الفلكية *

ليست بحارة ولا باردة ولا رطبة

واعلم يا أخي بأنه إنما قيل انها ليست بحارة ولا باردة ولا رطبة من أجل ان الحرارة إنما تعرض للاجسام السائلة المتحللة عند الحركة لان اجزاءها تفارق مجاوراتها بعضها بعضاً وتبديل بالغليان الذي هو الحرارة ولما كانت الاجسام الفلكية متماسكة الاجزاء من شدة اليبس لم تفارق مجاورة اجزائها بعضها بعضاً فلا يعرض لها الغليان الذي هو الحرارة وأما البرودة فانها تعرض للاجسام عند سكونها والاجسام الفلكية دائمة الحركات والدوران فلا تسكن فتبرد ، وأما الرطوبة فانها تعرض للاجسام اذا تحرك بعض اجزائها وسكن البعض وليس للاجسام الفلكية سكون

واعلم انه انما صارت الاجسام الفلكية شديدة التماسك من شدة اليبس وشدة اليبس من شدة الحركة والدوران لان الحركة تولد الحرارة والحرارة تولد اليبوسة واليبوسة اذا تنهت انطفئت الحرارة

واعلم يا أخي ان الاجسام الفلكية محفوظة نظامها وباقية أشخاصها مادامت ثابتة على دورانها فاذا وقفت عن دورانها وسكنت حركاتها ولد السكون البرودة وولدت الرطوبة النفسى والتبدد والتفشى وفسدان النظام ومن فساد النظام يكون البوار والبطلان

* فصل في معنى القيامة *

انما يدوم دوران الفلك مادامت النفس الكلية مربوطة معه فاذا فارقت قامت القيامة الكبرى لان معنى القيامة مشتق من القيام فاذا فارقت النفس قامت قيامتها قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله « من مات فقد قامت قيامته » وانما أراد قيام النفس لا الجسد لان الجسد لا يقوم عند الموت بل يقع وقوعاً لا يقوم بعده الى أن ترد النفس اليه ثانية . فانتبه يا أخي من نوم الغفلة

ورقده الجهالة وتزود للرحلة واستعد للقيامه قبل أن تقوم قيامتك بأن يؤخذ منك هذا الهيكل المبني مملوءاً من آثار الحكمة قهراً وأنت كاره فتنقى نفسك بلا سمع ولا بصر ولا شم ولا ذوق ولا لمس فارغة خاوية تهوي في هاوية البرزخ الى يوم القيامة الى يوم يبعثون فبادر وشمّر واجتهد بأن تكتسب بتوسط هذا الهيكل الجسائي هيكلًا روحانياً وتوسط هذه الحواس الجسدانية حواساً عقلية ليكون بعد حين فترجع نفسك من عالم الاجسام الى عالم الارواح بربح لا بخسران واعلم بأن النفس اذا فارقت هذا الهيكل فلا يبقى معها ولا يصحبها من آثار هذا الجسد الا ما استفادت من المعارف الربانية والاخلاق الجميلة الملكية والآراء الصحيحة المنجية والاعمال الصالحة الزكية المرضية المرغبة وذلك أن تبقى هذه الاشياء في النفس مصورة في ذاتها اذا كانت معتادة لها صورة روحانية نيرة بهية كلما لاحظت النفس ذاتها ورأت تلك الصورة فرحت بها وامتلات سروراً في ذاتها وفرحاً ولذة وذلك ثوابها ونعيمها بما أسلفت في الايام الخالية واما اذا كانت اخلاقها رديئة سيئة بشعة واراؤها فاسدة واعمالها موبقة وجبالاتها متراكمة بقيت عمياء عن رؤية الحقائق وتبقى هذه الاشياء في ذاتها مصورة صورة قبيحة سمجة فكما لاحظت ذاتها ونظرت الى جوهرها رأت ما يسوؤها وتريد الفرار منه وأين المفر لها من ذاتها

فاعتبر يا أخي ما ذكرت لك ولا تغتر بما أنت فيه من رغد العيش وصحة البدن وعشرة اخوان لك جسديين وأصدقاء جسمانيين يريدونك لمعاونتهم على اصلاح أحوال اجسامهم فان قصرت عن معاونتهم أبغضوك وان تجللت عليهم جحدوك وان علوتهم حسدوك وان قصر حالك شمتوا بك ولا يريدونك الا لصلاح ونجاح أمورهم وحوالجتهم فهل يا أخي الى صحبة اخوان لك نفسانيين وأقران لك روحانيين يريدونك ولا يأخذون منك ويخلصونك مما وقعت فيه بأن تدخل في صحبتهم وتسمع أقوالهم لتفهم مذاهبهم وتنظر في

كتبهم وتعرف طريقهم وعلومهم وتعمل بسنتهم وتسير بسيرتهم لعلك تنجو بصحبتهم
لا يسهم السوء ولا هم يحزنون

فراسخ	فراسخ	فراسخ	فراسخ
٢١٦٨٠٠	سمك الشمس	٢١٦٧	قطر الارض
٤٩٩٠٠٣٧	قطر الشمس	٦٨٠٠	دائرة على بسيط الارض
٦٥٩٠٥٥٢	سمك المريخ	٦٨٠٢٢	سمك كرة الهواء
٣٨٠٨٤١	قطر المريخ	٧٨٢١٢	قطر الهواء
١١٩٨٧٠٠٩	سمك المشتري	٣٨٠٢٧	سمك القمر
٦٢١٢٥١٥٩	قطر المشتري	١٥٤٢٥٧	قطر القمر
١٦٤٧٠٠٣٥	سمك زحل	١٢١٥٣٥	سمك عطارد
٩٥٠٧٥٢٢٩	قطر زحل	٦٠٩٣٢٧	قطر عطارد
٢٦٠٠٤٠٠	سمك فلك الكواكب الثابتة	١٩٧٣٦٥٥	سمك الزهرة
٩٤٧٠٩٣٢٢٩	قطر فلك الكواكب الثابتة	٤٥٥٦٦٣٧	قطر الزهرة

﴿ تمت رسالة السماء والعالم ويتلوها رسالة الكون والفساد ﴾



الرسالة الثالثة

من الجسمانيات الطبيعية

في بيان الكون والفساد

﴿ وهي الرسالة السابعة عشرة من رسائل اخوان الصفا ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آله خير أما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيديك الله وإيانا بروح منه انه لما فرغنا من ذكر الاجسام الفلكية وبيننا كمية اكرها وكيفية نظامها ومقادير أبعادها واختلاف دورانها وسرعة حركاتها وماهية طبائع جواهرها في الرسالة الملقبة بالسماء والعالم نريد أن نذكر في هذه الرسالة الملقبة بالكون والفساد الاجسام الطبيعية التي دون ذلك القمر وكمية عددها وكيفية نظامها واختلاف طبائعها وكيفية استحالة بعضها الى بعض بتأثيرات الاجسام الفلكية فيها وكمية الاجناس الكائنات المتولدة منها

واعلم أيها الاخ أيديك الله وإيانا بروح منه ان الاجسام التي تحت فلك القمر سبعة أجناس أربعة منها هي الامهات الكليات وهي النار والهواء والماء والارض وثلاثة هي المولدات الجزئيات وهي الحيوان والنبات والمعادن فلنبدها أولا بوصف الامهات الكليات فنقول :

ان الامهات كل واحدة منها مركبة من هيولى وصورة فهيولاها كلها هو الجسم وصورها هي التي بها تنفصل كل واحدة منها عن الاخرى وهي الصورة المقومة لذات كل واحدة منها ولما كانت الصورة نوعين مقومة ومتممة احتجنا أن نصفهما ليعرف الفرق بينهما فنقول ان الصورة المقومة لذات الشيء هي التي اذا فارقت هيولاها بطل وجدان ذلك الشيء . والصورة المتممة هي التي تبلغ الشيء الى أفضل حالاته التي يمكنه البلوغ اليها واذا فارقت هيولاها لم يبطل وجدان الهيولى . مثال ذلك السكون والحركة فانهما اذا فارقا الجسم لا يبطل وجدان الجسم وأما الطول والعرض والعمق فاذا فارقت الهيولى يبطل وجدان الجسم .

واعلم يا أخي ان كل صورة مقومة لذات الشيء تتلوها أخرى متممة وكل صورة مقومة فاعلة لاخرى تابعة لها يتلو بعضها بعضاً كما يتلو العدد أزواجه أفراده وأفراده أزواجه بالغاً ما بالغ . مثال ذلك الصورة المشاكلة في جرم النار المقومة لذاتها فهي حركة الغايان والصورة المتممة التابعة لها هي الحرارة وتتلوها اليبوسة ويتلوها تماسك الاجزاء فلولا رطوبة الهواء المحيطة بالنيران التي تمنعها أن تفرط في اليبوسة لتماسكت أجزاءها وجفت كما تجف نار الصاعقة ولوكن لو أصابها اليبس والجفاف لقل الانتفاع بها وهو الغرض الاقصى منها

واعلم يا أخي ان الهواء جوهر شريف فيه فضائل كثيرة وخواص عجيبة من ذلك انه يمنع النيران برطوبته أن تيبس وتجف كما يمنع الاصوات بسيلانه أن تثبت زماناً طويلاً فيقل الانتفاع بها ويكثر الضرر منها وذلك ان الاصوات ليست تمكث في الهواء إلا ريثما تأخذ المسامع حظها ثم تضحل ولو ثبتت الاصوات في الهواء زماناً طويلاً لامتلاء الهواء من الاصوات ولعظم الضرر منها حتى لا يمكن أن يسمع ما يحتاج اليه من الكلام والاقاويل وهكذا لو ييبس النيران وجفت لما سرت في الاجسام ولم تنضجها وبقيت الاشياء التي يراد نضجها حجة غليظة

فانظر يا أخي وتفكر في حكمة البارئ سبحانه اذ جعل ثبات النيران بحسب
مراد المستعمل لها فاذا استغنى عنها ردها الى العدم بأسهل السعي فلو بقيت
بحالها لعظم الضرر منها وقل الانتفاع بها ومن الصور المتممة لذات النار اللطافة
التي تولدها الحرارة وتتلوها سرعة النفوذ في الاجسام. ومن الصور المتممة لذات
النار أيضاً النور ويتلوه الاشراق . فقد اجتمعت في جرم النار عدة صور كلها
متممة لها وهي الحركة والحرارة واليبوسة واللطافة والنور وهي بكل صورة
تفعل فعلا غير ماتفعل بالآخرى وذلك انها بالحركة تغلي الاجساد وبالحرارة
تسخن وباليبوسة تنشف وباللطافة تنفذ في الاجسام وبالنور تضيء ما حولها
وبالحرارة والحركة تحيل الاجسام الى ذاتها . وأما الصورة المقومة لذات
الارض فهي السكون الذي هو ضد الغليان والتالية المتممة لها البرودة والتالية
للبرودة اليبوسة والتالية لها تماسك أجزائها ومن الصور المتممة لها أيضاً غلظة
جوهرها ومن غلظة جوهرها تماسك أجزائها ومن تماسك أجزائها نشأت
الكائنات على ظهورها من الحيوان والنبات والمعادن

واعلم يا أخي بأن اليبوسة نوعان أحدهما تابعة لحرارة وهي فاضلة والآخرى
تابعة للبرودة وهي رذلة وذلك ان اليبوسة التابعة للحرارة هضمة نضجة والتي
تتبع البرودة فجة غير نضجة ومثال ذلك يبوسة الياقوت والبلور وأشباهاها فانها
قد نضجتها بالطبخ حرارة المعدن فهي لاتستحيل ولا تتغير وأما التي تابعة
للبرودة مثال يبوسة الثلج والجليد والملح وغيرها فانها لما كانت فجة غير نضجة
صارت رذلة مستحيلة متغيرة ومن أجل هذا صارت الاجرام الفلكية لاتقبل
السكون والفساد والتغيير والاستحالة لان تماسك أجزائها من شدة يبوستها.
ويبوستها تولدت من حرارة حركتها ثم غلبت عليها اليبوسة فطفئت حرارتها
كما بينا في رسالة السماء والعالم

وأما الاجسام الارضية فلما كان تماسك أجزائها من اليبوسة الرذلة الغير النضجة المتولدة من البرودة والمتولدة من السكون صارت تستحيل وتتغير وتفسد

فصل

واعلم يا أخي بان الصورة المقومة لذات الماء والهواء كليهما الرطوبة المتولدة من امتزاج الاجزاء المتحركة والساكنة جميعاً وذلك ان اليبوسة لما كانت متولدة من شدة حركة أجزاء الهيمولي كلها أو من شدة سكونها كلها كما بينا قبل وكانت الرطوبة ضداً لها دلت على انها متولدة من مزاج الاجزاء المتحركة والساكنة وأما الصورة المتممة لذات الماء فهي كثيرة الاجزاء الساكنة الغليظة وقليلة الاجزاء المتحركة اللطيفة ولما كانت الصورة المتممة لذات الماء كثيرة الاجزاء الساكنة الغليظة وقليلة الاجزاء المتحركة اللطيفة صارت مشاكلة للارض في البرودة وصار مركزها مما يلي مركز الارض وأما الصورة المتممة لذات الهواء فهي كثيرة الاجزاء اللطيفة المتحركة وقليلة الاجزاء الغاظية الساكنة ولما كانت الصورة المتممة لذات الهواء كثيرة الاجزاء اللطيفة المتحركة صارت مشاكلة للنار في الحرارة وصار مركزها مما يلي مركز النار وأعلم يا أخي بانه لما كانت الصورة المقومة للاجسام الفلكية هي شدة اليبوسة المتولدة من شدة الحرارة المتولدة من شدة سرعة الحركة وكانت الصورة المقومة للاجسام الارضية اليبوسة المتولدة من شدة البرودة المتولدة من شدة السكون الذي هو ضد حركة الغليان صارت الاجسام الارضية مشاكلة للفلكية في اليبوسة ومضادة لها في الحركة ولما كانت حركتها حول المركز صار سكون هذه في المركز لان المضاد يفر من ضده الى ابعد الاماكن وأبعد الاماكن من المحيط هو المركز

ولما كانت الصورة المتقومة للماء والهواء هي الرطوبة المتولدة من امتزاج الاجزاء المتحركة والساكنة وكانت الرطوبة مضادة لليبوسة صار موضعها ما بين المحيط والمركز ولما كانت الصورة المتممة لذات الماء هي كثيرة الاجزاء الغليظة الساكنة فيه صار الماء مشا كلا للارض في البرودة وصار مركزه مما يلي مركزها ولما كانت الصورة المتممة لذات الهواء كثيرة الاجزاء اللطيفة المتحركة صارت مشا كلة للنار في الحرارة وصار مركزها مما يلي مركزها. فقد بان يا أخي بهذا الشرح ان الاجسام بعضها مشا كل لبعض في طبيعة ما، مضاد في طبيعة أخرى ومن أجل مضادة طباعها تباينت مراكزها ومن أجل مشا كلتها تجاوزت مراكزها ولما ترتبت هذه الاجسام مراتبها صار كل واحد في مركزه الخاص به واقفاً بلا مماسك ولا عمد لا ثقيل ولا خفيفاً ولا تخرج من مواضعها الا بعارض قاهر لها فاذا خلت رجعت الى موضعها الخاص بها فان منعها مانع وقع التنازع بينهما فان كان النزوع الى ناحية المحيط يسمى خفيفاً وان كان الى ناحية مركز العالم يسمى ثقيلاً ولما ترتبت الاكبر وقف كل واحد من هذه الاركان في موضعه الخاص به محيطات بعضها ببعض مستديرات الا الماء فقد منعه العناية الالهية والحكمة الربانية من الاحاطة بالارض من جميع الجهات لانه لو احاطت كرة الماء بكرة الارض من جميع الجهات لمنع كوز الحيوان والنبات على وجه الارض ولكن جعلت للمياه مستنقعات في الارض وهي البحار والابار، وقد ذكرنا في رسالة جغرافيا صورة الارض وكمية الجبال والبحار والانهار والاقاليم والبلدان ولكن لا بد أن نذكر منها ما يحتاج الى ذكره ها هنا

فصل

اعلم يا أخي بان الارض كرة واحدة بجميع ما عليها من الجبال والبحار والانهار والعمران والخراب وهي واقفة في الهواء في مركز العالم والهواء محيط بها ملتف عليها من جميع جهاتها وان البحر الاعظم موضعه تحت مدار برج الحمل

ممتد من المشرق الى المغرب وأما سائر البحار فشعب وخليجان تأخذ من البحر الاعظم وتمتد الى ناحية الشمال وهي سبعة أبحر فمنها بحر الروم وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الصين وبحر الهند وبحر ياجوج وماجوج وبحر جرجان وبين كل بحر منها وبين الآخر جزائر وبراري وعمران وجبال وآجام وانهار تتبدى من الجبال وتنتهي الى البحار وان الجبال أصولها راسية في الارض ورؤوسها شاحخة في الهواء شاهقة وبين هذه الجبال أودية غائرة وفي جوف الجبال مغارات وأهوية ون الاض باطنها كثير التخلخل وظاهرها مختلف التربة ومنها طينية وسبخة ورملة وحصى وأحجار صلبة وبقاع مختلفة وسبب اختلاف هذه كلها بحسب مسامات الكواكب ومطارح شعاعاتها عليها من الآفاق وممرات درجات الفلك على سمت تلك البقاع ومنها يكون الكون والفساد في هذه الاجسام التي تحت فلك القمر

واعلم يا أخي بأن هذه الاركان الاربعة يستحيل بعضها الى بعض فيصير الماء تارة هواء وتارة أرضاً وهكذا أيضاً حكم الهواء فانه يصير تارة ماء وتارة ناراً وكذلك النار وذلك أن النار اذا اطفأت وخذت صارت هواء والهواء اذا غلظ صار ماء والماء اذا جمد صار أرضاً وعكس ذلك أن الارض اذا تحللت ولطفت صارت ماء والماء اذا ذاب صار هواء والهواء اذا حمى صار ناراً وليس للنار أن تطفئ فتصير شيئاً آخر ولا للأرض ان تغلظ فتصير شيئاً آخر ولكن اذا اختلطت اجزاء هذه الاركان بعضها ببعض كان منها المتولدات الكائنات الفاسدات التي هي المعادن والنبات والحيوان وأصل هذه كلها البخارات والعصارات اذا امتزج بعضها ببعضها فالبخار ما يصعد من لطائف البحار والانهار والآجام في الهواء من اسخان الشمس والكواكب لها بمطارح شعاعاتها على سطوح البحار والانهار والآجام والعصارات مما ينجب في باطن الارض من مياه الامطار وتخلط بالاجزاء الارضية وتغلظ فتتنضجها الحرارة المستبطنة في عمق الارض

واعلم يا أخي بأن أول ما يستحيل هي الأربعة الأركان إلى هذين الخليطين أعني البخار والعصارات ويكون هذان الخليطان هيولى ومادة لسائر الكائنات الفاسدات التي تحت فلك القمر وذلك أن الشمس والكواكب إذا سخنت المياه بأشراقها على سطح الأرض والبحار والآجام والأنهار قللت المياه ولطفت أجزاء الأرض وصارت بخاراً ودخاناً والبخار والدخان يصيران سحباً والسحاب يصير أمطاراً والأمطار إذا بللت التراب واختلطت الأجزاء الأرضية بالأجزاء المائية تتكون منها العصارات والعصارات تكون مادة وهيولى للكائنات التي هي المعادن والنبات والحيوان وقد أفردنا لكل نوع منها رسالة مفردة وبيننا فيها كيفية تكوينها منها وتركيبها ونشؤها ونمائها وبلوغها إلى أقصى مدى غاياتها ثم كيفية فسادها وبلاؤها واستحالتها وبدئها ورجوعها إلى هذه الأركان الأربعة التي تتكون منها

واعلم يا أخي بأن الكون والفساد هما ضدان لا يجتمعان في شيء واحد في زمان واحد لأن الكون هو حصول الصورة في الهيولى والفساد هو انحلالها منها فإذا فسد شيء منها فلا بد أن يتكون شيء آخر لأن الهيولى إذا انتزعت منها صورة البست أخرى فإن كانت التي البست أشرف سمي كونا وإن كانت أدون سمي فساداً مثال ذلك أن يصير التراب والماء نباتاً ويصير النبات حباً وثماراً والثمار والحب يصيران غذاء والغذاء يصير دماً ولحمًا وعظماً فيكون من ذلك حيوان والفساد أن يحترق النبات فيصير رماداً ويموت الحيوان فيصير تراباً

واعلم يا أخي أن جسدك الذي تختص به نفسك أحد الكائنات الفاسدات وما هو بالنسبة إلى نفسك إلا كدار سكنت أو كلباس ألبس فلا تكونن كل همتك وأكثر عنايتك بتزويق هذه الدار وتطرية هذا اللباس فانك تعلم بأن كل مسكن يخرب وكل لباس لا بد أن يبلى ولكن اجعل بعض أوقاتك للنظر في أمر نفسك وطلب معرفة جوهرها ومبدأها ومعادها فانها جوهرة خالدة أبدية الوجود ولكن تنتقل لها حال بعد حال كما قيل :

اجهد على النفس واستكمل فضائلها فأت بالنفس لا بالجسم انسان
كما روى في الخبر ان ابن ابي طالب صلوات الله عليه قال في خطبة له انما
خلقتم للابد ولكن من دار الى دار تنقلون من الاصلاب الى الارحام ومن
الارحام الى الدنيا ومن الدنيا الى البرزخ ومن البرزخ الى الجنة او الى النار

﴿ فصل ﴾

واعلم يا اخي بأن الجنة انما هي عالم الارواح وكله صورة روحانية لاهيولى
جرمانية بل حياة محضة وراحة ولذة وسرور وغبطة لا يعرض لها الكون
والفساد ولا التغيير والبلى لأنها هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا كانت
الدار هي الحيوان فما ظنك يا اخي بأهل الدار كيف حالهم فانه يقصر الوصف
عنهم الا بالاختصار كما ذكر الله تعالى في كتابه على لسان نبيه محمد ﷺ فقال
« فيهما تشتهي النفس وتلد الاعين وانتم فيها خالدون »

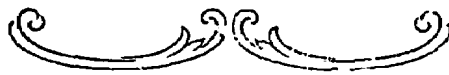
واعلم يا اخي ان النار وجهنم هي عالم الاجسام التي تحت فلك القمر الذي هو
دائم في الكون والفساد والتغيير والاستحالة والبلى وان اهلها (كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جاودا غيرها ليدوقوا العذاب) فازهد يا اخي في غرور
هذه الدار كما زهد انبياء الله عز وجل واولياؤه والفلاسفة الحكماء فقد علمت
انها ليست بدار المقام فاستعد للرحلة والانتقال باختيار منك لا مكرها ولا مجبراً
قبل فناء العمر وتقارب الاجل

واعلم انه لا يستوي لك هذا الا بعد ان تعرف فضل الآخرة على الدنيا
معرفة صحيحة بلا شك ولا تقليد لان جبلة الانسان ان لا يزهد في
الحاضر العاجل ولا يرغب في الغائب الآجل الا بعد معرفة فضل الآجل الغائب
على العاجل الحاضر

واجتهد يا اخي في معرفة طلب ما اشار اليه انبياء الله تعالى في الكتب
المنزلة على سنتهم المأخوذة عن الملائكة معانيها في وصف نعيم الجنان وسعادة

اهلها وصفة النيران وشقاوة اهاها وما اشار اليه ايضا الفلاسفة والحكماء في رموزهم من وصف عالم الارواح ومدح اهلها وذمهم عالم الاجسام وسوء ثنائهم على اهلها ولعلك تتصور بعقلك ما تصوروا وتشاهد بصفاء جوهر نفسك ما شاهدوا بصفاء جوهر نفوسهم فتننتبه نفسك من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتعيش عيش السعداء العلماء وترتقي في المعارف وتعلو هممتك نحو ملكوت السماء وتكون في الآخرة من السعداء وفقك الله ايها الاخ وايانا وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد للرشاد انه رؤوف رحيم بالعباد

واذ قد فرغنا من ذكر الاركان الاربعة التي هي دون فلك القمر وهي النار والهواء والماء والارض ووصفنا ما يخلص كل واحدة من الصور المقومة المبلغه له الى افضل حالاته وبيننا كيفية استحالات بعضها الى بعض واخبرنا ان اول ما يتحلل من البخارات ومن البخارات تنعقد العصارات ومن العصارات تتكون الكائنات التي هي المعادن والنباتات والحيوانات فنختم هذه الرسالة ونبدأ بعدها برسالة أخرى نذكر فيها البخارات الصاعدة في الهواء ونصف كيفية حوادث الجو منها في رسالة أخرى وهي الملقبة برسالة الآثار العلوية وحوادث الجو تمت رسالة الكون والفساد ويتلوها رسالة الآثار العلوية



الرسالة الرابعة من الجسمانيات الطبيعية في الآثار العلوية

وهي الرسالة الثامنة عشر من رسائل اخوان الصفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذي اصطفى الله خير اما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيديك الله وإيانا بروح منه أنه لما فرغنا من ذكر الأركان الأربعة أردنا أن نذكر في هذه الرسالة الملقبة بالآثار العلوية حوادث الجو وتغييرات الهواء وكيفية حدوثها بتأثيرات الأشخاص الفلكية فيها ولكن من أجل أن كثيراً من الناس العقلاء يظنون أن المطر ينزل من السماء من بحر هناك وأن البرد يقع من جبال ثم يستشهدون على صحة ظنونهم بقوله عز وجل وأنزلنا من السماء ماء طهوراً وقوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد ولا يعرفون معاني قوله سبحانه ولا تفسير آيات كتابه جل ثناؤه، احتجنا أن نذكر فيها طرفاً لتزول الشكوك والشبهة

واعلم يا أخي بأن معنى السماء في لغة العرب هو كل ما على الرأس وأن المطر إنما ينزل من السحاب والسحاب يسمى سماء لارتفاعها في الجو ويسمى أيضاً السحاب

جبالاً لتراكمه بعضه فوق بعض كترامك أركان الجبال وركود أطوادها بعضها فوق بعض كما يري ذلك في أيام الربيع والخريف كأنها جبال من قطن مندوف مترامك بعضه فوق بعض

﴿ فصل في ماهية الطبيعة ﴾

كان الذين يتكلمون في الحوادث الكائنات التي دون فلك القمر من الحكماء والفلاسفة ينسبون هذه الآثار والافعال كلها الى الطبيعة وكما أن أقواماً من العلماء ينكرون أفعالها وينكرون الطبيعة أيضاً أصلاً احتجنا أن نذكر معنى قولهم الطبيعة ونبين أن الذين أنكروا أفعالها ذهب عليهم معنى الطبيعة ولم يعرفوها فمن ذلك أنكروا أفعالها

واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه ان الطبيعة انما هي قوة من قوى النفس السكية منبثة منها في جميع الأجسام التي دون فلك القمر سارية في جميع أجزائها كلها تسمى باللفظ الشرعي الملائكة الموكلين بحفظ العالم وتدير الخليقة بأذن الله وتسمى باللفظ الفلسفي قوى طبيعية وهي فاعلة في هذه الاجسام بأذن الباري جل ثناؤه والذين أنكروا فعل الطبيعة انما ذهب عليهم معنى هذه التسمية وظنوا أنها متوجهة نحو الجسم والجسم من حيث هو جسم لا فعل له البتة بالاجماع من الفريقين بدلائل قد صحت وبراهين قد قامت

واعلم يا أخي بأن الذين أنكروا فعل الطبيعة يقولون أنه لا يصح الفعل الا من حي قادر وهو قول صحيح ولكن يظنون أن الحي القادر لا يكون الا بجسم اذا كان على هيئة مخصوصة بأعراض تحله بزعمهم مثل الحياة والقدرة والعلم وما شاكلها ولا يدرون أن مع هذا الجسم جوهرأ آخر روحانياً غير مرئي وهي النفس وأن هذه التي وصفوها من الاعراض بأنها حالة في الجسم هي التي تظهرها فيه أعني النفس بفعلها في الجسم

واعلم يا أخي انما ذهب على الذين أنكروا فعل الطبيعة علم النفس وخفى عليهم معرفتها من أجل أنهم طلبوا إدراكها بالحواس فلم يجدوها فأنكروا وجودها وأما الذين أقروا بالنفس وأدركوا وجودها فانما عرفوا ذلك بالافعال الصادرة عنها في الاجسام وذلك أنهم اعتبروا أحوال الجسم فوجدوه لمجرده لا فعل له البتة ولا للاعراض الحالة فيه وانما الافعال كلها للنفس وأما الجسم وأعراضه فانها للنفس بمنزلة أدوات وآلات لصانع يظهر بها ومنها أفعاله كما يرى ذلك من الصانع البشريين فانهم بأدوات جسمانية يظهرون صناعاتهم في الاشياء مثال ذلك النجار فانه يظهر أفعاله في الخشب الذي هو جسم طبيعي بالآلات وأدوات جسمانية كالفأس والمنشار والمثقب وما شاكلها وكلها أجسام صناعية وأجسام الصانع هي أيضاً من الاجسام الطبيعية وهي آلات لنفوسهم وأدوات لها يظهرون بها صناعاتهم وأفعالهم كما بينا في رسالة تركيب الجسد ورسالة الصنائع العملية . وإذ قد بان ما الطبيعة وانها قوة من قوى النفس الكلية الفلكية وانه لا فعل الا للنفس وانها تفعل أفعالها بقوتها في الاجسام وان الاجسام كلها آلات وأدوات ومفعولات لها كما أن الفكر والعلم آلات للنفس في ادراك المعلومات والمعقولات واخراجها من القوة الى الفعل - فنرجع الآن الى ذكر الاجسام البسيطة التي دون فلك القمر ونقول أنها الهياكل الموضوع للطبيعة وهي فاعلة فيها الاشكال والصور صانعة منها الحيوان والنبات والمعادن وأن الاشخاص الفلكية لها كالادوات للصانع وذلك أن الفلك يدوم دورانه حول الارض في كل أربعة وعشرين ساعة دورة واحدة وبمركات كواكبه ومطارح شعاعاته في سمك الهواء على سطح الارض والبحار واستخانها لها يحلل المياه فيصيرها بخاراً ويلطف أجزاء التراب فيصيرها دخاناً وتختلطان ويكون منهما المزاجات كما يكون من أصباغ المصورين ثم ان قوى النفس الكلية الفلكية السارية في جميع الاجسام المسماة الطبيعة تنقش وتصور وتصوغ من تلك المزاجات والاختلاط أجناس الكائنات التي هي الحيوان والنبات والمعادن باذن الله عز وجل ولما كان أول اختلاط ومزاج يحدث

في هيئة هذه الأركان هو تغييرات الهواء وحوادث الجو لسهولة اتعالمه وسرعة استحالته احتجنا أن نذكر حال الهواء أولاً ثم حال المياه ثم حال بقاع الأرض فنقول :

إنا قد بينا في رسالة السماء والعالم أن كرة الهواء محيطة بكرة الأرض من جميع جهاتها وان سمكها من ظاهر سطح الأرض الى أدنى فلك القمر مثل قطر الأرض ست عشرة مرة ونصفها وذلك أن قطر الأرض ألفان ومائة وسبعة وستون فرسخاً فيكون سمك الهواء ٣٥٧٥٨ فرسخاً

واعلم يا أخي بأن سمك الهواء ينفصل بثلاث طبائع متباينات إحداها مما يلي سطح الأرض والاخرى هي الوسط بينهما وذلك أن الهواء الذي يلي فلك القمر هو نار سموم في غاية الحرارة يسمى الاثير والذي في الوسط بارد في غاية البرودة يسمى الزمهرير والذي يلي سطح الأرض معتدل المزاج في موضع دون موضع يسمى النسيم، والعلة في اختلاف هذه الطبائع الثلاث هو أن الهواء المماس لتلك القمر لدوام دورانه معه وسرعة حركته قد حمى حمياً شديداً حتى صار ناراً سموماً ثم أنه لما كان منهبطاً الى أسفل كان أبطاً لحركته وأقل لحرارته وكلمات الحرارة غابت البرودة فلا يزال كذلك الى أن يصير في غاية البرودة التي تسمى زمهريراً. والذي يلي سطح الأرض معتدل المزاج في موضع دون موضع ولا يكون سمك كرة الاثير بالاضافة الى كرة الزمهرير الا شيئاً يسيراً ولولا طارح شعاعات الشمس والقمر والكواكب على سطح الأرض وانعكاسها في الهواء واسخاها له لكان المماس لظاهر سطح الأرض أشد برداً مما سواه كما يعرض ذلك تحت قطب الشمال وذلك أنه يصير هناك ستة اشهر ليلا كله فيبرد الهواء برداً شديداً وتجمد المياه ويظلم الجو ويغاط ويهلك الحيوان والنبات. وأما في مقابلة هذا الموضع مما يلي قطب الجنوب يكون في هذه الأشهر الستة نهراً كله فيدوم إشراق الشمس على تلك البقاع وتتصل انعكاس شعاعاتها في الهواء فيحمى ويسخن اسخانا شديداً حتى يصير ناراً سموماً محرقة للحيوان والنبات وعلة أخرى هي أن الشمس في وقت مسامتتها

لهذه البقاع تكون قريبة من الأرض لأن حضيضها في آخر القوس وأما اذا كانت في البروج الشمالية فان تحت قطب الشمال يكون أيضاً ستة أشهر نهاراً كله ولكن لا تسخن تلك البقاع كاسخانها البقاع التي تحت قطب الجنوب لأنها تكون بعيدة من الأرض مرتفعة في الفلك لأن أوجها في آخر الجوزاء

ثم اعلم يا أخي بان بين بعدها في الاوج وبين قربها في الحضيض مقدار قطر الأرض مائة مرة وهذا مقداره ٢١٦٧٥٥ فرسخاً ومن أجل هذا صار العاشر من الأرض في الربع الشمالي من خط الاستواء إلى نيف وستة وستين درجة وهو بين ممر رأس الحمل على سمت الرأس إلى حيث ممر الكف الحضيبي على سمت الرأس وفي هذا الربع الأقاليم السبعة كما بينا في رسالة جغرافيا ووصفنا فيها ما في كل إقليم من المدن والجبال والبحار والأنهار

واعلم يا أخي أن على سمت هذه الأقاليم يخرق من الهواء النسيم أكثر وفي هذه البلدان تعتدل الطبائع. ونريد أن نذكر سمك كرة الغيم والنسيم وأكثر ما ترتفع وذلك تارة يزيد في سمكه وارتفاعه وتارة ينقص من ذلك بحسب زوايا شعاعات الشمس والكواكب المنعكسة في طرفي النهار وأصافه وأيام الشتاء والصيف وذلك أيضاً بحسب ارتفاعات الشمس والكواكب من الآفاق وممراتها على سمت البقاع

فصل

واعلم يا أخي بأن الزوايا التي تحدث من انعكاس شعاعات الكواكب والشمس من وجه الأرض ثلاث أنواع: حادة وقائمة ومنفرجة وهذه الزوايا كلها مسخنة للمياه والأرض والهواء محركة لها ولكن أشدها سخناً الزوايا الحادة ثم القائمة ثم المنفرجة ولما كانت الزوايا المنفرجة بعضها أشد انقراجاً من بعض والحادة بعضها أحد من بعض والزوايا القائمة كلها متساوية احتجنا أن نبين متى تكون الزوايا منفرجة ومتى تكون قائمة ومتى تكون حادة فنقول :

أنه اذا ابتدأت الشمس من الأفق أو القمر أو أي كوكب كان وأشرقت على

سطح الارض والبحار فان زوايا شعاعاتها كلها تنعكس منفرجة في غاية الانفراج ثم لاتزال كلما ارتفعت قل انفراجها وتضايقت حتى اذا صار الارتفاع خمساً وأربعين درجة صارت زوايا انعكاس الشعاع كلها قائمة في تلك البقعة حسب . فاذا زاد الارتفاع نقصت الزوايا وضائق وصارت حادة وكلما ارتفعت وزاد ارتفاعها زادت الزوايا حدة الى أن تسامت الكواكب البقعة فتنتطبق الزوايا وتلتقي الاضلاع فاذا زالت الى ناحية المغرب انفصلت الاضلاع وانفتحت الزوايا الحادة في غاية الحدة وكلما انحطت الشمس أو أي كوكب كان ازدادت الزوايا انفراجاً الى ان يصير الارتفاع من جهة المغرب خمساً وأربعين درجة مرة ثانية وتصير الزوايا كلها قائمة مرة أخرى فاذا نقص الارتفاع عن خمس وأربعين درجة صارت الزوايا كلها منفرجة وكلما انحطت الكواكب الى المغرب انفرجت الزوايا الى وقت المغرب فتصير كلها في غاية الانفراج كما كانت غدوة. فمن أجل هذا صارت أنصاف النهار أشد حرارة من طرفيه لان الزوايا بالغدوات والعشيات تكون منفرجة وفي أنصاف النهار حادة وفيما بين الوقتين قائمة ويكون الجو متوسطاً ما بين الحر والبرد ولا تكون أنصاف نهار الشتاء شديدة الحر كما تكون أنصاف نهار الصيف لان ارتفاع الشمس في الشتاء لا يبلغ خمساً وأربعين درجة .

وإذ قد فرغنا من ذكر ما احتجنا الى ذكره فانا نقول : ان أكثر ما يكون سمك كرة النسيم ستة عشر الف ذراع ارتفاعاً في الهواء وأقله ما يطابق سطح الارض . ومن الدليل على ان أكثر ما يكون سمك كرة النسيم هذا المقدار هو ان أعلى جبل يوجد في الارض لا يجاوز ارتفاع رأسه في الهواء هذا المقدار وان أعلى هذه الجبال لا يبلغ ارتفاع الغيوم رؤوسها وانما يمنعها شدة البرد المفرط هناك لان الرافع للغيوم في الهواء هي حرارة الجو من اسخان الكواكب له بمطارح شعاعاتها وانعكاس تلك الشعاعات من سطح الارض والبحار على زوايا حادة كما بينا قبل وانه أحد ما يتكون الزوايا على سطح الارض فأما في الهواء

فانه كلما ارتفع فان أضلاع تلك الزوايا تنفرج وتتسع وتقبل التسخين هناك ويضعف فعلها ويضمحل تأثيرها في العلو فيغلب البرد هناك

واعلم يا أخي ان أول ما يقبل الهواء من التغييرات والاستحالات هو النور والظلمة والحر والبرد ثم ما يحدث فيه من اختلاف الرياح من كثرة البخارات المتصاعدة والدخانات الساطعة المطبقة وتتبعها الزوابع والهالات والضباب والغيوم والرعود والبروق والصواعق والهزات ثم الامطار والطل والندى والصقيع والثلوج والبرد وقوس قزح والشهب وكواكب الاذنب وما يتبع هذه من هيجان البحار والمد والجزر في البحار والانهار

واعلم يا أخي ان هذه التغييرات التي تكون في الجو لما كان يحدث بعضها في سمك كرة النسيم وبعضها في سمك كرة الزمهرير وبعضها في سمك كرة الاثير وبعضها في السطوح المشتركة بينها محتاج الى تفصيلها واحدة واحدة ونبدأ أولاً بشرح حال السطوح وذلك ان السطوح نوعان: مشتركة ومتداخلة فالمشتركة مثل سطح الماء والهواء والسطح الذي بين الدهن والماء فانه ليس بين الجسمين إلا فاصل مشترك يفصل أحدهما عن الآخر فصلاً وهمياً فقط . وأما السطح المتداخل فمثل سطح الماء الواقف في الطين والرمل فان الاجزاء الارضية متداخلة لاجزاء الماء وأجزاء الماء متداخلة لاجزاء التراب فلا يكون بينهما فاصل مشترك يفصل بينهما

واعلم يا أخي ان من السطوح ما يقارب طبيعة الجسمين المتماسين ومنها ما لا يقارب مثل سطح الهواء من أسفل مما يلي الهواء فان تلك الاجزاء الطف من سائر الاجزاء التي تلي أسفل مما يلي الارض وكذلك سطح الهواء المحيط بالنيران التي عندنا فانه يكون أسخن من سائر أجزائه البعيدة عن النار وكذلك سطح النار مما يلي الهواء المحيط به أقل حرارة من سائر أجزائه الباقية ، وأما سطوح الاجسام الصلبة مثل الحديد والخشب والحجر وماشا كلها اذا تجاورت فلا يعرض لها هذا الوصف .

وإذ قد فرغنا من ذكر ما احتجنا الى ذكره فانا نقول ان سطح كرة الاثير الذى يلي ذلك القمر مشترك غير متداخل الاجزاء وكذلك سطوح أكر الافلاك والكواكب كلها وقد ظن كثير من الطبيعيين ان بين كرة الزمهرير والاثير سطح متداخل غير مشترك وايس الامر كما ظنوا بل هو كما نبين بعد . فأما بين سطح كرة النسيم وبين كرة الزمهرير فتبين انه غير مشترك بل متداخل كسطح النار والهواء والارض . وأما سطح كرة النسيم مما يلي الارض فتبين انه متداخل الاجزاء أيضاً الى عمق الارض بحسب تخلخل الاجزاء الارضية الى نهاية ما ثم يقف ولا يدخل الى أكثر من ذلك ، ومن الدليل على ذلك ما يعرض لحافري المعادن الى أسفل حتى انهم ربما يحتاجون لترويح النسيم هناك بالمنافخ والانابيب ليستنشقوا النسيم ويضئ سرجهم هناك ففى انتطع النسيم لعارض طنعت سرجهم واختنق من كان في المعادن فمات ولا يمكن أن يكون في المواضع التى لا يحترقها النسيم حيوانات كما بينا في رسالة الحيوان

واعلم يا أخي ان الهواء بحر وانف لطيف الاجزاء خفيف الحركة سريع السيلان سهل القبول للتغيرات والحوادث وقد بينا في رسالة الحاس والمحسوس كيفية قبوله للنور والظلمة والاصوات والروائح وكيفية قبوله البرد والحر في رسالة الكون والفساد ونريد أن نصف في هذا الفصل كيفية حدوث الرياح وكيفية أنواعها وجهاتها واخلاف تصاريفها وما العلة المحركة لها في وقت دون وقت وفي بلد دون بلد ونبين أيضاً كيفية سيادة الغيرم من البحار الى البرارى والقفار ورؤس الجبال وكيف تهز السحاب حتى يهطل المطر ولكن نحتاج قبل ذلك أن نذكر حالات القمر ومنازله واتصالاته بالكواكب التى هي الموجبة لاثارة البخارات والدخانات والتسخين الموجبة لكون الرياح فنقول :

ان للقمر في الفلك ثمانية وعشرين منزلاً كما ذكر الله تعالى والقمر « قدرناه

منازل حتى عاد كالعرجون القديم »

واعلم يا أخي أن لهذه المنازل خواص يظهر تأثيرها في هذه الاركان الاربعة

وفي المكنونات منها عند نزوله يوماً بيوم وليلة بليلة وللشمس والكواكب أيضاً اتصالات بالكواكب بعضها ببعض يقوى فعلها، وتأثيرها فيها يطول شرحه وهي مذكورة في كتب النجوم ولكن نذكر منها ما لا بد من ذكره في هذا الفصل وذلك أن من تلك المنازل ما يقوى أفعاله في اثاره البخار من البحار والبطائح والآجام، ومنها ما يقوى أفعاله في اثاره الدخان من وجه الأرض والبراري ومنها ما يقوى فعله في تبريد الهواء وزيادة الماء ومنها ما يقوى فعله في اسخان الهواء وتقضان المياه وخاصة اذا اتفق نزول القمر بمنزل واتصاله بكوكب مشا كل فعله لخاصية المنزل

واعلم أن الريح ليست شيئاً سوى تموج الهواء بحركته الى الجهات الست كما أن أمواج البحر ليست شيئاً سوى حركة الماء وتدفع أجزائه الى الجهات الاربع وذلك أن الماء والهواء بحران واقفان غير أن أجزاء الماء غليظة ثقيلة الحركة وأجزاء الهواء لطيفة خفيفة الحركة

واعلم يا أخي أن أحد أسباب حركة الهواء هو از صعود البخار من البحار والبراري والقفار أثار من البحار بخاراً رطباً ومن البراري والقفار دخاناً يابساً أصعدتها بحرارتها في الهواء فيدفع الهواء بعضه بعضاً الى الجهات فيتسع المكان للبخارين الصاعدين فان كان الدخان اليابس أكثر كانت منه الرياح لأن تلك الاجزاء اذا صعدت الى أعلى كرة النسيم وبردت ومنعها برد الزمهرير عن الصعود الى فوق عطفنت عند ذلك راجعة الى أسفل ودافعت الهواء الى الجهات الاربع فكانت منها الرياح المختلفة

واعلم أن الرياح كثيرة التصاريف في الجهات الست ولكن جماتها أربع عشرة نوعاً المعروف منها عند جمهور الناس أربع وهي الصبا والدبور والجنوب والشمال وذلك أن الهواء إذا تموج من المشرق الى المغرب يسمى ذلك التموج ريح الصبا وإذا تموج من الجنوب الى الشمال يسمى التيمن وإذا تموج من المغرب الى المشرق يسمى دبوراً وإذا تموج من الشمال الى الجنوب يسمى الجريياً . فأما

ما كان تدافعه الى ما بين هذه الجهات فيسمى النكباء وهذه ثمانية أنواع
 وأما التي تهب من أسفل الى فوق فمنها تكون الزوابع وهما ريحان تلتقيان
 وتصعدان كما يلتقي الماء في الكرادات وعند نزوله في البلايع والثقب
 وأما التي تهب من فوق الى أسفل فمنها الريح الصرصر التي أهلكت عاداً
 وذلك أنها نفخت عليهم غربي ديارهم من خلل الغيم من كرة الزهري التي فوق
 كرة النسيم ثمانية أيام ولياليها كما ذكر الله تعالى. واذا ذكرنا ماهية الريح وكيفية
 أنواعها وجهات هبوبها، فانا نريد أن نذكر علة تصاريفها في الجهات وما الغرض
 منها وذلك أن أحد الاغراض من تصاريفها هو أن تسوق الغيم من سواحل
 البحار الى البلدان البعيدة والبراري المقصودة بها، وايضاً فان أحد الاغراض من
 الجبال الشاخحة الطوال المسطوحة على بساط الارض شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً
 هو أن تمنع الرياح من سوق السحاب الى غير البلدان والبراري المقصودة بها
 وذلك أن هذه الجبال الراسيات تقوم لمنع الرياح أن تنصرف الى كل الجهات الا
 الجهة المقصودة بها مقام المسنات والبريدات للأنهار والسواقي المانعة لها أن
 تفيض المياه الا الى المزارع والمواضع المقصودة بها وذلك أن كثيراً من البلدان
 والبراري بعيدة من سواحل البحر ولو لم تكن هذه الجبال انطوال الشاخحة
 المانعة للرياح السائقة للغيوم لما وصلت السحاب والامطار الى تلك البلدان
 والبراري كما ان الأنهار والسواقي اذا لم تكن لها مسنات وبريدات فاضت الى
 الآجام والغدران والبطائح حيث يقل الانتفاع بها فلا تباع الى البلدان البعيدة
 الا بأنهار تحفر وبريدات تعمل ولهذا الجبال الشاخحة غرض آخر، وذلك أن في
 أجوافها مغارات وأهوية واسعة فاذا هطلت في الشتاء في رؤوسها الامطار
 والثلوج وذابت غاضت المياه في تلك المغارات والاهوية وصارت فيها كالحزونة
 وفي أسفل تلك الجبال منافذ ضيقة تخرج منها المياه المحزونة في تلك المغارات
 والاهوية وهي العيون وتجري منها جداول وتجتمع بعضها الى بعض وتسيل
 منها أودية وأنهار تجري بين المدن والقرى والسوادات فتسقى وهي راجعة الى

البهار والآجام والغدران في ممرها الزروع والأشجار ومواضع العشب والكلاء وما يفضل منها ينصب الى البحار والآجام والغدران وتلطفها الشمس ونصعدها بخاراً من الرأس وتكون منها الغيوم والسحاب وتسوقها الرياح الى المواضع المقصودة بها كما كان عام أول وذلك دأبها أبداً ذلك تقدير العزيز العليم

﴿ فصل ﴾

فانظر يا أخي الى هذه العناية الالهية الكلية، والسياسة الربانية الحكيمية وتمكر فيها واعتبرها لعل نفسك تذبته من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتنفتح لها عين البصيرة فتتنظر بنور العقل الى هذا الصانع الحكيم المدبر لهذه الامور كما نظرت بعين الجسد الى هذه المصنوعات التي نحن في ذكرها فتكوز من الشاهدين الذين مدحهم الله تعالى فقال: « الامم شهد بالحق وهم يعادون » وقال: « واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » ثم قال: « شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة واولو العلم قائماً بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم » واذ قد فرغنا من ذكر الرياح فسنذكر الغيوم والامطار والندى والجليد والضباب والطل والسحاب والرعود والبروق والبرد اذ كانت موادها البخارات الصاعدة كما ذكرنا قبل

واعلم يا أخي انه اذا ارتفعت البخارات في الهواء وتدافع الهواء الى الجهات ويكون تدافعه الى جهة أكثر من جهة ويكون من قدام له جبال شامخة مانعة ومن فوق له برد الزمهرير مانع ومن أسفل مادة البخارين متصلة فلا يزال البخاران يكثران ويغاطان في الهواء وتتداخل أجزاء البخارين بعضها في بعض حتى يسخن ويكون منها سحاب مؤلف مترام وكما ارتفع السحاب بردت أجزاء البخارين وانضمت أجزاء البخار الرطب بعضها الى بعض وصار ما كان دخاناً يابساً ريحاً وما كان بخاراً رطباً ماءً وأنداء ثم تلتئم تلك الاجزاء المائية بعضها الى بعض

وتصير قطراً برداً وتثقل فتهوى راجعة من العلو الى السفلى فتسمى حينئذ مطراً فان كان صعود ذلك البخار الرطب بالليل والهواء شديد البرد منع أن تصعد البخارات في الهواء بل جمدها أولاً فاوفاً وقربها من وجه الارض فيصير من ذلك ندى وصقيع وطل وان ارتفعت تلك البخارات في الهواء قليلاً وعرض لها البرد صارت سحاباً رقيقاً وان كان البرد مفراطاً جمد القطر الصغار في حلال الغيم فكان من ذلك الجليد أو الثلج، ذلك ان البرد يجمد الاجزاء المائية ويختلط بالاجزاء الهوائية فينزل بالرفق فمن أجل ذلك لا يكون لها على وجه الارض وقع شديد كما يكون للبرد والمطر فان كان الهواء دفيئاً ارتفع البخار في العلو وتراكم السحاب طبقات بعضها فوق بعض كما يرى في أيام الربيع والخريف كلها جبال من قطن مندوف مترامة بعضها فوق بعض فاذا عرض لها برد الزمهرير من فوق غلظ البخار وصار ماء وانضمت الاجزاء بعضها الى بعض وصارت قطر وعرض لها الثقل أخذت تهوى من أعلى سمك السحاب ثم تتراكم وتلتئم تلك القطر الصغار بعضها الى بعض حتى اذا خرجت من أسفلها صارت مطراً كبيراً فان عرض لها برد مفراط في طريقها جمدت وصارت برداً قبيل أن تبلغ الى الارض فما كان منها من اعلى السحاب هو الذي يصير برداً وما كان من أسفل السحاب كان مطراً مختلطاً مع البرد

ومن أحب أن يعلم صدق قولنا ويتصور كيفية وصفنا صعود البخارين وكيفية تأليف السحاب منها ونزول القطر فليتنظر الى تصعيدات المياه وتقطيرها وكيف يعمل منها أصحابها مثل تصعيد ماء الورد والخل المصعد وما شاكلها ومثل البخارات الصاعدة في بيوت الحمامات وكيفية تقطير الماء من سقفها وذلك أن سطح كرة الزمهرير الذي يلي كرة النسيم والجبال الشاخحة حوالى البحار تقوم لمنع البخارين الصاعدين الذين يتكون منهما السحاب والامطار أن يتبدداً، ويتغشياً حيطان الحمامات وسقفها لمنع البخار الصاعد فيها أن يتبدد ويتغشى

وأيضاً فانها تقوم مقام القرع والانبيق في تصعيد رطوباتها وتقطيرها وبمثل هذين يدبر اصحاب الصنعة عقاقيرهم في تصعيد رطوباتها وتقطير مياهها

وأما البروق والرعود فانهما يحدثان في وقت واحد ولكن البرق يسبق الى الابصار قبل الصوت الى المسامع لان أحدهما روحاني الصورة وهو الضوء والآخر جسماني وهو الصوت كما بيناه في رسالة الحاس والمحسوس . وأما علة حدوثهما فهي البخاران الصاعدان اذا اختلطا في الهواء والتف البخار الرطب على البخار اليابس الذي هو الدخان واحتوى برد الزمهرير على البخار الرطب وضغطهما فأنحصر البخار اليابس في جوف البخار الرطب والتهب في جوف البخار الرطب وطلب الخروج دفعة وانخرق البخار الرطب وتفرقع من حرارة الدخان اليابس كما تفرقع الاشياء الرطبة اذا احتوت عليها النار دفعة واحدة وحدث من ذلك قرع في الهواء واندفم الى جميع الجهات كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس كيفية الصوت وانقذح من خروج ذلك البخار اليابس الدخاني ضوء يسمى البرق كما يحدث من دخان السراج المطفيء اذا أدنى من سراج مشتعل ثم ينطفئ وربما يذوب ذلك البخار ويصير ريحاً ويدور في جوف السحاب ويطلب الخروج فيسمع له دوي وتفرقر كما تسمع من الجوف المنتفخ ريحاً وربما ينشق السحاب دفعة واحدة بشدة فيكون من ذلك صوت هائل يسمى صوت الصاعقة كما يحدث من الزق المنفرخ اذا وقع عليه حجر ثقيل فيشقه

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أنه لولا العناية الالهية ورحمة الباري جل جلاله بان جعل سمك كرة النسيم عالياً ومركز السحاب مرتفعاً بعيداً عن الارض بمقدار الحاجة اليه وجعل من شأن السحاب اذا انخرق أن يطلب البخار الصعود الى فوق وجعل من شأن قرع الهواء اذا حدث أن تكون حرته الى فوق لكانت أصوات الرعد أضرت بأسماع الحيوانات الضعيفة وقتلتها كما يكون ذلك في بعض الاحايين وذلك

أن السحب اذا ترا كمت وتكابست يضغط بعضها بعضاً الى أسفل حتى تقرب من الارض وتحدث الرعود ويحرق السحاب من أسفل ويقرع الهواء ويندفع الى وجه الارض فيكون من ذلك صوت هائل هو الصاعقة فانها تقتل كثيراً من الحيوانات القريبة منها ومن الناس أيضاً كما فعل بقوم شعيب وصالح عليهما السلام. وكذلك حكم البروق أيضاً وذلك ان من شأن النار أن تتحرك الى فوق فاذا منعها السحاب المترا كم رجعت منحطة الى الارض فاحرقت ما أتت عليه من الحيوان والنبات ولكن قل ما تحرق الاجسام الرخوة لانها نار لطيفة تنفذ في مسامها . وأما الاجسام الصلبة فلتكابس اجزائها وتمانعها تتغلب عليها وتذوبها وتحرقها. وأما الهالة التي تكون حول الشمس والتمر فانها تدل على المطر ورطوبة الهواء وذلك انها تحدث في اعلى سطح كرة النسيم وقت ما يرتفع البخار الى هناك ويأخذ يتألف منه الغيم وعامتها ان النيرين اذا اشرقتا على ذلك السطح انعكس شعاعها من هناك الى فوق وحدث من ذلك الانعكاس دائرة كما يحدث من اشراقها على سطح الماء ويشف رسم تلك الدائرة من تحت ذلك الغيم الرقيق كما يشف من وراء البلور والزجاج ويكون مركز تلك الدائرة مسامتا للبقعة التي يمر بها مسقط الحجر الخارج من مركز النيرين الى مركز الارض، فكل من كان من الناظرين ممن يمر ذلك النير على سمت رأسه سواء فانه يرى مركز تلك الدائرة من فوق رأسه ومن كان خارجاً من تحته الى أحد الجهات فانه يرى مركزها في الجهة المقابلة لموضعها ويكون قطر هذه الدائرة ابداً مثل سمك كرة البخار مرتين ، قل ذلك السمك أو أكثر وتقديرها أكثر ما يكون اثنين وثلاثين الف ذراع لان سمك كرة النسيم أكثر ما يكون ستة عشر الف ذراع كما بينا قبل

وأما قوس قزح فانه يحدث في سمك كرة النسيم عند ترطيب الهواء مشبعاً ولا يكون وضعه إلا منتصباً قائماً وحدثته الى فوق مما يلي سطح كرة الزمهرير وطرفاه الى أسفل مما يلي وجه الارض ولا يكاد يحدث الا في طرفي النهار في الجهة المقابلة لموضع الشمس مشرقاً أو مغرباً ، ولا يرى منها الا أقل من نصف محيط

الدائرة الا أن تكون الشمس في الافق سواء فانها عند ذلك ترى في نصف محيط
الدائرة سواء لان الخط الخارج من مركز جرم الشمس يمر مما سماه يلى وجه الارض
ومركز هذه الدائرة يبرى القوس قائماً منتصباً مستويا واذا كانت الشمس مرتفعة
فانها ترى أقل من نصف محيط الدائرة وكما كان الارتفاع أكثر كان القوس أقل
وأصغر لان القوس يكون دائما منحطاً الى الجهة المقابلة لموضع الشمس
واعلم يا أخي ان بين وتر هذا القوس وبين قطر دائرة الهالة التي تقدم ذكرها
نسبة متساوية وأما علة حدوث هذا القوس فهي أيضاً اشراق الشمس على أجزاء
ذلك البخار الرطب الواقف في الهواء وانعكاس شعاعها منه الى ناحية الشمس وأما
اصباغه التي ترى فهي أربعة مطابقة للكيفيات الاربع التي هي الحرارة والبرودة
والرطوبة واليبوسة، وخاصية الاربعة الاركان التي هي النار والهواء والماء والارض
وتفصول الزمان الاربعة وهي الصيف والخريف والشتاء والربيع ولمشابهة
الاخلاط الاربعة وهي الصفراء والسوداء والدم والبلغم ومشاكل ألوان زهر
النبات والشجر لان هذه القوس إذا حدثت وكانت أصباغها مشبعة تدل على
ترطيب الهواء وكثرة العشب والكلاء وزكاء ثمر الشجر وحب الزرع فيكون
ظهورها ورؤيتها كاللبشارة قدمتها الطبيعة للحيوان والناس منذرة بريف الزمان
وخصبه .

وأما ما يقوله العامة وهو ان حمرتها تدل على اهراق الدماء في تلك السنة
وصفرتها تدل على الامراض وزرقتها تدل على الجذب وخضرتها تدل على الخصب
وعلى حسب كثرتها وقلتها تكون دلالتها فان هذا يكون دليلا عند الزاجر على
أصله وفرعه وقد بينا ذلك في رسالة الزجر والفراسة .

وأما ترتيب ألوانها فان الحمرة أبداً تكون فوق الصفرة والصفرة دونها
والزرقة دون الخضرة فان وجدت قوساً أخرى دونها ترتبت هذه الالوان في
القوس السفلى عكس ذلك وشرح العلة في ذلك يطول لانه لا يفهمه الا المتراضون
بالاشكال الهندسية والامور الطبيعية والنسب التأليفية .

وقد بينا فيما تقدم ان السحاب لا يرتفع من وجه الارض في الجو أكثر من ستة عشر الف ذراع وان أقربه ما كان مماساً لوجه الارض ولكن ذلك في النذرة في وقت من الاوقات وبلد دون بلد لانه لو كان السحاب في كل وقت وفي كل بلد ماراً مماساً لوجه الارض لاضر ذلك بالحيوان والنبات ولمنع الناس من التصرف كما يرى ذلك يوم الضباب ، وفي البلدان القريبة من سواحل البحار مثل البصرة والانطاكية وطبرستان لقربها من البحار يرى أغفل ما يكون الانسان حتى اذا جاء الطل والمطر والضباب مقدار ما يضييق الصدر ويأخذ النفس وتبتل الثياب والامتعة، وأيضاً لو كان السحاب كله قريباً من وجه الارض لاضر الرعد والبرق بأبصار الحيوان وأسماعها ولو كان بعيداً شديداً لارتقاع في الهواء بحيث لم يكن يرى لسكانت الامطار والثوج تجي مفاجأة والناس والحيوان منها غافلون غير مستعدين للتحرز منها فكان يكون في ذلك ضرر عظيم عام فلا تنظر يا أخي الى فعل الطبيعة وتفكر في هذه الحكمة الالهية والعناية الربانية كيف رفعت هذه الاشياء في الهواء بمقدار الحاجة اليها فلا بعيد مفرط ولا قريب جداً اذا كان في كلا الامرين ضرر على الناس والحيوان والنبات

فصل

فأما علة كثرة الامطار في الشتاء وقتها في الصيف فهو لأن صعود البخار من متصل أبداً في العراق وما يليه من الاقاليم الشمالية في الصيف أكثر منها في الشتاء واعلم يا أخي ان لكل كائن تحت فلك القمر اربع علة لا يتكون شيء من الكائنات الا بها كلها : احداها علة هيولانية والاخرى علة صورية والاخرى علة فاعلية والاخرى علة تمامية.

فاما العلة الهيولانية للسحاب والامطار وما يتبعهما فهما البخاران الصاعدان كما وصفنا قبل ، العلة الفاعلية لها هي الشمس والكواكب بمطارح شعاعاتها كما تقدم ذكرها والعلة الصورية عقد البخارين وجودهما. والعلة الفاعلية لذلك برد

الجو والعلة التامة تكون الامطار لكيما تبطل الارض وينبت النبات ويتغذى منه الحيوان .

ولما كانت الشمس تقضى ستة أشهر في البروج الشمالية وتقرب من سمت رأس هذه البلاد فيسخن جو الهواء اسخانا شديداً فتتحرك البخارات وتتغشى وتدفعها الرياح الشمالية الى ناحية الجنوب وبما أن الشمس تكون بعيدة من سمت تلك البلاد يبرد الجو ويكون الشتاء هناك والامطار والغيوم وما يتبعهما من حوادث الجو .

فاذا صارت الشمس بعد ستة أشهر الى البروج الجنوبية قريبة من سمت تلك البلاد وبعدت من البلاد الشمالية صار الشتاء هاهنا والصيف هناك وذلك دأبها ودأب الشتاء والصيف والغيوم والامطار وما يتبعها من الحوادث التي تقدم ذكرها وكل هذه الحوادث تكون في سمك كرة النسيم دون كرة الزمهرير

فصل

وأما الحوادث التي في سمك كرة الزمهرير فهي الشهب وانقضاء الكواكب التي ترى في الليالي فربما أكثر ذلك وربما قل .

وأما هيولها ومادتها فهو الدخان اليابس اللطيف الصاعد من الجبال والبراري فاذا بلغت تلك المادة في صعودها الى الفصل المشترك بين كرة الزمهرير وبين كرة الاثير استدارت هناك وتشككت واشتعلت فيها نار الاثير كما يشتعل نار السراج في دخان السراج المنطفئ وكما تشتعل نار البرق في الدخان اليابس الدهني الذي في السحاب وكما تشتعل النار في النفط الابيض ثم تفنيه بسرعة فينطفئ ، ومما يدل على ان مادتها دخان يابس كثيرة ما يرى منها في سنى الجذب

وأما كيفية تشكل هذه الدخانات اذا صعدت الى هناك واشتعلت فيها النار فانها اذا اعتبرت بالفكر وجدت تارة كأنها أعمدة مخروطية قائمة قاعدتها مما يلي كرة النار ومخروطها مما يلي وجه الارض ودليل ذلك انه اذا اشتعلت النار

فيها ترى عظمة الاشتعال ثم لا تزال تصغر وتخرط وتقل حتى تنطفئ فيتخيل للناظرين انها نار هوائية تنزل من السماء في حركتها .
 واذا اعتبرنا هذا المثال يظن ان بين كرة الزمهرير وكرة الاثير سطح متداخل الاجزاء غير مشترك وتارة ترى حركتها عند انقضاها كأنها كرة صغيرة هو ذي متدحرج على سطح كرة كبيرة وذلك انا نراها احيانا عند انقضاها واشتعالها تبتدىء حركتها من المشرق فتمر على سمت رؤوسنا الى المغرب وتارة من المغرب الى المشرق وتارة تبتدىء من الجنوب وتمر على سمت رؤوسنا الى الشمال وتارة من الشمال الى الجنوب وتارة تتنكب هذه الجهات فيتخيل للناظرين كأنها كرة من قطن اشتعل فيها النار ثم رميت في الهواء وكلما أكلتها النار تناثر شررها وصغرت حتى تفتى وتنطفئ ومثلها الكرة التي يلعب بها أصحاب الخيالات بالليل وذلك انهم يتخذون كرة معجونة من سندروس واجزاء عقاقير ويشعلون فيها النار ويأخذونها في أفواههم فاذا رقصوا أو تنفسوا رؤيت النار تخرج من أفواههم ومناخرهم ولا يزال ذلك دأبهم حتى تفتى تلك المادة وتنطفئ تلك النار .

فصل

وقد يظن كثير من الناس أن انقضا هذه الشهب هي كواكب تسقط ويرمي بها من السماء في الهواء الى الارض ويستدلون على صحة ظنونهم الكاذبة بقوله تعالى : ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين .
 وليس في هذه الآية دلالة على ان الكواكب هي ترمى بانفسها لانك اذا قلت اتخذت هذه القوس لارمي بها العدو والكفار فليس في قولك دلالة على انك ترمي بنفس القوس بل ترمي عنها بالنشاب فهكذا قوله تعالى وجعلناها رجوماً للشياطين أي يرمون عنها بالشهب لان هذه الشهب لا تحدث في الهواء الا بأشراق هذه الكواكب وشعاعاتها في الهواء كما بينا من قبل وقد فسرنا معنى هذه الآية واخواتها في رسائلنا

واعلم أن أهل صناعة النجوم متفقون على أن هذه الكواكب الثابتة في الفلك الثامن هي من وراء فلك زحل الذي هو الكرسي الواسع كما بينا في رسالة السماء والعالم وإنما ذكر الله تعالى أنها زينة السماء الدنيا لأن أهل الأرض لا يرونها إلا دون فلك القمر الذي هو سماء الدنيا .

ومما يدل على أن هذه الشهب تحدث قريبة من الأرض بعيدة من فلك القمر سرعة حركتها فإنها في لحظة تمر من المشرق إلى المغرب أو من المغرب إلى المشرق فلو كانت قريبة من فلك القمر لما رأيت حركتها بهذه السرعة .

واعلم يا أخي أنها إذا حدثت فمرت مقبلة على الناظرين وجازت على سمت رؤوسهم إلى الجانب الآخر ذاهبة إلى الأفق بسيرها على الروية يتخيل للناظرين أنها وقعت إلى الأرض وليس الأمر كذلك لأنها مادة خفيفة تطلب العلو ولا يزيد لها اشتعالها الاخفة ، فاما التي تقع منها إلى الأرض فهي التي تحدث في كرة النسيم فيضغطها السحاب ويردها إلى أسفل كنار البرق التي يضغطها السحاب من فوق إلى أسفل

وأما علة استدارة تلك المادة فهي أن الاجسام السيالة من شأنها أن تتشكل ما لم يمنعها مانع اشكالا كروية كما يستدير القطر في الهواء لأن الشكل الكروي أفضل الاشكال كما بينا في رسالة الهندسة .

وأما علة حركتها إلى جهة دون جهة فبحسب الدافع لها من جهة المقابل وليست هي الريح لأنها أسرع حركة من الريح وقد بينا علة حركتها في رسالة الحركات .

فانظر يا أخي وتفكر في هذه الحكمة الالهية والعناية الربانية كيف جعلت وربت كرة الاثير دون فلك القمر ، وجعلتها ناراً بلاضياء كما تحترق بمحاررتها الدخانات الغليظة الصاعدة في الهواء وتلطف البخارات العفنة الكثيفة ليكون الجو أبداً صافياً شفافاً ولم تجعل تلك النار مضيئة لأنها لو كانت مضيئة كالنيران

التي عندنا لمنعت أبصار الحيوان عن رؤية عالم الافلاك والكواكب وخاصة الانسان لانه لما منع الكون هناك لم يمنم الرؤية والنظر اليه ، لكيما تشتاق النفوس الى الصعود نحوها هناك كما قال جل ثناؤه « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » يعنى به روح المؤمنين وقال في منع روح الكافر « لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » وقد جعلت الحكمة الالهية أيضاً الزمهرير حجاباً بين كرة النسيم وبين كرة الاثير لتمنع بيردها وهج الاثير عن الحيوان والنبات أن يتلفها ولتبرد البخار وتعقده غيوماً ليكون أمطاراً تحيا بها البلاد ، وجعلت كرة النسيم معتدلة المزاج ولما كان سببها انعكاس شعاعات الكواكب كما بينا قبل وأكثرها وأوكدها هي الشمس جعلت تارة تغيب لبرد الجو وتارة تطلع لسخن الهواء ولو دامت بطوعها لدام الاسيخان ولا فرط الحر وكان ذلك فساداً كلياً وكذلك لو دام مغيبها لبرد الجو وجمدت المياه والرطوبات وهلك النبات والحيوان من البرد ، وكذلك جعل لها أن تميل الى ناحية الجنوب ليكون الصيف هناك والشتاء في الشمال « ذلك تقدير العزيز العليم » . وهذه من عظيم نعم الله على خلقه وذلك معنى قوله تعالى « قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء » الآية « قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته أن جعل لكم الليل والنهار » الى قوله ولعلمكم تشكرون

وعلى هذا القياس لو دام الشتاء والصيف لكان بواراً وفساداً للنظام ، وكذلك اذا دام مدارها على سمت واحد . قال الله تعالى « والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » تارة غاربة وتارة طالعة وتارة مائلة الى الشمال وتارة مائلة الى الجنوب وتارة مرتفعة في الاوج وتارة منحطة الى الحضيض وتارة فوق الارض وتارة تحتها وتارة موازية للبروج النارية وتارة للترابية وتارة للهوائية وتارة

للمائية وتارة للبروج المتقلبة وتارة في الثابتة وتارة في ذوات الاجساد وتارة
مجتمعة وتارة متفرقة وتارة ناظرة ينظر بعضها الى بعض وتارة ساقطة وتارة
منفصلة وتارة منصرفة وتارة كالواقفة وتارة راجعة وتارة مستقيمة وتارة شرقية
وتارة غربية وتارة محترقة بنورها وتارة في بيوتها وتارة في غربة وتارة في
الشرف وتارة في الهبوط

هذه كلها من أوصافها وأحوالها لاغراض موصوفة وآجال معدودة لايعلمها
إلا هو « ما خلق الله ذلك إلا بالحق » ولايحيط أهل صناعة النجوم والخلق أجمع
بشيء من علمه الا بما شاء . وسع كرسيه السماوات والارض وقد ذكرنا طرفاً من
هذا العلم في رسالة الادوار شبه النموذج والاشارة فانظر فيها وتفكر فيما ذكرنا لعل
تفسك تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فتحييا حياة العماء وتعيش عيش السعداء
مع الابرار في دار القرار منعمة ملذذة فرحانة مسرورة أبد الآبدين ، ولا تكن
من الغافلين في أسفل السافلين في عالم الكوز والفساد واستعد للرحيل قبل انقطاع
المدة وتزود فان خير الزاد التقوى

فصل

وأما الكواكب ذوات الأذنان التي تظهر في بعض الاحايين قبل طلوع
الشمس أو بعد غروبها فانها لا تحدث الا في كرة الاثير قريباً من فلك القمر
والدليل على ذلك دورانها مع فلك القمر تارة بالتقدم على توالي البروج كمسير
الكواكب السيارة وتارة بالتأخر كرجوعها .

وأما مادتها التي تتكون منها فهي دخان وبخار لطيفان يصعدان الى هناك
فينعقدان بقوة زحل وعطارد وتكون شفافة كشفيف البلور ، اذا أشرقت عليها
الشمس شفت من الجانب الآخر ، فلا تزال تدور مع الفلك وتطلع وتغيب الى أن
تضمحل وتتلاشى ، وكل هذه الحوادث التي ترى في ضوء الهواء اما بشارات من
الله تعالى بالرخص والخصب والسلامة للناس والحيوان والصلاح ، واما انذارات

وتخوينات من الحدثان والجذب والقحط والغلاء والزلازل والوباء والموت
والخسوف والحروب والفتن وذلك ليجعل العباد المكلفين يعتبرون بها ويرتدعون
عن معصية الله وينقادون الى طاعة الله ويظهرون الدعاء والتضرع والتوبة والندم
والتطوع بالصوم والصلاة والصدقة والقرايين في الهياكل والمساجد والبيع
والصلاة ليكون ذلك تلقيناً من الآباء للأولاد ومن العلماء للجهال وتنبههاً
للغافلين عن معرفة الله عز وجل وهداية لهم كما قال الله تعالى « ثم اذا مسكم الضر
فاليه تجأرون »

فانظر يا أخي وتفكر في ملكوت السموات والارض وما في الآفاق والاقص
من الآيات وقل « ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار » واشهد
معهم كما ذكر الله تعالى فقال « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم
قائماً بالقسط » ولاتكن من الذين يمرون عليها وهم عن آياتها معرضون غافلون ،
وهم الذين قال الله فيهم « ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم
وما كنت متخذ المضلين عضداً » وقال تعالى « صم بكم عمي فهم لا يعقلون »
أعاذك الله وايانا من هذه الجهالة والعمى ووقفنا لما هو أرشد وأهدى برحمته
انه قريب مجيب

تمت رسالة الآثار العلوية وهي الرسالة الرابعة في الطبيعيات والسابعة عشر
من رسائل اخوان الصفا وتلونها رسالة تكوين المعادن



الرسالة الخامسة

من الجسمانيات الطبيعية

في بيان تكوين المعادن

﴿ وهي الرسالة الثامنة عشرة من رسائل اخوان الصفا ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آله خير أما يشركون

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الاخ البار الرحيم أيديك الله وإيانا بروح منه إنا قد بينا في رسالة الآراء والمذاهب بأن العالم محدث مبدع مخترع كائن بعد ان لم يكن وان مبدعه ومخترعه ومحدثه وخالقه ومصوره هو الباري جل جلاله أبدعه كما شاء وكيف شاء بقوله تعالى « كن » فكان كما بينا في رسالة المبادئ العقامية فتريد أن تذكر في هذه الرسالة طرفاً من الحوادث والكائنات التي تتكون ونفسد تحت فلك القمر بطول الازمان والدهور والادوار. كما بينا أيضاً كيفية فناء العالم وكيفية نشء الآخرة والحشر والحساب والميزان والجواز على الصراط والنجاة من النيران والوصول الى الجنان وكيفية مجاورة الرحمن في رسالة البعث والقيامة إذ قد تبين براهين منطقية ودلائل عقلية بأن عالم الافلاك وجواهر أشخاصها لا تتمزج بعضها ببعض ولا تختلط أجزاءها ولا يتكون منها شيء غيرها بل هي باقية بما هي عليه الآن بطول الازمان والدهور وانها أيضاً لا تتغير ولا تفسد ولا تستحيل

مادامت لها هذه الحركة الدورية والاشكال الكروية إلا أن يشاء باريها ومبدعها وخالفها أن يبطلها دفعة واحدة أو على التدريج أو يوقفها عن الدوران وهو أهون عليه «وله المثل الأعلى في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم»

واعلم ان وقوف الافلاك عن الدوران هو موت العالم وبطلان حياة الكل ومفارقة النفس النكالية الفلكية عن الاجسام كلها دفعة واحدة وتلك هي القيامة الكبرى والبوار الكلي وبطلان الجملة ، لان موت كل شخص من أشخاص الحيوانات هو مفارقة نفسه جسده وهي قيامته كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله « من مات فقد قامت قيامته » وقد بينا في رسالة لنا ان العالم انسان كبير ذو جسم ونفس وحياة وعلم ، فاعرف حقيقة ما ذكرناه من هناك

ثم اعلم يا أخي ان استحالة الكائنات الفاسدات التي تحت فلك القمر هي خمسة أنواع فمنها استحالة الاركان الاربعة بعضها الى بعض كما بينا طرفاً من كيفية ذلك في رسالة الكون والفساد ومنها حوادث الجو وتغيرات الهواء كما بينا طرفاً منها في رسالة الآتار الملوية ومنها استحالة الكائنات الفاسدات التي تتكون وتنغقد في باطن الارض وعمق البحار وجوف الجبال وهي الجواهر المعدنية كما سنبين طرفاً من كيفيةها في هذه الرسالة ، ومنها استحالة النبات والاشجار وهو كل جسم يتغذى وينمو كما بينا طرفاً منها في رسالة النبات ، ومنها استحالة الحيوان وهو كل جسم متحرك حساس كما بينا طرفاً منها في رسالة الحيوانات بعد ذكر النبات

واعلم ان هذه الاشياء التي ذكرنا انها تتكون وتحدث وتتغير وتفسد بطول الزمان والدهور وتنارب الليل والنهار وتعاقب الشتاء والصيف على الاركان الاربعة التي هي الارض والماء والهواء والنار انما يكون باختلاف أحوالها بحسب موجبات أحكام النجوم في القرائن وان لوف والادوار ، وبحسب أشكال الفلك ومسيرات الكواكب ومطارح شعاعاتها من الاوتاد والآفاق وزيدان فبين كيفية تكوين المعادن وأسرار اختلاف جواهرها وأنواعها وخواصها

ومنافعها ومضارها .

وإذ قد فرغنا من ذكر أدوار الافلاك وحركات الكواكب وقرانها في السنين والدهور وكما هي وكيف هي وكيف يكون ذلك في رسالة لنا ، فاعلم ان لكل كائن وحادث تحت فلك القمر أربع علل : علة فاعالية ، وعلة هيولانية ، وعلة صورية ، وعلة تمامية . فالعلة الفاعلية للجواهر المعدنية باذن بارئها جل جلاله هي الطبيعة ، وقد بينا ماهية الطبيعة وكيفية أفعالها في رسالة لنا ، وأما العلة الهيولانية للجواهر المعدنية فهي الزئبق والكبريت كما سنبين في هذه الرسالة ، والعلة الصورية هي دوران الافلاك وحركات الكواكب حول الاركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض ، وأما العلة التمامية فهي المنافع التي ينالها الانسان والحيوانات جميعاً من هذه الجواهر المعدنية باذن الله جل جلاله

فصل

اعلم يا أخي ان الجواهر المعدنية مختلفة في طباعها وطعومها وألوانها وروائحها كل ذلك بحسب اختلاف ترب بقاع معادنها ومياها وتغييرات أهويتها وذلك ان كرة الارض مجتمها وجميع أجزائها ، عمقها وظاهرها وباطنها طبقات ساف فوق ساف متلبدة منعقدة مختلفة التركيب والخلقة . فمنها صخور وجبال صلبة وأحجار وجلامد صلبة وحصاة ملس ورمال جريشة وطين رخو وتراب لين وسباخ وشورج بعضها مختلط ببعض أو متجاورة كما وصفها الله تعالى بقوله « وفي الارض قطع متجاورات » وهي مختلفة الالوان والطعوم والروائح فمن ترابها وطينها وأحجارها حمر وبيض وسود وخضر وزرق وصفه كما ذكر الله تعالى بقوله « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » ومن ترابها وطينها ما هو عذب مذاقه ومر طعمه أو مالح أو عفص أو حامض أو حلو ومنه ما هو طيب شمه ومنه رائحته فان الارض بمجماتها كثيرة التخلخل والثقب والتجاويف والعروق والجداول والانهار داخلها وخارجها كثيرة الاهوية

والمغارات والكهوف وكل هذه مملوءة من المياه والبخارات وتكون طعوم تلك المياه وروائحها وغلظها ولطافتها وثقلها وخفتها بحسب تربة بقاعها وطين مكانها واجوافه وقرارات مستنقعاتها

فصل

واعلم بان الجواهر المعدنية ثلاثة أنواع فمنها ما يتكون في التراب والطين والارض السبخة ويتم نضجه في السنة أو أقل منها كالكبريت والاملاح والشبوب والزاجات وما شا كلها ومنها ما يتكون في قعر البحار وقرار المياه ولا يتم نضجه الا في سنة أو أكثر منها كالدر والمرجان فان أحدهما نباتي وهو المرجان والآخر حيواني وهو الدر ومنها ما يتكون في كهوف الجبال وجوف الاحجار وخلل الرمال ولا يتم نضجه الا في سنين كالذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص وما شا كلها ومنها ما لا يتم نضجه الا في عدد سنين كالياقوت والزبرجد والعقيق وما شا كلها. ونريد أن نبين ونصف طرقا من كيفية تكوين كل نوع من هذه ليكون دلالة على سائرهما ولكن نحتاج قبل وصفنا هذه الاشياء أن نذكر صورة تالارض وكيفية قسمة ارباعها وصفات تلك الارباع كيف تتغير احوالها وكيف تتبدل صفاتها في الدهور والازمان الطوال فنقول :

ان الارض بجميع ما عليها من البحار والجبال والبراري والانهار والعمران والخراب هي كرة واحدة معلقة في الهواء في مركز العالم بان الله جل جلاله كما بينا في رسالة الجغرافيا فنقول إن الارض بجمالاتها نصفان نصف شمالي ونصف جنوبي وظاهر كل قسم منها ينقسم الى نصفين فتكون جملة اربعة ارباع كل ريم منها موصوف باربعة أنواع ، فمنها مواضع براري وقفار وفلوات وخراب. ومنها مواضع البحار والانهار والاجام والغدران ومنها مواضع الجبال والتلال والارتفاع والانخفاض ، ومنها مواضع المراعي والقرى والمدن والعمران

واعلم يا أخي أن هذه المواضع تتغير وتتبدل على طول الدهور والازمان وتصير مواضع الجبال براري وفلوات ، وتصير مواضع البراري بحاراً وغدراناً وانهاراً ويصير مواضع البحار جبالا تلالاً وسباخاً وأجاءاً ورمالاً ، وتصير مواضع العمران خراباً ، ومواضع الخراب عمراناً ، فوجب أن نذكر طرفاً من هذه الاوصاف إذ كان هذا الفن من العلوم الغريبة البعيدة عن أفكار كثير من اهل العلم المرتاضين فضلاً عن غيرهم

واعلم بان في كل ثلاثة الف سنة تنتقل الكواكب الثابتة وأوجات الكواكب السيارة وجوزهرانها في البروج ودرجاتها ، وفي كل تسعة آلاف سنة تنتقل الى ربيع من ارباع الفلك ، وفي كل ست وثلاثين الف سنة تدور في البروج الاثني عشرة دورة واحدة فهذا السبب تختلف مسامات الكواكب ومطارح شعاعاتها على بقاع الارض واهوية البلاد ويختلف تعاقب الايل والنهار والشتاء والصيف عليها ، اما باعتدال واستواء أو بزيادة ونقص وافراط من الحرارة والبرودات واعتدال منهما وتكون هذه اسباباً وعمللاً لاختلاف أحوال الارباع من الارض وتغييرات أهوية البلاد والبقاع وتبديانها بالصفات من حال الى حال.

ويعرف حقيقة ماقلنا الناظرون في عام المجسطى وعلوم الطبيعيات ، فتصير بهذه العائل والاسباب مواضع العمران خراباً ومواضع الخراب عمراناً ومواضع البراري بحاراً ومواضع البحار براري وجبالاً. ويعرف حقيقة ماقلناه وصحة ماذكرناه الناظرون في علم الطبيعيات والالهيات ، الباحثون عن علل الكائنات انفسادات التي تحت مقعد فلك القمر وكيفية تغييراتها ، ولكن نريد أن نصف طرفاً من كيفية تكوين الجبال في البحار وكيف يصير الطين اللين احجاراً وكيف تنكسر الاحجار فتصير منها حصاً ورملاً وكيف تحمها سيول الامطار الى البحار في جريان الاودية والانهار وكيف ينعقد من ذلك الطين والرمال في قعور البحار حجارة وجبالاً

واعلم يا أخى ان البحار هي كالمستنقعات على وجه الارض فان الجبال منها كالمسنتات والبريدات لها لتفصل البحار بعضها من بعض ولئلا يكون وجه الارض كله مغطى بالماء وذلك انه لو تكبر الجبال على وجه الارض وكان وجهها مستديراً مائلاً لكانت مياه البحار تنبسط على وجهها وتغطيتها من جميع جهاتها وتحيط بها كحاطة كرة الهواء بالارض كلها وكان وجه الارض كله بحراً واحداً ولكن العناية الالهية والحكمة الربانية تدققت أن يكون وجه الارض بمعه مكشوفاً ليكون مسكناً لحيوان البر وبعضه لمنابت العشب والاشجار والزرع إذ كانت هذه غذاء الحيوانات ومادة لاجسادها «ذلك تقدير العزيز العليم»

واعلم يا أخى ان الاودية والانهار كلها تبتدىء من الجبال والتلال وترقى مسيلها وجريانها نحو البحار والآجام والغدران وأن الجبال من شدة اشراق الشمس والقمر والكواكب عليها بطول الازمان والدهور ، تنشف رطوباتها وتزداد جفافاً ويبساً ، وتنقطع وتنكسر ، وخاصة عند انقضاء الصواعق وتصير أحجاراً وصخوراً أو حصى ورمالاً . ثم ان الامطار والسيول تحط تلك الصخور والرمال الى بطون الاودية والانهار ويحمل ذلك شدة جريانها الى البحار والغدران والآجام . وان البحار لشدة أمواجها وشدة اضطرابها وفورانها تنبسط تلك الرمال والطين والحصى في قعرها سافاً على ساف بطول الزمان والدهور ويتلبد بعضها فوق بعض وينعقد وينبت في قعور البحار جبالات وتلالاً كما تتلبد من هبوب الرياح دعاص الرمال في البراري والقفار

واعلم يا أخى انه كلما انطمت قعور البحار من هذه الجبال والتلال التي ذكرنا انها تنبت فان الماء يرتفع ويطلب الاتساع وينبسط على سواحلها نحو البراري والقفار ويغطيها الماء فلا يزال ذلك دأبه بطول الزمان حتى تصير مواضع البراري بحاراً ومواقع البحار يبساً وقفاراً وهكذا لا تزال الجبال تنكسر وتصير أحجاراً وحصى ورمالاً تحطها سيول الامطار، وتحملها الى الاودية والانهار بجريانها حتى البحار، وتنعقد هناك كما وصفنا، وتنخفض الجبال الشامخة وتنقص وتقصر حتى

تستوي مع وجه الارض، وهكذا لا يزال ذلك الطين والرمال تذبسط في نعر البحار وتتلبد وتنتبت عنها التلال والروابي والجبال وينصب من ذلك المكان الماء حتى تظهر تلك الجبال وتنكشف هذه التلال وتصير جزائر وبراري ويصير ما يبقى من الماء في وهادها ووعورها بحيرات أو آجاماً أو غدراناً وينبت فيها القصب والوحوال فلا تزال السيول تحمل الى هناك الطين والرمال والوحوال حتى تجف تلك المواضع وتنتبت هناك الاشجار والعكرش والعشب وتصير مواضع للسباع والوحوش ثم يقصدها الناس لطلب المنافع والمرافق من الحطب والصيد وغيرها . وتصير مواضع الزروع والغروس والنبات بلداناً وقرى ومدناً يسكنها الناس واعلم يا أخى ان هذه البحار التي ذكرنا انها كالمستنقعات على وجه الارض وبينها جبال شامخة وهي كالمسنيات لها وهي متصلة بعضها ببعض، اما بحلجان بينها على ظاهر الارض واما بمنافذها وعروق في باطن الارض وان في وسط هذه البحار جزائر كثيرة صغاراً وكباراً وأهراً ، ومنها عاهرة بالناس فيها مزارع وقرى ومدن وممالك ، ومنها براري وقفار فيها جبال وآجام تسكنها سباع ووحوش وأنعام وأنواع من الحيوانات لا يعلم كثرتها الا الله . وفي وسط تلك الجزائر بحيرات صغار وكبار ، وأهبار وغدران وآجام . ومنها مامياها عذبة ومنها مالحة شديدة الملوحة ومنها دون ذلك مختلفة أحوالها وأوصافها فلندكر طرفاً من علمها ليعلم حقيقة ما قلنا وصحة ما وصفنا :

أما علة هيجان البحار وارتفاع مياها وبروزها على سواحلها وشدة تلاطم أمواجها وهبوب الرياح في وقت هيجانها الى الجهات الخمس في أوقات مختلفة من الشتاء والصيف والربيع والخريف ، أوائل الشهور وأواخرها ، وساعات الليل والنهار ، فهي من أجل ان مياها اذا جميت في قرارها وسخنت لظفت وتحملت وطلبت مكاناً أوسع مما كانت فيه قبل فيتدافع فيه بعض أجزاءها الى الجهات الخمس فوقاً وشرقاً وجنوباً وشمالاً وغرباً للاتساع فيكون في الوقت الواحد على سواحلها رياح مختلفة في جهات مختلفة ، وأما علة هيجانها في وقت دون وقت

فهو بحسب شكل الفلك ومطارح شعاعاته على سطوح تلك البخار من الآفاق والاوناد الأربعة واتصالات القمر بها عند حلوله في منازلها الثمانية والعشرين ، كما هو مذكور في كتب أحكام النجوم . وأما آلة مدود بعض البحار في وقت طلوعات القمر ومنغيبه دون غيرها من البحار فهي من أجل أن تلك البحار في قرارها صخور صلبة ، فإذا أشرق القمر على سطح ذلك البحر وصلت مطارح شعاعاته إلى تلك الصخور والاحجار التي في قرارها ثم انعكست من هناك راجعة فسخنت تلك المياه وحيت ولطفت وطلبت مكاناً أوسع وارتفعت إلى فوق ودفع بعضها بعضاً إلى فوق وتموجت إلى سواحلها وفاضت على سطوحها وأرجعت مياه تلك الأنهار التي كانت تنصب إليها إلى خلف فلا يزال ذلك دأبها مادام القمر مرتفعاً إلى وتد سمائه فإذا انتهى إلى هناك وأخذ ينحط سكن عند ذلك غليان تلك المياه وبردت وانضمت تلك الأجزاء وغلظت ورجعت إلى قرارها وجرت الأنهار على عادتها فلا يزال ذلك دأبها إلى أن يبلغ القمر إلى أفق تلك البحار الغربي منها ، ثم يبتدىء المد على مثل عادته وهو في الأفق الشرقي ولا يزال ذلك دأبه حتى يبلغ القمر إلى وتد الأرض فينتهي المد من الرأس ثم إذا زال القمر من وتد الأرض أخذ المد راجعاً إلى أن يبلغ القمر إلى أفقه الشرقي من الرأس . و « ذلك تقدير العزيز العليم » فإن قيل : لم لا يكون المد والجزر عند طلوع الشمس واطراقها على سطوح هذه البحار . فقد بينا آلة ذلك في رسالة العلل والمعلول فاطلبها من هناك إن شاء الله تعالى

وأما آلة اختلاف تصاريف الرياح من الجهات الست في أوقات الليل والنهار والشتاء والصيف فقد ذكرناها في رسالة الآثار العلوية .

وأما الجبال التي ذكرناها بأنها كالمسنيات للبحار والبريدات لها فهي راسية في الأرض أصولها ، شاحخة في الجو رؤوسها ، شاهق في الهواء ارتفاعها ممتد على وجه الأرض بأطوال ما بين مائتي فرسخ إلى ألف . فمنها ما هو من المشرق إلى

المغرب ، ومنها ماهو من الشمال الى الجنوب ، ومنها ماهو نكبوات بين هذه
الجهات ، مذكورة في جغرافيا بعض أوصافها
واعلم ان الجبال التي ذكرناها منها ماهو صخور صلبة وحجارة صلبة
وصفوان أملس فلا ينبت عليه النبات الا شيء يسير ، مثل جبال تهامة . ومنها
ما هي صخور رخوة وطين لين و تراب ورمل وحصاة مختلفة متلبدة ساف فوق
ساف ، متماسك الاجزاء وهي مع ذلك كثيرة الكهوف والمغارات والاوودية
والاهوية والعيون والجداول والانهار والاشجار ، كثيرة النباتات والحشائش
والاشجار مثل جبال فلسطين ، وجبال لكام ، وطبرستان ، وغيرها . وأما الكهوف
والمغارات والاهوية التي في جوف الارض والجبال اذا لم يكن لها منافذ تخرج
منها المياه بقيت تلك المياه هناك محبوسة زماناً واذا حى باطن الارض وجوف
تلك الجبال سخنت تلك المياه ولطفت وتخللت وصارت بخارا وارتفعت وطلبت
مكانا أوسع ، فان كانت الارض كثيرة التخلخل تخللت وخرجت تلك البخارات من
تلك المنافذ وان كان ظاهر الارض شديد التكاثف خفيفاً منعها من الخروج
وبقيت محتبسة تتموج في تلك الاهوية لطلب الخروج وربما انشقت الارض في
موضع منها وخرجت تلك الرياح مفاجأة وانخسف مكانها ويسمع لها دوي وهدة
وزلزلة . وان لم تجد لها مخرجاً بقيت هناك محتبسة وتدوم تلك الزلزلة الى أن يبرد
جو تلك المغارات والاهوية ويغلظ ومتى تكاثفت تلك البخارات واجتمعت
أجزاؤها وصارت ماء خرت راجعة الى قرار تلك الكهوف والمغارات والاهوية
ومكثت زماناً ، وكلما طال وقوفها ازدادت صفاء وغلظاً حتى تصير زئبقاً رجراجاً
وتختلط بتربة تلك المعادن وتتحد بحرارة المعدن دائماً في انضاجها وطبخها ،
فتكون منها ضروب من الجواهر المعدنية المختلفة الطباع كما سنبين ، وأما علة
اختلاف مياه العيون والينابيع التي في جوف الارض وكهوف الجبال من العذوبة
والملوحة والحموضة والغفوضة الكبريتية منها والنفطية والدهنية وعلة حرارتها
في الشتاء وبردها في الصيف ، وما كان على حالة واحدة في جميع الاوقات ، فهي

بموجب اختلاف ترب بقاءها وتغييرات أهوية مكانها والعوارض التي تعرض لها
وتمحتاج الى أن نذكر طرفاً من علمها ليكون قياساً على البقية الباقية فنقول . أما
علة حرارة مياه أكثر العيون في الشتاء وبردها في الصيف فهي من أجل كون الحرارة
والبرودة ضدان لا يجتمعان في مكان واحد ، فاذا جاء الشتاء وبرد الجو ، فرت
الحرارة فاستجنت باطن الارض فسخت تلك المياه التي في باطنها وعمقها ، فاذا جاء
الصيف وحى الجو فرت البرودة واستجنت في باطن الارض وبردت تلك المياه
التي في باطنها وعمقها . وأما علة حرارة بعض العيون في الشتاء والصيف على حالة
واحدة فهي ان في باطن الارض وكهوف الجبال مواضع ، تربتها كبريتية فتصير
تلك الرطوبات التي تنصب هناك دهنية ، وتكون الحرارة فيها راسية دائمة
بينها أو فوقها مياه في جداول وعروق نافذة فتسخن تلك المياه بمرورها
هناك وجوازها عاينها ، ثم تخرج وتجرى على وجه الارض وهي حارة حامية ،
فاذا أصابها نسيم الهواء وبرد الجو بردت ، وربما جمدت ، اذا كانت غليظة
وانعقدت وصارت زئبقاً ، أو رصاصاً أو قيراً أو نطقاً أو ملحاً أو كبريتاً ، أو
بورقاً ، أو شيئاً ، أو ما شاكل ذلك بمسبب اختلاف ترب البقاع وتغييرات
الاهوية . وأما علة ملوحة مياه عامة البحار فهي بعناية من الباربي جـل ثنائوه
وحكمة الهية لما فيه من الصلاح الكلي والنفع العام ، وذلك أن البخارات المتصاعدة
منها في الجو ، اذا اختلطت اجزائها مع الهواء وتموجت الى الجهات دبغتها وملحتها
ومنعتها من العفن والتغيير والفساد ، فلولا ذلك لهلك الحيوان المستنشقة للهواء
دفعاً واحدة وهكذا أيضاً تمتنع ملوحة مياه البحار من أن تأسن أو تتغير فيكون ذلك
هلاك حيوان البحر جملة واحدة . ولهذا العلة أيضاً شدة أمواج البحار في أكثر
الاقوات يختلط اعلاها باسفلها وأسفلها باعلاها لئلا تغاظ بطول الوقوف غامظا
شديداً أو يجمد فتكون ارضا كلها . ولهذا العلة أيضاً اشراق الشمس والكواكب عليها
وتسخينها لها ومنعها من أن تغلظ وتجمد ، وكذلك تفعل بالهواء والجو أيضاً ،
وذلك انه لولا مطارح شعاعات الكواكب بالليل لجمد الهواء في المواضع التي
(٦ - ٢)

لا يطلع عليها الشمس والقمر زماناً كالتى تحت قطب الشمال والجنوب جميعاً .
وأما غفوصة مياه بعض العيون فلأنها تجري اليها من مواضع تربها زاجية .
وهكذا حكم ما كان طعمه كبريتياً أو نفطياً

واعلم ان في بعض المواضع يرى من بعيد على رؤوس الجبال وبطون الاودية .
نيران وضياء بالليل والنهار ودخان معتكر ساطع في الهواء ومرتفع في الجو ،
وعلته ان في جوف الجبال كهوفاً ومغارات وأهوية حارة ملتئبة تجري اليها
مياه كبريتية أو نفطية دهنية فتكون مادة لها دائمة وهي مثل التى بجزيرة صقلية .
وبجبل مزهر من خوزستان ، وفي بعض المواضع جبال تهب عليها رياح لينة
دائماً ، وجبال تهب عليها رياح باردة في أوقات مختلفة ، وهي الجبال التى تكون
عليها الثلوج عند ذوبانها وذلك انه يتحلل من تلك الرطوبات أجزاء لطيفة
تصير بخاراً وترتفع في الهواء فيدفعها الى الجهات الخمس أو الى جهة دون جهة .
مثل ما يهب من جبل الحاج الذى بدمشق والذى ببلاد داور من جبال غور وجبل
دومانند وماشا كلها من الجبال

فأما الجبال التى تهب منها رياح لينة في دائم الاوقات ، فمثل التى ببلاد
باميان ، وذلك ان هذا الجبل تخرج من اسفله عيون كثيرة وحوله مروج
كثيرة وتجري الى تلك المروج أنهار وجداول من غير أن ترى عليه ثلوج وأمطار
بل تهب منها أبداً أرياح لينة فهذا دليل على ان في جوف هذا الجبل مغارات
وكهوف وأهوية باردة مفرطة البرد ، تجمد الهواء فيصير ماء ، ثم ينصب الى أسفله
وينزل من مسام ضيقة تجري منها تلك العيون والجداول الى تلك المروج والبراري .
والقرى وبها ينتفع الناس وسائر الحيوان من الوحوش والسباع والانعام والطيور
الذى هناك إذ كان هذا الجبل بعيداً من البخار ولعل الغيوم قل ما تصل الى هناك
لطول المسافة واذا تأملت الذى ذكرناه تبينت عناية البارى جل جلاله بتقدير خلقه
وحسن سياسته لهم وشفقته عليهم وأكثرها أراح من العال في مرافقهم وجر
المنافع اليهم من كل الوجوه الممكنة من الهيولى المتأتى فيها أفعالها

فصل

واعلم ان الاودية والانهار أكثرها تبتدىء من الجبال والتلال وتمر في جريانها نحو البحار والآجام والغدران والبطائح والبحيرات فمنها ما هو أنهار طوال جريانها من المشرق الى المغرب كنهري مأوند من سيجستان فانه يبتدىء من جبال باميان وجبال غور ويمر نحو المغرب الى تربة كرمان ثم الى بحر هرمز . ومنها ما يمر في جريانه نحو المشرق كالارس والكرس وهماهران ببلاد اذربيجان ابتداءً وهما من جبال الروم ويمران متوجهين نحو المشرق الى بحر طبرستان فينصبان فيه . ومنها ما جريانه من الجنوب الى الشمال نحو نيل مصر فانه يبتدىء من جبال القمر من وراء خط الاستواء ويمر في جريانه متوجهاً نحو الشمال الى أن ينصب في بحر الروم . ومنها ما يكون جريانه من الشمال الى الجنوب مثل دجلة فانها تبتدىء من جبال نصيبين وتمر في جريانها الى الجنوب ثم تنصب الى بحر فارس بعبادان . ومنها ما يكون جريانه متوجهاً في احدى تكباوات مثل جيحون خراسان والفرات وذلك ان جيحون يبتدىء من جبال صنعانيان ويمر متنكباً للغرب والشمال وينصب الى بحر جرجان بشمال بلاد خوارزم ، والفرات يبتدىء من جبال الروم ويمر متنكباً للمشرق والجنوب وينصب الى بحر فارس من عبادان . وعلى هذا المثال سائر الانهار في الجريان

وأما علة مدود أكثر الانهار التي جريانها من الشمال الى الجنوب في أيام الربيع فهي من أجل ان الثلوج اذا كثرت في الشتاء على رؤوس الجبال الشمالية ثم حمي الجو بقرب الشمس من سمتها ، ذابت تلك الثلوج وسالت منها الاودية والانهار .

وأما علة مد نيل مصر في أيام الصيف فهو من أجل ان هذا النهر يجري من الجنوب الى الشمال ومبدأ جريانه من وراء خط الاستواء حيث يكون الشتاء عندنا يكون صيفاً هناك وفي الصيف عندنا يكون الشتاء هناك فتكون في ذلك

الوقت كثرة الامطار هناك . ولهذا الأنهار عطفات وعراقيل يطول شرحها وشرح علتها وهي تسقي في جريانها السوادات والمزارع والمدن والقرى وما يفضل من مياهها ينصب الى البحار والآجام والبطائح والبحيرات ويمتزج بمياهها عذبة كانت أو مالحة . فاذا أشرفت علىها الشمس والكواكب سخنتها وحملت واطقت وتحملت وصارت بخارا فارتفعت في الهواء وتموجت الى الجهات ويكون منها الرياح والغيوم والضباب والطل والندى والصقيع والانداء والثلوج والبرد على رؤوس الجبال والبراري وال عمران والخراب

وأما الامطار التي تكون على رؤوس الجبال فانها تفيض في شقوق تلك الجبال وخللها وتنصب الى مغارات وكهوف وأهوية هناك وتمتلئ وتكون كالخزونة ويكون في أسفل تلك الجبال منافذ ضيقة تمر منها تلك المياه وتجرى وتجتمع وتصير أودية وأنهاراً وتذوب تلك الثلوج على رؤوس تلك الجبال وتجرى الى تلك الاودية وتجرى في جريانها راجعة نحو البحار ثم تكون منها البخارات والرياح والغيوم والامطار كما كان في العام الاول و « ذلك تقدير العزيز العليم »

* فصل *

واذ فد فرغنا من ذكر صورة الأرض ووصف البحار والبراري والجبال واختلاف ترب البلاد ومياهها فنريد أن نذكر هاهنا طرفاً من أسرار المعادن فنقول أنه ليس من جبل من الجبال ولا بحر ولا تربة ولا جزيرة ولا نهر ولا بقعة ولا بلد من بقاع الأرض ولا صغيرة ولا كبيرة لا ظاهرها ولا باطنها الا ولها خاصية ليست لأخرى أو عدة خواص، فمن خاصية بلد بلد أو بقعة بقعة أنه تتكون هناك ضروب من الجواهر المعدنية أو عدة ضروب أو ينبت نوع من النباتات أو يتولد جنس من الحيوان لا يتكون في بلد آخر ولا ينبت في بقعة أخرى ولا يتولد الا هناك، مثال ذلك أنه لا تتولد الفيلة الا في جزائر البحار الجنوبية

تحت مدار برج الحمل وكذلك الزرافة لا تولد الا في بلدان الحبشة والسمور والسنجاب وغزال المسك لا يتولد الا في البراري الشرقية الشمالية ، وأما الصقور والبزاة والذسور وما شا كلها من أنواع الطيور فانها لا تفرخ الا في رؤوس الجبال الشاهقة ، والقطا والنعام لا يفرخ الا في البراري والفلوات ، والبطوط والطيوطى وأمثالها لا تفرخ الا على الشطوط وسواحل البحار والبطايح والآجام ، والعصافير والفواخت والقهارى وأمثالها من الطيور لا تفرخ الا بين الاشجار والدغال والقرى والبساتين ، وعلى هذا المثال حكم النبات فان النخل والموز لا ينبتان الا في البلاد الحارة والاراضى اللينة ، والجوز واللوز والفسق والبندق وأمثالها لا تنبت الا في البلاد الباردة والحلابة والدلب وأم غيلان في البراري والقفار ، والقصب والصفصاف على شطوط الانهار ، وعلى هذا حكم سائر النبات ، وهكذا أيضاً حكم الجواهر المعدنية لكل نوع منها بقعة مخصوصة وتربة معروفة لا تتكون الا هناك كالذهب فانه لا يتكون الا في البراري الرملية والجبال والاحجار الرخوة ، والفضة والنيحاس والحديد وأمثالها لا يتكون الا في جوف الجبال والاحجار المختلطة بالتربة اللينة والكبريت لا يتكون الا في الاراضى الندية والترب اللينة والرطوبات الدهنية والقلقطار والا كلاح لا ينعقد الا في الارض السبخة والبقاع المشروجة ، والجص والاسفيذاج لا يتكونان الا في الارض الرملية المختلطة ترابها بالحصى ، والزاجات والشبوب لا تتكون الا في الترب العفصة القشفة . وعلى هذا القياس حكم سائر أنواع الجواهر المعدنية

﴿ فصل ﴾

واعلم أن الجواهر المعدنية كثيرة الانواع لا يحصى عددها الا الله تعالى ولكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفونه ، وقد ذكر بعض الحكماء من كانت له عناية بالنظر في هذا العلم والبحث عن هذه الاشياء وانه قد عرف وعد منها نحو تسعمائة نوع كلها مختلفة الطباع والشكل واللون والطعم والرائحة والثقل والخفة

والمضرة والنفع ونريد أن نذكر منها طرفاً ليكون دلالة على الباقية وقياساً عليها فنقول أن من الجواهر المعدنية ما هو حجري صلب لكن يذوب بالنار ويجمد إذا برد مثل الذهب والفضة والنحاس والحديد والاسرب والرصاص والزجاج وما شاكلها ومنها ما هي صلبة حجرية لا تذوب الا بالنار الشديدة ولا تنكسر الا بالماس كالياقوت والعقيق ، ومنها تراي رخو لا يذوب ولكن ينفك كالاملاح والزجاجات والطلق . ومنها مائية رطبة تفر من النار كالزئبق ، ومنها هوائي دهني تأكله النار كالكباريت والزرانيخ ، ومنها نباتي كالمرجان الابيض والاحمر ، ومنها حيواني كالدر ، ومنها اطل منعقد كالعنبر والباذهرات ، وذلك أن العنبر انما هو اطل يقع على سطح ماء البحر فينعقد في مواضع مخصوصة في زمان معلوم ، وكذلك البازهرات أيضاً فانه اطل يقع على بعض الاحجار ثم يرسخ في خللها وينعقد هناك في بقاع مخصوصة في زمان معلوم كما أن الزنجبيل انما هو اطل يقع على نوع من الشوك بخراسان وهكذا الك انما هو اطل يقع على نبت مخصوص في زمان معلوم وينعقد عليه وكذلك الدر فانه اطل يرسخ في أصداف نوع من الحيوان البحري ثم يغلظ ويجمد وينعقد فيه وكذلك المومياً اطل يرشح في خلل صخور ثم يغلظ هناك ثم يصير ماء ثم يبرز من مسام ضيقة ويجمد وينعقد، والطل هو رطوبة هوائية تجمد من برد الليل وتقع على النبات والحجر والشجر والصخور ، وعلى هذا القياس حكم جميع الجواهر المعدنية فان مادتها انما هي رطوبات ومياه وأندية وبخارات تنعقد بطول الوقوف وممر الزمان في البقاع المخصوصة لها ، فقد تبين بما ذكرنا أن الجواهر المعدنية مركبة كائنها مع اختلاف أنواعها وطبائعها وألوانها وطعومها وروائحها وثقلها وخفتها وصلابتها ورخاوتها ولينها وخشونتها وخواصها ومنافعها ومضارها مركبة كائنها ومؤلفة من اجزاء ترايبية صلبة ثقيلة مظلمة مشفة . ومن اجزاء مائية رطبة سيالة صافية بين الثقل والخفة ، ومن اجزاء هوائية خفيفة لينة دهنية صافية نيرة ، ومن حرارة قوية أو ضعيفة منضجة أو مقصرة . ومن تأليف على نسبة قاضلة أو دون ذلك

من النسب التأليفية وهي اثنتى عشرة مرتبة مضروبة في اربع طبائع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة جعلتها ثماني واربعين مرتبة . هذا هو الطول مضروباً في نفسه يكون الفين وثلاثمائة واربعة هذا هو العرض مضروباً في جذره ١١١٠٧٢٠ هذا هو المكعب أحاد ونحتاج ان نشرح هذا الباب لانه أصل في معرفة كيفية تكوين المعادن

﴿ فصل ﴾

اعلم يا أخي أن تلك الرطوبات المختنقة في باطن الارض والبخارات المحتبسة هناك اذا احتوت عليها حرارة المعدن تحلت ولطفت وخفت وتصاعدت علو الى سقوف تلك الاهوية والمغارات ومكثت هناك زمانا .

واذا برد باطن الارض في الصيف جمدت وغلظت وتقاطرت راجعة الى اسفل تلك الاهوية والمغارات واختلطت بتربة تلك البقاع وطينها ومكثت هناك زمانا وحرارة المعدن دائماً في نضجها وطبخها وهي تصفو بطول وقوفها وتزداد ثقلاً وغلظاً ، وتصير تلك الرطوبات بما يخالطها من الاجزاء الترابية وما يأخذ من ثقلها وغلظها وانضاج الحرارة وطبخها اياه زئبقاً رجراجاً ، وتصير تلك الاجزاء الهوائية الدهنية وما يتعلق بها من الاجزاء الترابية بطبخ الحرارة لها بطول الزمان كبريتاً محترقاً .

فاذا اختلطت اجزاء الكبريت والزئبق مرة ثانية تمازجت واختلطت واتحدت والحرارة دائماً في نضجها وطبخها فتتعمد عند ذلك ضروب الجواهر المعدنية المختلفة وذلك انه اذا كان الزئبق صافياً والكبريت نقياً واختلطت اجزأؤهما وكانت مقاديرهما على النسبة الافضل واتحدت وامتصت الكبريتية رطوبة الزئبق ونشفت نداوته وكانت حرارة المعدن على الاعتدال في طبخها ونضجها ولم يعرض لها عارض من البرد واليبس قبل انضاجها انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الابريز ، وان عرض لها البرد قبل النضج انعقدت وصارت فضة بيضاء وان عرض

لها اليبس من فرط الحرارة وزيادة الاجزاء الارضية انعقدت فصارت نحاساً أحمر يابساً . وان عرض لها البرد قبل ان تتحد أجزاء الكبريت والزئبق قبل النضج . انعقد منها رصاص قاعي وان عرض لها البرد قبل النضج وكانت الاجزاء الترابية أكثر صارت حديداً أسود وان كان الزئبق أكثر والكبريت أقل والحرارة ضعيفة انعقد منها الاسرب ، وان انفرطت الحرارة فاحرقته صار كحلأوعلى هذا القياس تختلف الجواهر المعدنية باسباب عارضة خارجة عن الاعتدال وعن النسبة . الافضل من زيادة الكبريت والزئبق ونقصانهما وافراط الحرارة أو نقصانها أو برد المعدن قبل نضجها أو خروجها عن الاعتدال ، فعلى هذا القياس حكم الجواهر المعدنية الترابية .

وأما الجواهر الحجرية مثل البلور والياقوت والزرجد والعقيق وماشا كلها من التي لا تذوب بالنار فانها تنعقد من مياه الامطار والانداء التي ترشح في تلك المغارات والكهوف والاوودية التي من الجبال الصلدة والاحجار الصلبة ولا يخالطها شيء من الاجزاء الترابية والطين بل بطول الزمان كلما مال ووقوفها هناك ازدادت المياه بقاء وثقلا وغلظا وحرارة المعدن دائماً في نضجها وطبخها حتى تنعقد وتصير حجارة صلبة صافية وتكون ألوانها وصفاءؤها ورزانتها بحسب أنوار تلك الكواكب المتولية لذلك الجنس من الجواهر ومطارح شعاعاتها على تلك البقاع المختصة كما سنبين في رسالة النبات . وذلك ان لون الياقوت الاصفر والذهب الابريز ولون الزعفران وماشا كلها من النبات منسوبة الى نور الشمس وبريق شعاعاتها ، وكذلك بياض الفضة والملح والبلور والقطن والثلوج وماشا كلها من الوان النبات منسوب الى نور القمر وبريق شعاعه وعلى هذا القياس سائر الالوان كل نوع منسوبة الى كوكب من الكواكب السيارة والثابتة مذكور ذلك في كتب احكام النجوم كما قيل ان السواد لزلحل والحمر للبريخ والخضرة للمشترى والزردة للزهرة والصفرة للشمس والبياض للقمر والامتلون الالوان لعطارد.

وأما حكم الجواهر الترابية في كيفية تكوينها فهي ان تلك المياد اذا اختلطت بتربة البقاع وعملت فيها حرارة المعدن تحمل أكثر تلك الرطوبات وتصبح بخاراً يرتفع في الهواء كما ذكرنا قبل وما بقي منه يكون محبوساً ملازماً للاجزاء الارضية متحداً بها عملت فيها الحرارة ونضجتها وطبختها حتى تغاظ وتنعقد فان تكن تربة تلك البقاع مشورجة سبخة تكونت منها ضروب الاملاح والبوارق والشبوب، وان تكن تربة البقاع عفصة انعقدت منها ضروب الزاجات الخضر والصفير والقلقطار وهو جنس من الزاج وما شا كلها. وان تكن تربة البقاع حصاة وتراباً وربما مختلطة انعقد منها الجص والاسفيذاج وما شا كلها وان تكن تربة البقاع لينة وطيناً حراً انعقدت منها الحكاة ونبتت منها ضروب العشب والحشائش والكلاء والاشجار والزرورع

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي ان النار هي كالتقاضى بين الجواهر المعدنية المتحكم فيها كلها والمفرق بينها وبين ما كان من غير جنسها فأشرفها هي التي لا تقدر النار على أن تهرق بين أجزائها مثل الذهب والياقوت، وذلك لشدة اتحاد أجزائها بعضها ببعض فانه ليس بين خالي أجزائها رطوبة، وأما احتراق بعض الجواهر المعدنية وأكل النار لها وسرعة اشتعالها فيها كالكبريت والزرنيخ والقيز والنفط وما شا كلها من المعدنية فهي من الاجزاء الهوائية الدهنية المتعلقة بالاجزاء الترابية غير متحدة بها، والاجزاء المائية قليلة معها وهي غير نضجة أيضاً ولا متحدة بها فاذا أصابتها حرارة النار ذابت بسرعة ونحلت وصارت دخاناً وبخاراً وفارقت الاجزاء الترابية وارتفعت في الهواء واختلطت به وتفرقت بين أجزاء الهواء. وأما اذا قيل ما العلة في أن الذهب يذوب ولا يحترق والياقوت لا يذوب ولا يحترق فنقول ان علة ذوبان الذهب هي من الرطوبة الدهنية المتحدة بالاجزاء الترابية فاذا أصابتها حرارة النار ذابت ولا نبت الاجزاء الارضية التي معها وأما ما لم يحترق فمن

أجل الاجزاء المائية المتحدة بالاجزاء الترابية والهوائية فانها تقابل النار وتدفع عن جسدها الترابي وهج النار ببردها ورطوبتها فاذا خرجت من النار جمدت تلك الاجزاء الهوائية، الدهنية وغلظت الاجزاء المائية وانعدت وصارت الاجزاء الارضية كما كانت وعلى هذا القياس سائر الاجسام الترابية . وأما الياقوت فلانه أجزاء مائية غلظت وصفت بطول الوقوف بين الصخور وانضجت بدوام طبخ حرارة المعدن لها واتحدت أجزاءها ويبدت فصارت لا تذوب بالنار لانه ليس فيها رطوبة دهنية . وأما علة صفائه فمن أجل انه ليس فيه أجزاء ترابية مظلمة بل كلها أجزاء مائية قد غلظت وصفت ونضجت وجمدت ويبدت فلا تقدر النار على تفريق أجزاءها لشدة اتحادها ويبدتها . وأما سرعة ذوبان بعض الاجسام واحتراقها مثل الرصاص والاسرب فهو من أجل أن الاجزاء المائية والهوائية غير متحدة بالاجزاء الترابية وأما سوادها فمن أجل أنها غير نضجة وثقلها من أجل كثرة الاجزاء الارضية فيها والله أعلم

فصل

واعلم يا أخي ان لهذه الجواهر خواص كثيرة وطباعها مختلفة: فمنها متضادة متنافرة ، ومنها متشاكلة متألفة ، ولها تأثيرات بعضها في بعض أما جذبا أو امساكا أو دفعا أو نفورا ولها أيضاً شعور خفي وحس لطيف كما للنبات والحيوان ، اما شوقاً ومحبة واما بغضا وعداوة لا يعلم كنه علمها الا الله تعالى ، والدليل على صحة ما قلنا وحقيقة ما وصفنا قول الحكماء في كتاب الاحجار وبعثهم لها أن طبيعة تألف طبيعة وطبيعة تناسب طبيعة أخرى ، وطبيعة تلصق بطبيعة ، وطبيعة تأنس بطبيعة وطبيعة تنهر طبيعة ، وطبيعة تقوى على طبيعة وطبيعة تضعف عن طبيعة وطبيعة تلهب طبيعة وطبيعة تحب طبيعة وطبيعة تطيب مع طبيعة وطبيعة تنسد مع طبيعة وطبيعة تبيض طبيعة وطبيعة تحدر طبيعة وطبيعة تهرب من طبيعة وطبيعة تبغض طبيعة وطبيعة تمازج طبيعة

فأما الطبيعة التي تألف طبيعة أخرى فمثل الالماس والذهب فإنه اذا قرب من الذهب التصق به وأمسكه ويقال ان الالماس لا يوجد الا في معدن الذهب وفي واد من ناحية المشرق ومثل طبيعة حجر المغناطيس في جذب الحديد فان هذين الحجرين يابسين صلبين بين طبيعتهما الفة واشتياق فإنه اذا قرب الحديد من هذا الحجر حتى يشم رائحته ذهب اليه والتصق به وجذبه الحجر الى نفسه ومسكه كما يفعل العاشق بالمعشوق، وهكذا ينعمل الحجر الجاذب للحجم والحجر الجاذب للشعر والحجر الجاذب للظنم والحجر الجاذب للتبن . وعلى هذا القياس ما من حجر من الاحجار المعدنية الا وبين طبيعته وبين طبيعة شىء آخر الفة واشتياق عرف بالناس ذلك أم لم يعرفوه

واعلم أن مثل مقابلة افعال هذه الاحجار بعضها في بعض يكون مثل تأثيرات الدواء في العضو العليل وذلك ان من خاصية كل عضو عليل اشتياقا الى طبيعة الدواء المضاد لطبيعة العلة التي به فاذا حصل الدواء بالقرب من العضو العليل أحس به وجذبتة القوة الجاذبة الى ذلك العضو وأمسكته الماسكة واستعان بالقوة المدبرة بطبيعة الدواء على دفع طبيعة العلة المؤلمة وقويت عليها وغلبتها ودفعتها عن العضو العليل كما يستعين ويدفع المحارب والمخاصم بقوة من يعينه على خصمه وعدوه في دفعه عن نفسه ، وهذه من اتقان حكمة الله جل جلاله ، وعجيب صنعه ولطيف تدبيره بخلقه من الحيوان وحسن سياسته له إذ جعل السكل داء وعارض دواء شافياً ثم الهمه اياه كما ذكر الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام لما قال له فرعون ولأخيه هرون من ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شىء خلقه ثم هدى يعنى خلقه وصوره وعرفه منافعه ومضار دوقواه وأعانه وحفظه ورعاه ودبره وسامه كما شاء وكيف شاء فتبارك الله أحسن الخالقين .
وأما الطبيعية التي تقهر طبيعة أخرى فمثل طبيعة السنباذج التي تأكل الاحجار عند الحك أكلا وتلينها وتجعلها ملساً ، ومثل طبيعة الاسرب الوسخ الذي يفتت الماس القاهر لسائر الاحجار الصلبة وذلك ان الماس لا يقهره

شئ من الاحجار وهو قاهر لها كلها ، لو انه ترك على السندان وطرق بالمطرقة لدخل في احدهما ولم ينكسر ، وان جعل بين صفحتين من اسرب وضغط عليهما تفتت . وهنل طبيعة الرئبق ، التيار الرطب القليل الصبر على حرارة النار اذا طلعت به الاحجار المعدنية الصلبة مثل الذهب والنحاس والفضة آهنها وأرخاها حتى يمكن أن يكسر باسهل سعي ويفتت قطعاً قطعاً ومثل الكبريت المنتن الرأحة المسود للاحجار النيرة البراقة المذهب لالونها وأصباغها يمكن النار منها حتى تحترق في أسرع مدة ، والعلة في ذلك ان في الكبريت رطوبة دهنية لزجة جامدة فاذا أصابته حرارة النار ذاب والتصق باجساد الاحجار ومازجها ، فاذا تمكنت النار فيه احترق وأحرق معه تلك الاجساد يا قوتاً كانت أم ذهباً أم غيرها

وأما الطبيعة التي تزين طبيعة أخرى وتنورها فمثل الزوشادر الذي يغوص في قعر الاحجار ويغسلها من الوسخ .

وأما الطبيعة التي تعين طبيعة أخرى فمثل البوارق الذي يعين النار على سرعة سبك هذه الاحجار المعدنية ، الترابية ، ومثل الزاجات والشبوب التي تجلوها وتنورها وتصبغها ومثل المنيسا والقلى المعينان على سبك الرمل وتصفيته حتى يكون زجاجاً شفافاً وعلى هذا القياس والمثال حكم سائر الاحجار المعدنية في تأثيرات بعضها في بعض فاما تأثيراتها في أجسام الحيوان فقد ذكر ذلك في كتب الادوية والطب والعقاقير

﴿ فصل ﴾

واعلم أن لهذه الجواهر المعدنية خواص غريبة وخالقها وتكوينها عجيب جداً فاذا فكر العاقل في لطيف صنع الباري جل جلاله واتقان حكمته فيها يبقى متعجباً باهتاً ويزداد بر به معرفة ويقيناً وخاصة اذا فكر في خلقه الدرّة وتكوينها وذلك ان هذه الجوهرة انما هي ماء ورطوبة هوائية عذبة ودهنية جامدة منعقدة بين صدفين كأنهما خزفتان منطبقتان ظاهراً خشن وسخ وباطنهما أملس نقي

أبيض، في جوفها حيوان كأنه قطعة لحم خلقتة خلقة الرحم مسكنه في قعر البحر المالح وهو قد ضم ذينك الصدفين على نفسه من جانبيه كما يضم الطائر جناحيه عند السكون عن الطيران مخافة أن يدخل فيه ماء البحر المالح حتى إذا أحس يسكون البحر عن الاضطراب في أمواجه ارتقى من قعره الى أعلى سطحه بالليل في وقت من الزمان معلوم مخصوص عنده وفتح تلك الصدفتين كما تفتح فراخ الطير أفواهاها عند زق الطائر لها، وكما يفتح فم الرحم عند الجماع فيرشح في جوفه من ندى الهواء ورطوبة الجو وتجتمع فيه قطرات من الماء العذب من ذلك والصقيع الذي يقع بالليل على النبات والحشيش فاذا اكتفى ضم تينك الصدفتين على نفسه ضما شديداً مخافة أن يرشح فيه ماء البحر المالح فتفسد تلك الرطوبة العذبة بما يخالطها من ملوحته وينزل برفق الى قعر البحر فيسكن هناك زماناً فاذا طال الزمان على تلك الرطوبة العذبة غلظت وثقلت وصارت في قوام الزئبق وتدرجت في جوفه بحركته فيصير حبات مستديرات كما يصير الزئبق اذا تبدد وتدرج ثم على ممر الزمان تجمد وتنعقد وتصير دراً صغاراً وكباراً ذلك تقدير العزيز العليم

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي اذا تأملت المحسوسات وتصفح الموجدات وبحثت عن الكائنات التي دون فلك القمر وجدت أصغرها جسداً وأضعفها خلقة أشرفها جوهرأ وأجلها قدراً وأعمها نفعا

وانظر الى هذه الثلاثة التي هي الدرة والديباج والعسل وتأملها تجدها عند الناس أجل الأشياء قدراً وأنعمها لبسا وأطيبها ذوقاً أعنى هذه الثلاثة فاذا تأملت ما ذكر من خلقة هذا الحيوان تبينت أنه أحقر حيوانات البحر وأضعفها وكما ترى النحل أضعف الطيور بنية وأصغرها جثة وهكذا دود القز تراه أصغر الحيوان جثة

فصل

واعلم ان الله جل ثناؤه خلق هذه الاشياء المعدنية منافع للحيوان وخاصة للناس وجعلهم محتاجين اليها متصرفين فيها متنعمين بها الى حين لكيما يتفكر العقلاء في كونها وخلقها وصنعها فتكون قياسا لهم فيعلمون ان العالم أيضاً محدث مصنوع كائن بعد ان لم يكن وان كان كبير الجثة عظيم الحلقة طويل العمر كبير القباء لا يدري العلماء الحكماء على التحقيق انه متى كان ولا متى يفسد ويعلمون انه له خالقا خلقه وأوجده وصوره وركب أفلاكه وأدارها وأجرى كواكبها وسيرها ومد شعاعها نحو المركز ومزج الاركان وزوج الطبائع وأولد منها الكائنات الفاسدات التي هي الحيوان والنبات والمعادن وسخرها للانسان وملاكه عليها يتصرف فيها كيف يشاء ويحكم عليها بما يريد بالانتفاع منها أو دفع المضار بها وانما احتاج العلماء والعقلاء الى الاستدلال بالشاهد على الغائب وقياس الجزء على الكل على أن العالم محدث عند حيرة عقولهم فاذا فكروا في حدثه وكونه بعد ان لم يكن وبحثوا عن تلك العلة الداعية للصانع الى الفعل ان لم يكن فعل وهي العلة التي تسمى العلة التمامية التي من أجلها يفعل الفاعل فعله

ولما فكر كثير من العقلاء في هذه العلة وبحثوا عنها لم يعرفوها . وهكذا أيضاً لما فكروا في أمر الفاعل متى فعل ، وفي أي زمان عمل ، وفي أي مكان لم يعرفوها ولم يتصوروا ذلك ، وأيضاً لما فكروا وطلبوا أنه من أي شيء عمله وكيف صورته وأين كانت رجل البركار لما شكل اكر الافلاك ودور الكواكب وما شاكل هذه المباحث والتفكر في أشياء ليس في طاقة الانسان معرفتها ولا في قوة نفسه تصورهما فعند ذلك دعاهم جهلهم وحيرتهم وشكوكهم الى القول بقديم العالم وأزليته بغير علم ولا بيان الا أوهام كاذبة وتخيلات باطلة وتمويهات مموهة وقد علم الله تعالى قبل أن خلقهم أنه تعرض لهم هذه الشكوك والحيرة.

فأزاح عنهم بأن أراهم أشياء لا يشكون فيها ولا في كونها ولا في حقيقتها لتكون مثلاً لهم وقياساً على ما لا يشهدونه ويتصورونه في حدوث العالم وصفته وهي هذه الكائنات الفاسدات من النبات والمعادن والحيوان وجعل أيضاً مركزاً في جيلة العقول أن الصنعة المتقنة لا تكون إلا من صانع قدير وجعل أيضاً أثر الصنعة باقياً في المصنوع يشاهدونها ليلهم ونهارهم من دوران هذه الافلاك حول المركز وسير الكواكب فيها وتعاقب الليل والنهار والشتاء والصيف على الأركان الأربعة والتغيرات والاستحالة وتكوين الكائنات الفاسدات، كل هذه دلالة للعقول وشواهد للنفوس على حدوث العالم وتكوينه بعد أن لم يكن إذ لم يوجد في جميع هذه الكائنات الجزئية شيء خال من علة فاعلية وعلة هيولانية وعلة صورية وعلة تامة ونحن قد بينا في رسالة المبادئ العقلية ما هذه العلة في حدوث العالم وكونه فأعرفها من هناك

وإذا قد ذكرنا طرفان من كيفية تكوين المعادن فنذكر الآن طرفاً من أنواع جواهرها وخواص أنواعها وما ذكره الحكماء فنبدأ بذكر أشرفها الذي هو الذهب والياقوت ثم سائر ما يتلوها نوعاً فنوعاً، فأما الذهب فهو جوهر معتدل الطبائع صحيح المزاج نفسه متحدة بروحه وروحه متحدة بجسده ونعى بالنفس الأجزاء الهوائية وبالروح الأجزاء المائية وبالجسد الأجزاء الترابية . ولكن لشدة اتحاد أجزائه وممازجتها لا يحترق بالنار لأن النار لا تقدر على تفريق أجزائه وهو لا يبلى في التراب ولا يصدى على طول الزمان ولا تغيره الأوقات العارضة وهو جسم لين المعمز أصفر اللون حلو الطعم طيب الرائحة ثقيل رزين صفرة لونه ناريتة وصفائوه وبريقه من هوائيته ولينه من دهنيته ورطوبته وثقله ورزاقته من ترابيته . لأن كبريته كان نقياً وزيبقه كان صافياً ومزاجه كان معتدلاً وحرارة المعدن طبخته على طول الزمان برفق واعتدال ، فإذا أصابته حرارة النار ذابت رطوبته ودارت حول جسده ورطوبته تقابل حرارة النار وتدفع عن جسده احراقها وإذا خرجت من النار جمدت تلك الرطوبة وإذا طرقت امتدت تحت المطارق حاراً

أو بارداً واتسع في الجهات ورق وامتد ويفتل منه كالخيوط ويقبل جميع الاشكال من الاواني والحلى وهو يخالط الفضة والنحاس في السبك وينفصل عنهما اذا طرح عليه المرقيشا الذهبي لانه جنس من الكبريت يحرق غيره ولا يحترق واذا سحق منه وادخل في أدوية العين تقع واذا كوى به موضع لم ينفط وكان أسرع الى البريء وينفع من المرة انسوداء وداء الحية وداء الثعلب وأمراض القلب وهي قسمة الشمس من بين الكواكب فمن أجل هذه الخصال والفضائل تجمعها الملوك وتدخره في الخزائن ومن أجل ذلك يقل وجوده في أيدي الناس ويمز وتكثر أثمانه لا لقلته وجوده ولكن كل من ظهر بشيء كثير منه دفنه في الارض أو صانه وخباه فلا يرى منه ظاهر الا القليل

وأما اليواقيت فأحجار صلبة حارة يابسة شديدة اليبس رزينة صافية شفافة مختلفة الالوان بين أحمر واصفر وأخضر وأزرق وأصلها كلها ماء عذب وقف في معادنها بين الاحجار الصلدة والصخور والصفوان زماناً طويلاً فلنظوصفا وثقل وانضجته حرارة المعدن لطول وقوفه فاتحدت أجزاءه وصارت صلبة لا تذوب في النار البتة لقلته دهنيته ولا تفرغ لغاز رطوبته بل يزداد حسن لونه ، وخاصة الأحمر منه لا تعمل فيه المبرد لشدة صلابته وييسه الألماس والسباج بالحك في الماء ومعدنه في البلاد الجنوبية تحت خط الاستواء وهو قليل الوجود عزيز كثير الثمن لقلته وجوده.

ومن منافعه أن من تختم بشيء منه وكان في بلدة قد أصاب أهلها الوباء والطاعون سلم منها باذن الله تعالى ونبل في أعين الناس وسهل عليه قضاء حوائجه وأمور معاشه .

وأما الزمرد والزبرجد فهما حجران يابسان باردان جنسهما واحد موجودان في معادن الذهب وخيرهما وأجودهما أشدهما خضرة وصفاء وشفافا ومن أكثر النظر الى الزبرجد ذهب عن بصره الكلال ومن تقلد منه او تختم به سلم من الصرع، والدهنج عدو للزبرجد ويشبهه في النظر واذا وضع معه في موضع

واحد كسره وكدر لونه وذهب بنضارته
وأما الدر فقد تقدم ذكره وهيئة تكوينه . وأما خاصيته فإنه ينفع في خفقان
القلب من الخوف والجزع الذي يكون من مرة السوداء لأنه يطري دم القلب
ويدخل في أدوية العين ويشد أعصاب العين وان حك وطلى به بياض البرص
اذهبه وان سقى ذلك الماء من كان به صرع أسكنه

وأما الفضة فإنها أقرب الجواهر الذائبة الى الذهب وهي باردة لينة معتدلة
حتى تكاد تكون ذهباً لولا انه ثلث عليها البرد في معدنها قبل النضج وهي في
قسمة القمر فاذا طرح عليها المس أو الرصاص عند السبك امتزجت بهما واذا خلصت
منهما تخلصت ويسودها الكبريت ويكسرهما الزئبق ويحسن لونها البورق ويعين على
سبكها ويدفع عنها احراق النار واذا سحقت وادخلت في الادوية المشروبة نفعت
من الرطوبات اللزجة وهي تحترق بالنار اذا الحت عليها وتبلى في التراب
بطول الزمان

وأما النحاس فهو جرم حار يابس مفرط فيه وهو قريب من الفضة ليس بينهما
تباين الا في الحمرة واليبس وذلك أن الفضة بيضاء لينة والنحاس أحمر يابس كثير
الوسخ فخرته من شدة حرارة كبريته ويبسه ووسخه لغلظه فمن قدر على تبليضه
وتليينه أو تصغير الفضة وتليينها فقد ظفر بحاجته والنحاس اذا أدنى من الحموضات
أخرج زنجاراً والزنجار سم وان طلى النحاس بالزئبق أرخاه وكسره وان سبك
النحاس وطرح عليه زجاج شامي وطرح بحرارته في الماء خرج لونه مثل لون
الذهب واذا أدنى من النار اسود لأن النار هي كالقاضي بين الجواهر المعدنية
يفصل بينها بالحق ، ومن أدمن الاكل والشرب في أواني النحاس أفسد مزاجه
وعرضت له أعراض كثيرة شديدة فاذا أدنيت أواني النحاس من السمك شم لها
رائحة منتنة وان كبت آنية النحاس على سمك مشوي أو مطبوخ بحرارتها صار
سماً قاتلاً

وأما الطاليتقوني فهو جنس من النحاس طرحت عليه أدوية حتى صار صلباً
فإن اتخذ منه سكين أو سلاح وجرح به حيوان أضر به مضرة مفرطة وإن
اتخذ منه شص لصيد السمك وتعلق به لم يمكنه الخلاص وإن صغر الشص وعظم
الحوت، ومن أصابه وجع اللقوة فدخل بيتا لا يرى فيه الضوء ونظر الى مرآة
طاليتقون برأ من اللقوة بأذن الله تعالى وإن احى الطاليتقون وغمس في الماء لم
يقرب ذلك الماء ذباب وإن عمل منه منقاش وتنف به الشعر من الجسد ودهن
الموضع لم ينبت الشعر بعد ذلك وإن شرب الشراب من اناء طاليتقوني لم يذكر .

وأما القلعي فهو قريب من الفضة في لونه ولكن يباينها بثلاث صفات
الرائحة والرخاوة والصرير وهذه الآفات دخات عليه وهو في معدنه كما تدخل
الآفات على الجنين وهو في بطن أمة فرخاوته لكثير هوائيته وصريره الغلظ
كبريته وقلة مزاجه بزئبقه وهو ساف فوق ساف فلذلك يصر وتتنزراحتة لقلته .
نضجه وإن مزج بقضيب الريحانة المسمى آس والمريشا والملح والزرانخ على ما
ينبغي برىء من هذه الآفات . وإذا حرق القلعي وجعل في المراهم برىء الجرح
والقروح التي تكون في عيون الناس

وأما الاسرب فهو جنس من الرصاص ولكنه كثير الكبريت غير نضج
ومنافعه معروفة بين الناس

وأما الحديد فهو أجناس ، فمنه لين رخو ومنه ما إذا أسقى الماء ازداد صلابة
وحدة ولا يستغنى عنه الصانع ، ومنافعه بينة ظاهرة لا يستغنى الناس عنه
كما لا يستغنى عن الماء والنار والملح ، ومنه ما إذا طرحت عليه أدوية ازداد قوة
وصلابة ، ومن الجواهر المعمولة أيضا الشبه ، وهو نحاس طرحت عليه أدوية
فزداد صفة ولينا

وأما الاستندري فهو نحاس مزج بالقلعي . والمفرغ نحاس واسرب ،
والمرداسج من الاسرب إذا احرق الزنجار مع النحاس ، والاسفيداج من الاسرب

والمحوضة، والاسريخ منه ومن الكبريت والزنجفر من الزئبق والكبريت والمرتك من الاسرب. وأما منافعها أعني هذه الاحجار ومضارها فهي معروفة بين الناس وقد ذكرت في كتب الطب بشرحها ومن الجواهر المعدنية الزئبق والكبريت فأما الكبريت فهو حجر دهني لزج يلصق بالاحجار المعدنية عند ذوبانها ويحترق بالنار ويحرق الاحجار معه لانه دهن كاه

وأما الزئبق فهو جسم رطب سيال يطير اذا أصابته حرارة النار لا صبر له على حر النار وهو يخالط الاجسام المعدنية بالتدبير ويرخيها ويكسرها ويوهنها، فاذا أصابت تلك الاجسام حرارة النار طار الزئبق ورجع الى حالته الاولى صلباً كما كانت ومثله مع هذه الاحجار كمثل الماء مع الطين اليابس اذا غلبه الماء استرخى وتفتت فاذا أصابته حرارة النار أو حرارة الشمس جف وعاد كما كان أولاً

واعلم أن الكبريت والزئبق أصلان للجواهر المعدنية الذائبة كما أن التراب والماء أصلان للأجسام الصناعية كاللبن والاجر والكيزان والغضائر والقذور وكلما يعمل من الطين وقد تقدم ذكر كيفية تكوين الجواهر المعدنية الذائبة وعلل اختلاف طبائعها وصفاتها في فصل قبل هذا، ومن الجواهر المعدنية أيضاً أنواع الأملاح والشبوب والبوارق والزاجات فمنها عذب كملح الطعام والملح الاندراى ومنها مر كملح الصاغة ومنها حاد كالنوشادر ومنها قابض كالشبوب والزاجات ومنها دواء كالنفطي والهندي ومنها بوارق الخبز ومنها شوارج تصلح للدباغة ومنها ملح القلى والنورة الرماد والبول يستعمله أصحاب الكيمياء وكل هذه رطوبات ومياه تختلط بتراب بقاع الارض تحرقها حرارة الشمس أو النار أو حرارة المعدن فتتعقد وتصير أملاحاً وشبوباً وبوارق وفنون الزاجات، ومن الجواهر المعدنية أنواع الزرانيخ والمرقشيشا والمغنيسا والشادنج والكحل والتوتيا، ومنها الزجاج والبلور والمينا والطلق والشنج والعقيق والفيروزج

والسنبادج والجزع واللازود والعنبر والدهنج ومنها القير والنفط والجص
والاسفيداج وما شا كلها

واعلم يا أخي أن لكل نوع من الجواهر خواص ومنافع ومضار تركنا
ذكرها مخافة التطويل إذ قد ذكرها الحكماء في كتبهم وهي موجودة في أيدي
الناس ولكن نذكر من خواص بعضها دارفاً ليكون دليلاً على الباقي الذي لم
نذكره منها ، فأما الدهنج فهو حجر يتكون من معدن النحاس وطبيعته باردة لينة
لأنه دخان مرتفع من الكبريت المتولد من معدن النحاس وهو أخضر مثل الزنجار
فاذا صار في موضع من جبال المعدن تكاثف وتلبدت أجزاؤه بعضها على بعض
وتجسد وتحمجر فهو مختلف الألوان أخضر كدر حسن اللون وفيه خاصية سم
من سقى من سجالته تقطع (١) أمعاه وأمراضه وألهب معدته وان شرب وهو
صحيح أضر وهو يصفو مع الهواء ويتكدر معه ويذهب تكسير الذهب وتشقيقه
عند الطرق ومع التناكر يكون أقوى فعلا وان ذوب ذلك وجعل مع الذباب
على لسع الذنابير سكنها وان سحق وأذيب بالخل وطي على القوباء أذهبها وينفع
في السعفة التي في الرأس ، ومن الجواهر المعدنية البازهر (٢) وهو جوهر لين
أملس مختلف الألوان وأصله كان رطوبة هوائية دهنية جمدت في معدنه بطول
الزمان، وهو حجر شريف تظهر منه أفعال كريمة وذلك أنه ينفع من السموم القاتلة
حارة كانت أو باردة، حيوانية كانت أو نباتية أو معدنية تلك السموم ، ونحتاج
أن نزيد في شرح هذا الباب إذ كانت عقول الناس قد تحيرت في كيفية أفعال
السمومات والترياقات والبازهرات (٣) في الاجسام الطبيعية لانها اجسام

(١) وفي نسخة تقطعت امعاؤه

(٢) وفي نسخة الفاذرهر قال صاحب الشفاء في الطب بازهر الموجود في أيدي الناس
نوعان معدني ينفع من لدغ العقرب فقط مقتصر الحيوان والحيواني يكون في قلب الابل كما
ذكره البيطار ، وقيل في عينه ، نافع للسموم جميعاً وليس في الاحجار ما يقوم مقامه واقتصار
صاحب اخوان الصفا على نفع دفع السم بالمعدني يخالف تجربة رجال الطب قاطبة اه
(٣) الفاذرهرات (نسخة)

جامدات وقد قام البرهان على أن الجسم لا فعل له من حيث هو جسم ولا العرض له فعل أيضاً لأنه أعجز من الجسم بكثير فيجب أن نذكر أولاً كيفية الأفعال التي تظهر من هذه الأجسام بعضها من بعض ثم نبين من الفاعل بالحقيقة لها وفيها ومنها وبها . أما السموم فنوعان حارة وباردة فالباردة منها تجمد الدم والرطوبات الروحانية اللطيفة التي في أعضاء الحيوان التي بها صحة المزاج وقوام الحياة . والحارة منها تذوب الدم وتلك الرطوبات وتطيرها فتفنى ويذوب بدن الحيوان مع ذوبانها فيهلك . فأما ديب السموم الحارة في أبدان الحيوانات فمثل ديب لون الزعفران اذا وقع في الماء صبغه في لحظة ، وأما الباردة منها فهي مثل فعل الاتمحة اذا وقعت في اللبن الحليب جمده في أقرب مدة ، وأما ديب البازهرات والترياقات المضادة أفعالها لأفعال تلك السموم فهو مثل فعل الحموضات اذا وقعت على صبغ الزعفران غسلته من ساعتها ومنعته أن يذوب اذا بودر بها . وأما ما للفاعل المحرك لهذه الاجسام فهو قوة روحانية من قوى النفس الكلية الفلكية السارية في جميع الاجسام من لدن فلك القمر الى منتهى مركز الارض وهي المسماة الطبيعة ، فهذه الاجسام الجزئية من الحيوان والنبات والمعادن هي للطبيعة كالآلات والأدوات للصانع الفاعل يفعل بها وفيها ومنها أفعالاً مختلفة وأعمالاً مقننة بعضها ببعض كالنجار الذي يفعل النشر بالمنشار ويعمل النحت بالنقش والثقب بالثقب والمثقب والكشاة بالارتدج ويبرد بالمبرد ، والفاعل واحد والأفعال مختلفة بحسب الآلات والأدوات والأغراض المقصودة وهذه القوة الفاعلة المتقدم ذكرها هي التي يسميها الاطباء والفلاسفة الطبيعة ويسميها الناموس ملائكة والطبيب هو خادم الطبيعة يناولها ما تحتاج اليه في وقت الحاجة كما يناول التلميذ الاستاذ أدواته وقت حاجته ويخدمه بها

فصل

واعلم يا أخي ان هذه النفوس الجزئية المتجسدة الخادمة للنفس الكلية اذا أحسنت في خدمتها للنفس الكلية وطلبت الاجر والجزاء من الله فالها منزلة جليلة

عند الله وكرامة ومكافأة بعد مفارقتها هيا كلها سواء كانت خدمتها في اصلاح أمر الدين أو الدنيا فانه لا يذهب لها عند الله شيء اذا كانت محتسبة لوجه الله تعالى وطالبة لما عنده من الوجه المقصود منه اليه فلا يفوتها نصيبها من الدنيا كما ذكر برزويه الطبيب في كتاب كلية ودمنة ان الزراع لم يزرع طلباً للعشب بل للعجب ولا بد للعشب أن ينبت ان شاء الزراع أو لم يشأ كذلك طالب الاجر والجزاء من الله تعالى لا يفوته نصيبه من الدنيا وما قسم له ما أراده أو لم يرد كره أو رضى زهد أو رغب طالب أو لم يطلب وتصديق هذا الرأي قول الله تعالى : « ما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين »

واعلم يا أخي ان عبادة الله ليست كلها صلاة و صوماً بل عمارة الدين والدنيا جميعاً لانه يريد أن يكونا عامرين فمن يسعى في صلاح أحدهما او كلاهما فأجره على الله لانه مال كهما جميعاً والناس كلهم عبيده وأحب عباده اليه من سعى في صلاح عباده وعمارة عالميه جميعاً، وأبغض عباده من سعى في فسادهما جميعاً أو في فساد أحدهما كما ذكر الله جل جلاله « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض » الآية وقال تعالى « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » ومن الجواهر المعدنية الماس وطبيعته البرودة واليبوسة في الدرجة الرابعة وقل ما تجتمع هاتان الطبيعتان في شيء من الاحجار المعدنية فهذه الخاصية صار لا يحتمك بجسم من الاحجار المعدنية إلا أثر فيه أو كسره أو هشمه إلا جنساً من الاسرب فانه يؤثر فيه ويكسره ويفتته مع رخاوته ولينه وتن رائحته واعلم ان مثل تأثير هذا الحجر الضعيف المهمين في هذا الجوهر الشريف القوي كمثل تأثير البقة الضعيفة الصغيرة المهينة في الفيل العظيم الجثة الشديد القوة الذي يقهر الحيوانات بعظيم جثته وشدة قوته وهذا يغلبه ويؤذيه ويضربه بصغر جثته وخفة حركته فان في ذلك عبرة لأولي الأبصار ودلالة لأولي الالباب

على ان المسلط للصغير على الكبير هو خالقهما ومصورها سبحانه .
وأما السبازج فهو قريب من هاتين الطبيعتين من الماس ولكن تأثيره
دون تأثيره .

وأما حجر المغناطيس فهو أيضاً عبرة لأولي الابصار والتفكر في الامور
الطبيعية وخواص أفعال بعضها في بعض ، وذلك ان بين هذا الحجر والحديد مناسبة
ومشاكل في الطبيعة كالمشاكل التي بين العاشق والمعشوق ، وذلك ان
الحديد مع شدة يسهه وصلابة جسمه وقهره للاجسام المعدنية والنباتية والحيوانية
يتحرك نحو هذا الحجر ويلتصق به ويأتممه كالتزام العاشق المحب المعشوق المحبوب
المشتاق . فاذا فكر العاقل اللبيب في فعل هذين الحجرين وغيرها من الاحجار
المعدنية والاجسام النباتية علم وتبين له بأن الفاعل المحرك لهما هو غيرها ، لان
الجسم لا فعل له من حيث هو جسم براهين قد قامت ودلائل قد وضحت ،
وان هذه الاجسام كلها مع اختلافها واختلاف طبائعها وفنون أشكالها وخواص
طبائعها هي كالادوات والآلات للفاعل الصانع المحرك ، وهو النفس الكافية الفلكية
التي هذه التأثيرات كلها من أفعالها وهي المسماة طبيعة تظهر وتعمل باذن بارئها
جل ثناؤه . وقد تبين بدلائل عقلية ان البارئ جل ثناؤه لا يباشر الاجسام بذاته
ولا يتولى من الافعال بنفسه الا الاختراع والابداع حسب : وأما الأليف
والتركيب والصنائع والافعال والحركات التي تكون بالآلات والادوات في
الاماكن والازمان انما يأمر ملائكته الموكلين وعباده المؤيدين بأن يفعلوا
ما يؤمرون مثل أمر الملوك والرؤساء لعبيدهم وخدمهم وجنودهم

فصل

وقد تبين مما ذكرنا ان الجواهر المعدنية مع كثرة أنواعها واختلاف طبائعها
وفنون خواصها أصلها كلها وهيولائها هي الاركان الاربعة التي تسمى الامهات
وهي النار والهواء والماء والارض وتبين أيضاً ان الفاعل فيها والمؤلف لاجزائها

والمركب لها هي الطبيعة باذن الله تعالى وتبين بأن الغرض من هذه الجواهر المعدنية هو منافع الناس والحيوان واصلاح أمر الحياة الدنيا ومعيشة الحيوان الى وقت معلوم

واعلم يا أخى بأن الجواهر المعدنية مع اختلاف طبائعها وأنواع أشكالها وفنون جواهرها وخواصها كالادوات للطبيعة الفاعلة والآلات لها تفعل بها وفيها ومنها في الاماكن المتباينة والازمان المختلفة هذه الافعال والصنائع والاعمال من التركيب والتأليف والجمع والتفريق لاجزاء هذه الاركان الاربعة من الكون والفساد والنشؤ والبلى حسب دوران الافلاك وحركات الكواكب وطوالع البروج على آفاق البلد من البر والبحر والسهل والجبل والعمران والخراب كل ذلك باذن الله تعالى الذي خلقها ووكها بالاركان وأيدها بالقوة الالهية على هذه الافعال والصنائع من تكوين المعادن والنبات والحيوان

واعلم أن الطبيعة انما هي ملك من ملائكة الله المؤيدين وعباد الطائعين يفعلون

ما يؤمرون، لا يعصون الله ما أمرهم وهم من خشيته مشفقون

واعلم أن الله تعالى غير محتاج في أفعاله الى الادوات والآلات والأماكن والازمان والهيولى والحركات بل فعله الخاص به هو الابداع والاختراع اذ الاختراع هو الاخراج من العدم الى الوجود بحسب ما بينا في رسالة المباديء العقلية والافعال الروحانية

واعلم أن طائفة من المجادلة أنكرت أفعال الطبيعة لما جهلت ماهية الطبيعة نفسها ولم تدر أنها ملك من ملائكة الله تعالى الموكلين بتدبير عالمه واصلاح خلأته فنسبت كل أفعال الطبيعة الى البارى جل ثناؤه حسنة كانت أو سيئة خيراً كانت أو شراً وفيهم من نسب ما كان حسناً الى البارىء وما كان قبيحاً لنسبه الى غيره ثم اختلفوا في الغير من هو فمنهم من نسب تلك الافعال الى الطبيعة والى التولد ومنهم من نسبها الى النجوم ومنهم من نسبها الى البخت والاتفاق ومنهم من نسبها الى جريان العادة ومنهم من نسبها الى الشياطين ولا يدري ما الشياطين وكل

هذه الاقويل قالوها لجرلهم ماهية الطبيعة وقلة معرفتهم بانفعالها وافعال ملائكة الله المركلين بمنظ عالمه وادارة افلاكه وتسيير كواكبه وتوليد حيواناته وتربية نبات أرضه وتكوين معادنها

واعلم يا أخي أن الباري جل ثناؤه لا يباشر الاجسام بنفسه ولا يتولى الافعال بذاته بل يأمر ملائكته الموكلين وعباده المؤيدين فيفعلون ما يؤمرون كما يأمر الملوك الذين هم خلفاء الله في أرضه عبيدهم وخدمهم ورعيتهم لا يتولون الافعال بانفسهم شرفاً واجلالاً كذلك يأمر سبحانه أو يريد أو يشاء أو يقول كن فيكون ما أراد بأمره وارادته ومشيعته واختراعه وابداعه وانشائه وابدائه واحداثه الهيولى الاولى والخلق الاول كما ذكر بقوله تعالى « انما قولنا لشيء اذا أردنا أن نقول له كن فيكون » وقوله تعالى « وما أمرنا الا واحدة كلح بالبصر » وقوله تعالى « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة »

واعلم يا أخي أن هذه الصنائع والافعال التي تجري على أيدي عباده اذا نسبت الى الباري جل جلاله فان نسبتها على مثل نسبة أفعال الملوك اذا قيل بنى فلان الملك مدينة كذا وحفر نهر كذا وعمر بلد كذا كما يقال بنى الاسكندر الرومي سد يأجوج ومأجوج وبنى سليمان بن داود عليه السلام مسجد ايليا وبنى ابراهيم (١) الخليل عليه السلام البيت الحرام وبنى المنصور مدينة السلام اذ كان ذلك بامرهم وارادتهم ومشيعتهم والقائمهم وعنايتهم لا أنهم تولوا الافعال بانفسهم أو باشروا الاعمال باجسامهم وكذلك حكم اضافة أعمال ملائكة الله وأنبيائه وعباده طبيعية كانت أو اختيارية فنسبتها الى الله تعالى على هذا المثال تكون كما ذكر الله تعالى لنبيه عليه السلام « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » وقوله تعالى « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم » وقوله تعالى « أفأرأيتم ما تمنون أءنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » وقوله تعالى « أفأرأيتم ما تحرثون أفأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون »

(١) هذا ليس في محله لان الخليل بنى البيت الحرام بيده كما ورد في الاخبار الصحيحة اهـ

وما شاكل هذه الاضافات من الافعال والاعمال والصنائع والتأليف والتركيب والجمع والتفريق والكون والفساد والنشوء والبلاء اذا نسب الى الله تعالى فعلى هذا السبيل تكون تلك النسبة لأن الله تعالى خالق الفاعلين والصناع والعمال وأفعال البشر كانت أو الجن والشياطين والملائكة أو الطبيعة فخلقها كلها بالاضافة الى الله حكم واحد لانهم جميعاً عبيده وجنوده وخدمته خلقهم ورباهم وأنشأهم وقواهم وعلمهم وهداهم وأمرهم ونهاهم فطيع وعاص وخير وشرير وفاضل وتاقص ومعذب ومنعم ومحسن ومسيء ومبتلى ومعافى خلقهم الله أطواراً لسعة علمه ونفاذ مشيئته واجراء احكامه وعز سلطانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

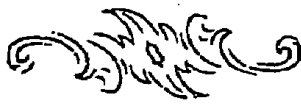
فصل

ان طائفة من المجادلة لما لم يعرفوا ما الطبيعة نسبت أفعالها كلها الى البارىء جل جلاله ووقعت بذلك فى شبهة عظيمة وحيرة وشكوك وذلك لما تبين لهم بان الفعل لا يكون الا من فاعل وشاهدوا افعالاً لم يروا فاعليها نسبوها الى البارىء جل ثناؤه ونظروا فيها وبحثوا عنها فوجدوا بعضها شروراً وفساداً مثل موت الأطفال ومصائب الاخيار وتسليط الاشرار وتلف الحيوانات وما ياحقها من الامراض والاوراجع والجهل والبلوى كرهوا ان ينسبوا ذلك الى البارىء عز وجل فنسبوها الى التولد بزعمهم ومنهم من نسبها الى البخت والاتفاق ومنهم من نسبها الى النجوم ومنهم من نسبها الى البارىء تعالى وقال بالملكافأة والمجازاة ومنهم من قال بالعرض وسابق النظر ومنهم من قال بالأصلح والالطف، وأقاويل أخرى يطول شرحها من التعديل والتجويز فطولوا الخطب فيها وقد بينا طرفاً من أقاويلهم فى رسالة الآراء والمذاهب والديانات فاعرفه من هناك ان شاء الله تعالى. ونحن قد بينا أن هذه كلها افعال الانفس الجزئية التى هي كلها قوى النفس الكلية الفلكية كما أنشأها بارىء عز وجل كما ذكر بقوله تعالى: «ما خلقكم ولا بمشكم الا كنفس واحدة» فما كان من هذه الافعال خيراً نسب الى النفس الجزئية الخيرية

وما كان منها شراً نسب الى الانفس الشريرة وعليها تقع المجازاة والمكافأة عن الثواب والعقاب

واعلم يا أخى ان نفسك هي احدى النفوس الجزئية وهي قوة من قوى النفس الكلية والفلكية لا هي بعينها ولا منفصلة منها كما أن جسدك جزء من أجزاء جسم العالم لا هو كاه ولا منفصل منه فانظر الآن كيف أعمالك وأفعالك وأخلاقك وآراؤك ومعارفك فبحسب ذلك يكون جزاؤك ومكافأتك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم انما هي أعمالكم ترد اليكم وقال الله تعالى تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوى يرى بالآية » وفقك الله أيها الاخ للرشاد وهداك للسداد انه رؤوف بالعباد وحسبنا بالله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
اللهم صلى على محمد وآله أجمعين

تمت رسالة تكوين المعادن وتلوها رسالة ماهية الطبيعة



الرسالة السادسة من الجسمانيات الطبيعية

في ماهية الطبيعة

وهي الرسالة العشرون من رسائل اخوان الصفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير اما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيديك الله وإيانا بروح منه أنه لما فرغنا من ذكر الصنائع البشرية في الرسالة الملقبة بالصنائع العمالية نريد أن نذكر في هذه الرسالة الصنائع الطبيعية وكيفية أفعالها في الأركان الأربعة وكيفية مواليدها التي هي الحيوان والنبات والمعادن والغرض منها تنبيه لنا عن أفعال النفس وماهية جوهرها والبيان عن اخبار الملائكة وسميها الفلاسفة روحانيات الكواكب فنقول أولاً ما الطبيعة

واعلم يا أخي ان الطبيعة انما هي قوة النفس الكائية الفلكية وهي سارية في جميع الاجسام التي دون فلك القمر من لدن كرة الاثير الى منتهى مركز الاثير

واعلم ان الاجسام التي دون فلك القمر نوعان بسيطة ومركبة ، فالبسيطة

أربعة أنواع وهي النار والهواء والماء والارض . والمركبة ثلاثة أنواع وهي المعادن والنبات والحيوانات وهذه القوة أعنى الطبيعة سارية فيها كلها ومحركة ومسكنة ومدبرة لها ومتممة ومبلغة لكل واحدة منها الى أقصى مدى غاياتها بحسب ما يليق بواحدة واحدة ، منها كما شاء باريها وكما بينا في الرسائل الخمس وهي رسالة الكون والفساد ورسالة الآثار العلوية ورسالة المعادن ورسالة النبات ورسالة الحيوان

واعلم ان النفس الكلية هي روح العالم كما بينا في الرسالة التي ذكرنا فيها ان العالم انسان كبير والطبيعة هي فعلها والاركان هي النار والهواء والماء ، والارض هي الهيولى الموضوعه لها والافلاك والكواكب كالادوات لها والمعادن والنبات والحيوانات كلها مصنوعات

واعلم يا أخي ان الصناع البشريين يعملون أعمالهم بأبدانهم وأيديهم وأرجلهم وهي كلها مصنوعات للطبيعة كالخشب والحديد والقطن والحب وماشا كلها كما بينا في رسالة الصنائع العملية ويظهرون صنائعهم بأدوات اتخذوها من مصنوعات الطبيعة ايضا كالقلم والمنشار والابرة والقلم وما شا كلها فهى لاهم وادواتهم خارجة من ذواتهم . واما الطبيعة فهى لاهما من ذاتها التي هي الاركان الاربعة وهي لها بمنزلة الاربعة الاخلاط في بدن انسان واحد وهي سارية فيها كلها وصانعة منها وفيها مصنوعات ، ومصنوعات ايضا ليست بخارجة من ذاتها وهي كلها كالاعضاء في جسد حيوان واحد وهي ثلاثة اجناس ، معادن ونبات وحيوان وكل جنس منها تحته انواع وكل نوع تحته انواع الى ان تنتهى انواع تحتها اشخاص . فأما الانواع والاجناس فهى محفوظة معلومة صورها في الهىولى ، واما الاشخاص فهى غير معلومة ولا محفوظة فيها ، والعلة في حفظ صور الاجناس والانواع في الهىولى هي ثبات علمها الفلكية ، واما تغيير الاشخاص وسيلانها فمن اجل تغييرات نظامها وذلك ان العلة الفاعلة لهذه المصنوعات هي النفس الكلية الفلكية باذن باريها وكانت الاركان هىولى لها والطبيعة فعلها والفلك

والكواكب كالادوات لها وكان الموضوع في أحكام النجوم ثلاثة انواع وهى الافلاك والكواكب والبروج وكانت تأثيراتها في هذه الاركان بحسب المناسبات الثلاث كما بينا في رسالة الموسيقى ، وهى مناسبة اعظام اجرامها ومناسبة ابعاد مراكزها ومناسبة حركات بعضها من بعض ، ولما كانت المناسبات التى بين فلك الكواكب الثابتة وبين هذه الاركان الاربعة محفوظة ابعادها واعظامها وحركاتها صارت الاجناس الثلاث محفوظة صورها في الهيولى ، ولما كانت أيضاً المناسبات التى بين مراكز الافلاك الحاملة وبين هذه الاركان محفوظة ابعادها وحركاتها واعظامها صارت صور انواع هذه الاجناس ايضاً محفوظة في الهيولى ، ولما كانت المناسبات من اجرام الكواكب السيارة وافلاك تداويرها وبين هذه الاركان غير محفوظة صارت من أجل ذلك أشخاص هذه الانواع وصورها غير محفوظة في الهيولى

واعلم يا أخى ان العالم جملة احدى عشر كرة كما بينا في رسالة السماء والعالم وان الشمس مركز جرمها في أوسط الاكرو وذلك ان خمس اكر فوقها وخمس اكر دونها فالتى فوقها كرة المريخ وكرة المشتري وكرة زحل وكرة الكواكب الثابتة وكرة المحيط ، والتى دونها كرة الزهرة وكرة عطارد وكرة القمر وكرة النار والهواء وكرة الماء والارض ، وان حكم الكرتين اللتين فوق كرة زحل غير حكم الاكر الباقية كما أن حكم الكرتين اللتين دون فلك القمر غير حكم الآخريين ، وذلك أن كرة الاشخاص بين الكرتين في الطرفين وهى كرة الكواكب الثابتة وكرة الهواء لكن تلك الكرة ثابتة صورها وهيولاهها جميعاً وهذه الكرة ثابتة بصورها ، وهيولاهها سيالة ، فقد جمعت الحكمة الالهية والعناية الربانية للكواكب السيارة واسطة بين الطرفين اللذين هما المركز والمحيط لكيما اذا صعدت الكواكب في أوجاتها قربت من تلك الاشخاص الفاضلة واستمدت منها الفيض واذا انحطت في الحضيض أوصلت تلك الفيوضات الى

هذه الاركان فتكونت منها هذه الكائنات المتولدات التي هي المعادن والحيوان والنبات

واعلم يا أخي أنه اذا سرت تلك الفيوضات من هناك نحو مركز العالم نزلت البركات من السماء الى الارض وهي الارزاق والرحمة والوحي والتأييد والنصر ، فأول ما تسري تلك القوى في الاركان فتكون منها المزاجات الكائنات في باطن الارض لتكوين المعادن المختلفة الجواهر الكثيرة المنافع وعلى ظاهر وجهها يكون النبات الكثير النوائد وفي الهواء الحيوانات الكثيرة الصور العجيبة الاعراض باختلاف أنواعها وفنون أشخاصها حتى اذا بلغ كل شيء منها إلى أقصى مدى غايتها في أدوار الالوف عطفت تلك القوة راجعة نحو المحيط كما بدء أول مرة فيكون منها البعث والنشور والمعراج والقيامة كما ذكر الله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة

واعلم أن تأثيرات الكواكب في هذه الاركان ومولداتها تكون بحسب مناسباتها ومناسباتها تكون بحسب اعظام اجرامها وأبعاد مراكزها وحركات اجرامها كما أن تأثيرات نغم الموسيقى تؤثر في النفوس بحسب مناسباتها وبحسب دقة أوتارها وغلظها وخرقةها واسترخائها وثقل تحريكها وخفتها كما بينا في رسالة الموسيقى

واعلم يا أخي ان المناسبات التي هي بين الاركان ومولداتها وبين الكواكب السيارة ومركز أفلاكها مختلفة تارة تكون على نسبة الافضل وتارة تكون على نسبة الادون وتارة بين ذلك ، فاذا اتفق ان تكون الكواكب عند استئناف الادوار على نسبة الافضل تكون الكائنات على أفضل حالها في تلك الادوار ويكون البشر أكثرهم اخياراً وفضلاً مثل الملائكة الذين كانوا قبل آدم أبي البشر ، واذا كانت على نسبة الادون كانت بالضد من ذلك ويكون البشر أكثرهم أشراراً مثل الذين يكونون في أواخر الزمان عند خراب العالم واذا كانت

ممتوسطة فبحسب ذلك تكون الكائنات ، وأفضل حالات الكواكب أن تكون في صعودها أو اشرافها أو في اوجاتها وأدونها أن تكون في مقابلة هذه المواضع أو وسطا بين ذلك

واعلم يا أخي ان كل كائن تحت فلك القمر وكل حادث في هذا العالم له وقت معلوم يحدث فيه لا يكون قبل ولا بعد وله سبب موجب لكونه لا يكون الا به وله بقعة مخصوصة لا يوجد الا هناك لا يعلم تفصيلها الا الله عز وجل ، ولكن نذكر منها طرفا مجملا ليكون على صحة ما قلنا ويتصور المتفكرون حقيقة ما وصفنا ، وذلك ان الله جل ثناؤه جعل الفلك محيطاً بالارض من جميع الجهات كما بينا في رسالة جغرافيا ، ولما كان الفلك مقسوماً اربعة اقسام وكل ربع منه مسامتا لربع من الارض وكل كوكب يدور من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحت الارض فانه يكون موازياً للدائرة على بسيط الارض وتكون مطارح شعاعاته على بسيط الارض ويكون لتلك الشعاعات زوايا ثلاث قائمة وحادة ومنفرجة ولكل زاوية منها تأثيرات مختلفة كما بينا في رسالة الآثار العلوية

واعلم يا أخي بان الباري جل ثناؤه جعل حركات تلك الاشخاص في دورانها سبباً موجباً لكون الحوادث في هذا العالم

وعلة فاعلة للكائنات تحت فلك القمر وجعل الاوقات المعلومة بحسب اجتماعاتها ومناظراتها واتصالاتها في درجات البروج وجعل البقاع المسامته لها ولطارح شعاعاتها مختصة لكونها وحدوثها وذلك ان الاقاليم السبعة التي في الارض كالافلاك السبعة والبلدان في الاقاليم كالبروج في الافلاك والمدن والقرى في البلدان كالوجود والحدود في البروج والاسواق والمحال في المدن والقرى كالدرجات والدقائق في الحدود والدور والمنازل والبيوت والدكاكين كالثواني والثوانك في الدقائق ، واجتماعات الكواكب في درجات البروج

بسبب اجتماعات الحيوانات والجواهر المعدنية والنبات في البلدان والمدن والقري
في حدود زحل في البروج سبب وعلة لحدوث الانهار والجبال والبراري
والاجام والغدران والشوارع والطرق وما شاكلها من حدود البقاع

وحدود المشتري في البروج سبب لحدوث المساجد والهيكل والبيع
ومواضع الصلوات وبقاع القرايين، واجتماعات الكواكب في حدوده دالة لاجتماعات
الناس في الجمعات والاعباد وتعلم احكام النوايس وقراءة الكتب النبوية
والتفقه في الدين والحكومة عند القضاة والحكام وما شاكل ذلك

وحدود المريخ في البروج سبب وعلة لحدوث مواعد النيران ومذابح
الحيوان ومعسكر الجيوش وأماكن السباع وهواضع الحروب والخصومات
وما شاكل ذلك واجتماعات الكواكب واتصالاتها في حدود المريخ علة لاجتماعات
الناس والنبات والجواهر المعدنية في هذه المراضع والاماكن

وحدود الزهرة في البروج سبب لحدوث البساتين ومواضع النزه ومجالس
اللهو والاكل والشرب والفرح والسرور والمذاة والمناظر الحسان، واجتماعات
الكواكب ومطارح شعاعها في حدودها دالة لاجتماعات الناس والنبات والحيوان
في هذه المواضع.

وحدود عطارد في البروج سبب لحدوث الاسواق ومواضع الصنائع ومجالس
الكلام والعلوم ودواوين الكتاب وجموع القصاص ومناظرات العلماء، ودرجات
اشرافها سبب لمنازل الملوك وسادات الناس، ودرجات هبوطها سبب لمواضع المحق
والسقوط والحبوس وما شاكل ذلك.

﴿ فصل ﴾

في كيفية وصول تأثير الاشخاص الفلكية الثابتة الوجود
الدائمة الدوران الى هذه الاشخاص السفلية الكائنة عن
حركاتها الفلكية القليلة الثبات الدائمة السيلان

واعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه انه قد قامت البراهين الهندسية

على أن الارض هي مركز العالم وان الهواء والافلاك محيطة محدقة بها من جميع جهاتها .

واعلم أن مثال الارض في وسط العالم كمثال بيت الله الحرام في وسط الحرم وان مثل الفلك المحيط وسائر مراكز الافلاك في دورانها حول الاركان الاربعة كمثال الطائفين حول البيت .

وان مثل الكواكب الثابتة مع مطارح شعاعاتها من المحيط نحو مركز الارض كمثال المصلين المتوجهين من آفاق البلاد شطر البيت .

وان مثل الكواكب السيارة في مسيرها ذاهبة وجائية تارة من أوجاتها نحو المركز وتارة ذاهبة من حضيتها نحو المحيط كمثال الحجاج تارة ذاهبين من بلدانهم نحو البيت وتارة منصرفين عن البيت الحرام راجعين الى بلدانهم فاذا مروا متوجهين نحو البيت حمل كل واحد مما في بلده من الامتعة والنفقة والتحف والهدى والقلائد آمين نحو البيت الحرام فيجتمع هناك في الموسم مما في كل بلد طوائفه وخواص امتعته وتجتمع الامم من كل مذهب يتبايعون ويتشارون فاذا قضوا مناسكهم انصرف كل اهل بلد بطوائف ما في سائر البلدان ومغفرة من الله ورضوان .

فهكذا يا أخي حكم سريان قوى تلك الاشخاص العالية من محيط الفلك نحو مركز العالم وذلك انها اذا اجتمعت مطارح شعاعاتها على بسيط الارض وتخللت أجزاء الاركان وامتزج بعضها ببعض وسرت تلك القوى فيها يتكون من امتزاجها ضروب المتولدات الكائنات من الحيوان والمعادن والنبات المختلفة الاجناس الثمينة الانواع المتعائرة الاشخاص لا يعلم كثرة عددها واختلاف احوالها الا الله سبحانه .

ثم ان تلك القوى اذا بلغت أقصى مدى غاياتها وتمام نهاياتها المقصودة منها عظمت عند ذلك راجعة نحو المحيط فيكون سبباً لبعث النفوس ونشر الارواح

اما يربح وغبطة واما يخسران وندامة كمثل الراجعين من تجار الحاج اما يربح وغفران أو بندامة وخسران .

فانظر يا أخي وتفكر كيف يكون انصرافك من عالم الكون والفساد الى عالم الافلاك التي جاءت من نفسك واعتبر نسبة الى الحجاج اذا قضوا مناسكهم كيف ينصرفون مشتاقين الى بيوتهم وأوطانهم .

واعلم يا أخي أن جميع مناسك الحج وفرائضه أمثال ضربها الله عز وجل للنفوس الانسانية الواردة عن عالم الافلاك وسعة السموات الى عالم الكون والفساد لكيما يتفكر العاقل ويعتبر وينبه نفسه من سنة الغفلة ورقدة الجهالة وتذكر مبادئها ومعادها وتشتاق فترجع كما جاءت وتجيّب الداعي اذا ناداها « يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية » : فتقول لبيك اللهم لبيك .

واعتبر يا أخي كيفية انصراف الحج الى بلدانهم فانك ترى لاهل كل بلد قافلة وطريقاً يمرّون فيها متعاونين ذاهبين وراجعين فهكذا وردت النفوس الى هذا العالم في كل أمة بدلالة كوكب و برج في قران ولا تنصرف من الدنيا الا بدين ومذهب ويكون زاد كل نفس ما كسبت من خير وشرف فلا تظن يا أخي انك تقدر على ان ترجع بنفسك وحدها

واعلم أن الطريق بعيدة والشياطين بالمرصاد قعود كقطاع الطريق فاعتبر فكما انك لا تقدر على أن تعيش وحدك الا عيشاً نكداً ولا تجد عيشاً هنيئاً الا بتعاونه أهل مدينة وملازمة شريعة فهكذا ينبغي لك أن تعتبر لتعلم بانك محتاج الى اخوان اصدقاء متعاونين لتنجو بشفاعتهم من جهنم وتصعد الى ملكوت السماء بمعاونتهم وتدخل الجنة بلا حساب .

واعلم يا أخي علماً يقينا انه لو كان يمكن أن تنجو نفس وحدها بمجرد ما أمر الله تعالى بالتعاون حيث قال : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا

على الاثم والعدوان» وقال: «واصبروا وصابروا» وكذلك قال: «ويوم
 نبعت من كل أمة فوجاً» وقال تعالى: «وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً»
 وانظر يا أخي بنور عقلك وتفكر بفهمك وقف في مقامك وتوجه نحو البيت
 لملك تعرف بوقوفك على جبل عرفات ما عرف أهل المعارف الذين أشار اليهم
 بقوله جل ثناؤه: «ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم» يعنى
 بعلاماتهم فيزدلف بك معهم الى المزدلفة وتبلغ نحو المنى المتمنى وهم يطمعون
 إذ تدخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون

واعلم يا أخي أن من حج البيت بقلب ساه ونفس لاهية بلا علم ولا بصيرة
 ورأى تلك المناسك وسننها ولم يعقل معانيها ولا درى ما الغرض منها ولا عرف
 شيئاً من أغراضها المقصودة بها رجع من هناك بقلب غافل ونفس شاكّة وفكر
 متحير لانه متى رآها ولم يدر معانيها ولا عرف أغراضها تخيل له عند ذلك انها كعب
 الصبيان من رمى الحصا والسعى بين الصفا والمروة والاحرام والتلبية والطواف
 والعمرة وماشا كلها من السنن والفرائض وعلى هذا القياس لسكل أمة من أهم
 الناس في بيوت عباداتهم من سنن مفترضات دياناتهم وقرابين هيا كل صلواتهم
 أمثلة وأشائر ومرامي ومرموزات لواضعها والى هذا المعنى أشار ابراهيم
 خليل الرحمن .

وأعلم بان غرض الانبياء عليهم السلام وواضعي النواميس الالهية أجمع غرض
 واحد وقصد واحد وان اختلفت شرائعهم وسنن مفترضاتهم وازمان عباداتهم
 وأما كن بيوتاتهم وقرابينهم وصلواتهم كما ان غرض الاطباء كلهم غرض واحد
 ومقصد واحد في حفظ الصحة الموجودة واسترجاع الصحة المفقودة وان اختلفت
 علاجاتهم في شرباتهم وأدويتهم بحسب اختلاف الامراض العارضة للابدان في
 الاوقات المختلفة والعادات المتغيرة والاسباب المفضنة من الاهوية والبلدان .
 وذلك ان غرض الاطباء كلهم هو اكتساب الصحة للمريض وحفظها على

الاصحاء ودفع الامراض وازالتها عن المرضى فهكذا غرض الانبياء عليهم السلام وغرض جميع واضعي النواميس الالهية من الفلاسفة والحكماء ، وذلك انهم أطباء النفوس وغرضهم هو نجاة النفوس الغريقة في بحر الهيولى واخراجها من هاوية عالم الكون والفساد وايصالها الى الجنة عالم الافلاك وسعة السموات بتذكيرها ما قد نسيت من مبدئها ومعادها كما قال الله تعالى عز وجل « ولقد يسرنا القرآن للذکر فهل من مدکر » وقال « و ذکر فان الذکرى تنفع لمؤمنين » وقال : « لعلکم تذکرون » فتؤبون وترجعون كما قال : « یا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربک راضية مرضية »

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخى بان سنن الديانات النبوية وموضوعات النواميس الفلسفية ومفروضات الشرائع كلها ومناسك بيوتات العبادات وقرابين الهياكل والصلوات كلها اشارات ومرامى الى ما أشار اليه ابراهيم خليل الرحمن في بنائه البيت الحرام ووضع الحجر والمقام وتعليمه المناسك ذريته ودعائه الناس فيهم بالحج الى البيت الحرام ليشهدوا منافع لهم ، وذلك أن الانسان العاقل اللبيب الفهيم الذكى اذا حج ولبى وطاف وصلى ورأى البيت وشاهد كيفية الحج وما يفعل الحاج والمحرمون من عجائب سنن المناسك ومفروضاتها من الاحرام والتلبية والطواف والسعي ووقوف الحج بعرفات والمبيت بالمزدلفة والتضحية بمنى والحاق الرمي وماشاكلها من فرائض الحج وسنن المناسك وتماكر فيها بقلب مستيقظ واعتبرها بعين بصيرة ونفس زكية فطن لما أراده ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام فيما سن واحدة واحدة وما الغرض الاقصى منها كلها وعرف وفهم واهتدى قلبه واهتدت نفسه وانتبهت وأبصرت فتراجعت وشاهدت ورأت ما أشار الله تعالى اليه بقوله « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمدهم ويؤمنون به ويستغفرون لمن فى الارض »

واعلم يا أخي أن الملائكة الحافين بالعرش هم حمة العرش وهي الكواكب الثابتة الحافة بالملك التاسع من داخله كما يحف الحاج بالبيت في طوافهم من خارجه فهم يسبحون بحمد ربهم كما قال : « وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون » ويؤمنون به ويقرون بأن من وراء مراتبهم ومقاماتهم أموراً أخرى هي أشرف وأعلا يقصر علمهم عنها ويقف فهمهم دونها كما يقر الحاج من المؤمنين بأن من وراء السموات البيت المعمور وحوله جموع الملائكة طائفتين يحجون اليه في كل يوم ألوف ألوف لا يعودون اليه أبداً ويقولون أن هذا البيت الحرام في الارض بمحذاء ذلك البيت المعمور الذي في السماء وان هذه للسنن والمناسك مثله واشارات الى تلك السنن والمناسك التي تنسكها الملائكة حول البيت المعمور

فصل

واذ قد فرغنا من ذكر ما احتجنا اليه فنقول ان قوماً من العلماء تكلموا في أحكام النجوم فأثبتوا دلائلها على الكائنات وأنكروا أفعالها من عالم الكون والفساد وقوم أثبتوا دلائلها وأفعالها جميعاً وقوم آخرون أنكروها جميعاً فأما الذين أثبتوا دلائلها فعند الاعتبار عرفوها ولكن لم ينظروا الى حقائق الاشياء كيف هي فلم يعرفوها

وأما الذين أنكروا دلائلها وأفعالها فلتركهم النظر في هذا العلم. وأما الذين أثبتوا دلائلها وأفعالها فانما عرفوا ذلك بمد النظر والبحث الشديد والاعتبار والتصفح لأمر الموجودات شيئاً بعد شيء حتى أتوا على أواخرها ، ثم نظروا الى أوائلها فرأوا أنها كلها مربوطة رباطاً واحداً عن علة واحدة ومبدع واحد مثل العدد ولما كنا قد قلنا فيها قبل أن هذه الاشياء كلها مفعولات الطبيعة وان الاشخاص الفلكية كالأدوات لها قوى تلك الأشخاص كالمعاونين للطبيعة احتجنا ان نبين حقيقتها فنقول : انا قد بينا معنى قول الحكماء أن العالم انسان كبير له جسم

ونفس وبيدنا تركيب جسمه في رسالة السماء والعالم فنريد أن نبين كيف كان سر بيان قوى نفسه في الاجسام التي تحت فلك القمر

واعلم يا أخي بان جسم العالم بأسره بمنزلة جسم انسان واحد وان جميع أفلاكه وطبقات سمواته وكواكب أفلاكه وأركان طبائعه ومولداتها من جملة جسمه بمنزلة أعضاء بدن انسان واحد ومفاصل جسده ، فان نفسه تدير أفلاكه وتحرك كواكبها باذن البارى جل وعز كما تحرك نفس انسان واحد أعضاء جسده ومفاصل بدنه ، وان للنفس بحركات كواكبها فيما دون فلك القمر من الاركان ومولداتها أفعالا فيها وبها ومنها لا يحصى عددها الا الله سبحانه كما أن للنفس الانسان الواحد في جميع بدنه ومفاصل جسده أفعالا كثيرة كما بينا في رسالة تركيب الجسد وذلك أن جسم العالم مركب من إحدى عشر كرة كما بينا في رسالة تركيب الجسد وان العالم مقسوم بنصفين كما أن جسد الانسان شقان وان في الفلك اثني عشر برجاً لمسير كواكبها ، منها ستة شمالية وستة جنوبية كما أن في الجسد اثني عشر ثقباً ستة منها في الجانب الايمن وستة منها في الجانب الايسر لمجاري حواسه وسريان قوى نفسه وان في الفلك سبعة كواكب مدبرة بها قوام أمره وهي سبب الكائنات باذن البارى عز وجل كما أن في الجسد سبع قوى فعالة بها قوام أمر الجسد وصلاح حاله وهي القوة الجاذبة والقوة الماسكة والقوة الهاضمة والقوة الدافعة والقوة الغازية والقوة النامية والقوة المصورة ، ولكل قوة من هذه عضو مخصوص من الجسد منه تسرى القوة الى جميع أعضاء الجسد وبه تظهر أفعالها في البدن وهي المعدة والكبد والقلب والدماغ والرئة والطحال والارارة فكما أن من هذه الاعضاء تبت للنفس هذه القوى في البدن وتنشر أفعالها في الجسد فهكذا حكم أفعال هذه الكواكب السبعة في الفلك فان النفس الكلية تبت قوتها في جميع العالم وبها تظهر أفعالها في الكائنات التي تحت فلك القمر وكما أن من افراط أفعال هذه القوى وتقصانها يعرض في البدن الاضطراب والتألم كما يعرف الاطباء ، فهكذا من افراط تأثيرات هذه الكواكب وتقصان

أفعال قوتها تكون المناحس والفساد في عالم الكون كما يجربها أصحاب أحكام النجوم وكما أن شرح علم الطب طويل والصناعة عجيبة والعمر قصير كما قال بقراط حكيم اليونانيين فهكذا شرح أحكام النجوم طويل كما قال حكيم الفرس بزرجمهر كارهست مردينست ولكن نذكر منها طرفاً فنقول :-

انه يثبت من جرم الشمس قوة روحانية في جميع العالم فتسري في أفلاكه وأركان طبائعه ومولداتها في جميع الاجساد الكايمية والجزئية وبها يكون صلاح العالم وتمام وجوده وكمال بقائه كما تنبعث من القلب الحرارة الغريزية في جميع الجسد التي بها تكون حياة البدن وصلاح الجسد ويسمى الفلاسفة هذه القوة وما اثبت منها في العالم روحانيات الشمس ، وذلك بحسب اختصاصها بجسم كاختصاص الحرارة الغريزية بعضو عضو من الجسد وشرح كيفيتها يطول . وقد ذكرنا في رسالة أفعال الروحانيات طرفاً منه ، وفي رسالة المعادن والنبات والحيوان ويسمى الناموس هذه القوة ملكا ذا جنود وأعوان واسرافيل منهم صاحب الصور ، وهكذا يثبت من جرم زحل قوة روحانية تسري في جميع العالم من الافلاك والاركان والمولدات وبها تكون تماسك الصور في الهيمولي وانبثائها كما تنبت من جرم الطحال قوة الخلط السوداء في جميع الجسد ومفاصله وبها يكون تماسك الاجزاء في البدن من العظام والعصب والجلد وجود الرطوبات التي لو لم تكن لسال هيمولي الجسد كما يسيل الماء والهواء ويسمى الفلاسفة هذه القوة روحانيات زحل ، والناموس يسميها ملكا ذا جنود وأعوان وملك الموت منهم ومنكر ونكير أيضاً ، وهكذا يثبت من جرم المريخ قوة روحانية تسري في جميع العالم من الافلاك والاركان والمولدات وبها يكون النزوع والنهوض نحو المطالب والنشاط نحو الاعمال والصنائع والترقي في المعالي وطلب الغايات للبلوغ الى التمام والوصول الى الكمال في الموجودات كلها وتسمى الفلاسفة هذه القوة وما يثبت منها في العالم روحانيات المريخ ، ويسميها الناموس ملكا ذا جنود

وأعوان وجبرائيل ومنهم مالك الغضبان وخزنة جهنم أجمعون وسريانها في العالم وأنبثات قواها كما ينبث من جرم المرارة والقوة الصفراوية المميزة للاخلاق الموصلة بها الى مواضعها المقصودة من أطراف البدن ونهايات الجسد المثيرة للغضب والحقد والحمية وما يشاكلها . وهكذا ينبث من حرم المثترى قوة روحانية تسرى في جميع العالم بها يكون اعتدال الطبائع المتضادات وتأليف القوى المتنافرات وسبب المتولدات الكائنات وحفظ النظام على الموجودات كما ينبث من الكبد رطوبة الدم التي بها يعتدل أخلاق الجسد ويستوي مزاج الطبائع وينمو الجسد وتنشئ الأبدان وتطيب الحياة ويلد بالعيش وتأنس الأرواح وتألف النفوس وتسمى الفلاسفة هذه القوة وما ينبث من أفعالها روحانيات المثترى ، ويسمونها الناموس ملكا ذا جنود وأعوان ورضوان خازن الجنان منهم .

وهكذا ينبث من جرم الزهرة قوة روحانية فتسرى في جميع العالم وأجزائه وبها تكون زينة العالم وحسن نظامه وبهاء أنواره ورونق الموجودات وزخرف الكائنات والتشوق إليها والعشق لها والمحبات والمودات أجمع . كما ينبث من جرم المعدة شهوة الملاذ الى جميع مجاري الحواس التي بها تستلذ المشتبهيات وتستطاب النعم وتستحسن الزينة ومن أجلها يراد البقاء في الدنيا ولا يتمنى الوصول الى الآخرة ، ويسمى الفلاسفة هذه القوة وما يتفرع منها روحانيات الزهرة ، ويسمونها الناموس ملكا ذا جنود وأعوان منها الحور العين وخزان الجنان

وهكذا ينبث من جرم عطاردة قوة روحانية تسرى في جميع جسم العالم وأجزائه بها تكون المعارف والاحساس في العالم والخواطر والالهام والوحي والنبوة والعلوم أجمع كما تنبث من الدماغ القوة الوهمية وما يتبعها من الذهن والتخيل والذكور والروية والتميز والفراسة والخواطر والالهام والشعور والاحساس والمعارف والعلوم أجمع وتسمى الفلاسفة هذه القوة وما يتبعها روحانيات عطارد ،

ويسمى الناموس ملكا ذا جنود وأعوان والولدان والذين هم خدام أهل الجنان
والكرام البررة والكرام الكاتبون منهم

وهكذا يثبت من جرم القمر قوة روحانية تسري في جميع جسم العالم
وأجزائه وتكون النفس للموجودات في العالمين جميعاً تارة من عالم الأفلاك الى
عالم الكون والفساد من أول الشهر وتارة من عالم الكون والفساد نحو عالم
الأفلاك من آخر الشهر ، وهي القوة المتوسطة بين عالم الأفلاك معدن البقاء
والدوام وبين عالم الاركان معدن الكون والفساد كما يثبت من جرم الرئة
القوة التي يكون فيها التنفس تارة باستنشاق الهواء من خارج لحفظ الحرارة
الفريزية على الجسد ، وتارة يكون التنفس بإرساله الى خارج لترويقه ويسمى
الفلاسفة هذه القوة وما يثبت عنها من الافعال روحانيات القمر ، ويسمى
الناموس ملكا ذا جنود وأعوان فهذه القوة تنزل الملائكة بالوحي
والبركات من السماء وبها يصعد بأعمال بني آدم الى السماء وبها تخرج الارواح
والمعقبات منهم

وهكذا يثبت من كل كوكب من الثوابت قوة روحانية تسري في جميع جسم
العالم من أعلى الفلك الثامن الذي هو الكرسي الواسع الى منتهى مركز الارض
كما يثبت من نور الشمس في الهواء والاجسام الشفافة وبهذه القوة تحفظ صور
أجناس الموجودات في الهيولى وبها صلاح العالم وقوام وجوده باذن البارئ عز
وجل ، ومنها ثبات سكان السموات والارضين واليهما أشار بقوله تعالى « وما يعلم
جنود ربك الا هو » وقال حكاية عنهم « وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن
الصابغون وانا لنحن المسبحون » وحملة العرش منهم

وأما الملائكة الذين سجدوا لآدم أبي البشر فهم الذين في الارض خلفاء
لهؤلاء الذين هم في الأفلاك وهي نفوس سائر الحيوانات الساجدة لآدم وذريته
بالطاعة المسخرة لهم الى يوم القيامة

واعلم بأن خراب العالم انما يكون سببه فساد الكون وهذا يكون بغلبة أحد الاركان اما بطوفان من الماء مثل ما كان في زمان نوح النبي عليه السلام واما بطوفان من النار مثل ما وعد في القرآن يكون في آخر الزمان بقوله « يوم تأتي السماء بدخان مبين » وسبب ذلك أن تستولى القرائن على البروج المائية والكواكب المائية فيكون طوفان الماء ، والبروج النارية والكواكب النارية فيكون طوفان النار ، فاذا بلغ قلب الاسد الى حد المريخ في بروج الاسد بعد سنين فيكون طالع القران وطالع أشهر البروج النارية ويستولى المريخ عليها فيشبهه أن يكون طوفان من النار في ذلك الزمان ، وكيفية ذلك أن يحمي الهواء فيصير ناراً سموماً فيحترق الانسان والحيوان ويبقى العالم أعنى وجه الارض خراباً بلا حيوان ، ثم ان الله سبحانه ينشأ النشأة الآخرة كما وعد في القرآن بقوله : ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون « يعنى النشأة الآخرة وقال تعالى : « وننشئكم فيما لا تعلمون » فعند ذلك يحصل أهل الجنة فيهما نعمون وأهل النار فيها مخلدون وقد بينا في رسالة البعث كيف يكون ذلك فانتبه يا أخي من نوم الغفلة ورقدة الجهالة واستعد واعمل للمعاد والنشأة الآخرة لعلك تبعث يوم القيامة من السعداء وتصعد الى ملكوت السماء وتدخل في زمرة الملائكة الذين هم الملائة الأعلى ولا تكونن مع الذين يريدون الخلد في الدنيا عالم الكون والفساد لا بثين فيها أحقاباً لا يذوقون فيها برد عالم الارواح ولا شراب نسيم الجنان كلما فضجت جلودهم بالبلى بدلوا بالكون جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب أعازك الله أيها الاخ من عذاب النار وبلغك وإيانا وجميع اخواننا دار القرار مع الابرار انه على ما يشاء قدير

تمت الرسالة والحمد لله كما هو أهله وصلى الله على محمد رسوله وآله الائمة الطاهرين وسلم تسليماً وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

تمت رسالة ماهية الطبيعة وتتلوها رسالة أجناس النبات

الرسالة السابعة من الجسمانيات الطبيعية

في أجناس النبات

وهي الرسالة الحادية والعشرون من رسائل اخوان الصفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير اما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيديك الله وإيانا بروح منه أنه لما فرغنا من ذكر
الجواهر المعدنية وبيننا طرفاً من كيفية تكوينها وكمية أجناسها وفنون أنواعها
وخواص منافعها ومضارها في رسالة لنا وبيننا فيها ان آخر مرتبة الجواهر المعدنية
متصلة بأول مرتبة الجواهر النباتية فنريد أن نتبعها برسالة النبات ونبين فيها
أيضاً طرفاً من كيفية سريان القوى الثابتة فيها . والغرض منها تعديل أجناس
النبات وكيفية تكوينها ونشؤها وأسباب اختلاف أنواعها من الأشكال
والألوان والطعوم والروائح وأوراقها وأزهارها وحبوبها وبنورها ونموها
وعروقها وقضبانها وأصولها من المنافع فان أول مرتبة النبات متصلة بأول مرتبة
الحيوانية وآخر مرتبة الحيوانية متصلة بأول مرتبة الانسانية وآخر مرتبة
الانسانية متصلة بأول مرتبة الملائكة الذين هم سكان السموات وقاطنو الافلاك
الذين خلقهم الله تبارك وتعالى لهارة عالمه مطيعين في طاعته لا يعصون الله ما أمرهم

ويفعلون ما يؤمرون ويتبعون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وهم من خشيته مشفقون . فنقول :

اعلم يا أخي بأنك مندوب للقاء ربك ومبعوث من هذه الدنيا الى هذه المرتبة ومقصود بك اليها منذ يوم خلقت تنتقل من حال أدون الى حال هي أتم وأكمل وأشرف الى أن تلقى ربك وتشاهده فيوفي لك ما وعدك فمن تلك الحالات ما قد جاوزت وشاهدت ومنها ما لم تباغها بعد وانك قد أتى عليك حين من الدهر لم تك شيئاً مذكوراً ، ثم خلقت نطفة من ماء مهين ، ثم نقلت الى الرحم في قرار مكين ، ومكثت هناك تسعة أشهر لتتميم البنية وتكميل الصورة ثم نقلت الى هذا الجو الفسيح ومكثت أربع سنين لا كمال التربية واشتداد القوة وشاهدت بالحواس محسوساتها وحصل لك الفهم والذهن والتمييز والتفكير والروية والمعرفة الغريزية ، ثم أسلمت الى المكتب وعلمت ما لم تكن تعلم من القراءة والكتابة والآداب والرياضات وحساب الدواوين والكيل والموازن ، ثم نقلت الى مجاس أهل العلم والفضل في المساجد والصلوات والمشاهد والاعباد والى الاسواق والصنائع والاسفار لتشاهد هذا العالم بما فيه من الجبال والبراري والبحار والمدن والقرى والانهار وعانيت فيه أصناف الخلائق من الحيوان والنبات والمعادن وعرفت تصاريف أحوالها في الجروالبرد والليل والشتاء والصيف والنور والظلام وتصاريف الرياح والغيوم والأمطار وعانيت دوران الافلاك وطوالع البروج ومسيرات الكواكب وحوادث الايام ونوائب الحدثان كل ذلك كما تنتبه نفسك من نوم الغفلة وتستيقظ من رقدة الجهالة وتنفكر فيما شاهدت وتعتبر ما رأيت من أحوال هذه الدنيا

ولتعلم علماً يقيناً انك منتقل من هاهنا الى حالة أخرى بعد الموت وتنشأ نشأة أخرى فكن مستعداً للرحلة وتزود للسفر قبل فناء العمر وتقارب الأجل وهو أن تتخلق بأخلاق الملائكة وتزين بشمائلها وتترك أخلاق اخوان الشياطين

وجنود ابليس أجمعين . وقد بينا كيفية ذلك في رسائلنا الاحدى والخمسين رسالة فاعرف من هناك ان شاء الله

واعلم أخي أيديك الله وإيانا بروح منه بأن المصنوع المحكم يدل على الصانع الحكيم وان كان الصانع الحكيم محتجياً عن ادراك الابصار وكل عاقل إذا تأمل أحوال النبات من فنون أشكال أصولها وامتداد عروقها في الارض وتفرع أغصانها في الهواء وتقطيع أوراقها في فنون الأشكال وألوان أزهارها من الاصباغ واختلاف صور حبوبها وأشكال أثمارها من الصغر والكبر واختلاف ألوانها وطعومها وروائحها يتبين له ويعلم علماً ضرورياً بأن لها صانعاً حكماً لأن عقله يشهد له بأن الأركان الأربعة المتضادة القوى المتنافرة الطباع لا تجمع ولا تأتلف ولا تصير على هذه الأوصاف التي تقدم ذكرها إلا بقصد صانع حكيم لا يشك فيه ، لكن اذا لم يتفكر في كيفية صنعته لم فعل هكذا ولم يفعل كذا وكذا لا يفهم ولا يدري ولا يتصور له ذلك فن أجل هذا احتجنا الى أن نذكر من هذا الفن طرفاً ليزداد علماً كل من يسمعه ويتفكر فيه

واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه بأن النبات مصنوعات ظاهر جلية لا تخفى ولكن صانعها وعاتها باطنة خفية محتجبة عن ادراك الابصار لها وهي التي يسميها الفلاسفة القوى الطبيعية ويسميها الناموس الملائكة وجنود الله الموكلين بتربية النبات وتوليد الحيوانات وتكوين المعادن ونحن نسميها النفوس الجزئية ، والعبارات مختلفة والمعنى واحد وانما نسبت الفلاسفة والحكماء هذه المصنوعات الى القوى الطبيعية وصاحب الشرع الى الملائكة ولم ينسبها الى الله تعالى لانه يجمل الباري جل ثناؤه عن مباشرة الاجسام الطبيعية والحركات الجرمانية والاعمال الجسدانية كما يجمل الملوك والسادة والرؤساء عن مباشرة الافعال بانفسها

وان كانت تنسب اليها على سبيل الامر بها والارادة لها كما يقال بنى الاسكندر السد ، وبنى سليمان مسجداً يليها ، وبنى المنصور مدينة السلام، إذ كان

بناؤها بامرهم لا يتولون الافعال بانفسهم فعلى هذا المثال تنسب افعال عباد الله الى الله جل ثناؤه كما ذكر هو بقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله « ومارميت اذ رميت وليكن الله رمي » وقال « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم » وقال « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » وآيات كثيرة في هذا المعنى في القرآن المبين واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان العاقل اللبيب اذا تأمل احوال النبات وتفكر فيها واعتبرها فلا يجد شيئاً منها يخرج عن صورة جنسه أو يتجاوز عن اشكال نوعه وذلك انه مارؤيت قط ورقة زيتون خرجت من شجرة جوز ولا حبة شعيرة خرجت من سنبلة حنطة

وعلى هذا المثال والقياس سائر أنواع الحبوب والثمار والبقول والحشائش تراها كل واحدة منها حافظة صورة أبناء جنسها وشكل نوعها كأنها صبت في قوالب مختلفة الاشكال محفوظة الانواع وهكذا حكم كل الحيوانات التامة الخلقة الكاملة الصورة محفوظة صور اجناسها واشكال أنواعها في اشخاصها وذلك انه مارؤى قط خرج مهر من رحم ناقة ولا جدي خرج من رحم بقرة ولا كركى خرج من بيض نعامة ولا فروج خرج من بيض حمامة

واذا فكر العاقل اللبيب في هذه الاشياء ودلب العلة فيها وبحث عنها فربما يتخيل له أو يتوهم بانه ليس في قدرة الصانع غير ذلك أو يظن ان الهيمولي لا تقبل الا تلك الصورة أو يقول ان الحكمة لا تقتضى غير ذلك فان توهم وظن انه ليس في قدرة الصانع غير ذلك فان عقله ينكر ذلك عليه لان من يقدر على اختراع مصنوع فهو على تغيير بنيته أقدر وان ظن أو توهم بان الهيمولي لا تقبل غير ذلك من الصور فكيف وهي موضوعة لقبول جميع الصور فقد أخطأ وان قال ان الحكمة لا تقتضى غير ذلك فما وجه المنع في الحكمة أن يخرج عجل من رحم ناقة أو جمل من رحم بقرة أو جدي من رحم عنز أو فروج من بيضة حمامة بين لنا ذلك .

واعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه بان لكل نوع من النبات أصلاً
فما أصله لكيموس (١) ما ولكيموسه مزاج ماء لا يتكون من ذلك المزاج الا ذلك
الكيموس ولا يتكون من ذلك الكيموس الا ذلك النوع من النبات وان كان
يسقي بماء واحد وينبت في تربة واحدة وياحقها نسيم هواء واحد وتضيئها
حرارة شمس واحدة فالهيوولى الاولى موضوعة لقبول جميع الصور ولكن
الهيوولات الثوانى كل واحدة منها لا تقبل الصور الا باعيان مخصوصة
والمثال في ذلك ان التراب والماء موضوعة لشجرة الحنطة ولشجرة القطن
ولكن من القطن لا يجيىء الا الغزل ومن الغزل الثوب ومن الثوب القميص
وغيره ومن الحنطة لا يجيىء الا الدقيق ومن الدقيق العجين والعجين الخبز
فعلى هذا المثال والقياس تختلف احوال النبات وذلك ان رطوبة الماء ولطائف
أجزاء التراب اذا حصلت في عروق النبات تغيرت وصارت كيموساً على مزاج
مالا يجيىء من ذلك الكيموس والمزاج غير ذلك النوع من النبات وكذلك يحكم
أوراقه ونوره وثمره وحبه

فصل

ثم لما كان النبات مختلف الطباع من الطعوم والالوان والروائح لانها غذاء
للحيوان وكانت الحيوانات مختلفة الطباع جعل كل نوع من النبات غذاء لنوع
من الحيوان ودواء لداء يعرض لها مذكور ذلك في كتب الطب والبيطرة بشرحها
واعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه بان لكل نوع من النبات اربع علل
علة هيولانية وعلة فاعلية وعلة تمامية وعلة صورية.

فاما العلة الهيولانية فهي الاركان الاربعة، النار والهواء والماء والارض
وأما العلة الفاعلية فهي قوى النفس الكلية.
وأما العلة التمامية فانها من أجل الحيوان غذاء لها ومنافع.

(١) الكيموس معناه الخلط وهي لفظة سريانية

واما العلة الصورية فهي أسباب فلكية شرحها يطول وكل ذلك باذن الباري جل ثناؤه ونريد أن نفصل كل علة منها ونشرحها ليكون في ذلك عبرة لأولى الابصار ومعرفة لأولى الالباب .

وذلك ان اجزاء الاركان اذا اجتمعت واختلطت وامتزجت واتحدت صارت هيولى ليتكون النبات والمسبب في اجتماعها واختلاطها هو دوران الافلاك حول الاركان ومسيرات الكواكب في البروج ومطرح شعاعاتها في جو الهواء نحو مركز الارض كل ذلك باذن الله تعالى ولطيف حكمته فهو الذي خالق الافلاك وادارها . وقسم البروج وأطلعها وصور الكواكب وسيرها وأرسل النفوس ووكها فقتبارك الله احسن الخالفين واحكم الحاكمين

وأما كيفية ذلك فنحن نذكرها ونبينها لقوم يعقلون بعون الله وحسن توفيقه ان شاء الله

واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه ان الشمس اذا طلعت على آفاق البلاد وأشرقت على جو الهواء وأضاءت على وجه الأرض حميت ميااد البحار والانهار ولطفت أجزاءها وصارت بخاراً لطيفاً خفيفاً وارتفعت في الهواء في جو السماء حتى اذا بلغت الى سطح الزهري وجاوزت كرة النسيم بردت هناك واجتمعت ووقمت وغلظت وتراكت وصارت غيوماً وسحاباً وضباباً وطلاوصقيعاً وتراكت وساقتها الرياح الى رؤوس الجبال ووجوه البراري والقفار والقرى والسوادات والمزارع وهطلت هناك الامطار وابتل وجه الارض وشرب التراب رطوبة الماء واختلطت أجزاءه واتحدت فاذا طلعت الشمس على وجه الارض وسخنها حيث تلك الاجزاء المائية جفت وأخذت ترتقي من قعر الأرض الى وجهها ورفعت معها تلك الاجزاء الارضية المتحدة بها الى ظاهر سطح الأرض ثم ان قوى النفس البسيطة التي هي دون فلك القمر السارية في الاركان تصور من تلك المادة أنواع النبات بفنون أشكالها وألوان اصباغها كما يعمل الصناع البشريون في

أسواق المدن فنون المصنوعات من الهيوليات الموضوعات في صناعتهم المعروفة
كما بينا في رسائلنا

واعلم يا أخي بان قوى النفس الكلية الفلكية البسيطة التي ذكرنا انها تعمل
اجناس النبات وانواعها هي التي ذكرت في كتب الانبياء عليهم السلام انها
ملائكة الله وجنوده الموكلون بها وذكر انه قد ورد في الاخبار المتواترة بان مع
كل ورقة وثمره وحبته تخرجها الارض من النبات ملكا موكلا يربيه وينشؤها
ويحفظها من الآفات العارضة لها الى ان تم وتكمل وتبلغ الى أقصى مدى غاياتها
ومنتهى نهاياتها كل ذلك باذن الله خالقها وبارئها وكذلك حكم الحيوانات اجمع
كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من
أمر الله » ونحن نسمي ما كان منها موكلا بالنبات النفس النباتية واعلم يا أخي ان
الله جل ثناؤه قد أيد النفس النباتية بسبع قوى فعالة وهي القوة الجاذبة
والقوة الماسكة والقوة الهاضمة والقوة الدافعة والقوة الغازية والقررة المصورة
والقوة النامية

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان كل قوة من هذه تفعل شيئا
خلاف ماتفعل القوة الاخرى في أجسام الحيوان والنبات فاما أول فعلها في
تكوين النبات فهو جذبها عصارات الاركان الاربعة ومصها لطينها وما فيها من
الاجزاء المشاكلة لنوع نوع من أصول النبات ثم امسكها لها بالقوة الماسكة
ثم نضجها لها بالهاضمة ثم دفعها الى أطرافها بالدافعة ثم تغذيتها لها بالغازية ثم
النمو والزيادة في أقطارها بالنامية ثم التصوير لها بانواع الاشكال والاصباغ بالمصورة
وذلك ان القوة الجاذبة اذا مصت نداوة الماء بعروق النبات كما يمتص الحجام
الدم بالمحجمة او كما تمص النار الدهن بالفتيلة وجذبها انجذبت معها الاجزاء
الترابية اللطيفة لشدة انجذابها فاذا حصلت تلك المادة في عروق النبات نضجتها
الهاضمة وصارت كيميوسا على مزاج ماشاكلها من الجرم والعروق وتناولتها القوة الغازية
والصقت بكل شكل ما يلائمه من تلك المادة وزادت في أقطارها طولا وعرضا

وعمقاً وما فضل من تلك المادة ولطف ورق دفعته الى فوق في أصول
النبات وقضبانها وأغصانها ووجدته الجاذبة الى هناك وأمسكته الماسكة لتلايسيل
راجعاً الى أسفل ثم أن القوة الهاضمة تنضجها مرة ثانية وتغير مزاجها وكيفيتها
وتصيرها مشاكلة لجرم الاصول والفروع والاعصان ومادة لها وزادت في أقطارها
طولا وعرضا وعمقاً وما فضل منها ولطف ورق دفعته الى فوق الى اعلى
الفروع والقضبان والاعصان وجذبه الجاذبة الى هناك وأمسكته الماسكة ثم
ان القوة الهاضمة طبختها مرة ثالثة وانضجتها وصيرتها على مزاج آخر مشاكلة
لجرم الورق والنور والزهر والكمات الحب والثمر مادة لها وتزيدت في أقطارها طولا
وعرضاً وعمقاً وما لطف منها ورق صيرته مادة للحب والثمر وأمسكته هناك
بالماسكة ثم ان القوة الهاضمة تطبخها مرة رابعة وتنضجها وتلطفها وتميزها وتصير
الغليظ منها والكثيف منها مادة لجرم القشور والنوى وتزيد فيها طولا وعرضا
وعمقاً وتصير اللطيف الصافي منها مادة لللب والحب والثمر وهو الدقيق والدهن
والشيرج واللبس ، واللون والطعم والرائحة مختلفة طباعها ومنافعها ومضارها
وأمزجتها في درجاتها. ولما هي مذكورة في كتب الطب وكتب الاغذية والحشائش
بشرحها تركنا ذكرها مخافة التطويل فهذه الافعال التي ذكرناها كلها أفعال
النفس النباتية الخادمة للنفس الحيوانية المتوسطة بينها وبين الاركان الاربعة
تتناول بعروقها عصاراتها نياجاً ثم تصفيها وتطبخها وتناولها الحيوان غذاء لطيفاً
صافياً لذيذاً هنيئاً مريئاً كل ذلك لطف من الله جل ثناؤه بحلقة وشفقة عليهم ورحمة
لهم ورفق بهم فله الحمد والثناء والشكر والدعاء ومنه الفضل والنعمة والآلاء
والاحسان في الآخرة

واعلم يا أخي أن النباتات هي كل جسم يخرج من الارض ويتغذي وينمو
فمنها ما هي أشجار تغرس قضبانها أو عروقها ومنها ما هي زروع تبذر حبوبها
أو بذورها أو قضبانها . ومنها ما هي أجزاء تنكون من أجزاء الاركان اذا

اختلفت وامتزجت كالكلأ والحشائش فهذه الثلاثة الاجناس يتنوع كل واحد منها أنواعاً كثيرة من جهات عدة وصفات مختلفة محتاج ان نذكر منها طرفاً ونشرحها ليكون قياساً على باقيها ودليلاً من القليل على الكثير ونبدأ أولاً بذكر الاشجار فنقول :

أن الشجر هو كل نبت يقوم على ساقه منتصباً أصله مرتفعاً في الهواء ويدور عليه الحول لا يحف . وأما النجم فهو كل نبت لا يقوم أصله على ساقه مرتفعاً في الهواء بل يمتد على وجه الارض أو يتعلق بالشجر ويرتقي معه في الهواء كما يحصل عند ثقل ثماره بتلايبه كشجرة الكرم والقرع والقثاء والبطيخ وما شاكلها

وأعلم بأن من الشجر ما هو تام كامل . ومنها ما هو ناقص غير كامل فالتام الكامل من الاشجار ما كان له هذه التسعة الاجزاء ، وهي الاصل ، والعروق ، والقضبان ، والفروع ، والورق ، والنور ، والثمر ، واللحاء ، والصمغ ، والناقص منها ما ينقص واحدة من هذه الاوصاف وأكثر كشجرة الالب ، وأم غيلان ، والحلاف ، والطرفا ، وما شاكلها مما لا ثمرة لها أو ما لا ورقة لها أو ما لا نور لها أو ما لا صمغ لها

واعلم بأن من الاشجار التامة ماهي أتم وأكمل من بعض وتتفاضل في ذلك جهات عدة فمنها ما هو من جهة أصولها وذلك أن منها ما يقوم على أصول ويرتفع في الهواء ويتفرع في الجهات كشجرة التين ، والتوت ، واللوز ، والجوز ، وغيرها . ومنها ما يرتفع في الهواء منتصباً مفرداً مثل شجر النخل ، والسرو ، والقنا ، والصفصاف ، والساج ، وغيرها . وهكذا حكم عروقها في الارض فان منها ما تنزل عروقه في الارض كالآوتاد منتصبه . ومنها ما يذهب في الجهات على الاستقامة . ومنها ما ينعطف ويتعوج ويلتف . ومنها ما يجاور بعضه بعضاً في منابته ويزدحم . ومنها ما ينفرد ولا ينبت تحتها معها غيرها . ومن النبات والشجر ما ورقه وثمرته متناسبات في الكبر ، واللون ، والشكل ، واللمس ، كالاترج

والنارنج ، والليمون ، والكأثرى ، والتفاح ، وما شاكلها ، ومن النبات والشجر ما أثمرته وحبه غير مناسب لورقه فى الكبر مثل شجر الرمان ، والتين ، والعنب ، والجوز ، والنخل وغيرها مما شاكلها وذلك أن شجرة الأترج مدحرج الشكل ثمرها أخضر اللون لئن اللمس مناسب لورقه والنارنج مستدير الشكل مناسب لورقه شجره والكأثرى مخروط الشكل وكذلك ورقة شجرته والتفاح مستدير الشكل وكذلك ورقة شجرته

وأما ثمرة الرمان فغير مناسبة فى الكبر لورقه شجرتها وكذلك التين والعنب وغيرها وعلى هذا القياس حكم حبوب النبات وبذورهما منها ما هو مناسب ومنها ما هو غير مناسب كل ذلك لعل وأسباب وما رب

﴿ فضل فى بيان أجناس النبات من جهة الأما كن ﴾

واعلم يا أخى بأن من النبات ما ينبت فى البرارى والقفار ومنه ما ينبت على رؤوس الجبال ، ومنه على شطوط الأنهار وسواحل البحار ، ومنه ما ينبت فى الآجام والغياض ، ومنه ما يزرعه الناس ويفرسونه فى القرى والسودات والبساتين والأفرجة

واعلم يا أخى بأن أكثر النبات ينبت على وجه الأرض الأقليل منه فانه ينبت تحت الماء كقصب السكر والأرز والنبلوفر وأنواع من العكش ومن النبات ما ينبت على وجه الماء كالطحلب ومنه ما ينسج على الشجر والنبات كالكتوثا والابلاب ، ومنه ما ينبت على وجه الصخور كخضراء الدهن

ومن النبات ما لا ينبت الا فى البلدان الدفيئة ومنه ما لا ينبت الا فى البلدان الباردة . ومنه ما لا ينبت الا فى التربة الطيبة . ومنه ما لا ينبت الا فى الرمال وبين الحصى والحجارة والصخور والأرض اليابسة . ومنه ما لا ينبت الا فى الأراضى السبخة المشورجة

﴿ فصل في اختلاف النبات من جهة الازمان ﴾

اعلم بأن أكثر العشب والكلأ والحشائش ينبت في أيام الربيع لاعتدال الزمان وطيب الهواء وكثرة الامطار المتقدمة في الشتاء . وأما الذي ينبت منها في الفصول الثلاثة فهي قليلة . فمنها ما يزرعها الناس ويتعهدونها بالسقي كالحنطة والشعير والباقلا والعدس وغيرها مما يزرع في الخريف ويحصد في الربيع . ومنها ما يزرع في الشتاء ويدرك في الربيع كالقثاء والخيار والباذنجان . ومنها ما يزرع في الخريف ويستحکم في الشتاء كالجزر والشلغم والكرنب والقرنبيط . ومنها ما يزرع في الصيف ويحصد في الخريف كالسمسم والذرة والارز وغيرها ومنها ما يزرع في الربيع ويستحکم في الخريف كالقطن والقنب وغيرها

واعلم يا أخي أن الباري الحكيم جل ثناؤه جعل أوراق النبات زينة لها ودثاراً لثمارها ووقايةً لحبوبها ونورها وزهرها من الحر والبرد المفرطين ومن الرياح العواصف والغبار وشدة وهج الشمس وجعلها أيضاً ظلالاً للحيوانات وكنالها وستراً ووظاء وغذاء ومادة لأجسادها وأدوية ومنافع كثيرة وهكذا حكم ثمارها وحبوبها وبذورها ولحائها وعروقها وأصولها ولبسها وقضبانها وفروعها كل واحدة من هذه الانواع ذات منافع كثيرة لا يعلمها إلا الله وذكر منها طرف في كتب الطب وكتاب الحشائش وما لم يعلم ولم يذكر أكثر مما علم وذكر

واعلم يا أخي بأن من أوراق الشجر والنبات ما هو مستطيل الشكل ومنه ما هو مخروط الرأس مدور الأسفل ومنه مستدير الشكل ومنه سقطي الشكل صليبي ومنه ليلساني الشكل وسابوري الشكل ومنه زيتوني الشكل ومنه جابوتي الشكل ومنه ذو الاصابع مقسوم بنصفين ومنه مثلثات ومنه مزدوجات متقابلات ومنه مفردات متجانبات ومنه واسع عريض طويل ومنه ضيق العرض قليل الطول ثخين لين ومنه غليظ خشن ومنه دقيق أملس شفاف أملس ومنه طيب الرائحة ومنه منتن الرائحة ومنه مر الطعم ومنه حلو الطعم وغيرها من الطعوم

وأكثر ألوان ورق النبات أخضر ولكن منها مشبع اللون ومنها أغبر اللون ومنها صافي اللون ومنها كمد اللون ومنها لون ظاهرها خلاف باطنها وهكذا حكم ثمارها وحبوبها وبنورها وأنوارها وأزهارها كل ذلك لعلل وأسباب وما رُب ذلك تقدير العزيز العليم . وذلك أن من الثمار ما له قشرة رقيقة نسجها حريري شفاف ومنها ما قشرته غليظة نسجها ليفي موزى أو غضروفي صلب أو خزفي يابس أو شبكي مربع واسع أو نسيجي كروشى نخين ومن الثمار ما فى جوف قشرته شحمة ثخينة أو جامدة أو رطبة سيالة عذبة أو حلوة أو عفصة أو مرة أو مالحة أو تفهة أو حامضة أو دهنية دسمة . ومن الثمار ما فى جوف شحمه نواة مستديرة الشكل مستطيلة أو مخروطية أو مصممة أو مجوفة أو فى داخلها لبة دسمة أو مرة أو حلوة أو طعم آخر من الطعوم التسعة ومن الثمار ما فى جوف شحمه حب صغار أو كبار صاب أو رخو عليها رطوبة لزجة أو تكون قشفة صلبة مختلفة الأشكال أو مجوفة فى داخلها لب أو تكون فارغة

واعلم يا أخي بان بين أوراق الشجر والنبات وبين ثمارها وحبوبها ونورها وأزهارها مناسبات ومشاكلات فى الصغر والكبر أو متباينات متفاوتات من جهات عدة . فمنها من جهة الصورة والشكل ومنها من جهة اللون والطعم والرائحة ومنها من جهة اللين والخشونة والصلابة والرخاوة ومنها من جهة الكبر والصغر والسعة والضيق والثخن والرقة والشفافة والكمد والازدواج والانفراد وغير ذلك مما يطول شرحه كل ذلك لعلل وأسباب وما رُب لا يعلم كنهها الا الله تعالى الذى خلقها وأبدعها كما علمها .

ولكن نذكر من ذلك طرفاً ونخبر بعللها الهيولانية وأسبابها الصورية وأغراضها التمامية ليكون دليلاً على الباقية وتنبيهاً لنفوس الغافلين عن التفكير فى غرائب مصنوعات البارئ الحكيم جل ثناؤه ويكون عبرة لأولى الأبصار الذين يتفكرون فى خلق السموات والأرض والآيات التى فى الانفس والافاق هو ليكون أيضاً ارشاداً لقلوب المتحيرين الذين يظنون أنها ليست بصنع صانع

حكيم ولا قصد قاصد بل اتفاق وينسبونها الى الطبيعة ولا يدرون ما الطبيعة والى
النجوم والافلاك ولا يدرون كيف ذلك ولم ذلك ولماذا وجد
واعلم يا أخى بان من الثار ما هو طويل الشكل مدحرج الخلقة مختلف الالوان على
نواه قشرة رقيقة جريرية لينة اللمس صلبة النسيج وعلى هذه النواة شحمة ثخينة
عليها قشرة صلبة ملساء وعلى ظهر النواة نقرة وفي الجانب المقابل خضرة مستطيلة
فيها حشو ليفي وعلى رأس الثمرة من خارج قعقة عليها شظيات متفرقة متشبثة
بالثمره ومادة هذه الثمرة من قبل النضج عفصة وبعد النضج حلوة لزجة
وهو التمر .

ومن الثار ما شكله مستدير وخلقته كبيرة عليه قشرة كثيفة ليفية ثخينة
مجوفة من داخل واسعة فيها خزائن مقومة وفيها ادعاص مقسمة عليها حبوب مرصعة
اشكلها مخروطية في جوف تلك الحبوب نواة خزفية رخوة في داخلها لبة دسمة
وفي أسفل رأس الثمرة من خارج فتحة مستديرة فيها غشاوة ليفية وعليها شظيات
نابته وحوها شرفات قائمة مخروطية وهو ثمر الرمان .

ومن الثار ما شكله مستدير املس وشحمته ثخينة في جوفه نواة مستديرة
حسن اللون حسن الملمس في داخل النواة لبة دسمة وهو النبق
ومن الثمر ما شكله مستدير سفطي عليه قشرة ليفية ثخينة من داخلها قشرة
أخرى خزفية صلبة مجوفة فيها خزائن مقسومة فيها لبة دسمة عليها قشرة رقيقة
وبينها حجب منخرقة أقسامها مهندمة واذا فصلت هذه الثمرة انفصلت بنصفين
كالسقطين وهى ثمرة الجوز .

ومن الثار ما شكله مخروط سفطي وعليه قشرة ليفية في داخلها قشرة خزفية
صلبة فيها ثقب نافذ فيها فتايل ليفية وفي داخل هذه القشرة لبة دسمة عليها
قشرة رقيقة صلبة وهى ثمرة الموز

ومن الثار ليس له نوى وعليه قشرة لحمية وشكله مخروط صنوبري وفي
أسفله ثقبه مستديرة فيها شظيات زبيرية وفي جوف هذه الثمرة حبوب صغار

رخوة وطعم مادته قبل النضج لين أبيض غليظ حاد محرق وبعد النضج طعمه حلو وهو ثمرة التين.

ومن الثمار ما اشكاله مختلفة مستدير ومستطيل ومدحرج ومخروط ومختلف الالوان أسود وأبيض وأحمر وأصفر وأغبر عليه قشور رقيقة صلبة ملسة ملتصقة بشحمتها وفي جوف شحمتها حبوب مختلفة الاشكال زيتونية فقاعية مضاعفة ومفردة ومزدوجة وثلاثة اربعة خزفية وعظامية ومنها صلبة ومنها رخوة في جوف تلك الحبوب لبة دسمة ومادة شحمتها قبل النضج حامضة وقبل ذلك عفصة وبعد النضج حلوة وهي ثمرة الاعناب.

ومن الثمار ما أشكاله مخروطية أو صدفية عليها قشور رقيقة ملتصقة بشحمتها وهي غليظة ثخينة في داخلها نواة خزفية اشكالها صدفية داخلها ملساء فيها لبة دسمة والوان هذه الثمار مختلفة وطعمها عذب وحلو ومر وحامض وقبل النضج كلها عفصة وهي الاجاص والمشمش والخوخ وأمثالها.

ومن الثمار ما اشكاله كرية أو مستطيلة أو مدحرجة وعليها قشور لحمية غليظة طعم شحمتها حامض وفي داخلها حب صغار على دعاص مرصعة شبه التلال ما بين خملها لحمية طعمها حامض والوان قشرها أحمر وأخضر وأصفر ومادتها قبل النضج عفصة مثل الاترج والنارنج والليمون وما شاكلها.

ومن الثمار ما هي ذات حبة صغيرة وفي داخلها نواة خزفية وفي جوفها لبة دسمة مثل الحبة الخضراء والفسق والساق وحب الصنوبر.

ومن الثمار ما لا ينضج مثل البلوط والعفص وثمر السرو والاهلياج واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه بان الباري جل ثناؤه لما أبدع الموجودات واخترع الكائنات جعل أصابها كلها من هيولى واحدة وخالف بينها بالصور المختلفة وجعلها أجناساً وأنواعاً مختلفة متفننة متباينة وقوى ما بين اطرافها وربط أوائلها وأواخرها بما قبلها وربطاً واحداً على ترتيب ونظام لما فيه

من اتقان الحكمة واحكام الصنعة لتكون الموجودات كلها عالما واحداً منتظماً نظاماً واحداً وترتيباً واحداً لتدل على صانع احد .

فمن أجل تلك الموجودات المختلفة الاجناس المتباينة الانواع المربوبة وأهلها باواخرها وأواخرها بما قبلها في الترتيب وانتظام المولدات ، الكائنات التي دون فللك القمر وهي أربعة اجناس: المعادن والنبات والحيوان والانسان وذلك ان كل جنس منها تحته انواع كثيرة فمنها ماهو في أدون المراتب ومنها ماهو في اشرفها واعلاها .

ومنها ماهو بين الطرفين فادون اطراف المعادن مما يلي التراب الجص والزاج وانواع الشبوب . والظرف الاشرف الياقوت والذهب الاحمر والباقي بين هذين الطرفين من الشرف والدناءة كما بينا في رسالة المعادن .

وهكذا أيضاً حكم النبات فانه انواع كثيرة متباينة متفاوتة ولكن منه ماهو في ادون الرتبة مما يلي رتبة المعادن وهي خضراء الدمن

ومنها ماهو في اشرف الرتبة مما يلي رتبة الحيوان وهي شجرة النخل وبيان ذلك أن أول المرتبة النباتية وادونها مما يلي التراب هي خضراء الدمن وليس بشيء سوى غبار يتلبد على الارض والصخور والاحجار ثم تصيبه الامطار وانداء الليل فيصبح بالغد كانه نبت زرع وحشائش فاذا أصابه حر شمس نصف النهار جف ثم يصبح من غد مثل ذلك من أول الليل وطيب النسيم ولا تنبت الحكمة ولا خضراء الدمن الا في ايام الربيع في البقاع المتجاورة لتقارب ما بينهما لان هذا معدن نباتي وذلك نبات معدني .

وأما النخل فهو آخر المرتبة النباتية مما يلي الحيوانية وذلك ان النخل نبات حيواني لان بعض احواله مباين لاحوال النبات وان كان جسمه نباتاً ، بيان ذلك ان القوة الفاعلة منفصلة من القوة المنفعلة والدليل على ذلك ان اشخاص الفحولة منه مباينة لاشخاص الاناث ولاشخاص فحولته لقاح في أناسها كما يكون ذلك للحيوان .

فأما سائر النبات فان القوة الفاعلة فيها ليست بمنفصلة عن القوة المنفصلة بالشخص بالفعل حسب ما بينا في رسالة لنا وأيضاً فان النخل اذا قطعت رؤوسها جفت وبطل نموها ونشوؤها وماتت .

كل ذلك موجود في الحيوان فبهذا الاعتبار تبين ان النخل نباتي بالجسم حيواني بالنفس إذ كانت افعاله افعال النفس الحيوانية وشكل جسمه شكل النبات .

وفي النبات نوع آخر فعله أيضاً فعل النفس الحيوانية لكن جسمه جسم النبات وهو الكثوث وذلك ان هذا النوع من النبات ليس له أصل ثابت في الارض كما يكون لسائر النباتات ولولا له أوراق كاوراقها بل انها تلتف على الاشجار والزروع والشوك فتمتص من رطوبتها وتتغذى بها كما يتغذى الدود الذي يدب على ورق الاشجار وقضبان النبات ويقرضها فيأكلها ويتغذى بها وهذا النوع من النبات وان كان جسمه يشبه النبات فان فعل نفسه فعل الحيوان فقد بان بما وصفنا أن آخر الرتبة النباتية متصل بأول المرتبة الحيوانية وأما سائر المراتب النباتية فهي بين هذين .

واعلم يا أخي بأن أول مرتبة الحيوان متصل بأخر مرتبة النبات وأخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الانسان كما ان أول المرتبة النباتية متصل بأخر المرتبة المعدنية وأول المرتبة المعدنية متصل بالتراب والماء كما بينا قبل . فأدون الحيوان وأنقصه هو الذي ليس له إلا حاسة واحدة فقط وهو الحادون وهي دودة في جوف أنبوبة تنبت تلك الأنبوبة على الصخر الذي في سواحل البحار وشطوط الأنهار وتلك الدودة تخرج نصف شخصها من جوف تلك الأنبوبة وتبسط عينة ويسرة تطلب مادة يتغذى بها جسمها فاذا أحست برطوبة ولين انبسطت اليه . وإذا أحست بنخشونة أو صلابة انقبضت وغاصت في جوف تلك الأنبوبة حذراً من مؤذ جسمها ومفسد هيكليها وليس لها سمع ولا بصر ولا شم ولا ذوق إلا الحس واللمس فقط وهكذا أكثر الديدان التي تتكون في الطين وفي قعر البحار

وأعماق الانهار ليس لها سمع ولا بصر ولا ذوق ولا شم لأن الحكمة الالهية من مقتضاها أن لا تعطي الحيوان عضواً لا يحتاج اليه في جذب المنفعة وادفع المضرة لأنهم لو أعطته ما لا يحتاج اليه لكان وبالاً عليه في حفظه وبقائه

فهذا النوع حيوان نباتي لان جسده ينبت كما ينبت بعض النبات ويقوم على ساقه قائماً ، وهو من أجل أن يتحرك جسده حركة اختيارية حيوان ومن أجل انه ليست له إلا حاسة واحدة فهو أتقص الحيوان رتبة في الحيوانية وتلك الحاسة أيضاً فقد يشارك بها النبات ، وذلك ان النبات له حس اللمس فقط . والدليل على ذلك ارساله بعروقه نحو المواضع الندية وامتناعه من ارسالها نحو الصخور واليبس أيضاً فانه متى اتفق منبته في مضيق مال وعدل عنه طالباً للفسحة والسعة فان كان فوقه ستف يمنع من الذهاب علواً وكان له ثقب من جانب مال الى نحو تلك الناحية حتى اذا طال طلع من هناك

فهذه الأفعال تدل على أن له حساً وتمييزاً بمقدار الحاجة . وأما حس الألم فليس للنبات وذلك انه لم يلق بالحكمة الالهية أن تجعل للنبات ألماً ولم تجعل له حيلة الدفع كما جعلت للحيوان وذلك ان الحيوان لما جعلت له أن يحس بالألم جعلت له أيضاً حيلة الدفع إما بالفرار والذهاب والهرب وإما بالتحرز وإما بالممانعة فقد بان بما وصفنا كيفية مرتبة الحيوانية مما يلي النبات فنريد أن نبين كيفية مرتبة الحيوانية مما يلي رتبة الانسان فنقول :

ان رتبة الحيوانية مما يلي رتبة الانسان ليست من وجه واحد ولكن من عدة وجوه . وذلك ان رتبة الانسان لما كانت معدناً للفضل وينبوعاً للمناقب لم يستوعبها نوع واحد من الحيوان ولكن عدة أنواع فمنها ما قارب رتبة الانسان بصورة جسده مثل القرد ومنها ما قاربها بالأخلاق النفسانية كالفرس في كثير من أخلاقه ومنها كالطائر الانساني أيضاً ومثل الفيل في ذكائه وكالببغاء والهزار ونحوهما من الأطيوار الكثيرة الأصوات والألحان والنفحات ومنها

لذحل اللطيف الصنائع الى ماشا كل هذه الأجناس وذلك انه مامن حيوان يستعمله الناس ويأنس بهم الا ولنفسه قرب من نفس الانسانية أما القرد فلقرب شكل جسمه من شكل جسد الانسان صارت نفسه تحاكي أفعال النفس الانسانية وذلك مشاهد منه متعارف بين الناس وأما الفرس الكريم فانه قد بلغ من كرم أخلاقه أنه صار مركباً للملوك وذلك انه ربما بلغ من أدبه انه لا يبول ولا يروث مادام بحضرة الملك أو حاملاً له وله أيضاً مع ذلك ذكاء واقدام في الهيجاء وصبر على الطعن والجراح كما يكون الرجال الشجعان كما وصف الشاعر فقال :

واذا شكاه مهري الى جراحه عند اختلاف الطعن قلت له اذما
لما رأني لست أقبل عذره عض الشكيم على اللجام وحمها
وأما الفيل فانه يفهم الخطاب بذكائه ويمثل الامر والنهي كما يمثل الرجل
العاقل المأمور المنهي .

فهذه الحيوانات في آخر مرتبة الحيوان مما يلي رتبة الانسان لما يظهر فيها من الفضائل الانسانية . وأما باقي أنواع الحيوانات فهي فيما بين هاتين المرتبتين فسبحان الخالق البارئ القادر القاهر الحكيم العالم الذي خلق الخلائق بقدرته وفضل البعض على البعض برحمته وخلق النبات مع اختلاف ألوانها وأشكالها وطعومها ومنافعها مصلحة ومنفعة خلقه وخلق الحيوانات الخسيسة والشريفة لنظام العالم ومعايش الخلائق بوجدانهم تعالى الله علواً كبيراً واذ قد فرغنا من ذكر مراتب الحيوانية مما يلي مراتب الانسانية فينبغي أن نذكر أولاً المرتبة الانسانية مما يلي الحيوانية

فصل

اعلم يا أخي بأن أول مرتبة الانسانية التي تلي مرتبة الحيوانية هي مرتبة الذين لا يعلمون من الامور المحسوسات ولا يعرفون من العلوم الاجساميات

ولا يطالبون الا اصلاح الاجساد ولا يرغبون الا في رتب الدنيا ولا يتمنون الا
 الخلود فيها مع علمهم بأنه لا سبيل لهم الى ذلك ولا يشتهون من اللذات الا الاكل
 والشرب مثل البهائم ولا يتنافسون الا في الجماع والنكاح كالخنازير والحمير ولا
 يحرصون الا على جمع الذخائر من متاع الحياة الدنيا ويجمعون ما لا يحتاجون اليه
 كالنمل ويحبون ما لا ينتفعون به كالعقق ولا يعرفون من الزينة الا اصباغ اللباس
 كالطواويس ويتهارشون على حطام الدنيا كالكلاب على الجيف فهؤلاء وان كانت
 صورهم الجسدانية صورة الانسان فان أفعال نفوسهم أفعال النفوس الحيوانية
 والنباتية فأعينك أيها الاخ البلر الرحيم أن تكون منهم أو مثلهم وايانا وجميع
 اخواننا حيث كانوا في البلاد

وأما رتبة الانسانية التي تلي رتبة الملائكة فهو أن يجتهد الانسان ويترك كل
 عمل وخلق مذموم قد اعتاده من الصبا ويكتسب أضداده من الاخلاق الجلية
 الحميدة ويعمل عملا صالحا ويتعلم علوما حقيقية ويعتقد آراء صحيحة حتى يكون
 انسان خيرا فاضلا وتصير نفسه ملكا بالقوة فاذا فارقت جسدها عند الموت
 صارت ملكا بانفعل وعرج بها الى ملكوت السماء ودخات في زمرة الملائكة
 ولقيت ربها بالتحية والسلام كما ذكر الله جل ثناؤه « تحيتهم يوم يلقونه سلام »
 وقال تعالى « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما
 كنتم تعملون » وقال تعالى « لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون » وقال
 « ادخلوا الجنة التي كنتم توعدون » وآيات كثيرة من القرآن في هذا المعنى

واذ قد ذكرنا طرفاً من كيفية أصول الأشجار وثمارها وأوراقها ذكرنا
 مجملًا فنريد أن نذكر أيضاً طرفاً من علل فنون تركيبها والأسباب التي من أجلها
 وجب أن تكون كذلك ليتبين ما الغرض منها والعناية الربانية بها والحكمة
 الالهية فيها لتكون دليلاً وقياساً على غيرها مما لا يعلم أحد كنه غايتها الا الله
 الذي خلقها وصورها وأنشأها وأتمها لبلوغ غايتها وتتمام نهاياتها

فمن ذلك شجرة النخيل فانها كثيرة العروق دقيقةتها بطيئة النشو طويلة العمر منتصبة الارتفاع مستديرة الاصل، مسدسة مخارج السعف مستطية الاوراق مزدوجة مقابل رخو الجرم متخلخلة تركيب الجسم محشو خلاها بزبير رخوماتف حوله على أصول سعفه ليفات منسوجة موازية طبقات ثلاث

وأما علة كثرة عدد عروق هذه الشجرة فهي لكيما تجذب بها القوة الطبيعية الجاذبة للمواد الكثيرة وذلك لشدة حاجة هذا الجنس من النبات الى المواد الكثيرة لكبر جثتها وعظم جرمها وطول قاهتها وكثرة عدد سعفاتها وأوراقها لكيما تستعمل في جرم أصولها طولاً وعرضاً وعمقاً وبعضها في جرم سعفها مثل ذلك وبعضها في جرم أوراقها مثل ذلك وبعضها في ليفها وبعضها في جرم أكمام طلعتها وبعضها في جرم قضبان قنواتها وبعضها في جرم نواتمها ودبها وشيرجها وأما العلة في جعل تركيب جسم أصلها رطباً رخوا متخاخلاً فلكيما يسهل على القوى الطبيعية جذب تلك المواد من أسفلها الى أعاليها ورؤوس أجزاعها وفروع سعفها وأوراقها فلو كان جرم أصلها صلباً متكاثفاً مكتنزاً كسائر الأشجار الطوال كالساج واللب والسر والسر على القوى الطبيعية جذب تلك المواد الى هناك ولكثرة عدد عروق شجر النخل ولطافته علة أخرى وذلك أن أصل جرمه لما كان مركباً من قضبان كأنها خيوطات مجموعة متداخلة جعل لكل خيط منها عروق ممتدة في الارض تمتص بها المواد الى ذلك الخيط مفرداً ليسهل على الطبيعة تقسيم تلك المواد على تلك القضبان من أول الامر ولما كان تركيب جرم شجر النخل على ما ذكرنا من الرخاوة والتخلخل لفت عليها الطبيعة سعفات من الليف على أصول مخارج سعفاتها من أجزاعها كأنها ما زر مشدودة على وسط جمال متشمر كل ذلك لكيما تمسك أصول تلك السعفات على جذوعها ولا تنفصل عنها عند هز الرياح العاصفة لها ولا تتصدع تلك الاجذاع من ثقل أعاليها على أسافلها عند ميلانها يمنة ويسرة عند تحريك الرياح لها

وأما السبب الذي من أجله جعل على الطامع الغلاف فلـكـيـمـا يحفظه ويصونه من الآفات العارضة من البرد والحر المفرطين والمطر الشديد والرياح والعواصف والغبار وما شاكل هذه الاشياء المضرة بها لأنها تخرج رطوبة ندية رخصة رخوة فاذا استحكمت واشتدت انشقت تلك الاكمام والغلف عنها وظهرت لنسيم الهواء وحرارة الجو لتربو وتسمن وتنضجها حرارة الشمس وتصير يسراً ورطباً جلياً هضياً ثم تجف وتصير ثمرأ ودبساً جامداً

وأما النساجة الحريرية التي على نواها فجعلت حاجزة بين جرم النواة ودبس الثمرة لئلا يمتص عفوصة جرم النواة وغازها جوهرها دبس الثمر وشيرجها لآز من طبع جواهر الاجسام الارضية أن تشرب نداوة الرطوبات الرقيقة الدهنية وتمتصها فلو لم تجعل تلك الغشاوة الرقيقة الحريرية النسيج هناك لاختلط دبس الثمرة مع جرم نواتها وقل الارتفاع بها

وأما الحفرة المستطيلة في جرم نواة الثمرة والفتيلة التي فيها فانما جعلت تلك الكيما تجري فيها تلك المواد من أولها الى آخرها وتجمد أولاً فأولاً

وأما النقرة التي على ظهر النواة فانما جعلت تلك باباً ومخرجاً عند الغرس ومن هناك يخرج العرق النازل في الارض ليجذب المواد ويمتص النداءة والرطوبة من المغرس ومن هناك تخرج الطاقة المورقة التي تبدو أولاً وتظهر من الارض عند الغرس ثم تصير أصلاً وجذعاً على مرور الايام وطول الزمان

وأما الاقاع التي على رؤوس الثمرات فجعلت تلك مصفاة للمواد التي تجذبها القوى الطبيعية الى هناك وتميز الغليظ من اللطيف وترسل الليف الرقيق الى ظاهر جرم الثمرة وتجمده عليها دبساً وشيرجاً وترسل الغليظ الفحل الى جرم النواة وتجمده عليها

وأما ثمار الجوز واللوز والفسق وأشباهاها فتفعل بها الطبيعة مثل هذا التمييز سواء ولكنها ترسل الغليظ الفحل الى ظاهرها واللطيف الرقيق الى باطنها بالعكس مما تفعل في ثمرة التمرة

وأما ثمرة التين والجميز فلم يميز لطيفها من غليظها لان موادها وكيموسها معتدلان وليس بين الاجزاء الارضية والاجزاء المائية كثير تفاوت فلم تحتج الطبيعة أن تميزهما وتفصلهما مثل ما فعلت في ثمرة التمرة والجوز وما شا كلها من سائر الثمار بل قد ميزت الطبيعة تلك المسادة بأجزاء أخرى فجعلت في داخل الثمرة حبوباً صغيراً وعلى خارجها قشرة رقيقة ظاهرة صائنة لرطوبتها من الغبار والقذى

وأما كيفية تركيب عروق شجرة التين وجرم أصولها وقضبانها وورقها وثمرها فهي على غير تركيب شجرة النخلة وذلك أن عروق التين غلاظ ذاهبات تحت الارض في الجهات مستقيماً ومعوجاً في عمقها وفيها تجويفات مثل ما في جوف القصب لكنها أضيق قليلاً وهكذا تركيب أصول شجر التين وقضبانها وفروعها فيها تجويفات لطيفة ولها عقد مثل عقد القصب وفي تلك التجويفات زيرية محشوة خللها

وأما سبب تلك التجويفات التي في عروقها وأصولها وقضبانها فهو لكيما يسهل على القوي الطبيعية الجاذبة جذب تلك المواد من عمق الارض والتي هي الاجزاء الارضية ورطوبات مائية الى أصول أشجارها ورفعها من أسافلها الى أعالي رؤوسها وأطراف فروعها وجعلت تلك العقد في مواضع تلك التجويفات وحشيت زيرياً لكيما يسهل على القوة الماسكة امسك تلك المواد هناك لئلا ترجع الى أسفل بثقلها وتبقى هناك تهضمها القوة الهاضمة وتستعملها القوة الغذائية وتزيد في أجرامها وأطرافها طولاً وعرضاً وعمقاً القوة النامية

وأما شجرة العنب فقد ركب جرم أصولها وجسم قضبانها تركيباً غير تركيب شجرة النخل والتين ، أما عروقها فتذهب تحت الارض ممتدة في الجهات دقاً وغلاظاً وفيها تجويفات مثل ما في عروق شجرة التين ولكن جرم أصولها يمتد طويلاً على وجه الارض ولا يكاد يقوم على ساقه مرتفعاً في الهواء كثيراً
(٢ - ١٠)

كغيره من الاشجار وعلى ظاهر قضبانه عقد وأنايب ظاهرة مجوفات محشوة زيرا مثل قضبان شجر التين للغرض الذي ذكرنا وعليها أليفة منسوجة رخوة سلسة وعند عقد قضبانها تخرج شيطات لينة منبثة تلتف على الاشجار وتعلق بها وترتقي عليها لتحل عليها ثقل ثمرتها لان أصولها دقيقة لا تطيق حملها ويخرج من ثمرتها حبات مجتمعة متجاورة متعلقة لتغطيها ورقة واحدة على عناقيدها غير محتاجة الى غلاف أو أكمام تصونها من الآفات مثل ما تحتاج ثمرة النخل لان مثل مادتها غليظة صلبة عفصة لا تعرض لها الآفات كما تعرض لثمرة النخل لانها تخرج رخوة رخصة ندية ترفة تسرع اليها الآفات

وأما تركيب ثمرة العنب وحباتها فاذا نضجت تبين عاينها هناك قشرة رقيقة حريرية النسج جعلت تلك لتحفظ رطوباتها هناك ودبسها وشيرجها من الآفات العارضة لها من الرياح والغبار ، وحرارة الشمس أن تنشف تلك الرطوبات أو تحللها كما تفعل بالمياه المستنقعات وجعل في وسط لحمها عجبات صلبة خزفية مجوفة في داخلها لب دسم هو بذر العنب وبزوره وانما لم يحتاج الى أن يكون بين تلك العجبات وبين دبس العنب غشاوة رقيقة مثل ما بين نواة التمرة ودبسها كما ذكرنا قبل لان تلك العجبات وان كانت جواهرها أرضية عفصية فهي صغيرة وهي أيضاً رخوة ليست صلابتها كصلابة نواة التمرة وغاظ جواهرها وعلة أخرى أنها مجوفة في داخلها لب دسم فلم تجف الطبيعة حتى تنشف تلك العجبات بشيرج العنب ولم تجعل بينهما حاجزاً كما جعلت في خلقة التمرة وعلة أخرى أيضاً أن دبس العنب وشيرجها كثير بالاضافة الى جرم تلك العجبات وليس حكم جرم نواة التمرة ودبسها مثل ذلك بل جرم نواتها بالاضافة الى دبسها وشيرجها كثير فان قال قائل أو ظن متوهم أن الاشجار تنرس ولا تحتاج الى بذر يزرع وبزر يحفظ الى وقت الحاجة فما الحكمة فما كونه عجبات العنب وحببات ثمرة التين وغيرها في جوفها فليعلم هذا القائل بان الحكمة الالهية والعناية الربانية لم يذهب عليها هذا المقدار

من العلم ولكن خفيت عليك تلك العلة وذلك السبب فاعترضتك الشكوك والحيرة والظنون والتخيل الفاسد والوهم الكاذب وقد ذكرنا علتها وسببها وجواب سؤالك في موضع آخر تجده ان شاء الله تعالى

تمت الرسالة السابعة من الطبيعيات في ماهية النبات وهي الرسالة العشرون من رسائل اخوان الصفا وتتلوها الرسالة الثامنة في بيان تكوين الحيوانات



الرسالة الثامنة

من الجسمانيات الطبيعية

في كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها

وهي الرسالة الثانية والعشرون من رسائل اخوان الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير اما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيديك الله وإيانا بروح منه أنه لما فرغنا من ذكر النباتات وبيننا طرفاً من كيفية تكوينها ونشؤها ونموها وكمية أجناسها وفنون أنواعها وخواص طباعها ومنافعها ومضارها في رسالة لنا وبيننا فيها أيضاً بأن أول مرتبة النبات متصلة بأخر مرتبة الجواهر المعدنية وان آخرها متصل بأول مرتبة الحيوان فنريد أن نذكر في هذه الرسالة أيضاً طرفاً من كيفية تكوين الحيوانات وبدء كونها ونشؤها ونمائها وكمية أجناسها وفنون أنواعها وخواص طباعها واختلاف أخلاقها ونبين أيضاً بأن آخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الانسان وأخر مرتبة الانسان متصل بأول مرتبة الملائكة الذين هم سكان الهواء والأفلاك وأطباق السموات ليكون في ذلك بيان ودليل لمن كان له قلب صاف ونفس زكية وعقل راجح على كيفية ترتيب الموجودات ونظام الكائنات عن علة واحدة ومبدأ واحد وانها كترتيب العدد عن الواحد الذي قبل الاثنين . ونبين أيضاً

بأن نسبة صورة الانسانية الى صور سائر الحيوانات كنسبة الرأس من الجسد ونفسه كالسأس وأنفسها كالمسوس

وقد بينا في رسالة الاخلاق بأن صورة الانسانية هي خليفة الله في ارضه وبيننا فيها أيضا كيف ينبغي أن تكون سيرة كل انسان حتى يستأهل أن يكون من أولياء الله ويستحق الكرامة منه وبيننا أيضا في أكثر رسائلنا فضيلة الانسان وخصاله المحمودة وأخلاقه المرضية ومعامله الحقيقية وصنائه الحكيمة وتدابيره المرضية وسياسته الربانية ، ونريد أن نذكر في هذه الرسالة طرفا من فضائل الحيوانات وخصالها المحمودة وطبائعها المرضية وشماتها السليمة ونبين أيضا طرفا من طغيان الانسان وبغيه وتعديه على ماسواه مما سخر له من الانعام والحيوانات أجمع وكفرانه النعم وغفلته عما يجب عليه من أداء الشكر وان الانسان اذا كان فاضلا خيرا فهو ذلك كريم خير البرية وان كان شريرا فهو شيطان رجيم شر البرية وجعلنا بيان ذلك على السنة الحيوانات ليكون أبلغ في المواعظ وأبين في الخطاب وأعجب في الحكايات وأظرف في المسامح وأظرف في المنافع وأغوص في الافكار وأحسن في الاعتبار

فصل

وأعلم أيها الاخ أيديك الله وايانا بروح منه بأن الجواهر المعدنية هي في أدون مراتب المولدات من الكائنات وهي كل جسم متكون منعقد من أجزاء الاركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض وان النبات يشارك الجواهر في كونها من الاركان ويزيد عليها وينفصل منها بأن كل جسم يتغذى من الإركان وينمو ويزيد في أقطارها الثلاثة طولا وعرضا وعمقا وان الحيوان أيضا يشارك النبات في الغذاء والنمو ويزيد عليه وينفصل عنه بأنه جسم متحرك حساس . والانسان يشارك النبات والحيوان في أوصافها ويزيد عليها وينفصل عنها بأنه ناطق مميز جامع لهذه الاوصاف كلها

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم يا أخي بأن النبات متقدم الـكون والوجود على الحيوان بالزمان لانه مادة لها كـلها وهيولى لصورها وغذاء لأجسادها وهو كالوالدة للحيوان أعنى النبات وذلك انه يمتص رطوبات الماء ولطائف أجزاء الارض بعروقه الى أصوله ثم يحيلها الى ذاته ويجعل من فضائل تلك المواد ورقاً وثماراً وحبوباً نضيجاً ويتناول الحيوان غذاء صافياً هنيئاً مريئاً كما تفعل الوالدة بالولد فانها تأكل الطعام نضيجاً ونياً وتناول ولدها لبناً خالصاً سائغاً للشاربين فلو لم يكن النبات يفعل ذلك من الاركان لكان يحتاج الحيوان الى أن يتغذى من الطين صرفاً ومن التراب سفاً ويكون منغصاً فى غذائه وملاذه . فانظر يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه الى معرفة حكمة الباري جل ثناؤه كيف جعل النبات واسطة بين الحيوان وبين الاركان حتى يتناول بعروقه لطائف الاركان وعصاراتها ويهضمها وينضجها ويصفيها ويتناول الحيوان من لطائف لبابها وحبوبها وقشورها وورقها وثمارها وصبوغها ونورها وأزهارها لطفاً من الله تعالى بخلقه وعناية منه ببريته فتبارك الله أحسن الخالقين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن من الحيوان ما هو تام الخلقة كامل الصورة كالتى تنزو وتـجبل وتلد وترضع ومنها ما هو ناقص الخلقة كالذى تتكون من العفونات ومنها ما هو كالـحشرات والهوام بين ذلك كالتى تنفذ وتبيض وتحضن وتربي

ثم اعلم بأن الحيوانات الناقصة الخلقة متقدمة الوجود على التامة الخلقة بالزمان فى بدء الخلق وذلك انها تتكون فى زمان قصير والى هي تامة الخلقة تتكون فى زمان طويل لأسباب وعلل يطول شرحها وقد ذكرنا طرفاً منها فى رسالة مسقط النطفة ورسالة الافعال الروحانية ونقول أيضاً ان حيوان الماء

وجوده قبل وجود حيوان البر بزمان لان الماء قبل التراب والبحر قبل البر في
بدء الخلق

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بأن الحيوانات التامة الخلقة كلها كان بدء كونها من الطين
أولاً من ذكر وانثى توالت وتناسلت وانتشرت في الارض سهلاً وجبلاً
وبراً وبحراً من تحت خط الاستواء حيث يكون الليل والنهار متساويين والزمان
أبدأ معتدلاً هناك بين الحر والبرد والمواد المتهيئة لقبول الصورة موجودة دائماً
وهناك أيضاً تكون أبونا آدم ابو البشر وزوجته ثم توالت وتناسلات أولادهما
وامتلأت الارض منهم سهلاً وجبلاً وبراً أو بحراً الى يومنا هذا
ثم اعلم يا أخي بأن الحيوانات كلها متقدمة الوجود على الانسان بالزمان
لانها له ولاجله وكل شيء هو من أجل شيء آخر فهو متقدم الوجود عليه، هذه
الحكمة في أولية العقل لا تحتاج الى دليل من المقدمات ونتائجها لانه لو لم يتقدم
وجود هذه الحيوانات على وجود الانسان لما كان للانسان عيش هنيء ولا مروءة
كاملة ولا نعمة سائغة بل كان يعيش عيشاً نكدأ فقيراً بائساً بسوء الحال كما سنبين
بعد هذا في فصل آخر عند فراغ زعيم أهل المدن من خطابهم وكيفية أحوالهم
كيف تكون عند فقدان الحيوانات

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه بأن صور النبات منكوسة الانتصاب
الى أسفل لان رؤوسها نحو مركز الارض ومؤخرها نحو محيط الافلاك والانسان
بالعكس من ذلك لان رأسه مما يلي الفلك ورجليه مما يلي مركز الارض في أي
موضع وقف على بسيطها شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً من الجوانب كلها ومن
هذا الجانب ومن ذلك الجانب والحيوانات متوسطة بين ذلك لا منكوسة

كالنبات ولا منتصبة كالانسان بل رؤوسها الى الافاق ومؤخرها الى ما يقابله من الافق الآخر كيف ما دارت وتصرفت في جميع أحوالها وهذا الوضع والترتيب الذي ذكرنا من أمر النبات والحيوانات والانسان أمر الهي بواجب الحكمة الالهية والعناية الربانية ليكون في ذلك دلالة وبيان لاولى الابصار والناظرين في أسرار الخلقة والباحثين عن حقائق الاشياء والمعتبرين بما في الارض من الآيات والعلامات والدلالات بأن قوى النفس الكلية المنبثقة في العالم من أعلى فلك المحيط الى منتهى مركز الارض بعضها منتصب نحو المركز وبعضها منصرف الى المركز المحيط وبعضها منبث متوجه نحو الافاق على المركز في كل فج منها جنود الله منصرفين لحفظ العالم وتدير الخلائق والسياسة الكلية وما رب أخرى لا يعرف كنه معرفتها أحد الا الله عز وجل

وقد بينا في رسالة لنا بأن قوى النفس الكلية أول ما تبثديء تسري في قعر الاجسام من اعلا سطح فلك المحيط الى نحو مركز الارض فاذا سرت في الافلاك والكواكب والاركان والمولدات وبلغت الى مركز الارض من أقصى مدى غايتها ومنتهى نهاياتها عطفت عند ذلك راجعة نحو المحيط وهو المعراج والبعث والقيامة الكبرى

فانظر الآن يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه كيف يكون انصراف نفسك من هذا العالم الى هناك فانها هي احدى تلك القوة المنبثقة من النفس الكلية السارية في العالم وقد بلغت الى المركز وانصرفت ونجت من الكون في المعادن أو في النبات أو في الحيوان وقد جاوزت الصراط المنكوس والصراط المقوس وهي الآن على صراط مستقيم آخر درجات جهنم وهي الصورة الانسانية فان جاوزت وسامت من هذه دخلت الجنة من أحد أبوابها وهي الصورة الملكية التي تكسبها بأعمالك الصالحة وأخلاقك الجميلة وآرائك الصحيحة ومعارفك الحقيقية وبمحسن اختيارك فاجتهد يا أخي قبل الفوت وفناء العمر وتقارب

الاجل واركب مع اخوانك في سفينة النجاة يرحمك الله برحمته ولا تكن مع
المغرقين واخوان الشياطين

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخى بأن الحيوان هو جسم متحرك حساس يتغذى وينمو
ويحس ويتحرك حركة مكان وان من الحيوان ما هو في أشرف المراتب مما يلي
رتبة الانسانية وهو ما كانت له الحواس الخمس والتمييز الدقيق وقبول التعليم .
ومنه ما هو في أدون رتبة مما يلي النبات وهو كل حيوان ليس له الا حاسة
اللمس حسب . كالاصداف وما كان كاجناس الديدان كلها تتكون في الطين أو في
الماء أو في الخلل أو في الثلج أو في لب الثمر أو في الحب أو لب النبات والشجر
أو في أجواف الحيوانات الكبار الجثة وما اشبهها

وهذا النوع من الحيوانات أجسامه لحمية وبدنه متخلخل وجده زقيق وهو
يمتص المادة بجميع بدنه بالقوة الجاذبة ويحس اللمس وليس له حاسة أخرى لا
الذوق ولا الشم ولا السمع ولا البصر غير اللمس وحسب . وهو سريع التكون
وسريع الهلاك والفساد والبلى ومنها ما هو أتم بنية وأكمل صورة وهو كل
دودة تتكون وتدب على ورق الشجر والنبات ونورها وزهرها ولها ذوق ولمس .
ومنها ما هو أتم وأكمل وهو كل حيوان له لمس وذوق وشم وليس له سمع
ولا بصر وهي الحيوانات التي تعيش في قعر البحار والمياه والمواقع المظلمة .
ومنها ما هو أتم وأكمل وهو كل حيوان من الهوام والحشرات التي تدب في
المواقع المظلمة له لمس وذوق وشم وليس له بصر مثل الحلمة فباللمس
قوام جثته وبالذوق يميز الغذاء من ذيره وبالشم يعرف مواضع الغذاء والقوت
وبالسمع يعرف وذاً المؤذيات له فيحترز قبل الورود والهجوم عليه ولم يجعل له
البصر لانه يعيش في المواقع المظلمة ولا يحتاج الى البصر ولو كان له بصر لكان
ذلك وبالا عليه من حفظه ففى اغماض العين من القذي ضرورة لان الحكمة

الالهية لم تعط الحيوان عضوا ولا حاسة لا يحتاج اليها ولا ينتفع بها ومنه ما هو
 أتم بنية وأكمل صورة وهو ماله خمس حواس كاملة وهي اللمس والذوق والشم
 والسمع والبصر ثم يتفاضل في الجودة والدون

فصل

ومن الحيوانات ما يتدحرج كدودة الثايج ومنها ما يزحف كدودة الصدف
 ومنها ما ينساب كالحية ومنها ما يدب كالعقارب ومنها ما يعدو كالنأر ومنها ما يطير
 كالذباب والبق . ومما يدب ويمشى ماله رجلان ومنها ماله أربع أرجل ومنها ماله ستة
 أرجل ومنها ماله أكثر كالذخال ومما يطير من الحشرات ماله جناحان ومنها ماله أربعة
 اجنحة ومنها ماله ستة أرجل وأربعة أجنحة ومشفر ومخالب وقرون كالجراد ومنها
 ماله خرطوم كالبق والذباب ومنها ماله مشفر ووجه كالزناير . ومن الهوام والحشرات
 ماله فكر وروية وتميز وتدبير وسياسة مثل النمل والنحل يجتمع جماعة منهم
 ويتعاونون على أمر المعيشة وأنحاء المنازل والبيوت والقري وجمع الذخائر والقوت
 للشتاء ويعيش حولا وربما زاد وما كان غير هذين من الهوام والحشرات مثل
 البق والبراغيث والذباب والجراد وماشا كلها فانها لا تعيش حولا كاملا لانه
 يهلكها الحر والبرد المفردان ثم يتكون في العام القابل مثلها

فصل

ومن الحيوان ما هو أتم بنية مما ذكرنا وأكمل صورة منها وهو كل حيوان
 بدنه مؤلف من أعضاء مختلفة الاشكال وكل عضو مركب من عدة قطع من
 العظام وكل قطعة منها مبنية الهيئات من الطول والقصر والدقة والغلظ
 والاستقامة والاعوجاج ومؤلفة كلها بمفاصل مهندمة التركيب مشدودة الاعصاب
 والرباطات محشوة الخمل باللحم منسوجة بالعروق محصنة بالجلدة مغطاة بالشعر والوبر
 والصوف والريش أو الصدف أو الفلوس وفي باطن أجسادها أعضاء رئيسية
 كالدماع والرئة والقلب والكبد والطحال والكليتين والمثانة والامعاء والمصارين

والاوراد والمعدة والسكرش والحوصلة والقائصة وماشا كلها
وفي ظاهر البدن ارجل وأيد واجنحة وذنب ومخالب ومناقير وحافر
يوظف وخف وماشا كلها كل ذلك لماأرب وخصال عدة ومنافع حمة لايعلمها
الا الذي خلقها وصورها وأنشأها وأتمها وأكملها وبلغها الى اقصى غاياتها
وتمام نهاياتها .

وهذه كلها أوصاف والانعام البهائم والسباع والوحوش والطيور والجوارح
وبعض حيوان الماء وبعض الهوام كالحيات والانعام وهو كل ماله ظانف مشقوق
والبهائم ما كان لها حافر والسباع ما كان لها أنياب ومخالب الوحوش
ما كان مركباً بين ذلك

والطيور ما كان لها اجنحة وريش ومنقار . والجوارح ما كان لها أجنحة
ومنقار مقوس ومخالب معققة معقربة .

وحيوان الماء ما يقيم فيه ويعيش والحشرات ما يطير وليس لها ريش والهوام
ما يدب على رجلين أو أربعة أو يزحف أو ينساب على بطنه أو يتدحرج على جنبه

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم بأخى أيدك الله وايانا بروح منه بان الحيوانات الكبيرة الجثة
العظيمة البنية التي لها عظام كبار وجلود ثخان وأعصاب غلاظ وعروق واسعة
وأعضاء كبيرة مثل النمل والجمل والجاموس وغيرها تحتاج أن تمكث في الرحم
زماناً طويلاً الى ان تلد لملتين اثنتين احدهما كيا تجتمع في الرحم تلك المواد التي
تحتاج اليها الطبيعة في تنعيم البنية وتكميل الصورة.

والعلة الاخرى كيا تدور الشمس في الفلك وتقطع البروج المثلثات المشاكلات
الطباع وتخط من هناك قوى روحانيات الكواكب الى عالم الكون والفساد
التي تحتاج اليها في تنعيم قوى النفس النامية النباتية وقوى النفس الحيوانية الحاسة
لميقبل من كل جنس من الكائنات المولادات ماله أن يقبل من تلك القوى

كما بينا طرفا من ذلك في رسالة مسقط النطفة
ثم اعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه بان الحيوانات التامة الخلفة الكبيرة
الجثة العظيمة الصورة كلها كونت في بدء الخلق ذكراً وأنثى من الطين تحت
خط الاستواء حيث يكون الليل والنهار هناك متساويين والحر والبرد معتدلين
والمواضع الكئينة من تصاريف الرياح موجودة هناك والمواد كثيرة متهيئة
لقبول الصورة.

ولما لم يكن في الارض مواضع موجودة بهذه الاوصاف جعلت ارحام أناث
هذه الحيوانات على هذه الاوصاف من اعتدال الطباع لكيما اذا انتشرت في
الارض تناسلت وتوالدت حيث كانوا وأكثر الناس يتعجبون من كون
الحيوانات من الطين ولا يتعجبون من كونها في الرحم من ماء مهين وهي أعجب
في الخلق واعظم في القدرة لان من الناس من يقدر أن يصور حيوانا من الطين
أو من الخشب أو من الحديد أو من النحاس كما هي موجودة مشاهدة في أيدي
الناس من خلقة الاصنام .

ولا يمكن لاحد أن يصور حيوانا من الماء لان الماء جسم سيال لا تماسك
فيه الصورة فتكون هذه الحيوانات في الارحام أو في البيض من ماء مهين
أعجب في الخلق واعظم في القدرة من كونها من الطين .

وأيضاً ان أكثر الناس يتعجبون من خلقة الفيل أكثر من خلقة البقرة وهي
أعجب خلقة وأظرف صورة لان الفيل من كبر جثته له اربعة ارجل وخرطوم
ونابان خارجيان والبقرة مع صغر جثتها لها ستة ارجل وخرطوم وأربعة أجنحة
وذناب وفم وحلقوم وجوف ومصارين وامعاء وأعضاء أخرى لا يدركها البصر
وهي مع صغر جثتها مسلطة على الفيل بالأذية ولا يقدر عليها ولا يمتنع بالتحرز
منها وأيضاً فان الصانع البشري يقدر على أن يصور فيلا من الخشب أو من الحديد
أو من غيرها بكمله ولا يقدر احد من الصانع أن يصور بقرة لا من الخشب ولا
من الحديد بكاملها .

وايضاً فان كون الانسان من النطفة بديئاً ثم في الرحم جنيناً ثم في المهدر ضيعاً ثم في المكتب صبيّاً ثم في تصاريف أمور الدنيا رجلاً حكيماً أعجب أحوالاً وأعظم اقتداراً من كونه يبعث من تراب قبره يوم القيامة وخروج الناس كأنهم جراد منتشر .

وهكذا أيضاً مشاهدة خروج عشرين فرخة من تحت حضن دجاجة واحدة أو ثلاثة دراجات من تحت حضن دراجة واحدة ينفض عنها قشور بيضها في ساعة واحدة وعدو كل واحدة في طلب الحب وفرارها وهربها من الطالاب لها حتى ربما لا يقدر عليها أعجب من خروج الناس من قبورهم يوم القيامة فما الذي منع المنكرين من الاقرار بذلك وهم يشاهدون مثل هذه التي أعجب هي منها وأعظم في القدرة لولا جريان العادة بها

﴿ فصل ﴾

اعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه بان مشاهدة جريان الامور دائماً اذا صارت عادة قل تعجب الناس منها والفكر فيها والاعتبار لها ويعرض لهم من ذلك سهو وغفلة ونوم النفس وموت الجهالة .

فاحذر من هذا الباب يا أخي ولا تكن من الغافلين وكن من الذين ذكرهم الله في كتابه ومدحهم بقوله : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار » واذم الذين بخلافهم بقوله « وكأين من آية في السموات والارض يمدون عليها وهم عنها معرضون » .

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه بان أبدان الحيوانات التامة الخلقة والناقصة الخلقة جميعاً مؤلفة ومركبة من اعضاء مختلفة الاشكال والمفاصل مفننة الهياآت كالرأس واليد والرجل والظهر والبطن والقلب والكبد والرئة وغيرها

كل ذلك لاسباب وعلل وأغراض لا يعلم كنهه معرفتها الا الله الذي خلقها وصورهه
كما شاء وكيف شاء

ولكن نذكر منها طرفاً ليتبين صحة ما قلنا وحقية ما وصفنا وذلك أنه ما من
عضو في أبدان الحيوانات صغيراً كان أو كبيراً الا وهو خادم لعضو آخر ومعين
له اما في بقائه وتتميمه أو في افعاله ومنافعه مثال ذلك الدماغ في بدن الانسان
فانه ملك الجسد ومنشئ الحواس ومعدن الفكر وبيت الروية وخزانة الحفظ
ومسكن النفس ومجلس محل العقل .

وان القلب خادم للدماغ ومعينه في أفعاله وان كان هو أمير الجسد ومدبر
البدن ومنشأ العروق الضواري وينبوع الحرارة الغريزية وخادم القلب ومعينه
في افعاله ثلاثة أعضاء أخرى وهي الكبد والعروق الضواري والرئة
وهكذا حكم الكبد بيت الشراب يخدمه ويعينه في افعاله خمسة أعضاء
أخرى وهي المعدة والاوراد والطحال والمرارة والكليتان .

وهكذا أيضاً حكم الرئة بيت الريح يخدمها ويعينها في افعالها أربعة أعضاء
أخرى وهي الصدر والحجاب والحلقوم والمنخران وذلك ان من المنخرين يدخل
الهواء المستنشق الى الحلقوم ويعتدل فيه مزاجه ويصل الى الرئة ويتصفى فيها ثم
يدخل الى القلب ويروح الحرارة الغريزية هناك وينفذ من القلب الى العروق
الضواري ويبلغ الى سائر اطراف البدن الذي يسعى النبض ويخرج من القلب
الهواء المحترق الى الرئة ومن الرئة الى الحلقوم ومن الحلقوم الى المنخرين أو الى
الفم والصدر يخدم الرئة في فتحها عند استنشاق الهواء وضمها اياها عند خروج
النفس والحجاب تحفظ الرئة من الآفات العارضة لها عند الصدمات والدفعات
واضطراب أحوال البدن

وهكذا حكم الكبد تخدمه المعدة بانضاج الكيموس قبل وصوله اليه
وتخدمه الاوراد بمصها وايصالها اليه بحال يجذب عكر الكيموس من الاخلاط
الغليظة المحترقة منها الى نفسها وتخدمه المرارة بجذب المرة الصفراء الى نفسها

وتصفية الدم منها وتخدمه السكيتان بجذب الرطوبة الرقيقة اللينة منها الى نفسها وهو الذي يكون منه البول وتخدمه العروق المجوفة بجذب الدم اليها وايصاله الى سائر أطراف الجسد الذي هو مادة لجميع أجزاء البدن وهكذا يخدم المرء والأسنان والفم المعدة وذلك ان الفم هو باب الجسد الذي يدخل منه الطعام والشراب الى عمق الجسد والاسنان تخدمها بالطحن او الدق والمرء يزدرد ويبلع ويوصلها الى المعدة والامعاء تجذب الثقل وتخرجه من الجسد .

وعلى هذا المثال والقياس ما من عضو في بدن الحيوان الا وهو يخدم البدن في أفعاله ويخدمه عضو آخر ويعينه في أفعاله والفرض الاقصى منها كلها هو بقاء الشخص وتتميمه وتبليغه الى أكمل حالاته اما بذاته أو ببقاء نسله أطول ما يمكن في جنس جنس ونوع ونوع وشخص شخص

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه بأن من الحيوانات ما هو أخرس لا منطلق له ولا صوت كالسرطان والسلاحف والسمك ، وبالجملة أكثر حيوان الماء الا القليل منها مثل الضفدع والراديا ومنها ماله صوت وهو كل حيوان يستنشق الهواء ويسمع له دوي وزمر كالبع والذباب والزنابير والصراصير والجراد وماشا كلها ويكون ذلك من تحريك أجنحتها

واعلم بأن أصوات الحيوانات المتنفسة متفننة كثيرة الاختلاف من الطول والقصر والغلظ والعظم والصغر والجهر والخفيف وفنون الطنين والزمير والالخان والنغم كل ذلك بحسب طول أعناقها وقصرها وسعة مناخيرها وحلاقيمتها وضيقها وصفاء طبائعها وذاظها وشدة قوة استنشاقها الهواء وارسالها وتعديل أنفاسها بعد ترويح الحرارة الغريزية التي في قلوبها أو في عمق أجسادها والعلة في أن حيوانات الماء أكثرها لأصوات لها لانها لارئات لها ولا

تستنشق الهواء ولم يجعل لها ذلك لانها لا تحتاج اليها وذلك ان الحكمة الالهية والعناية الربانية جعلت لكل حيوان من الاعضاء والمفاصل والعروق والاعصاب والغشاوات والاوعية بحسب حاجته اليه في جر المنفعة أو دفع المضرة في بقاء شخصها وتتميمه وتكميله وبلوغه الى أقصى مدى غاياته ولسبب بقاء نسلها من آلات السفاد واللقاح وتربية الاولاد وكل حيوان هو أتم بنية وأكمل صورة فهو أكثر حاجة الى أعضاء كثيرة وآلات مختلفة وأدوات معينة في بقاء شخصه ونتاج نسله . وكل حيوان أنقص بنية وأدون صورة فهو أقل حاجة الى أعضاء مختلفة وادوات مبنية في بقاء شخصه ودوام نسله

بيان ذلك ان الحيوانات ثلاثة أنواع : فمنها ما هو أتم وأكمل وهو كل حيوان ينزو ويحمل ويرضع ويربى الاولاد . ومنها ما دون ذلك وهو كل حيوان يسفد ويبيض ويفرخ . ومنها دون ذلك وهو كل حيوان لا يسفد ولا يبيض ولا يلد . بل يتكون في العفونات ولا يعيش سنة كاملة لان الحر والبرد المفرطين يهلكانها لان أجسادها متخلخلة مفتحة المسام وليس لها جلد ثخين ولا صوف ولا شعر ولا وبر ولا صدف ولا عظام ولا عصب ولا فلوس فهي لا تحتاج الى الرئة ولا الطحال ولا المرارة ولا الكلى ولا المثانة ولا استنشاق الهواء لترويح الحرارة الغريزية إذ كان نسيم الهواء يتصل الى عمق أبدانها لصغر جثتها وفتح مسامها ويحفظ الحرارة الغريزية التي في مزاج أبدانها وتركيب طبائعها

وأما الحيوانات الكبيرة الجثة العظيمة البنية التي عليها جلود ثخانة ولحوم كثيرة وغشاوات وعروق وأعصاب وعظام مصمتة ومجوفة وأضلاع ومصارين وأمعاء وكروش ومعدة وقلب ورئة وطحال وكليتان ومثانة وقحف الرأس والشعر والوبر والصوف والريش والصدف وماشاكلها مما يمنع وصول نسيم الهواء الى عمق أبدانها وترويح الحرارة الغريزية فيها فقد جعل لبعضها رئة وحلقوم ومجار للنفس لكيما يصل نسيم الهواء الى عمق أبدانها ومحابس قعر أجسادها ويرفح

الحرارة الغريزية فيها ويحفظ الحياة عليها الى وقت معلوم . فهذا الذي ذكرناه هو حكم الحيوانات التامة الخلقة الكاملة الصورة التي تتنشق الهواء وتنفس منه وتعيش فيه

وأما أجناس الحيوانات التي تعيش في المياه ولا تخرج منها فانها لا تحتاج الى استنشاق الهواء ولا التنفس منه لان البارئ الحكيم جل ثناؤه لما خلقها في الماء وجعل حياتها منه وفيه جعلها على طبيعة واحدة وهي طبيعة الماء وركب أبدانها تركيباً يصل برد الماء ورطوبته الى قعر أبدانها وعمق أجسادها وتروح الحرارة الغريزية التي في طباع تركيبها وتنوب عن استنشاقها الهواء وتنفسها منه وجعل لسكل نوع منها أعضاء مشاكلة لبدنه ومفاصل مناسبة لجثته وجعل على أبدانها من أنواع الصدف وفنون الفلوس وماشا كلها لباساً لها ودثاراً من الحر والبرد وغطاء ووظء ووقاية لها من الآفات العارضة وجعل لبعضها أجنحة وأذناً تسبح بها في الماء مثل الطيور في الهواء وجعل بعضها آكلاً وبعضها مأكولاً وجعل نسل مأكولها أكثر عدداً من نسل آكلها كل ذلك غرضاً لبقاء اشخاصها ودوام نسلها زماناً طويلاً أطول مما يمكن في حياتها وطبائعها

وأما اجناس الطيور التي هي سكان الهواء وقاطنوه فان البارئ الحكيم جل ثناؤه جعل أبدانها مختصرة من اعضاء كثيرة مما في ابدان الحيوان البري الذي يجبل ويلد ويرضع ليخفف عليها النهوض في الهواء والطيران فيه وذلك ان البارئ لم يجعل للطير اسناناً ولا أذناً بينة ولا معدة ولا كرشاً ولا مثانة ولا خرزات الظهر ولا جلداً نخبيناً ولا على أبدانها شعراً ولا صوفاً ولا وبراً بل جعل بدل ذلك ريشاً لباساً لها ودثاراً من الحر والبرد وغطاء ووظء ووقاية من الآفات العارضة ويعينها على النهوض والطيران وبدل الاسنان منقارا وبدل المعدة حوصلة وبدل الكرش قانصة

وعلى هذا القياس بدل كل عضو عدم منه عضواً آخر مشاكلاً لأبدانها
(٢ - ١١)

ومناسباً لاجسادها بحسب ما ربيها ومنافعها ودفع المضار عنها كل ذلك أسباب
وعلى لبقاء اشخاصها ودوام نسلها مدة ما أطول ما يمكن في طبائعها وجبلتها
وأما أجناس الحيوانات البرية الاكلة منها العشب فان البارى الحكيم جعل
لها أفواها واسعة تتمكن من القبض على الحشيش والكلأ فى الرعى وجعل لها
اسناناً حداداً تقطع بها واضراساً صلاباً تطحن بها الصلب من العشب والحب
والورق والقشر والنوى وجعل لها مرياً واسعاً زلقاً تزدد به ما مضغه وكروشاً
واسعة محملة تملأها وتحمل فيها زادها فاذا اكتفت رجعت الى أماكنها
ومرابطها وبركت واستراحت

ومنها ما تجتر وتسترجع ما بلعته وتطحنه ثانية وتباع وتزدد الى مواضع
آخر من كروشها خلقتها غير خلقة الاولى متهيئة لطبخ الحرارة الغريزية لها
والتمكن من نضجها لكى تستمرء بها الطبيعية وتميز ثقلها من لطيفها وتدفع
الثقل الى الامعاء والمصارين ويخرج من الثقب والمواضع المعدة لذلك وترد
اللطيف الصافى الى الكبد لتطبخها ثانية وتصفىها وتفيض اخلاطها على الاوعية
المعدة لقبولها مثل الطحال والمرارة والقلب والكليتين والعروق الجوفية التى هى
كالانهار والجداول فى ابدانها ليجري ذلك الدم الصافى فيها الى سائر اطراف
اجسادها وتخاف بدلا عما تحمل من ابدانها إذ كانت اجساد الحيوانات كلها فى
الدوبان والسيلان من اسباب داخلية ومن اسباب خارجة .

وما يفضل من تلك المواد فى ابدان الذكر فقد جعل البارى الحكيم لها
أعضاء وأوعية ومجاري يحصل فيها وهى النطفة تجرى منها الى ارحام الاناث
عند السفاد والنزول والجماع .

وجعل فى ابدان الاناث أعضاء وأوعية ومجاري يحصل فيها وينضاف اليها
ما ينزل فى ابدان الاناث من الرطوبات المشاكلات لها على ممر الايام والشهور
وتجتمع وتكثر ويخاق البارى الحكيم منها صورة مثل أحد الزوجين كما شاء

وكيف شاء كما بينا طرفاً من ذلك في رسالة مسقط النطفة وكل هذه الاسباب والعلل عناية من الباري الحكيم جل ثناؤه لبقاء اشخاصها ودوام نسلها زماناً طويلاً أطول مما يمكن ويتيحاً في ذلك النوع من الحيوان تبارك الله أحسن الخالقين وأحكم الحاكمين وارحم الراحمين

﴿ فصل ﴾

وأما السباع الأكلة للاجهان فان خلقتها وطباعها وتركيب بعض أعضائها الظاهرة والباطية وأمزجتها وشهواتها مخالفة لما عليه الحيوانات الأكلة العشب وذلك ان الباري لما خلقها وجعل غذاءها من أكل الاجهان ومادة أبدانها من جثة الحيوانات جعل لها انياباً صلاباً ومخالب مقوسة قوية وزنادات متينة ووثبات خفيفة وقفزات بعيدة شديدة تستعين بها على قبض الحيوانات وضبطها وخرق جلودها وشق أجوافها وكسر عظامها ونهش لحومها من غير رحمة لها ولا شفقة عليها

وقد تحير أكثر العقلاء وتاه أكثر العلماء والفلاسفة الحكماء من المحققين بفكرتهم في هذا وبحثهم عن عللها وما وجه الحكمة والصواب في هذا وقد بينا نحن ما الحكمة وما الصواب في ذلك في رسالة العلل والمعلولات وسنذكر طرفاً منه في هذه الرسالة في فصل آخر ان شاء تعالى .

﴿ فصل ﴾

اعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه بان الباري الحكيم لما خلق أجناس الحيوانات المختلفة الصور والطباع والمتصرفات قسمها اربعة اقسام :
فمنها سكان الهواء وهي أنواع الطيور أكثرها والحشرات جميعها .
ومنها سكان الماء وهو كل حيوان يسبح في الماء كالسمك والسرطان والضفادع والصدف ونحو ذلك .

ومنها سكان البر وهي البهائم والانعام والسباع ومنها سكان التراب وهي

الهوام . وجعل في كل قسم منها بعضاً آكلًا وبعضاً مأكولاً
 وذلك ان من الطير ما يأكل الحب والتمر ومنها ما يأكل اللحم وهي الجوارح
 وكل ماله مخلب ومنقار مقوس لا يتقدر أن يلتقط الحب أو يأكل التمر
 وهكذا حكم حيوان الماء بعضه آكل وبعضه مأكول وهكذا حكم حيوان
 التراب من الهوام كالحيات والضب والقطايا واشباهها

فصل

واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه ان الباري الحكيم لما خلق الحيوانات
 التامة البنية قسم بنية أجسادها نصفين اثنين يمنة ويسرة ليكون مطابقاً لأول
 العدد وللأمور المثنوية العنصرية التي ذكرناها في رسالة المباديء وجعلها
 ثلاث طبقات وسطاء وطرفين ليكون مطابقاً لأول عدد فرد وللأمور ذوات
 الاوساط والطرفين وجعل مزاج أبدانها من أربعة أخلاط مطابقاً لأول عدد
 مجذور ومطابقاً أيضاً لاربع طبائع بعدد الاركان الاربعة وجعل لها خمس حواس
 دراية لصور المحسوسات ومطابقاً لأول عدد دائر ولعدد الطبائع الاربعة
 والخامسة الطبيعة الفلكية وجعل فيها قوة تتحرك بها الى ست جهات مطابقاً
 لأول عدد تام ولعدد سطوح المكعب وجعل في أبدانها سبع قوى فعالة
 مطابقاً لأول عدد كامل ولعدد الكواكب السيارة وجعل في أبدانها ثمان
 مزاجات : أربعة مفردة واربعة مزدوجة مطابقاً لأول عدد مكعب ولعدد مناسبات
 الموسيقى وجعل تركيب أبدانها وتأليف أجسادها من تسع طبقات مطابقاً لأول
 عدد فرد مجذور ولعدد طبقات الافلاك المحيطات وجعل في أبدانها اثني عشر
 ثقباً أبواباً لحواسها وما رتبها مطابقاً لأول عدد زائد ولعدد بروج الفلك
 وأسس بناء أجسادها على أعمدة ظهورها ثمانية وعشرين خرزة مطابقاً لعدد
 تام ولما نزل القمر وجعل في أبدانها ثلاثمائة وستين عرقاً لجريان الدم الى سائر
 أطراف أبدانها مطابقاً لعدد درج بروج الفلك ولعدد أيام السنة وعلى هذا

القياس والمثال اذا عدواعتبر وجد عدد كل عضو مطابقا لعدد جنس من الموجودات
فقد تبين بما ذكرنا معنى قول الحكماء الفيشاغوريين أن الموجودات بحسب طبيعة
العدد وذلك تقدير العزيز العليم

فصل

في ذكر تصانيف أحوال الطيور وأوقات الطيور وأوقات هيجانها
وسفادها وكيفية اتخاذها اعشاشها واصلاح أوكارها وكيفية
بيضها ومدة حضانتها وكيفية تربيتها لاولادها فنقول

اعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه بأن من الطيور ما يتزاوج ويتعاشق
ويهيج ويسفد في سائر فصول السنة ويعاون الذكر منها الانثى في تحضين البيض
وفي تربية الاولاد كالحمام ومنها ما لا يعاون لا في الحضانة ولا في تربية الاولاد
كالديك ومنها ما لا يهيج في السنة الا مرتين عند الفصلين المعتدلين الربيع والخريف
وفي الصيف وأكثر الطيور لا تهيج ولا تسفد الا في آخر الشتاء عند استقبال
الربيع وتبيض فيه وتحضن وتربي اولادها لعلمها بطيب الزمان واعتدال الهواء
وكثرة الريف والقوت الموجود في أكثر الاماكن

ومن الطيور ما تتخذ عشاشها بين أغصان الشجر وأوراقها . ومنها ما تتخذ
في الاراضين الدغلة بين الحشيش والشوك كالتقيج والذراج والطيحوج . ومنها في
ثقب الحيطان أو في أصول الأشجار . ومنها تحت السقوف . ومنها على رؤوس
الحيطان والخرابات . ومنها على رؤوس الجبال والتلال . ومنها على شطوط
الانهار وسواحل البحار ، ومنها ما تتخذ في البراري والقفار وبين الاحجار .
ومن طيور الماء ما يأخذ بيضها باحدى رجليه على صدره ويسبح بالآخرى الى
أن تحضن وتخرج فراخها

ومن الطيور ما يبيض ويحضن بيضتين . ومنها أربع ، ومنها ست ، ومنها
ثمان ومنها عشرة واثنتي عشرة وعشرين وثلاثين

ومن الطيور ما يربي فراخه مما في حوصلته من الحب المنقوع ومنها ما تلثم
أفراخها بمنقارها من الصيد والحب والخمر ، ومنها ما تفقص من بيضها بعضا
وتحسده أفراخها كالنعامة ومنها ما يبحث في الارض ويلقي الى افراخه الحب
والديب كالدرج والدجاج

ومن الطيور ما هو سريع الطيران دائما طول النهار كالخطاف . ومنها ما هو
ثقيل الطيران قليلا كالسمان . ومنها بعيد الورد كالقطا ، ومنها بعيد الاسفار
كالغراب . ومنها ما لا يفارق الموطن كالعصافير . ومنها ما تطير في أسفارها
قطاراً كقطار الجبال كالكركي ومنها ما يطير مصطفا متحاذيا كصف المصلين .
ومنها ما يطير جماعات مختلطات ملتئمة . ومنها ما يطير مستقبلا للريح . ومنها ما
يطير مستديرا لها . ومنها ما يطير موربا على الجانب ، ومنها ما يطير متوجها
قاصداً ومنها ما يطير مرتفعا ومنخفضا ويمنة ويسرة ، ومنها ما يطير مستقيما قاصداً
ومنها ما اذا نهض للطيران عدا على وجه الارض خطوات ثم استعلى في الجو .
ومنها ما ينهض منتصباً دفعة واحدة . ومنها ما يرتقي في جو الهواء مختلفا مستديراً
كالصاعد الى المنابر . ومنها ما اذا استقل استقل منعرجا منعطفاً كالصاعد
للعقبة . ومنها ما اذا استقل في جو الهواء أمسك عن تحريك جناحيه . ومنها ما
يمسكها تارة ويحركها تارة أخرى . ومنها ما اذا أراد النزول الى الارض نكس
رأسه وزج نفسه منقضا ومصوباً كالطر يوم الريح . ومنها ما ينزل برفق ملوياً كما
ينزل من المنارة . ومنها ما ينزل معطفاً يمينة ويسرة كما تنزل الدواب من العقبة ،
ومنها ما ينزل مدلياً رجليه ضاماً جناحيه أو مدلياً مرسلاً وكل واحد من الطيور
متناسب الجناحين من الطول والعرض والوزن والعدد وفي كل جناح أربعة عشر
طاقة ريش صلبة قصباتها مجوفة خفاف مصطفة من جانب ومتوازية من جانب
وتماها طاقات آخر أقصر منها موفور الدثار من الجانبين يسد خلفها طاقات وعلى
أبدان الطائر طاقات من الريش أقصر من ذلك وهو لباس لها وفي خلفها طاقات

أخرى صغار لينة الزبير بينة الريف هي دثار لها ووطاً وغطاً من الحر والبرد
وزينة لها

وأيضاً أكثر الطير ذنبه مناسب لجناحيه وعدده اثنتى عشرة طاقة أو أنقص
ومن الطير ما ذنبه أوفر من جناحيه كالطاووس . ومنها ما جناحاه وافران
طويلان وذنبه قصير كالكرأكي

ومن الطير ما ينتفض عن فرخه البيض وهو موفر عليه ريشه كالدرج
والدجاج . ومنها ما يكون معرى من الريش ثم يخرج ريشه في أيام التربية
كفراخ الحمام

ومن الطير ما تلى ريشه دهناً فلا يتبل كطير الماء . ومنها ما يرمى بريشه في
كل سنة ويخرج له غيره ومنه ما بين أصابع رجليه غشاوات
ومن طير الماء ما ينهض من الماء في طيرانه . ومنها ما يخرج من الماء الى
الارض ثم يطير

ومن الطير ما هو طويل الرجلين والجناحين والعنق والمنقار . ومنها قصير
الرقبة طويل المنقار وأكثر الطيور في طيرانه يجمع رجليه الى صدره . ومنها
ما يمدها الى خلفه مع ذنبه كالكرأكي واللقاق
ومن الطير ما يكون طويل العنق يطوي عنقه في طيرانه ومنها ما هو بمده
الى قدامه كمالك الحزين

ومن الجوارح من الطير ما يقبض على الطيور في جو الهواء ويأخذها في
طيرانها . ومنها ما اذا لحفها في طيرانها دخل من تحتها مستلقياً على ظهره وقبض
عليها فقلبها . ومنها ما ينحط عليها ويخطفها من وجه الارض . ومنها ما يقع على
رؤوس الغزلان وحمير الوحش وينشب مخالبه فيها ويرفرف بجناحيه على أعينها
ويقتلها . والحمام الهادي يعرف سميت البلد المقصود بالنظر في جو الهواء الى جريان
الانهار وميل الاودية ثم ينحو السوادات ويتيامن عن الجبال ويتياسرعنها وعن
مهب الرياح في تصاريهها

وهكذا تعرف الطيور التي تفتى في البلاد الدفيئة وتصيف في البلدان الباردة
مواقعها وأكثر الطيور لها جودة البصر والشم والذوق والسمع وأما اللمس فدون
ذلك من أجل الريش الذي على جلودها والجوارح من الطيور كلها وافية الجناحين
عريضة الأذنان شديدة الطيران قصيرة الرجلين والرقبة طويلة الافخاذ قوية
المخالب معقربة المناقير لا تقدر على التقاط الحبوب بل تأكل اللحمان وتصطاد
غيرها .

ومن الطيور ما يلتقط الحب ويأكل الثمر أو يصطاد الحشرات والهوام ويأكل
النبات والحشيش !

ومن الطيور ما يطير بالليل والنهار أو يسافر ويتعيش !

ومن الطيور ما يطير بالليل دون النهار . وأما أكثرها فبالنهار دون الليل
ومن الطيور ما يأوى بالليل إلى رؤوس الأشجار وبين أغصانها وأوراقها
ومنهم ما يأوى إلى رؤوس الجبال والتلال والحيطان والقلاع . ومنها ما يأوى إلى
الآجام والدغل . ومنها ما يأوى إلى الثقب والاعشاش والاحجرة وتحت السقوف
ومنهم ما يأوى إلى الجزائر بين الأنهار والمياه . ومنها ما يبني في الصحاري وعلى
الشواطئ ويتحارس بالنوب وعلى السواحل . ومنها ما يبني في الجو

ومن الطيور ما ينتبه بالأسحار ويترنم ويسبح . ومنها ما يبكر في طاب
القوت . ومنها ما يسفر ويتصبح ويضحى ثم يمر وينصرف في طاب القوت « تندو
خاصاً وتروح بطاناً » !

ومن الطيور ما يفرخ وينشر بالغدوات . ومنها بالعشيات . ومنها في انصاف
النهار . ومنها في يوم الغيم ، ومنها في يوم الصحو . ومنها في يوم المطر . ومنها
في شدة الحر . ومنها في شدة البرد . ومنها في يوم الريح

فصل

واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه ان من الطيور ما إذا نهض واستقل

في جو الهواء في طيرانه يكون كشكل المثلث يسط بمجناحين وافيين منشورين وذب مثل ذلك مناسب لهما مثل الزراير والخطاطيف ومنها ما يكون كشكل المربع بمجناحين وافيين منشورين وعنق طويل ممتد من قدام ورجلين طويلين ممتدتين من خلف وذب قصير مثل الكراكي والقاتق ومن الحشرات ما يكون في طيرانه كشكل المسدس له أربعة أجنحة من الجانبين ورأس قدام وذب خلف كالجراد والبق والزناير

واعلم يا أخي بأنك اذا تأملت واعتبرت أبدان الطيور والحشرات وجدتها كلها مترنة الجانبين طولاً وعرضاً خفة وثقلاً يمنة ويسرة وخلفاً وقداماً ومن أجل هذا اذا نتف من احدى جناحيه طاقت ريش اضرب في طيرانه كرجل أعرج في مشيته اذا كانت احدى رجليه أطول والأخرى أقصر ومن أجل ذلك أيضاً متى نتف من ذنبه طاقت ريش اضرب في طيرانه مكبواً على رأسه كمثل زورق أو سارية في الماء في ثقل صدرها وخفة كوتلها ومن أجل هذا صار بعض الطيور اذا مد رقبتة الى قدام مد رجليه الى خلف ليتوازن ثقل رجليه بثقل رقبتة كالكراكي ومن الطير ما يطوي رقبتة الى صدره ويجمع رجليه تحت بطنه في طيرانه كالك الحزين وعلى هذا المثال حكم سائر الطيور والحشرات في طيرانها.

﴿ فصل في بيان بدء الخلق ﴾

يقال انه لما توالت اولاد بنى آدم وكثرت وانتشرت في الارض براً وبحراً وسهلاً وجبلاً متصرفين فيها في مأربهم آمنين بعد ما كانوا قاتلين خائفين مستوحشين من كثرة السباع والوحوش في الارض وكانوا يأوون في رؤوس الجبال والتلال متحصنين فيها وفي المغارات والكهوف وبأكلون من ثمر الاشجار وبقول الارض وحب النبات وكانوا يستترون بأوراق الشجر من الحر والبرد ويشتون في البلدان الدفيئة ويصيفون في البلدان الباردة ثم بنوا في سهول الارض الحصون والقرى والمدن وسكنوها

ثم سخروا من الانعام البقر والغنم والجمال ومن البهائم الخيل والبغال والحمير
 وقيدوها وألجموها وصرفوها في ما ربههم من الركوب والحمل والحرس والدراس
 وأتعبوها في استخدامها وكفوها أكثر من طاقتها ومنعوها من التصرف في
 ما ربهها بعد ما كانت مخلات في البراري والآجام والغياض تذهب وتجيء حيث
 أرادت في طلب مرأيتها ومشاربها ومصالحها ونفرت منهم بقيتها من حمر الوحوش
 والغزلان والسباع والوحوش والطيور بعد ما كانت مستأنسة متوالفة مطمئنة
 في أوطانها وأما كنها وهربت من ديار بني آدم الى البراري البعيدة والآجام
 والدحال ورؤوس الجبال وشمر بنو آدم في طلبها بأنواع من الحيل والقنص
 والشباك والفضاخ واعتقد بنو آدم فيها انها عبيد لهم ، هربت وخلعت الطاعة
 وعصت ثم مضت السنون والايام على ذلك الى أن بعث الله محمداً صلى الله عليه
 وآله ودعا الانس والجن الى الله ودين الاسلام فأجابته طائفة من الجن وحسن
 اسلامها وهضت على ذلك مدة من الزمان

ثم انه ولى على بني الجان ملك منها يقال له بيراست الحكيم لقبه شاه
 مردان . وكانت دار مملكته مردان في جزيرة يقال لها صاغون في
 وسط البحر الاخضر مما يلي خط الاستواء وهي طيبة الهواء والتربة فيها أنهار
 عذبة وعميون جارية وهي كثيرة الريف والمرافق وفنون الاشجار وألوان الثمار
 والرياض والأنهار والرياحين والأنوار ثم انه طرح الرياح العاصفة في وقت
 من الزمان مركباً من سفن البحر الى ساحل تلك الجزيرة وكان فيها قوم من
 التجار والصناع وأهل العلم وسائر أغنياء الناس فخرجوا الى تلك الجزيرة وطاقوا
 فيها فوجدوها كثيرة الاشجار والنواكه والثمار والمياه العذبة والهواء الطيب
 والتربة الحسنة والبقول والرياحين وأنواع الزرع والحبوب مما تنبته أمطار
 السماء ورأوا فيها أصناف الحيوانات من البهائم والانعام والطيور والسباع
 والوحوش والهوام والحشرات أجمع وهي كلها متألفة بعضها في بعض مستأنسة
 غير متنافرة

ثم ان اولئك القوم استطابوا ذلك المقام واستوطنوا وبنوا هنالك البنيان
وسكنوا ثم انهم أخذوا يتعرضون لتلك البهائم والانعام التي هناك يسخرونها
ليركبوها ويحملوا عليها أثقالهم على المنوال الذي كانوا يفعلون في بلدانهم فنفرت
منهم تلك البهائم والانعام التي كانت هناك وهربت وشذروا في طلبها بأنواع
من الحيل في أخذها واعتقدوا فيها انها عبيد لهم، هربت وخلعت الطاعة وعصت
فلما علمت تلك البهائم والانعام هذا الاعتقاد منهم فيها جمعت زعماءها وخطباءها
وذهبت الى بيراست الحكيم ملك الجن وشكت اليه ما القيت من جور بني آدم
وتعديهم عليها واعتقادهم فيها فبعث ملك الجن رسولا الى اولئك القوم ودعاهم
الى حضرته فذهب طائفة من أهل ذلك المركب الى هناك وكانوا نحواً من سبعين
رجلا من بلدان شتى فلما بلغه قدمهم أمر لهم بطرح الانزال والاكرام ثم
أوصلهم الى مجاسه بعد ثلاثة أيام

وكان بيراست الحكيم عادلاً كريماً منصفاً سمحاً يقري الاضياف ويؤوي
الغرباء ويرحم المبتلى ويمنع الظلم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يبتغي
بذلك غير وجه الله تعالى ومرضاته فلما وصلوا اليه ورأوه على سرير ملكه حيوه
بالتحية والسلام فقال لهم الملك على لسان الترجمان : ما الذي جاء بكم الى بلادنا
يوم ادعاكم الى جزيرتنا من غير مراسلة قبل ذلك

قال قائل من الانس دعانا ما سمعنا من فضائل الملك وما بلغنا من مناقبه
الحسان ومكارم أخلاقه الجسام وعدله وانصافه في الاحكام فحجنا ان ليسمع كلامنا
ويتبين حجتنا ويحكم بيننا وبين عبيدنا الآبقين وخولنا المنكرين ولا يتنا والله
يوفق الملك للصواب ويسدده للرشاد وهو أحكم الحاكمين

فقال الملك قولوا ما تريدون وبينوا ما تقولون . قال زعيم الانس نعم أيها الملك
نقول ان هذه البهائم والانعام والسباع والوحوش أجمع عبيد لنا ونحن أربابها
وهي خول لنا ونحن موالها فمنها هارب آبق عاص ومنها مطيع كاره منكر للعبودية

قال الملك للانسي ما الدليل والحجة على ما زعمت وادعيت . قال الانسي نعم أيها الملك لنا دلائل شرعية سمعية على ما قلنا وحجج عقلية على ما ادعينا . فقال الملك هات أوردتها فقام الخطيب من الانس من أولاد العباس ورقى المنبر وخطب الخطبة وقال :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وصاحب الشفاعة يوم الدين وصلوات الله على ملائكته المقربين وعلى عباده الصالحين من أهل السموات والارضين من المؤمنين والمسلمين وجعلنا واياكم منهم برحمته وهو ارحم الراحمين .

الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وخلق منه زوجة وبث منها رجالا كثيرا ونساء وأكرم ذريتهما وحماهم في البر والبحر ورزقهم من الطيبات . قال الله عز وجل : « والانعام خلقها لكم فيها دفق ومنافع ومنها تأكلون واكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » وقال تعالى : « وعليها وعلى الفلك تحملون » وقال : « وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم » وقال : « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة » وقال : « لتستوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استوتيم عليه » وآيات كثيرة في القرآن والتوراة والانجيل تدل على انها خلقت لنا ومن أجلنا وهي عبيد لنا ونحن اربابها واستغفر الله لي ولكم .

فقال الملك قد سمعتم يامعشر البهائم والانعام ما قال الانسي من آيات القرآن فاستدل بها على دعواه فأبى شيء ااكم وعندكم فيما قال فقام عند ذلك زعيمها وهو البغل فقال :

الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد القديم السرمد الذي كان قبل الاكوان بلا زمان ولا مكان ثم قال كن فيكان نورا ساطعا أظهره من مكنون غيبه ثم خلق من النور بحرا من النار اجاجا، وبحرا من الماء زجراجا، اذا امواج ثم خلق من

الماء والنار افلاكا ذوات ابراج وشهابا وهاجاً ، والسماء بناها والارض دحاها
والجبال ارساها وجعل اطباق السموات مسكن العلين وفسحة الافلاك مسكن
الملائكة المقربين، والارض وضعها للانام وهو النبات والحيوان ثم خلق الجان من
نار السموم وخالق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين في قرار
مكين وجعل ذريته في الارض يخلفون ليعمروها ولا يخربوها ويحفظون الحيوانات
وينتفعون بها ولا يظلمونها ولا يجورون عليها استغفر الله لي ولكم

ثم قال ليس في شيء مما قرأ هذا الانسى من آيات القرآن أيها الملك دلالة
على ما زعم انهم ارباب ونحن عبيد لهم انما هي آيات تذكركم بانعام الله عليهم
واحسانه فقال لهم سخرها لكم كما قال سخر الشمس والقمر والسحاب والرياح
أفترى أيها الملك بانها عبيد لهم وممالك وانهم اربابها

واعلم أيها الملك بأن الله خالق كل ما في السموات والارض وجعلها مسخرة
لبعضها لبعض اما لجر منفعتها اليها أو دفع مضرتها فسخر الله الحيوان للانسان
بما هو لا يصل المنفعة اليها ودفع المضرة عنها كما سنبين بعد هذا الفصل لا كما
ظنوا وتوهموا وما قالوه من الزور والبهتان بانهم ارباب لنا ونحن عبيد لهم

﴿ فصل ﴾

ثم قال زعيم البها ثم أيها الملك كنا نحن وآباءنا سكان الارض قبل خلق آدم
أبي البشر قاطنين في ارجاءها ، ظاعنين في فجائها، تذهب وتجيء كل طائفة منا في
بلاد الله في طلب معاشها وتتصرف في صلاح أمورها كل واحد مقبل على شأنه
في مكان موافق لما ربه من برية أو أجمة أو جبل أو ساحل أو تلال أو غياض أو
رمال كل جنس منا مؤالف لابناء جنسه مشتغلين باتخاذ نتاجنا وتربية الاولاد
في طيب من العيش بما قدر الله لنا من المأكل والمشرب والتمتع آمنين في أوطاننا
. معافين في ابداننا نسبح الله وتقديسه ونوحده ليلا ونهاراً ولا نعصيه ولا نشرك
به شيئاً ومضت على ذلك الدهور والازمان .

ثم ان الله جل ثناؤه خاق آدم ابا البشر وجعله خليفة في الارض وتوالد اولاده وكثرت ذريته وانتشرت في الارض براً وبحراً وسهلاً وجبلاً وضيقوا علينا الاماكن والاطوان وأخذ منا من أخذ أسيراً من الغنم والبقر والحيل والبغال والحمير وسخروها واستخدموها واتعبوها بالكد والعناء في الاعمال الشاقة من الحمل والركوب في السفر والحضر والشد في الفدن والدواليب والطواحين بالقهر والغلبة والضرب والهوان والوان من العذاب طول أعمارنا: فهرب منا من هرب في البراري والقفار ورؤس الجبال وشمر بنو آدم في طلبنا بانواع من الحيل فمن وقع منا في ايديهم شدوه بالذل والقييد والقنص والتدبير والسليخ وشق الاجواف وقطع المفاصل وبتف الريش وجز الشعر والوبر ثم نار الطبخ والوقد والتشوية والوان من العذاب ما لا يبلغ الوصف كنهها .

ومع هذه الاحوال كلها لا يرضى منا هؤلاء الادميون حتى ادعوا علينا أن هذا حق واجب لهم علينا وانهم ارباب لنا ونحن عبيد لهم فمن هرب منا فهو آبق عاص تارك الطاعة كل هذا بلا حجة لهم علينا ولا بيان ولا برهان الا القهر والغلبة .

فلما سمع الملك هذا الكلام وفهم هذا الخطاب أمر مناديا فنادى في مملكته ودعا الجنود والاعوان من قبائل الجن من بنى ساسان وبنى خاقان واولاد شيبان والقضاة العدول والنقهاء من آل ادريس وبنى بلقيس وقعد لفصل انقضاء بين زعماء الحيوانات والجدليين من الانس . ثم قال لزعماء الانس ما تقولون فيما تحكى هذه البهائم والانعام من الجور وما يشكون من الظلم والتعدي منكم فقال زعيم الانس :

نقول أن هؤلاء عبيد لنا ونحن مواليها ولنا أن نتحكم عليها نتحكم الأرباب وتتصرف فيها تصرف الملاك كيف شاء . فمن أطاعنا طاعته لله ومن عصانا وهرب فمعبيته لله . فقال الملك للانسي ان الدعاوي لا تصح عند الحكام الا بالبينات

ولا تقبل الا بالحجة الواضحة فيما قلت وادعيت ، فقال الانسى ان لنا حججاً عقلية ودلائل فلسفية تدل على صحة ما قلنا . قال الملك ما هي بينها لتعلمها . قال نعيم حسن صورتنا وتنويم بنية هيكلنا وانتصاب قامتنا وجوده حواسنا ودقة تمييزنا وذكاء نفوسنا ورجحان عقولنا كل هذا يدل على انا ارباب وهم عبيد لنا . فقال الملك لزعيم البهائم ما تقولون فيما قال الانسى . قال ليس شيء مما قال بدليل على ما ادعى هذا الانسى . قال الملك أليس انتصاب القيام واستواء الجلوس من شيم الملوك وانحناء الاصلاب والانكباب على الوجوه من صفات العبيد . قال الزعيم وفقك الله أيها الملك للصواب وصرف عنك سوء الامور استمع لما أتقول

اعلم بأن الله جل ثناؤه ما خلقهم على تلك الصورة ولا سواهم على هذه البنية لتكون دلالة على انهم ارباب ولا خلقنا على هذه الصورة وسوانا على هذه البنية لتكون دلالة على اننا عبيد ولكن لعلمه واقتضاء حكمته بأن تلك البنية هي أصلح لهم وهذه أصاح لنا

﴿ فصل في بيان علة اختلاف صور الحيوانات ﴾

بيان ذلك ان الله عز وجل لما خلق آدم وأولاده عراة بلا ريش على أبدانهم ولا وبر ولا صوف على جلودهم يقيهم من الحر والبرد وجعل أرزاقهم من ثمر الاشجار ودثارهم من أوراقها وكانت الاشجار منتصبه في جو الهواء جعل أيضاً قامتهم منتصبه ليسهل عليهم تناول الثمر والورق منها وهكذا لما جعل أرزاقنا من حشيش الارض جعل بنية أبداننا منحنية ليسهل علينا تناول العشب من الارض فلهذه العلة جعل صورهم منتصبه وصورنا منحنية لا كما توهموا . فقال الملك ما تقولون في قول الله عز وجل « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » . قال الزعيم أن للكتب النبوية تأويلات وتفسيرات غير ما يدل عليه ظاهر الفاظها يعرفها العلماء الراسخون في العلم فليسأل الملك أهل الذكر . قال الملك لحكيم الجن ما

معنى قوله « في أحسن تقويم » . قال في اليوم الذي خلق فيه آدم كانت الكواكب في اشراقها وأوتاد البروج قائمة والزمان معتدلاً كثير المواد . وكانت متهيئة لقبول الصور فجاءت بنيتها في أحسن صورة وأكمل هيئة . قال الملك وكفى بهذه الفضيلة كرامة وافتخاراً . قال الحكيم ان لها معنى غير ما ذكر وتبين ذلك بقوله : « فعدلك في أي صورة ما شاء ربك » يعني لم يجعلك طويلاً دقيقاً ولا قصيراً لزيقاً بل ما بين ذلك . فقال زعيم البهائم ونحن كذلك فعل بنا أيضاً لم يجعلنا طوالاً ولا دناقاً ولا قصاراً ولا صغاراً بل بين ذلك فنحن وهم في هذ الصورة والفضيلة والكرامة بالسوية . فقال الانسى زعيم البهائم من أين لكم اعتدال القامة واستواء البنية وتناسب الصورة وقد نرى الجمل عظيم الجثة طويل الرقبة صغير الاذنين قصير الذنب ونرى الفيل عظيم الخلقه طويل الزندين . واسع الاذنين صغير العينين ونرى البقر والجاموس طويل الذنب غليظ القرون ليس له أنياب من فوق ونرى الكبش عظيم القرنين كبير الالية ليس له لحية والتيس طويل اللحية ليس له الية مكشوف العورة ونرى الارنب صغير الجثة كبير الاذنين وعلى هذا المثال والقياس نجد الحيوانات والسباع والوحوش والطيور والهوام مضطربات البنية غير متناسبة الاعضاء

فقال زعيم البهائم هيئات ذهب عليك ايها الانسى احسنها وخفى عليك أحكمها . أما علمت انك لما عبت المصنوع فقد عبت الصانع او لا ترى وتعلم بأن هذه كلها مصنوعات الباري الحكيم خلقها بحكمته لعلل وأسباب وأغراض لجر المنفعة اليها ودفع المضرة عنها ولا يعلم ذلك الا هو والراسخون في العلم ، قال الانسى فخبيرنا أيها الزعيم اذا كنت حكيم البهائم وخطيبها ما العلة في طول رقبة الجمل . قال ليكون مناسباً لطول قوائمه لينال الحشيش من الارض ويستعين به على النهوض بحمله وليبلغ مشفره الى سائر أطراف بدنه فيحكها

وأما خرطوم الفيل فعوض عن طول الرقبة وكبر أذنيه ليذب البق والذباب

عن ما في عينيه وفه اذ كان فمه مفتوحاً أبداً لا يمكنه ضم شفثيه لخروج أنيابه منه وأنياه سلاح له يمنع بها السباع عن نفسه
 واما كبر اذن الارنب فهو من اجل أن تكون دثاراً لها ووطاء وغطاء في الشتاء
 والصيف ، لانه رقيق الجلد ترف البدن وعلى هذا القياس نجد كل حيوان جعل
 الله عز وجل له من الاعضاء والمفاصل والادوات بحسب حاجته اليه لجر المنفعة
 أو دفع المضرة والى هذا المعنى أشار موسى عليه السلام بقوله « ربنا الذي أعطى
 كل شيء خلقه ثم هدى

وأما الذي ذكرت أيها الانسى من حسن الصورة وافتخرت به علينا فليس
 فيه شيء من الدلالة على ما زعمت بأنكم أرباب ونحن عبيد فاذا كان حسن الصورة
 شيء من ثوب فيه عند أبناء الجنس من الذكور والاناث ليدعوهم ذلك الى الجماع
 والسفاد والنتاج والتناسل لبقاء النسل فاننا لانرغب في محاسن اناثنا ولا اناثنا
 في محاسن ذكراننا كما لا يرغب السود في محاسن البيض ولا البيض في محاسن السود
 وكما لا يرغب اللواط في محاسن الجوارى ولا الزناة في محاسن الغلمان فلا فخر
 لكم علينا بمحاسن الصور أيها الانسى

﴿ فصل في بيان جودة الحواس في الحيوانات ﴾

وأما الذي ذكرته من جودة حواسكم ودقة تمييزكم وافتخرتم به علينا فليس
 ذلك لكم خاصة دون غيركم من الحيوانات لان فيها ما هو أجود حاسة منكم
 وأدق تمييز فمن ذلك الجمل فانه مع طول قوائمه ورقبته وارتفاع رأسه من
 الارض في الهواء يبصر ويرى موضع قدميه في الطرقات الوعرة والمسالك الصعبة
 في ظلم الليل ما لا يرى ولا يبصر أحدكم الا بسراج أو مشعل أو شعوع وترى
 الفرس الجواد يسمع وطء الماشى من البعد في ظلمة الليل حتى انه ربما نبه صاحبه
 من نومه بركضة رجله حذراً عليه من عدو أو سبع وهكذا نجد كثيراً من
 الحمير والبقر اذا سلك بها صاحبها طريقاً لم يسلكها قبل خلاها ثم رجعت الى
 (م - ١٢)

مكانها ومعقلها وموضعها المألوف فلا تتيه وقد يوجد من الانس من قد يسلك طريقاً دفعات ثم انه يضل فيه ويتهي ونجد من الغنم والشاء ما يلد منها في ليلة واحدة عدداً كثيراً وتسرح من الغد الى الرعى وتروح بالعشى وتخلي من الوثاق مائة من البهائم وأكثر فيذهب كل واحد الى أمه لا يشكل عليها أهياتها ولا تشبهه وكذلك أولادها على أمهاتها والانسى ربما يمر به الشهر والشهران أو أكثر وهو لا يعرف والدته من أخته ولا والده من أخيه فأين وجود الحاسة ودقة التمييز الذي ذكرته وافتخرت به علينا أيها الانسى

وأما الذي ذكرته من رجحان العقول فلسنا نرى له أثر أو علامة لانه لو كان لكم عقول راجحة لما افتخرتم علينا بشيء ليس هو من افعالكم ولا اكتساب منكم بل هي مواهب من الله جل ذكره لتعرفوا مواقع النعم وتشكروا له ولا تعصوه وإنما العقلاء يفتخرون بأشياء هي افعالهم من الصنائع المحككة والآراء الصحيحة والعلوم الحقيقية أو المذاهب المرضية والسنن العادلة والطرق المستقيمة ولسنا نراكم تفتخرون بشيء منها غير دعوى بلا حجة وخصومة بلا بينة

﴿ فصل في بيان شكاية الحيوان من جور الانس ﴾

قال الملك الانس قد سمعت الجواب فهل عندك شيء غير ما ذكرت قال نعم أيها الملك هنالك مسائل أخر ومناقب غير ما ذكرت تدل على أنا أرباب وهم عبيد لنا فمن ذلك بيعنا وشراؤنا لها واطعامنا وسقيانا لها اذا مرضت ونكسوها ونكفيتها من الحر والبرد وندفع عنها السباع ان تفترسها وندأويها اذا مرضت وننفق عليها اذا اعتلت ونعلمها اذا جهلت ونحلبها اذا اعيت ونعرض عنها اذا جنت كل ذلك اشفاقا عليها ورحمة لها وتحننا عليها وكل هذا من افعال الارباب بعبيدها والموالي بخولها

قال الملك للزعيم قد سمعت ما ذكر فأي شيء عندك أجب قال زعيم البهائم أما قوله انا نبيعها ونشتريها فهكذا يفعل أبناء فارس بأبناء الروم وأبناء الروم بأبناء فارس اذا ظفر بعضهم ببعض افتري أيهم العبيد وأيهم الموالى والارباب وكذلك

يفعل أبناء الهند بابناء السند وأبناء السند بابناء الهند فليهم الموالي وأيهم العبيد وهكذا يفعل أبناء الحبشة بابناء النوبة وأبناء النوبة بابناء الحبشة وكذلك يفعل أبناء الاعراب والاكراد والأتراك بعضهم ببعض فليهم ليت شعري العبيد وأيهم الموالي بالحقيقة وهل هي أيها الملك العادل إلا دول ونوب تدور بين الناس بموجبيات أحكام النجوم والقرانات كما ذكر الله تعالى ذلك « وتلك الايام نداؤها بين الناس وما يعقلها إلا العالمون » وأما الذي ذكر باننا نطعمها ونسقيها ونكسوها وما ذكره من سائر ما يفعلون بنا فليس ذلك لشفقة علينا منهم ولا رحمة لنا ولا تحننا علينا ولا رأفة بنا بل مخافة أن نهلك فيخسرون أماننا وتفوتهم المنافع منا من شرب الباننا ودثارهم من أصوافنا وأوبارنا وأشعارنا وركوبهم ظهورنا وحمالهم اثقالهم علينا لشفقة ولا رحمة كما ذكر. ثم تكلم الحمار فقال الحمار أيها الملك لو رأيتنا ونحن اسارى في أيدي بنى آدم موقرة ظهورنا باثقالهم من الحجارة والاجر والتراب والخشب والحديد وغيرها ونحن نمشى تحتها ونجهد بكبد وعناء شديد وبأيديهم العصا والمقارع يضربون وجوهنا وادبارنا بحنق وعنف وضجر وصخب لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا أيها الملك فإين الرحمة وأين الشفقة والرأفة منهم علينا كما زعم هذا الانسى ثم تكلم الثور فقال لو رأيتنا أيها الملك ونحن اسارى في أيدي بنى آدم مقرنين في فدانهم مشدودين في دواليهم وارحيتهم مغطاة وجوهنا مشدودة أعيننا وهم يضربونا مع ذلك لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا فإين الرحمة والشفقة والرأفة منهم علينا كما زعم هذا الانسى ثم تكلم الكباش فقال أيها الملك لو رأيتنا ونحن اسارى في أيدي بنى آدم يأخذون صغار أولادنا من الجدي والحملان فيفرقون بينها وبين أمهاتها ليستأثروا بالباننا لا ولادهم ويجعلوا أولادنا مشدودة أرجلها وأيديها محمولة الى المذابح والمسالخ جائعة عطشانة تصيح فلا ترحم وتصرخ وتستغيث فلا تغاث ثم تراها مذبوحة مسلوخة مشقوقة أجوافها مفرقة أعضاؤها ورؤسها وكروشها ومصارينها وأكبادهها في دكاكين القصابين مقطعة بالسواطير مطبوخة في

القدور مشوية في التنور ونحن سكوت لانبكي ولا نشكوا وان شكونا أوبكينا
لم نرحم فاية رحمة وأية رأفة لهم علينا كما زعم هذا الانسى
ثم تكلم الجمل فقال أيها الملك لو رأيتنا ونحن أسارى في أيدي بنى آدم مخزومة
أنوفنا ، بأيدي جماليهم خطامنا ، يجر ونا على كره منا محملة ظهورنا بأثقالهم نقاد
ونساق في ظلم الاليل في القفار والفلوات والمسالك الوعرة والحيوانات قائمة في
أوطانها ونحن نمشى بأثقالهم نصدم الصخور والحجارة والدكادك باخفافنا مقرحة
جنوبنا وظهورنا من احتكاك أقتابنا ونحن جياع عطاش لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت
علينا أيها الملك فأين الرحمة والرأفة علينا كما زعم هذا الانسى
ثم تكلم الفيل فقال لو رأيتنا أيها الملك ونحن أسارى في أيدي بنى آدم
والقيود في أرجلنا والقلوس في رقابنا وكلايب الحديد في أيديهم يضربون بها
في أدمغتنا يضربوننا يمئة ويسرة على كره منا مع كبر جثتنا وعظم خلقتنا وطول
أنيابنا وشدة قوانا لا تقدر على دفع ما نكره لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا أيها
الملك فأين الرحمة وأين الرأفة لهم علينا كما زعم هذا الانسى
ثم تكلم الفرس فقال أيها الملك لو رأيتنا ونحن أسارى في أيدي بنى آدم
واللجم في أفواهنا والسروج على ظهورنا بالبطرنجات والحزم مشدودة على أوساطنا
والفرسان المدرعة على ظهورنا تزج وتهجم بنا في الغبار عواريا جياعاً وعطاشا
والسيوف في وجوهنا والسهام في نحورنا والرماح في صدورنا نخوض المياه ونسبح
الدماء لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا أيها الملك
ثم تكلم البغل فقال لو رأيتنا أيها الملك ونحن أسارى في أيدي بنى آدم
والشكال في أرجلنا واللجم في أفواهنا والحكيات في أحنا كنا والاقفال على
فروجنا ممنوعين عن شهوات نتاجنا والا كف على ظهورنا وسفهاء الألس
من الساسة والركابة فوق ذلك وبأيديهم العصى والمقارع يضربون وجوهنا
وأدبارنا ويشتمونا بأقبح ما يقدرون عليه من الشتم والفحشاء بمحق وغيظ وسفاهة
حتى انه ربما بلغ به السفه منهم أن يشتموا أنفسهم واخواتهم وامهاتهم وبناتهم

ويقولون اير الحمار في است من باعه واشتراه أو ملكه يعنى به صاحبه كل ذلك راجع اليهم وهم به أولى

فاذا فكرت أيها الملك فيما هم فيه من هذه الاوصاف من السفاهة والجهالة والفحشاء والقبائح من الكلام رأيت منهم عجباً من قلة التحصيل لما هم فيه من الاحوال المذمومة والصفات القبيحة والاخلاق الرديئة والاعمال السيئة والجهالة المتراكمة والآراء الفاسدة والمذاهب المختلفة ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ولا يتعظون بمواعظ أنبيائهم ولا يأترون بوصية ربهم حيث يقول : « وليعفوا أو ليصنعوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم » . وقوله تعالى « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله » وقوله تعالى « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم » وقوله تعالى : « وما من دابة في الارض الا على الله رزقها » وقوله تعالى : « لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولون سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا منقلبون »

فلما فرغ البغل من كلامه التفت الجمل الى الخنزير فقال له قم وتكلم واذا كر ما تلقون معشر الخنازير من جور بني آدم واشك الى الملك الرحيم فلعله يرق لنا ويرحمنا وينفك أسرنا من أيدي بني آدم فانكم من الانعام فقال حكيم من حكماء الجن لا لعمرى ليس الخنزير من الانعام بل من السباع ألا ترى ان له أنياباً ويأكل الجيف

وقال قائل آخر من الجن بل هو من الانعام ألا ترى ان له ظلفاً ويأكل العشب والعلف وقال الآخر لا بل هو مركب من السباع والانعام والبهائم مثل الفيل والزرافة مركبة من الحمار والجمل

ثم قال الخنزير لا جمل والله ما أدري ما أقول وعن أشكو من كثرة اختلاف القائلين في أمرنا

أما حكماء الجن فقد سمعت ما قالوا . وأما الانس فهم أكثر اختلافاً في أمرنا وأبعد رأياً ومذهباً وذلك ان المسامين يقولون انا ممسوخون ملعونون ويستقبحون صورتنا ويدتثقلون أرواحنا ويستقذرون لحومنا ويتشائمون من ذكرنا وأما أبناء الروم فيتنافسون في أكل لحومنا في قرابينهم ويتبركون بها الى الله

أما اليهود فيغضبوننا ويشتموننا ويلعنوننا من غير ذنب منا اليهم ولا جناية عليهم لكن لعداوة بينهم وبين النصارى وأبناء الروم وأبناء الارمن فكنا عندهم كحكم البقر والغنم عند غيرهم يتبركون بنا من خصب أبداننا وسمن لحومنا وكثرة نتاجنا وغزارة الباننا

وأما الاطباء من اليونانيين فيتداون بشحومنا ويتواصفونها في ادويتهم وعلاجاتهم .

واما ساسة الدواب فيخالطوننا يدوابهم وعلقها لان حالها يصلح عندهم بمخالطتنا وشمها روائحنا

واما الاساكفة والجرأزون فيتنافسون في شعر اعرافنا ويتبادرون في نتف اسلتنا في شدة حاجتنا اليها فقد تحيرنا لا ندري لمن نشكر ومن نشكو ومن نتظلم

فلما فرغ الخنزير من كلامه التفت الحمار الى الارنب وكان واقفاً بين قوائم الجمل فقال له قم فتكلم واذا كر ما تلقون معشر الارانب من جور بني آدم واشك الى الملك الرحيم لعله يرحمنا وينظر في امرنا ويفك اسرنا من ايدي بني آدم فقال الارنب اما نحن فقد هربنا من بني آدم وتركنا دخول ديارهم واوينالى البحال والغياض وسلمنا من شرورهم ولكننا بلينا بالكلاب والخليل والجوارح ومعاوتتهم لبني آدم علينا وحملهم الينا وطلبهم لنا ولاخواننا من الغزلان وحمر الوحوش وبقرها وابلها والوعول الساكنة في الجبال اعتصاماً بها

ثم قال الارنب اما الكلاب والجوارح وتعاونهم لبنى آدم فهم معذورون في معاونة الانس علينا لما لها من النصيب في اكل لحومنا لانها ليست من ابناء جنسنا بل من السباع

اما الخيل فلانها منا معاشر البهائم وليس لها نصيب في اكل لحومنا فما لها ومعاونة الانس علينا لولا الجهالة وقلة المعرفة وقلة التحصيل للأمر والحقائق

﴿ فصل ﴾

(في بيان تفضيل الخيل على سائر البهائم وغيرها)

قال الانسى للارنب أقصر فقد أ كثرت اللوم والذم للخيل ولو علمت أنها خير حيوان سخرته الانس لما تكلمت بهذا الكلام . قال الملك للانسى وما تلك الخيرية التي قلتها اذ كرها قال خصال محمودة ، وأخلاق مرضية ، وسيرة نجبية ، من ذلك حسن صورتها وتناسب أعضائها ، وبنية هيكلها وصفاء لونها ، وحسن شعرها ، وسرعة عدوها ، وطاعتها لفارسها ، كيف شاء وكيف أراد صرفها انقادت له يمنة ويسرة وقداماً وخلفاً في الطلب والهرب وذكاء نفسها وجودة حواسها ، وحسن آدابها ربما لا تبول ولا تروث مادام راكبها عليها ولا تحرك ذنبها اذا ابتل شعر ذنبها لئلا يصيب صاحبها ولها قوة الفيل وتحمل راكبها بخوذته وجوشنه وسلاحه مع ما لها من السرج واللام والتمجافيف وآلة الحديد نحو الف رطل عند سرعة العدو ولها صبر الحمار عند اختلاف الطعن في صدرها ونحرها في الهيجاء وسرعة عدوها في الغارات والطلب كحملات السرحان وتمشى كمشى السنور في التبخر وعرولة كذئب يتنقل وعظفات أيضاً كعظفات جامود الصخر اذا حطه السيل ومبادرة للعدو في الزهان كمن يطلب الحلبة ، قال الارنب نعم ولكن لها مع هذه الخصال المحمودة والاخلاق الجميلة عيب كبير يغطي هذه الخصال كلها

فقال الملك ما هو بين لى . قال الجهالة وقلة معرفة بالحقيقة وذلك أنه يعدو

تحت عدو صاحبه الذي لم يره قط في الهرب مثل ما يعدو تحت صاحبه الذي ولد في داره وتربى في منزله في الطلب ويحمل عدو صاحبه اليه في طلبه كما يحمل صاحبه في طلب عدوه ، وما مثله في هذه الخصال الا كمثل السيف الذي لا روح فيه ولا حس ولا شعور ولا معرفة فانه يقطع عنق صيقله كما يقطع عنق من أراد

كسره وتعويجه وعيبه انه لا يعرف الفرق بينهما

ثم قال الارنب ومثل هذه الخصال موجودة في بنى آدم وذلك أن أحدهم ربما يعادي والديه وصاحبه واخوانه وأقربائه ويكيدهم ويسئ اليهم مثل ما يفعله بالعدو البعيد الذي لم يره منه براً ولا احساناً قط . وذلك ان هؤلاء الانس يشربون البان هذه الانعام كما يشربون البان أمهاتهم ويركبون ظهور هذه البهائم كما يركبون أكتاف آبائهم صغاراً وينتفعون بأصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً الى حين . ثم آخر الامر يذبحونها ويسلخونها أو يشقون أجوافها ويقطعون مفاصلها ويذيقونها نار الطبخ والشى ولا يرحمونها ولا يذكرون احسانها اليهم وما نالوا من فضلها وبركتها

فلما فرغ الارنب من لومه الانس والخليل وما ذكر من عيوبهم . قال الحمار لا تكثر من اللوم فانه ما من أحد من الخلق أعطى فضائل وهو اهاب حمة الا وقد حرم ما هو أكثر منها وما من أحد حرم مواهب الا وقد أعطي شيئاً لم يعطه غيره لان مواهب الله كثيرة لا يستوفيهما كلها شخص واحد ولا نوع ولا جنس واحد بل فرقت على الخلق طراً فكثير ومقل وما من شخص آثار الربوبية فيه أظهر الا ورق العبودية عليه أبين مثل ذلك نيرا الفلك وهما الشمس والقمر فانهما لما أعطيا من مواهب الله حظاً جزيلاً من النور والعظمة والظهور والجلالة حتى أنه ربما توهم قوم أنهما ربان الهان لبيان آثار الربوبية فيهما حرماً بدل ذلك التحرز من الكسوف ليكون دليلاً لاولى الالباب على انهما لو كانا الهين لما انكسفا وهكذا حكم سائر الكواكب الفلكية لما أعطيت الانوار الساطعة والافلاك الدائرة والاعمار الطويلة حرمت التحرز من الاحتراق والرجوع

والهبوط لتكون آثار العبودية عليها ظاهرة . وهكذا حكم سائر الخلق من الجن والانس والملائكة فما منها أحد أعطى فضائل حجة وموآب جزيلة الا وتد حرم ما هو أكبر واجل وانما الكمال لله الواحد انقهار العزيز الغفار الشديد العقاب ومن أجل ما ذكرنا قيل

ولست بمستبق أخاً لا تلومه على شعث أي الرجال المهذب
فلما فرغ الحمار من كلامه تكلم الثور وقال . لكن ينبغي لمن وفر حظه
من مواهب الله تعالى أن يؤدي شكرها وهو أن يتصدق من فضل ما أعطى على
من قد حرم ولم يرزق منها شيئاً

أما ترى الشمس لما وفر حظها جزيلاً من النور كيف تفيض من نورها على
الخلق ولا تمن عليهم . وكذلك القمر والكواكب كل واحد على قدره وكان
سبيل هؤلاء الانس لما أعطوا من مواهب الله تعالى ما قد حرم غيرهم من الحيوان
أن يتصدقوا عايتها ولا يمتنون

ولما فرغ الثور من كلامه ضجبت البهائم والانعام وقالت جميعاً . ارحمنا
أيها الملك العادل الكريم وخذ بأيدينا وخلصنا من جور هؤلاء الانس الآدميين
الظلمة فالتفت الملك عند ذلك الى جماعة من حضر من حكماء الجن وعلمائهم فقال
ألا تسمعون شكاية هذه البهائم والانعام وما يصفون من جور بني آدم عليها
وظلمهم لها وتعديهم عليها وقلة رحمتهم بها

قالوا قد سمعنا كل ما قلوا وهو حق وصدق ومشاهد منهم ليلاً ونهاراً
لا يخفي على العقلاء ذلك . ومن أجل ذلك هربت بنو الجان من بين أيديهم
وظهر انيهم الى البراري والقفار والمناموز والنلوات ورؤوس الجبال والتلال
وبطون الاودية وسواحل البحار لما رأوا من قبائح أفعالهم وسوء أعمالهم
ورداءة اخلاقهم وتركت ان تأوى ديار بني آدم ومع هذه الخصال كلها لا
يتخلصون من سوء ظنهم ورداءة اخلاقهم واعتقادهم في الجن وذلك انهم يقولون
ويعتقدون ان للجن في الانس نزغات وخبطات وفزعات في صبيانهم ونسائهم

وجها لهم حتى انهم يتعوذون من شر الجن بالتعاويد والرقى والاحراز والتمايم
وما شاكلها ولم يروا قط جنياً قتل انسيا او جرحه او اخذ ثيابه او سرق متاعه
او نقب داره او فتق جيبه او بتر كفه او فشق قفل دكانه او قطع على مسافر او
خرج على السلطان او اغار غارة او اخذ اسيراً وكل هذه الخصال توجد فيهم
ومنهم بعض البعض ليلا ونهاراً ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون
فلهما فرغ القائل من كلامه نادى مناد الا ايها الملاء امسيتم فانصرفوا الى
مساكنكم مكرمين لتعودوا غداً آمنين

فصل

(في بيان منفعة المشاورة لذوى الرأي)

ثم ان الملك لما قام من المجلس خلا بوزيره بيراز وكان رجلاً عاقلاً رزيناً
فيلسوفاً حكيماً فقال له الملك قد شاهدت المجلس وسمعت ما جرى من هؤلاء
الطوائف الوافدين من الكلام والاقاويل وعامت فيما جاؤا له فبماذا تشير ان
تفعل بهم وما الرأي الصواب الذى عندك
قال الوزير ايد الله الملك وسدده وهداه الرشاد ، الرأي الصواب ، عندي
ان يأمر الملك قضاة الجن وفقهائها وحكائها واهل الرأي ان يجتمعوا عنده
ويستشيرهم في هذا الامر فان هذه قصة عظيمة وخطب جليل وخصومة طويلة
والامر فيها مشكل جداً والرأي مشترك والمشاورة تزيد ذوى الرأي الرصين
بصيرة وتفيد المتحير رشداً والحازم اللبيب معرفة ويقيناً
فقال الملك نعم ما رأيت وصواب ما قلت ثم أمر الملك بعد ذلك باحضار
قضاة الجن من آل جرجيس والفقهاء من بنى ناهيد واهل الرأي من بنى بيران
الحكيم والحكماء من آل لقمان واهل التجارب من بنى هامان والحكام والفلاسفة
من بنى كيوان واهل الصرامة والعزيمة من آل بهرام فلما اجتمعوا عنده خلا
بهم ثم قال لهم

قد علمتم ورود هذه الطوائف الى بلادنا ونزولهم بساحتنا ورأيتم حضورهم
مجلسنا وسمعتهم أقوليلهم ومناظراتهم وشكاية هذه البهائم الاسيرة من جور بني آدم
وقد استجاروا بنا واستدموا بذماننا وتحرموا بطعامنا فاذا ترون وما الذي
تشيرون أن تفعل بهم قال رأس الفقهاء من أهل ناهيد بسط اللهيد الملك بالقدرة
ووفقه للصواب أما الرأي عندي أن يأمر الملك هذه البهائم أن يكتبوا قصتهم
ويذكروا فيها ما يلقون من جور بني آدم ويأخذون فيها فتاوى الفقهاء فان في
هذا خلاصا لهم ونجاة من الظلم فان القاضى سيحكم لهم أما بالبيع أو بالعتق أو
بالتخفيف والاحسان اليهم فان لم يفعل بنو آدم ما حكم به ونهت هذه البهائم منهم
فلا وزر عليها فقال الملك للجماعة ماذا ترون فيما قال وأشار فقالوا صوابا ورشادا
ثم أشار غير صاحب العزيمة من آل بهرام فانه قال رأيتم ان استباعت هذه البهائم
واجابها بنو آدم الى ذلك من ذا الذى يزن أثمانها قال الفقيه الملك قال من أين
قال من بيت مال المسلمين من الجن قال صاحب الرأي ليس في بيت المال ما يفي
بأثمان هذه البهائم وخصلة أخرى ان كثيراً من بنو آدم لا يرغبون في بيعها لشدة
حاجتهم اليها واستغنائهم عن أثمانها مثل الملوك والاشراف والاعنياء وهذا أمر
لا يتم فلا تتعبوا افكاركم في هذا فقال الملك فما الرأي الصواب عندك قل لنا قال
الصواب عندي أن يأمر الملك هذه البهائم والانعام الاسيرة في أيدي بني آدم ان
تجمع رأيا وتهرب كلها في ليلة واحدة وتبعد من ديار بني آدم كما فعلت حمر
الوحش والغزلان والوحوش والسباع وغيرها فان بنو آدم اذا أصبحوا لم يجدوا
ما يركبون ولا ما تحمل ائقاهم امتنعوا عن دلبها لبعدها المسافة ومشقة الطريق فيكون
هذا نجاة لها وخلاصا من جور بني آدم فعزم الملك على هذا الرأي ثم قال لمن كان
حاضرا ماذا ترون فيما قال وأشار قال رئيس الحكماء من آل لقمان هذا عندي
أمر لا يتم فلا تتعبوا أنفسكم فهو بعيد المرام لان أكثر هذه البهائم لا تكون
بالليل الا مقيدة أو مغللة والابواب عايتها مغلقة فكيف يتسنى لها الهرب في
ليلة واحدة قال صاحب العزيمة يبعث الملك تلك الليلة قبائل الجن يفتحون لها

الابواب ويحلون عقلمها واوثاقها ويخجلون حراسها الى أن تبعد البهائم واعلم أيها
 الملك بان لك في هذا اجرا عظيما وقد محضت لك النصيحة لما ادركنى من الرحمة
 لها وان الله تعالى لما علم من الملك حسن النية وصحة العزيمة فانه يعينه ويؤيده
 وينصره اذا شكر نعمته بمعاونة المظلومين وتخليص المكرويين فان في بعض كتب
 الانبياء عليهم السلام مكتوبا يقول الله عز وجل أيها الملك اني لم أسلطك لتجمع
 المال وتتمتع وتشتغل بالشهوات واللذات ولكن لترد عنى دعوة المظلوم فاني لا
 ارد لها ولو كانت من كافر فعزم الملك الى ما أشار به صاحب الرأي ثم قال لمن
 حوله من الحضور ماذا ترون فيما قال قالوا محض النصيحة وبذل المجهود فصدقوا
 رأيه جميعا غير حكيم من آل كيوان فانه قال بصرى الله أيها الملك خفيات
 الامور وكشف عن بصرى مشكلات الاسباب والدهور أن في هذه الاسباب
 والعمل خطبا جليلا لا تؤمن غائلة عاقبته ولا يستدرك اصلاح ما فات منه ولا
 ما فرط فقال الملك عرفنا يا حكيم ما رأى وما الذى يخاف ويحذر بين لنا لنكون
 على علم وبصيرة قال نعم أرأيت أيها الملك ان تم ما أشير به عليك من وجه نجاة
 هذه البهائم من أيدي بنى آدم وهربها من أيديهم أليس بنو آدم من الغديصبجون
 وقد رأوا حادثا عظيما من فرار هذه البهائم وهربها من ديارهم فيعلمون يقينا بان ذلك
 ليس من فعل البهائم ولا من تدبير الانس بل لا يشكون بان ذلك من فعل الجن
 وحيلتهم قل الملك لاشك فيه قال أليس بمد ذلك كما فكر بنو آدم فيما فاتها
 من المنافع والمرافق بهربها منهم امتلأت حزنا وغيظا وغما وأسفا على ما فاتها
 وحققت على بنى الجان عداوة وبغضا واضمرت لهم حيلة ومكائد ويطلبونهم كل
 مطلب ويرصدونهم كل مرصد ويقع بنو الجان عند ذلك في شغل وعبادة ووجل
 كانوا في غنا عنه وقد قالت الحكماء أن اللبيب العاقل هو الذى يصلح بين
 الاعداء ولا يجلب الى نفسه عداوة ويحجز المنافع الى غيره ولا يضر نفسه قالت
 الجماعة صدق الحكيم الفيلسوف الفاضل ثم قال القائل من الحكماء ما الذى يخاف

ويحذر من عداوة الانس لبنى الجان أيها الحكيم أن ينالوهم من المكاره وقد علمت بان الجان أرواح خفيفة نارية تتحرك علواً وطبعاً وبنو آدم أجساد أرضية ثقيلة تتحرك بالطبيعة سفلاً ونحن نراهم ولا يرونا ونسير فيهم ولا يحسون بنا ونحن نحيطهم وهم لا يحسوننا فأى شيء يخاف منهم علينا أيها الحكيم فقال له الحكيم هيهات ذهب عنك عظامها وخفي عليك أجسامها أما علمت ان بنى آدم وان كانت لهم أجساد أرضية ثقيلة فان لهم أرواحاً فلكية ونفوساً ناطقة ملكية بها يفضلون عليكم ويمتازون عنكم واعلموا ان لكم فيما مضى من أخبار القرون الاولى معتبراً ومختبراً وفيما جرى بين بنى آدم وبين بنى الجان في الدهور السالفة دليلاً واضحاً فقال الملك اخبرنا أيها الحكيم كيف كان وحدثنا بما جرى من الخطوب وكيف تم ذلك

﴿ فصل في بيان العداوة بين بنى الجان وبين بنى آدم وكيف كانت ﴾

قال الحكيم نعم ان بين بنى آدم وبنى الجان عداوة طبيعية وعصبية جاهلية وطبعاً متنافرة يطول شرحها قال الملك اذكر منها طرفاً وابتداءً من أوله قال الحكيم فاعلم ان بنى الجان كانت في قديم الايام والازمان قبل آدم أبى البشر عليه السلام سكان الارض وقاطنيها وكانوا قد طبقوا الارض برأً وبحراً سهلاً وجبالاً فطالت أعمارهم وكثرت النعمة لديهم وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة فطغت وبغت وتركت وصية أنبيائها واكثرت في الارض الفساد فضجت الارض ومن عليها من جورهم فلما انقضى الدور واستؤنف القرآن أرسل الله تعالى جنداً من الملائكة نزلت من السماء فسكنت الارض وطردت بنى الجان الى اطراف الارض منهزمة وأخذت سبياً كثيراً منها وكان فيمن أخذ أسيراً عزازيل ابليس اللعين فرعون آدم وهو إذ ذاك صبي لم يدرك فله نشأ مع الملائكة تعلم من علمها وتشبه بها في ظاهر الامر واخذ من رسومه وجوهره غير رسومها وجوهرها ولما طالت الايام صار رئيساً

فيها أمراً ناهياً متبوعاً حيناً ودهراً من الزمان والدهر فلما انقضى الدور واستؤنف القرآن اوحى الله الى اولئك الملائكة الذين كانوا في الارض فقال لهم انى جاغل في الارض خليفة من غيركم وارفعكم الى السماء فكرهت الملائكة الذين كانوا في الارض مفارقة الوطن المؤلف وقالت في مراجعة الجواب تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما كانت بنو الجان ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون لانى آليت على نفسى ان لا اترك على وجه الارض احداً من الملائكة ولا من الانس ولا من سائر الحيوان ولهذا اليمين سرقد بيناه في موضع آخر فلما خلق الله تعالى آدم وسواه ونفخ فيه من روحه وخلق زوجته حواء امر الملائكة الذين كانوا في الارض بالطاعة فانقادت لهما جميعاً ما عدا عزراييل فانه انف وتكبر واخذته الحمية حمية الجاهلية والحسد لما راي ان رياسته قد زالت ويحتاج ان يكون تابعا بعد ما كان متبوعاً ومرؤوساً بعد ما كان رئيساً فامر اولئك الملائكة ان يصعدوا بادم عليه السلام فادخلوه الجنة وهي بستان من الشرق على رأس جبل الياقوت الذي لا يقدر احد من البشر ان يصعد هناك وهي طيبة التربة معتدلة الهواء شتاءً وصيفا ليلاً ونهاراً كثيرة الانهار مخضرة الاشجار مفننة الثمار والفواكه والرياح والرياحين والانهار والازهار كثيرة الحيوانات غير المؤذية والطيور الطيبة الاصوات اللذيذة الالخان والنفحات وكان على راس آدم وحواء شعر طويل مدلى كأحسن ما يكون على الجوارى والابكار يبلغ قدميهما ويستر عورتيهما وكان دثار الهمما وستر الهمما وزينة وجمالاً وكانا يمشيان على حافات تلك الانهار ويشمان من الرياحين والازهار وياً كلان من ثمار تلك الاشجار ويشربان من مياه تلك الانهار بلا تعب من الابدان ولا عناء من النفوس ولا مشقة من كد الحرث والنسل والزرع والسقى والحصاد والدراس والطحن والخبز والغزل والنسج والخياطة والغسل وما اليوم اولادهم اياه مبتلون من شقاوة اسباب المعاش في هذه الدنيا وكان حكمهما في تلك الجنة حكم الحيوانات التي هناك مستودعين مستريحين متلذذين وكان الله تعالى بهم

ادم اسماء تلك الاشجار والثمار والرياحين واسماء تلك الحيوانات التي هناك فلما نطق آدم سأل الملائكة عنها فلم يكن عندها جواب فغدا عند ذلك ادم معلماً يعرفها اسماءها ومنافعها ومضارها فانقادت الملائكة لامره ونهيه لما تبين لها فضله عليها.

ولما علم عزازيل ذلك ازداد بغضا وحسدا واحتال لها بالمكر والخديعة والحيل والدغل والغش ثم اتاهما بصورة الناصح فقال لهما لقد فضلكما ربكما بما انعم به عليكما من الفصاحة والبيان ولو اكلتما من هذه الشجرة لازددتما علما وبقيتما ههنا خالدين امنين لا تموتان فاغترتا بقوله لما حلف لهما اني لكما لمن الناصحين وحملهما الحرص فتسابقا وتاولا ما كانا منبهين عنه

فلما اكلتا منها تناثرت شعورهما وانكشفت عوراتهما وبقيا عريانين واصابهما حر الشمس فاسودت ابدانهم وتزيرت الوان وجوههم ورأت الحيوان حالهما فانكرتهما وتفرت منهما واستوحشت من سوء حالهما وامر الله تعالى الملائكة أن اخرجوهما من هناك فرموهما الي اسفل الجبل فوقعا في بركة قفراء لانبث فيها ولا ثمر وبقيا هناك زمناً طويلاً يبكيان وينوحان حزناً وأسفاً على ما فاتهما نادمين على ما كان منهما

ثم ان رحمة الله تعالى تداركتهما فتاب الله تعالى عليهما وارسل ملكا يعلمهما الحرث والزرع والدراس والحصاد والطحن والخبز والغزل والطبخ والخياطة واتخاذ اللباس

ثم لما توالدا وتناسلا وكثرت ذريتهما خالطهم أولاد بني الجان وعلموهم الصنائع والحرث والغرس والبنيان والمنافع والمضار وصادقوهم وتوددوا اليهم وعاشروهم مدة من الزمان بالحسنى ولكن كلما ذكر بنو آدم ماجرى على ايهم من كيد عزازيل وعداوته لهم امتلات قلوب بني ادم غيظاً وحقداً على بني الجان فلما قتل قابيل هابيل اعتقدت أولادها بيل بأن ذلك من تعليم بني الجان فازدادوا غيظاً

وعداوة وطلبوهم كل مطب واحتالوا عليهم بكل حيلة من العزائم والرقي والمنادل
والدخن ودخان النفط والكبريت والحبس في القوارير والعذاب بالوان الدخان
والبخارات المؤذية لاولاد بنى الجان المنفرة لهم المشتة لاغراضهم فكان ذلك دأبهم الى
أن بعث الله ادريس النبي عليه السلام وهو هرهمس بلغة الحكماء فاصلح بين بنى
الجان وبين اولاد ادم عليه السلام بالدين والشريعة والاسلام والملة وتراجعت بنو الجان
على ديار بنى ادم وخالطوهم وعاشوا فيهم معهم بخير الى أيام الطوفان وبعد ذلك الى أيام
ابراهيم عليه السلام فلما طرح في النار اعتقد بنو ادم بأن تعاليم المذخنيق كان من بنى
الجان لغرود الجبار فلما طرح أخوة يوسف عليه السلام أخاهم في الجب نسب ذلك الى
نزغات الشيطان من اولاد الجن

فلما بعث الله موسى عليه السلام اصلح بين بنى الجان وبين بنى اسرائيل
بالدين والشريعة ودخل كثير من الجن في دين موسى عليه السلام
فلما كان أيام سليمان بن داود عاينها السلام شيد الله ملكه وسخر له الجن
والشياطين وغلب سليمان عاينه السلام على ملوك الارض افتخرت الجن على الانس
بان ذلك كان من معاونة الجن لسليمان وقالت لولا معاونة الجن لسليمان كان حكمه
حكم أحد ملوك بنى ادم وكانت الجن توهم الانس انها تعلم الغيب
فلما كان موت سليمان عليه السلام والجن في العذاب المهين لم تشعر بموته
فتبين انها لو كانت تعلم الغيب ما لبثوا في العذاب المهين

وأيضاً لما جاء الهدهد بخبر بلقيس وقال سليمان عليه السلام ما قال للملأ من
الجن والانس أيكم يأتي بعرشها افتخرت الجن قال عفريت من الجن وهو
اضطر بن مايان من الكيوان انا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك أي مجلس
الحكمة قال سليمان أريد أسرع من هذا قال الذي عنده علم من الكتاب انا
أتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وهو اصف بن برخيا

فلما راه مستقراً عنده خر سليمان عليه السلام ساجداً لله تعالى وتبين فضل
الانس على الجن وانقضى المجلس وانصرفت الجن من المجلس من هناك خجولين

منكسين رؤسهم وغوغاء الانس يتغططون في أثرهم ويستقفون أثرهم شامتين بهم
فلما جرى ما ذكرته هربت طائفة من الجن من سليمان وخرج عليهم خارج
منهم فوجه سليمان عليه السلام في طلبهم من جنوده وعلمهم كيف يأخذونهم
بارقى والعزائم والكلمات والآيات المنزلات وكيف يحسبونهم بالمنادل وعمل في
ذلك كتاباً وجد في خزائنه بعد موته وشغل سليمان عليه السلام طغاة الجن
بالاعمال الشاقة الى ان مات

ثم لما بعث المسيح عليه السلام دعى الخلق من الجن والانس الى الله تعالى
عز وجل ورجعهم في لقاءه وبين لهم طريق الهدى وعلمهم كيف الصعود الى
ملكوت السموات فدخل في دينه طوائف من الجن وترهبت وارتقت الى هناك
واستمعت من الملائكة الاعلى الاخبار والقت الى الكهنة

فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله منعت من استراق السمع وقالت
لاندرى أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشداً ودخلت قبائل من
الجن في دينه وحسن اسلامها وانصلح الامر بين بني الجن وبين المسلمين من
أولاد آدم عليه السلام الى يومنا هذا.

ثم قال الحكيم يامعشر الجن لاتعرضوا لهم ولا تفسدوا الحال بينكم وبينهم
ولا تحركوا الاحقاد الساكنة ولا تثيروا الاضغان الكامنة والبغضاء والعداوة
القديمة المركوزة في الطباع والجبلة فانها كالنار الكامنة في الاحجار تظهر عند
احتكاكها فتشتمل بالكباريت فتحترق المنازل والاسواق ونعوذ بالله من ظفر
الاشرار ودولة الفجار والعار والبوار فلما سمع الملك والجماعة هذه القصة العجيبة
اطرقت مفكرة فيما سمعت

ثم قال الملك للحكيم فما الرأي الصواب عندك في أمر هذه الطوائف الواردة
المستجيبة بنا وعلى أي حال نصرهم من بلادنا راضين بالحكم الصواب.

قال الحكيم الرأي الصواب لايسنح الا بعد التثبت والتأني بالفكر والروية
والاعتبار بالامور الماضية والرأي عندي أن يجلس الملك غداً في مجلس النظر

ويحضر الخصوم ويسمع عنهم ما يقولون من الحججة والبيان ليتبين له على من يتوجه الحكم ثم يدبر الرأي بعد ذلك

قال صاحب العزيمة أرايتم ان عجزت هذه البهائم عن مقاومة الانس في الخطاب لقصورها عن الفصاحة والبيان واستظهرت الانس عايتها بذراية السنمها وجودة عبارتها وفصاحتها أترى أن تبقى هذه البهائم أسيرة في أيديهم ليسوه ونها سوء العذاب دائماً قال لا ولكن تصير هذه البهائم في الاسر والعبودية الى ان ينقضى دور القرآن ويستؤنف نشوء آخر ويأتي الله لها بالفرج والخلاص كما نجى آل اسرائيل من عذاب فرعون وكما نجى آل داود من عذاب بخت نصر وكما نجى آل حمير من عذاب آل تبع وكما نجى آل ساسان من عذاب اليونان وكما نجى آل عمران من عذاب ازدشير

فان أيام هذه الدنيا دول بين أهلها تدور باذن الله تعالى وسابق علمه ونفاذ مشيئته بموجبات احكام القرانات والادوار في كل الف سنة مرة أو في كل اثنى عشرة الف سنة مرة أو في كل ستة وثلاثين الف سنة مرة أو في كل ثلاثمائة الف وستين الف سنة مرة أو في كل يوم مقداره خمسين الف سنة مرة فاعلم جميع ذلك.

فصل

في بيان كيفية استخراج العامة اسرار الملوك

فنعول اعلم ان الملك لما خلا بوزيره ذلك اليوم اجتمعت جماعة الانس في مجلسهم وكانوا سبعين رجلا من بلدان شتى فأخذوا يرجون الظنون فقال قائل منهم قد رأيتم وسمعتم ماجرى اليوم بيننا وبين هؤلاء عبيدنا من الكلام الطويل ولم تنفصل الحكومة فترى أي شيء رأى الملك في أمرنا، فقالوا لا ندري ولكن نظن انه قد لحق الملك من ذلك ضجر وشغل قلب وانه لا يجلس غداً للحكومة بيننا وبينهم . قال الاخر لكن أظن انه يخلو غدا مع وزيره ويشاوره في أمرنا

قال الاخر بل يجمع غدا الفقهاء والحكماء ويشاورهم في امرنا قال الاخر ترى ما الذي يشيرون به في امرنا فأظن أن الملك حسن الرأي فينا ولكن أخاف أن الوزير ربما يميل علينا ويحيف في امرنا قال الاخر أمر الوزير سهل نحمل اليه شيئاً من الهدايا يلين جانبه ويحسن رأيه وقال الاخر ولكن أخاف من شيء آخر قالوا وما هو قال فتاوى الحكماء والفقهاء وحكم الحاكم قال هؤلاء أمرهم أيضاً سهل نحمل اليهم شيئاً من التحف والرشوة فيحسن رأيهم فينا ويطلبون لنا جيلاً فقهية ولا يباليون بتغيير الاحكام ولكن بليتنا والذي نخاف منه صاحب العزيمة فانه صاحب الرأي والصواب والصرامة صلب الوجه وقح لا يبالي بأحد فان استشاره اخاف أن يشير عليه بالمعاونة لعميدنا علينا ويعلمه كيف ينزعها من أيدينا وقال اخر القول كما ذكرت ولكن ان استشار الملك الفلاسفة والحكماء يخالفونه في الرأي فان الحكماء اذا اجتمعت ونظرت في الامور سنجح لسكل واحد منهم وجه من الرأي غير الذي يسبح للاخر فيختلفون في ما يشيرون به ولا يكادون يجتمعون على رأى واحد

وقال آخر أرايتم ان استشار الملك القضاة والفقهاء ماذا يشيرون به علينا في أمرنا ، قال الاخر لا تخلو فتاوى الفقهاء وحكم القضاة من إحدى ثلاثة وجوه إما عتقها وتخليتها من أيدينا أو بيعها وأخذ ثمنها أو التخفيف عنها والاحسان اليها ليس في حكم الشريعة واحكام الدين غير هذا

وقال آخر أرايتم إن استشار الملك الوزير في أمرنا ماذا يشير عليه ليت شعري قال قائل منهم أظنه سيقول أن هذه الطوائف قد نزلوا بساحتنا واستدموا بدمامنا واستجاروا بنا وهم مظلومون ونصرة المظلوم واجبة على الملوك المقسطين لانهم خلفاء الله في أرضه ملكهم على عبادهم وبلادهم ليحكموا بينهم بالعدل والانصاف ويعينوا الضعفاء ويرحموا أهل البلاء ويقمعوا أهل الظلم ويجبروا الخلق على احكام الشريعة ويحكموا بينهم بالحق شكراً لنعم الله عليهم وخوفاً من مسائلتهم غداً

وقال آخر رأيتم لو أمر الملك القاضي أن يحكم بيننا فيحكم بأحد الاحكام الثلاثة ماذا تقولون وماذا تفعلون قالوا ليس لنا أن نخرج من حكم الملك ولا من حكم القاضي لان القضاة خلفاء الانبياء والملك حارس الدين.

وقال آخر رأيتم أن حكم القاضي بعثتها وتحميها سبيلها ماذا تصنعون. قال أحدهم نقول مما ليكننا وعبيدنا ورثناهم عن آباءنا وأجدادنا ونجن بالخيار ان شئنا فعلنا وان شئنا لم تفعل.

قالوا وإن قال القاضي هاتوا الصكوك والوثائق والعهود والشهود بأن هؤلاء عبيدكم ورثتموهم عن آباءكم قالوا نجىء بالشهود من جيراننا وعدول بلادنا قال ان قال القاضي إني لا أقبل شهادة الانس بعضهم لبعض على هذه البهائم انها عبيد لهم لانهم كلهم خصماء لها وشهادة الخصم لا تقبل في احكام الدين أو يقول القاضي أين الوثائق والصكوك والعهود هاتوها واحضروها ان كنتم صادقين . ما ذا تقول وتفعل عند ذلك فلم يكن عند الجماعة جواب في ذلك غير العباسي فانه قد قال نقول لقد كانت لنا عهود ووثائق وصكوك ولكنها غرقت في ايام الطوفان ، قالوا فان قال القاضي اخلقوا بايمان مغلظة انها عبيد لكم قال نقول لا يتوجه اليمين الاعلى المنكرين والبيينة على المدعين ونحن مدعون فلا يتوجه علينا اليمين ، قال فان استخلف القاضي هذه البهائم فخلقت بانها ليست بعبيد لكم ماذا تفعلون قال قائل منهم تقول انها قد حنثت فيما حلفت ولنا حجج عقلية وبراهين ضرورية تدل على انها عبيد لنا .

قال رأيتم أن حكم القاضي ببيعها وأخذ أثمانها فماذا تقولون وماذا تفعلون قال أهل المدن نبيعها ونأخذ أثمانها وننتقم بها ، فقال أهل الوبر من الاعراب والاكراد والاتراك والبوادي هلكننا والله ان فعلنا ذلك الله الله في أمرنا ولا تحدثوا أنفسكم بهذا فقال لهم أهل المدن لم ذاك قالوا لانا اذا فعلنا ذلك بقينا بلا لبن نشرب ولا لحم نأكل ولا ثياب من صوف ولا دثار من وبر ولا أثاث من

شعر ولا نعال ولا خف ولا نطع ولا قربة ولا غطاء ولا لبود ولا وطاء فنبقى
 عراة حفاة أشقياء بسوء الحال ويكون الموت خير لنا من الحياة ، ويصيب أهل
 المدن مثل ما أصابنا فلا تعتقوها ولا تبيعوها ولا تحدثوا أنفسكم بهذا الحديث
 بل الاحسان اليها والتخفيف عنها والرفق بها والتحنن عليها والرحمة لها فانها لحم
 ودم مثلكم تحس وتتألم ولم يكن لكم سابقة عند الله جازاكم بها حين سخرها
 لكم ولا كان لها جناية عند الله عاقبها بها ولا ذنب ولكن الله يفعل ما يشاء ويحكم
 ما يريد لا اراد لحكمه ولا مبدل لقضائه ولا منازع له في ملكه ولا خلاف لمعلومه
 أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم انه الغفور الرحيم

فصل

ولما قام الملك من مجلسه وانصرفت طوائف الحضور اجتمعت البهائم فخلصت
 نجياً فقال قائل منهم قد سمعتم ماجرى بيننا وبين خصائنا من الكلام والمناظرة
 ولم تفصل الحكومة على شيء فما الرأي عندكم قال قائل منهم نعود في غد ونشكوا
 ونبكي ونتظلم فلعل الملك يرحمنا ويفك أسرنا فانه قد أدركته الرحمة علينا اليوم
 ولكن ليس من الرأي الصواب للسلوك والحكام أن يحكموا بين الخصوم
 إلا بعد أن يتوجه الحكم على أحد الخصمين بالحجة الواضحة والبينة العادلة
 والحجة لا تصح إلا بالفصاحة والبيان وذرابة اللسان وهذا حاكم الحكام محمد
 رسول الله صلى الله عليه وعلى آله يقول : انكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن
 يكون ألحن بحجة من بعض فأحكم له فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ
 منه شيئاً فاني انما أقطع له قطعة من النار

واعلموا ان الانس أفصح منا لساناً وأجود بياناً وانا نخاف عليكم أن يحكم
 لهم علينا غداً عند الحجاج والمناظرة فما الرأي الصواب عندكم قولوا فان كل واحد
 من الجماعة اذا فكر سنع لكل واحد وجه من الرأي صواباً كان أو خطأ .
 قال قائل منهم الرأي الصواب عندي أن نرسل رسلا الى سائر أجناس

الحيوانات فنعرفهم بالخبر ونسألهم أن يبعثوا الينا زعماءهم وخطباءهم ليعاونونا فيما نحن فيه فان لكل جنس منها فضيلة ليست للآخرى بضروب من التمييز والرأي الصواب والفصاحة والبيان والنظر والحجج واذا اكثر الانصار يرجى الفلاح والنجاح والنصر من الله ينصر من يشاء والمعاقبة للمتقين

فقات الجماعة حينئذ : صواباً ما رأيت ونعم ما أشرت فأرسلوا ستة نفر الى ستة أجناس من الحيوان وسابها كانوا هم حضوراً من البهائم والانعام . منها رسول الى الحشرات ورسولا الى الطيور ورسولا الى السباع ورسولا الى الجوارح ورسولا الى الهوام ورسولا الى حيوان الماء

﴿ فصل في بيان تبليغ الرسالة ﴾

ثم بعد ذلك رتبوا الرسل وبعثوا الى كل واحد منهم فلما وصل الرسول الى أبي الحرث الاسد ملك السباع وعرفه الخبر وقال له ان زعماء البهائم والانعام مجتمعون مع زعماء الانس عند ملك الجن للمناظرة وقد بعثوا الى سائر أجناس الحيوانات يستمدون منها وبعثوني اليك لترسل معي زعيماً من جنودك من السباع لينظر ولينوب عن الجماعة من أبناء جنسه اذا دارت النوبة في الخطاب اليه . فقال الملك للرسول وماذا يزعم الانس وما يدعون على البهائم والانعام . قال الرسول يزعمون انها عبيد لهم وخول وانهم أرباب لها ولسائر أجناس الحيوانات التي على وجه الارض .

قال الاسد : وبماذا يفتخر الانس عليها ويستحقون الربوبية ؟ بالقوة والشجاعة والجسارة أم بالحمالات والوثبات أم بالقبض والامساك بالمخالب أو بالقتال والوقوف في الحرب أم بالهيبة والغلبة فان كانوا يفتخرون بواحدة من هذه الخصال جمعت جنودي ثم ذهبنا حتى نحمل عليهم حملة واحدة ونفرق جمعهم ونشقت شملهم قال الرسول لعمرى ان من الانس من يفتخر بمثل هذه الخصال بالتي ذكرها الملك ولهم مع ذلك أعمال وصنائع وحيل ومرافق ومكائد لا تتخذ

السلاح من السيوف والرماح الردينيات والحراب والسكاكين والنشاب،
والقسي والجنن والاحتراز من مخالب السباع وأنيابها بأخذ لباس اللبود والجواشن
والفرغندات والدروع والخوذ والزرد مما لا تنفذ فيها أنياب السباع ولا تصل إليها
مخالبها ولهم مع ذلك حيل أخرى في أخذ السباع والوحوش من الخنادق المحفورة
والزيات المستورة والصناديق المعمولة والفخاخ المنصوبة والوهق والستائر
والآلات آخر لا تعرفها السباع فتحذرهما ولا تهتدي كيف الخلاص منها اذا وقعت
هي فيها ولكن ليس الحكومة ولا المناظرة بحضرة ملك الجن بمصلحة من هذه
وانما الحجاج والمناظرة بفصاحة الالسنه وجودة البيان ورجحان العقول ودقة
التمييز .

فلما سمع الاسد قول الرسول وما أخبره به فكر ساعة ثم أمر منادياً ينادي
فاجتمعت عنده جنوده من أصناف السباع والوحوش من النمر والفهود والذئبة
وبنات آوى والذئاب والثعالب وسنانير البر والضباع وأصناف القروذ وبنات
عرس وبالجملة كل ذي مخلب وناب يأكل اللحمان

فلما اجتمعت عند الملك عرفها الملك الخبر وما قال الرسول ثم قال أياكم
يذهب الى هناك فينوب عن الجماعة فنضمن له ما يريد ويتمنى علينا من الكرامة
والقربى إذ هو نجح في المناظرة والحجة في الحجاج فسكتت السباع ساعة
متفكرة هل أحد يصلح لهذا الشأن أم لا ثم قال النمر للأسد أنت ملكنا
ومولانا ونحن عبيدك ورعيتهك وبنودك وسبيل الملك أن يدبر الرأي ويشاور
أهل البصيرة بالامور ثم يأمر وينهى ويدبر الامور كما يجب وسبيل الرعية أن
يسمعوا ويطيعوا لان الملك من الرعية بمنزلة الرأس من الجسد والرعية والجنود
بمنزلة الاعضاء من البدن فتي قام كل واحد منها بما يجب من الشرائط انتظمت
الامور واستقامت وكان في ذلك صلاح الجميع وفلاح الكل

فقال الأسد للنمر وما تملك الخصال والشرائط التي قلت انها واجبة على الملك
والرعية بينها لنا . قال نعم أما الملك فينبغي أن يكون رجلاً عاقلاً أديباً لبيباً

سرخيا شجاعا عادلا رحيا على الهمة كثير التحنن شديد العزيمة صارما في الامور .
متأنيا ذا رأي وبصيرة ومع هذه الخصال ينبغي أن يكون مشفقا على رعيته .
متحننا على جنوده وأعوانه رحيا بها كالأب المشفق على اولاده الصغار شديد
العناية بصلاح امورهم

وأما الذي يجب على الرعية والجنود والاعوان فالسمع والطاعة للملك والمحبة
له والنصيحة لاعوانه وان يعرفه كل واحد منهم ما عنده من المعرفة وما يحسن من
الصناعة وما يصلح له من الأعمال ويعرف الملك أخلاقه وسجاياه ليكون الملك
على علم منه وينزل كل واحد منهم منزلته ويستخدمه فيما يحسن ويستعين به فيما
يصلح له .

قال الاسد : لقد قلت صواباً ونطقت حقاً فبوركت من رحيم ناصح للملك
ولاخوانه ولابناء جنسه فما الذي عندك من المعاونة في هذه الامور التي قد
دعينا اليها واستعين بنا فيها

قال النمر للاسد سعد نجمك وظفرت يداك أيها الملك ان كان الأمر يمشى
هناك بالقوة والجلد والغلبة والقهر والحمل والحقد والحنى والحمية فانا لها .

قال الملك لا يمشى الامر هناك بشيء مما ذكرت .

قال الفهد ان كان الامر يمشى هناك بشيء من الوثبات والقفزات والقبض
والبسط فانا لها ، قال الملك لا

قال الذئب ان كان الامر يمشى هناك بالغارات والخصومات والمكابرات
فانا لها ، قال الملك لا

قال الثعلب ان كان الامر يمشى هناك بالختل والحيلة والعطفات والزوغات
وكثرة الالتفات والمكر فانا لها ، قال الملك لا

قال ابن عرس ان كان الامر يمشى باللصوصية والتجسس والاختفاء والسرقة
فانا لها ، قال الملك لا

قال القرد ان كان الامر يمشى هناك بالخيلاء والمجانة واللعب واللهو والرقص
 وضرب الطبل والدف فأنا لها ، قال الملك لا
 قال السنور ان كان الامر يمشى هناك بالتواضع والسؤال والكدية والمؤانسة
 والتخرخر فأنا لها ، قال الملك لا
 قال الكلب ان كان الامر يمشى هناك بالبصبة وتحريك الذنب واتباع
 الاثر والحراسة والنباح فأنا لها . قال الملك لا
 قال الضبع ان كان الامر يمشى هناك بنيش القبور وجر الجيف وحرب
 الكلاب والكراع وثقل الروح فأنا لها ، قال الملك لا
 قال الجرذ ان كان الامر يمشى هناك بالاضرار والافساد والقرض والقطع
 والسرقة والاحراب فأنا لها قال الملك لا يمشى الامر هناك بئى من هذه الخصال
 التى ذكرتموها

ثم أقبل الاسد على النمر وقال : ان هذه الخصال والطباع والاخلاق والسجايا
 التى ذكرت هذه الطوائف من أنفسها لا تصلح الجنود الملوك من بنى آدم
 وسلاطينهم وأمراءهم وقادة الجيوش وولاة الحروب وهم اليها أحوج وأليق
 بهم لان أنفسهم سبعية وان كانت أجسادهم بشرية وصورهم آدمية
 أما مجالس العلماء والفقهاء والحكماء وأهل العقل والرأي والعلم والتميز فان
 أخلاقهم وسجاياهم أشبه بأخلاق الملائكة الذين هم سكان السموات وجنود
 رب العالمين فمن ترى يصلح أن نبعثه الى هناك لينوب عن الجماعة
 قال النمر صدقت أيها الملك فيما قلت ولكن أرى العلماء والفقهاء من بنى
 آدم قد تركوا هذه الطريقة التى قلت أيها أخلاق الملائكة وأخذوا في ضروب
 من أخلاق الشياطين من المكابرة والمغالبة والتعصب والعداوة والبغضاء فيما
 يتناظرون ويتجادلون من الصياح والسفاهة . وهكذا من نجدهم في مجالس القضاة
 والحكام يفعلون ما ذكرت وتركوا استعمال الادب والعقل والنصيحة والعدل .
 قال صدقت ، ولكن رسول الملك يجب أن يكون رجلا عاقلا حكيما خبيراً فاضلاً

منصفاً كريماً لا يميل ولا يجنف في الاحكام فمن ترى ان نبعثه الى هناك رسولا
وزعيماً ينفي بخصال الرسالة وليس في جماعة الحاضرين من ينفي بها هاهنا

﴿ فصل في بيان صفة الرسول كيف ينبغي أن يكون ﴾

قال النمر للأسد ماتلك الخصال التي ذكرت أيها الملك أنها يجب أن تكون في
الرسول ، بينما لنا قال الملك نعم أولها يحتاج ان يكون رجلاً عادلاً حسن
الاخلاق بليغ الكلام فصيح اللسان جيد البيان حافظاً لما يسمع محترماً
فيما يجب ويقول مؤدياً للامانة حسن العهد مراعيّاً للحقوق كتموماً للسرق قليل
الفضول في الكلام لا يقول من رأيه شيئاً غير ما قيل له الا ما يرى فيه صلاح
المرسل ولا يكون شرها ولا يكون حريصاً اذا رأى كرامة عند المرسل
اليه مال الى جهته وخان مرسله واستوطن البلد لطيب عيشه هناك أو
كرامة يجدها أو شهوة ينالها هناك بل يكون ناصحاً لمرسله ولاخوانه وأهل
بلده وأبناء جنسه ويباغ الرسالة ويرجع بسرعة الى مرسله فيعرفه جميع ماجرى
من أوله الى آخره ولا يخاف في شيء منه في تبليغ رسالته مخافة من مكروه
يناله فانه ليس على الرسول الا البلاغ

ثم قال الاسد للنمر فمن ترى يصلح لهذا الامر من هذه الطوائف . قال
النمر لا يصلح لهذا الشأن الا الحكيم العادل والعالم الخبير كليله أخو دمنة . قال
الاسد لابن آوى ما تقول فيما قال فيك قال أحسن الله جزاءه وأطاب عنصره قال
ما يشبهه من الفضل والكرم . قال الملك لابن آوى فهل تنشظ وتمضى الى هناك
وتتوب عن الجماعة ولك الكرامة علينا اذا رجعت وأفلحت . قال سمعا وطاعة
لامر الملك ولكن لأدري كيف اععمل وكيف أصنع مع كثيرة أعدائي هناك من
أبناء جنسنا

قال الملك من هم قال الكلاب أيها الملك قال ماها قال اليس قد استأمنت الى
بني آدم وصارت معينة لهم علينا معشر السباع

قال الملك ما الذي دعاها الى ذلك وحملها عليه حتى فارقت أبناء جنسها وصارت مع من لا يشاكلها معينة لهم على أبناء جنسها ، فلم يكن عند أحد من ذلك علم غير الذئب فانه قال أنا أدري كيف كان السبب وما الذي دعاها الى ذلك قال الملك قل لنا وبينه لتعلم كما تعلم ، قال نعم ايها الملك انما دعى الكلاب الى مجاورة بني آدم ومدخلتهم مشاكلة الطباع ومجانسة الاخلاق وما وجدت عندهم من المرغوبات واللذات من المأكولات والمشروبات وما في طباعها من الحرص والشره واللاؤم والبخل وما في جبلتها من الاخلاق المذمومة الموجودة في بني آدم مما السباع عنه بمعزل ، وذلك ان الكلاب تأكل اللحمان ميتاً وحيماً ومذبوحاً قديداً ومطبوخاً ومشوياً ومالحاً وطرياً وجيداً وريثاً وثماراً وبقولاً وخبزاً ولبناً وحليباً وحامضاً وجيناً وسمناً ودسماً ودبساً وشيرجا وناظفا وعسلا وسويقاً وكوامخا وما شاكلها من اصناف الكولات بني آدم التي اكثر السباع لا يأكلها ولا يعرفها ومع هذه الخصال كلها فان بها من الشره واللاؤم والبخل ما لا يمكنها ان تترك احداً من السباع ان يدخل قرية او مدينة مخافة ان ينازعها في شيء مما هي فيه حتى انه ربما يدخل احد من بنات آوى او بنات ابي الحصين قرية بالليل ليسرق منها دجاجة أو ديكاً أو سنوراً أو يجر جيفة مطروحة أو كسرة مرمية أو ثمرة متغيرة فترى الكلاب كيف تحمل عليه وتطرده وتخرجه من القرية ومع هذا كله أيضاً نرى بهامن الذل والمسكنة والفقر والهوان والطمع ما اذا رأى في يد أحد من بني آدم من الرجال والنساء والصبيان رغيفاً أو كسرة أو ثمرة أو لقمة كيف يطمع فيها وكيف يتبعه ويبصص بذنبه ويحرك برأسه ويحد النظر الى جدفته حتى يستحي أحدهم فيرمي بها اليه . ثم تراه بعد كيف يعدو اليها بسرعة وكيف يأخذها بعجلة مخافة أن يسبقه اليها غيره وكل هذه الاخلاق المذمومة موجودة في الانس والكلاب فجانسة الاخلاق ومشاكلة الطباع دعت الكلاب الى أن فارقت ابناء جنسها من السباع واستأنست من الانس وصارت معينتهم على أبناء جنسها من السباع

قال الملك ومن غيرهم من المستأمنة الى الانس من السباع . قال الذئب السنابير
أيضاً . قال الملك ولم استأنت السنابير أيضاً . قال العلة واحدة وهي مشاكة
الطباع لأن السنابير بها أيضاً من الحرص والشر والرغبة في ألوان الماء كولات
والمشروبات مثل ما بالكلاب

قال الملك كيف حالها عندهم . قال هي أحسن حالا من الكلاب قليلاً ،
وذلك أن السنابير تدخل بيوتهم وتنام في مجالسهم وتحت فرشهم وتحضر مواعدهم
فيطعمونها مما يأكلون ويشربون وهي أيضاً تسرق منهم أحياناً اذا وجدت
فرصة من الماء كولات

وأما الكلاب فلا يتركونها تدخل بيوتهم ومجالسهم وبين الكلاب وبين
السنابير بهذا السبب حسد وعداوة شديدة حتى ان الكلاب اذا رأت سنوراً
خرجت من بيوتهم حملت عليها حملة تريد أن تأخذها وتأكلها وتمزقها والسنابير
اذا رأت الكلاب تفخت في وجوهها ونفشت شعورها وأذانبها وتطاوت
وتعظمت كل ذلك عناداً لها وعداوة ومناصبة وحسداً وبغضاً وتنافساً في
المراتب عند نبي آدم

قال الاسد للذئب من رأيت ايضاً من المستأنسة غير هذين من جنس السباع .
قال الذئب والجرزان يدخلون منازلهم وبيوتهم ودكاكينهم وخاناتهم غير مستأنسين
بل على وحشة وتفور

قال فماذا يحملها على ذلك . قال الرغبة في الماء كولات والمشروبات من الالوان
قال من يداخلهم أيضاً من أجناس السباع ، قال ابن عرس على سبيل الخصوصية
والخلسة والتجسس ، قال ومن غيرها من يداخلهم قال لا غير سوى الاسارى
من الفهود والقروذ على كره منها

ثم قال الملك للذئب متى استأنت الكلاب والسنابير الى الانس . قال
منذ الزمان الذي استظهرت فيه بنو قاييل على بني هابيل ، قال كيف كان ذلك
حدثنا ذلك

قال لما قتل قابيل اخاه هاييل طالب بنو هاييل من بني قابيل بشأر ابيهم فاقتتلوا وتحاربوا واستظهرت بنو قابيل على بني هاييل فهزموهم ونهبوا اموالهم وساقوا مواشيهم من الاغنام والبقر والخيول والبغال والجمال وغنموا واستغنوا فأصاحوا الدعوات والولائم وذبحوا حيوانات كثيرة ورعوا رؤوسها واكارعها وكروشها حول ديارهم وقراهم فلما رأتها الكلاب والسنانير رغبت جميعا في كثرة الريف والخصب ورغد العيش فداخلتهم وفارقت ابناء جنسها وصارت معهم معينة الى يومنا هذا

فلما سمع الملك الاسد ما ذكره الذئب من هذه القصة . قال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون واستكثر من هذه الكلمات وتكرارها فقال له الذئب ما الذي اصابك ايها الملك الفاضل وما هذا التأسف على مفارقة الكلاب والسنانير لآبناء جنسها . قال الاسد ليس تأسفي على شيء فاني منهم ولكن لما قالت الحكماء بأنه ليس شيء على الملوك اضر ولا افسد لامرهم وامر رعيتهم من المستأمن من جندهم واعوانهم الى عدوهم لانه يعرف اسرارهم واخلاقهم وسريرتهم وعيوبهم واوقات غفلتهم والنصحاء من جنودهم والخونة من رعيتهم فيدله على طرق خفية ومكائد دقيقة وكل هذه صارة لاملوك وجنودها لا بارك الله في الكلاب والسنانير

قال الذئب قد فعل الله بها مادعوته عليها ايها الملك واستجاب دعاك ورفع البركة من نسلها وجعلها في الغنم . قال كيف ذلك . قال لان الكلبة الواحدة تجتمع عليها فحول لتجلبها وتلقى هي من الشدة عند العلق والخلاص جهداً وعناء ثم انها تلد ثمانية او اكثر ولا يرى منها في البر قطع ولا في المدينة كما في الاغنام من القطعان يذبح منها في كل يوم في المدن والقرى من العدد ما لا يحصى كثرة ، وهي مع ذلك تنتج كل سنة واحداً او اثنين ، والعلة في ذلك ان الآفات تسرع الى اولاد الكلاب والسنانير قبل الفطام لكثرة اختلاف مأكولاتها فيعرض لها من الامراض المختلفة مما لا يعرض للسباع منها

شيء وكذلك ان سوء اخلاقها وتأذي الناس منها ينقص من عمرها ومن اولادها .
ثم قال الاسد لسكيلة سر بالسلامة والبركة على بركة الله وعونه الى حضرة
الملك وبلغ ما ارسلت به

فصل

ولما وصل الرسول الى ملك الطيور وهو الشاه مرغ امر مناديا ينادى فنادى
فاجتمعت عنده اصناف الطيور من البر والبحر والسهل والجبل عدد كثير لا
يحصى عددها الا الله فاخبرهم ما اخبر به الرسول من اجتماع الحيوانات عند ملك
الجن للمناظرة مع الانس فيما ادعوه عليها من الرق والعبودية
ثم قال الشاه مرغ للطاووس وزيره من هاهنا من فصحاء الطيور وهتكلمها
يصلح أن نبعثه الى هناك لينوب عن الجماعة في المناظرة مع الانس
قال الطاووس هاهنا جماعة تصلح لذلك . قال بينهم لى لا عرفهم . قال هاهنا
الهدهد الجاسوس ، والديك المؤذذ والجمام الهادي ، والدراج المنادي ، والدرج
المغنى والتنبر الخطيب . والبلبل الحاكي والخطاف البناء . والغراب الكاهن
والكركي الحارس . والقطاء الكدري . والطيظوي الميمون . والعصفور الشبق .
والشقراق الاخضر . والفاخته النائح . والورشان الدجلى . والقمرى المكى .
والصقر الجبلى . والزرزور الفارسى . والسمان البري . والقلق القلقى .
والعقعق البستاني . والبط الكسكوكى . ومالك الحزين . وأبو تيمار أخوه .
والكركى البطاىحى . والهزار دستان اللغوي الكثير الالحان . والغواص البحرى .
والنعامة البدوي

قال الشاه مرغ للطاووس أرنيهم واحداً واحداً لانظر اليهم وأبصر شمائلهم
ومن يصلح لذلك الامر قال نعم

أما الهدهد الجاسوس صاحب النبي سليمان عليه السلام فهو ذلك الشخص
الواقف اللابس مرقعة ملونة المنتمن الزائحة قد وضع على رأسه البرنس ينقر كأنه

يسجد ويركع وهو الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر والقائل لسليمان في خطابه معه « أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأً يقيناً اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون إلا يسجدوا لله الذي يخرج الخبأ في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون »
وأما الديك المؤذن فهو ذلك الشخص الوافف فوق الحائط صاحب اللحية الحمراء والتاج ذي الشرفات ، الاحمر العينين المنتشر الحاجبين الصفافين المنتصب الذنب كأنه أعلام وهو الغيور السخي الشديد المراعاة لامر حرمه وحلائله العارف بأوقات الصلاة المذكر بالأسحار المنبه للجيران الحسن الموعظة وهو القائل في اذانه في وقت السحر اذكروا الله ما أطول ما أنتم نائمون والموت والبلى لا تذكرون ومن النار لا تخافون والى الجنة لا تشناقون ونعم الله لا تشكرون ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فاذكروا هازم اللذات وتزودوا فان خير الزاد التقوى

وأما الدراج المنادي فهو ذلك الشخص الواقف على التل الابيض الخدين الأبلق الجناحين المحدودب الظهر من طول السجود والركوع وهو كثير الاولاد مبارك النتائج المذكر المبشر في ندائه وهو القائل لنفسه في أيام الربيع بالشكر تدوم النعم وبالكفر تحل النقم واشكروا نعم الله يزدكم ثم يقول أيضاً في أيام الربيع شعراً :

سبحان ربي وحده عز وجل حمداً على نعمائه فقد شمل
جاء الربيع والشتا قد ارتحل ووازن الليل النهار فاعتدل
ودارت الايام حولاً قد كمل من عمل الخير ففي الخير حصل

ثم يقول اللهم اكفني شر بنات آوى والجوارح والصيادين من بنى آدم ووصف طباعهم من جهة التغذية والمنفعة وشهوات مرضاهم
وأما الحمام الهادي فهو ذلك المخلوق في الهواء الحامل كتاباً ما الى بلد

بعيد في رسالة وهو القائل في طيرانه وذهابه شعراً
ياوحشتنا من فرقة الاخوان ياطول أشواقني الى الخلان
يارب أرشدنا إلى الاوطان

وأما الدراج المغنى فهو ذلك الماشى بالتبختر في وسط البستان بين الاشجار
والريحان المطرب بأصواته احسان ذوات النغم والأحان وهو القائل في مرثيته
ومواعظه شعراً

يامفنياً للعمر في البنيان وغارس الاشجار في البستان
وباني التصور في الميدان وقاعداً في الصدر في الايوان
وغافلا عن نوب الزمان احذر ولا تغتر بالرحمن
واذكر غدا الترحال لاجبان مجاور الحيات والديدان

من بعد عيش طيب الميسكان

وأما القنبر الخطيب فهو ذلك الشخص صاحب الذنب المرتفع في الهواء على
رأس الزرع والحصاد في أنصاف النهار كالخطيب على المنبر الملحن بأنواع الاصوات
المطربة وفنون النغمات اللذيذة وهو القائل في خطبته وتذكاره شعراً
أين أولو الالباب والافكار أين ذوو الارباح والتجار
من حبة الزراع في العقار سبعون ضعفاً كيل بالمقدار
مواهباً من واحد غفار فاعتبروها يا أولى الابصار

وأتوا حقه يوم جصاده ولانغدوا تخافتون على حرد قادرين ألا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين . من أزرع اليوم خيراً يحصده غداً غبطة ومن يفرس معروفاً
يجنى غداً ربحاً . الدنيا كالمزرعة والعاملون من أبناء الآخرة كالحراث وأعمالهم
كالزرع والشجر والموت كالحصاد والقبر كالبيدر ويوم البعث كأيام
الدراس . وأهل الجنة كالحب والثمار ، وأهل النار كالتبين والحطب ويومئذ يميز
الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعل في
جهنم وينجي الذين اتقوا بمقازتهم لا يمسهم سوء ولا هم يحزنون

وأما البلبل الحاكي فهو ذلك القاعد على غصن تلك الشجرة وهو الصغير الجثة السريع الحركة الابيض الخدين الكثير الالتفات عنة ويسرة الفصيح اللسان الجيد البيان كثير الالخان يجاور بني آدم في بسايتهم ويخالطهم في مساكنهم ويكثر مجاوبتهم في كلامهم ويحاكيهم في نعماتهم ويعظهم في تذكاره لهم فهو القائل لهم عند لهوهم وغفلاتهم : سبحان الله كم تاعبون ، سبحان الله كم تحكون ، سبحان الله الا تسبحون ، سبحان الله اليس لاوت تولدون ، اليس للبلاء تربون أليس للاخراب تبنون أليس للفناء تجمعون كم تاعبون وكم تولعون أليس غدا تموتون وفي التراب تدفنون « كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون » يا ابن آدم « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول » ثم يقول : اللهم اكفني ولع الصبيان وشر سننير الجيران يا حنان يا منان يا ديان يا غفران

وأما الغراب الكاهن منبئ الانباء فهو ذلك الشخص اللابس السواد المتوقفي المحذر المبكر بالاسحار للطواف في الديار المتتبع للآثار الشديد الطيران الكثير الاسفار الذهاب في الاقطار المخبر بالكائنات المحذر أوقات الغفلات وهو القائل في نعيته وانذاره ألوحا ألوحا النجا النجا احذر البلى يا من طغى وبنى أين المفر والخلص من القضاء الا بالصلاة والدعاء . لعل رب السماء يكفيكم كيف يشاء

وأما الخطاف البناء فهو ذلك السائح في الهواء الخفيف الطيران ، القصير الرجلين الوافي الجناحين ، المجاور لبني آدم في دورهم ، المرئي لأولاده في منازلهم ، وهو كثير التسبيح في الأسحار ، كثير الدعاء والاستغفار ، بالعشى والابكار الذهاب البعيد في الاسفار المصيف في الصرد والمشقى في الحرور ، وهو القائل في تسبيحه ، وتذكاره ودعائه ، سبحان خالق البحار والقفار ، سبحان مرسى الجبال ، ومجرى الانهار ، سبحان موج الليل والنهار ، سبحان مقدر الآجال (م- ١٤)

والارزاق بمقدار ، سبحان من هو الصاحب في الاسفار ، سبحان من هو الخليفة في الاهل والديار ، ثم يقول ذهبنا في البلاد ورأينا العباد ورجعنا الى موضع التلاد ونتجنا بعد السفاد فله الحمد انه الكريم الجواد

وأما الكركي الحارس فهو ذلك الشخص القائم في الصحراء ، الطويل الرقبة والرجلين ، القصير الذنب الوافر الجناحين ، وهو الذاهب في طيرانه ، له صفير الحارس في الليل نوبتين ، وهو القائل في تسبيحه ، سبحان مسخر النيرين ، سبحان مارج البحرين ، سبحان رب المشرقين ورب المغربين ، سبحان الله خالق الثقلين ، سبحان هادي النجدين ، سبحان الخالق من كل شيء زوجين اثنين . والقطا الكدري فهو ساكن البراري والقفار ، وهو بعيد الورد الى الانهار ، ويسافر بالليل والنهار الكثير التسبيح والتذكار ، القائل في غبوه ورواحه ووروده وصدوره سبحان خالق السماوات المسموكات ، سبحان خالق الاراضين المدحوات ، سبحان خالق الافلاك الدائرات ، سبحان خالق البروج الطالعات ، سبحان خالق الكواكب السيارات ، سبحان مرسل الرياح الدائريات ، سبحان منشىء السحب الممطرات ، سبحان رب الرعود المسبجات ، سبحان رب البروق اللامعات ، سبحان رب البحار الزاخرات ، سبحان مرسي الجبال الشانحات ، سبحان مدبر الليل والنهار والاقوات ، سبحان منشىء الحيوانات والنبات ، سبحان خالق الانوار والظلمات ، سبحان خالق الخلق في البحار والفلوات ، سبحان محيي العظام الرقات الدارسات الباليات بعد الممات ، سبحان من تكلم الالسن عن مدحه ووصفه بحقائق الصفات

وأما الطيطوي الميمون المبارك فهو ذلك القائم على المياه الابيض الخدين الطويل الرجلين الزكي الخفيف الروح وهو المحذر للطيور في الليل في اوقات الغفلات المبشر بالرخص والبركات وهو القائل في تسبيحه
يا فلق الاصباح والانوار ومرسل الرياح في الاقطار

ومنشئ السحاب ذي الامطار ومجرى السيول والانهار
ومندبت العشب مع الاشجار ومخرج الحبوب والثمار
فاستبشروا يامعشر الاطيار بسعة الرزق من الغفار

وأما الهزار داستارت اللغوى الكثير الالخان فهو ذلك القاعد على غصن
الشجرة الصغير الجثة الخفيف الحركة الطيب النعمة وهو القائل في غنائه والخان شعراً:

الحمد لله ذى القدر والاحسان الواحد الفرد ذى الغفران
يامنعما في السر والاعلان كم نعمة بمنية الرحمن
تفيض كالبحار في الجريان ياطيب عيش كان في الازمان
بين رياض الروح والريحان وسط البساتين على الاغصان
مثمرة الأشجار بالألوان لو أنى ساعدني اخوانى
ذاكرتهم بكثرة الالخان

ثم قال الشاه مرغ للطاوس من ترى يصلح من هؤلاء أن نبعثه الى هناك
ليتناظر مع الانس وينوب عن الجماعة .

قال الطاوس كلهم عبيدك يصلح لذلك لانهم كلهم فصحاء خطباء شعراء
عقلاء فضلاء غير ان الهزار داستان أفصحهم لساناً وأجودهم بياناً وأطيبهم
نعمة والخاناً .

قال الشاه مرغ سر وتوكل على الله عز وجل فبعثه ، ولما وصل الرسول الى
ملك الحشرات وهو النحل وعرفه الخبر أمر مناديه فنادى فاجتمعت عنده
الحشرات من الزنانير واليعاسيب والذباب والبق والجراجيس والجعلان
والزرار يبح والجراد .

وبالجملة هي كل حيوان صغير الجثة يطير بالاجنحة ليس له ريش ولا عظم
ولا دفء ولا وبر ولا شعر ولا يعيش سنة كاملة غير النحل لانه يهلكها الحر
المفرط والبرد المفرط شتاء وصيفاً ثم انه عرفها الخبر .

وقال أيكم يذهب الى هناك وينوب عن الجماعة فى مناظرة الانس .

قال الجماعة بماذا يفتخر الانسان علينا قال الرسول بكبر الجثة وعظم الخلقة
وشدة القوة والقهر والغلبة

قال زعيم الزنابير نحن نمر الى هناك وننوب عن الجماعة ، قال زعيم الذباب
لابل نمر الى هناك ، قال زعيم الجراجيس لابل نمر الى هناك .
ثم قال زعيم البق نحن نمر الى هناك ، قال زعيم الجراد نحن نمر الى هناك ،
قال لهم الملك ما لي ارى كل الطوائف قد تبادرت الى البراز من غير فكر ولا
روية في هذا الامر قالت الجماعة للثقة بنصر الله تعالى واليقين بالظفر بقوة الله
وحوله . ولما تقدم من التجربة فيما مضى من الدهور والامم الخالية والملوك الجبابرة
قال كيف كان ذلك اخبروني .

قالت البق أيها الملك أصغرنا جثة وأضعفنا بنية قتل النمرود لعنة الله عليه
أكبر ملوك بني آدم واطغاهم وأعظمهم سلطاناً وأشدهم صولة وتكبراً قال صدقت :
قال الزنبور اليس اذا لبس أحد من بني آدم سلاحه الشاك وأخذ بيده سيفه
ورمحه وسكينه ونشابهه فيقدم واحد منا فيلسعه بحمة مثل رأس ابرة فتشغله عن
كل ما أراد وعزم عليه ويتورم جلده وتوهن أعضاؤه وتتربداً عصابه حتى لا يقدر
على سيفه أو سكينه أو لجام فرسه قال صدقت :

قال الذباب اليس أعظمهم سلطاناً وأشدهم هيبة اذا قعد الملك على سريره
وقام الحجاب دونه شفقة عليه أن يناله أذى أو مكروه فيجىء أحدنا من مطبخه
أو خلأته ملوث الرجلين والجناحين فيقعد على السرير وعلى ثيابه وعلى وجهه
ولحيته ويعذبه ولا يقدر على الاحتراز منا قال صدقت :

قال الجراجيس اليس اذا قعد أحدهم في مجلسه ودسته وسريه وكلله المنصوبة
يدخل أحدنا بين ثيابه فيقرضه ويزعجه من سكونه واذا أراد أن يبطن بناصع
نفسه بيده ولطم خده بكفه ودق رأسه فنقلت منه .

قال صدقت : ولكن ليس في حضرة ملك الجن يمشى الامر بشيء مما ذكرتم
إنما يمشى الامر هناك بالعدل والنصفة والأدب ودقة النظر وجودة التمييز

والاحتجاج بالفصاحة والبيان بالمناظرة فهل عندكم شيء منها .
فاطرقت الجماعة ثم قال الملك أنا أسير بنفسى وأنا أنصحكم ، فقالت الجماعة
فيما قال الملك ، لا ، قال الحكيم من النحل أنا أقوم بهذا الامر بعون
الله ومشيعته .

قال الملك والجماعة خار الله لك فيما عزمت عليه ونصرك وأظفرك على
خصمائك ومن يريد غلبك وعداوتك ثم ودعهم وتزود ورحل حتى قدم على ملك
الجن وحضر المجلس مع من حضر من غيره من سائر أصناف الحيوان

﴿ فصل ﴾

ولما وصل الرسول وهو البغل الى ملك الجوارح وهو العنقاء وعرفه الخبر
نادى مناديه فاجتمعت عنده أصناف الجوارح من النسور والعقبان والصقور
والبزاة والشواهين والحداء والرخم والبوم والبيغاء وكل طير ذي مخلب مقوس
المنقار يأكل اللحم .

ثم عرفها الخبر وما جاء به الرسول من اجتماع الحيوانات بحضرة ملك الجن
للمناظرة مع الانس . قال الملك لوزيره كركدن أترى من يصلح من هذه الجوارح
أن نبعثه الى هناك لينوب عن الجماعة من أبناء جنسه بالمناظرة مع الانس قال
الوزير ليس فيها أحد يصلح لهذا الامر غير البوم قال لم ذلك قال هذه الجوارح
كلها تنفر من الانس وتفزع منهم ولا تفهم كلامهم ولا تحسن مخاطبتهم ولا تجاورهم
وأما البوم فهو قريب المجاورة لهم في ديارهم العافية ومنازلهم الدراسة
وقصورهم الخربة وينظر الى آثارهم القديمة ويعتبر بالقرون الماضية وفيه مع ذلك
من الورع والزهد والخشوع والتقنع والتكشف ما ليس لغيره يصوم النهار ويحيى
الليل وربما يعظ بنى آدم يذكرهم وينوح على ملوكهم الماضية والأمم السالفة
ويقول هذه الايات :

أين الملوك الماضية تركوا المنازل خالية

جمعوا الكنوز بجدهم تركوا الكنوز كما هي
فانظر اليهم هل ترى في دارهم من باقيه
الا قبوراً دراسا فيها عظام باليه
* ويقولون أيضاً شعر *

ألا يادار ويحك خبرينا لماذا صار أهلك يهجرونا
فانظقت ولو نطقتم لقاتل لانك قد بليت وما بلينا
وربما قال :

سألت الدار تخبرني عن الاحباب ما فعلوا
فقاتت لي أقام القوم أياما وقد رحلوا
فقلت أين أطلبهم وأي منازل نزلوا
فقاتت في القبور وقد لقوا والله ما عملوا
وربما قال أيضاً :

في الداهيين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موراداً للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الا كابروا الا صاغر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقيين غابر
أيقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر
وقال أيضاً :

نام الخلى فما أحس رقادي واليوم محتضر لدى وسادي
من غير ما سقم ولكن شفتي هم أراه فقد أصاب فؤادي
أين الملوك الأولون عهدتهم بين العذيب وبين ارض مزاد
ارض تخيرها لطيب مقليلها كعب ابن مامة وابن أم زواد
ارض الخورنق والسديرو بارق والقصر ذ الشرفات من شداد

ولقد غنوا فيها باطيب عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد
 فاذا النعيم وكل ما ياهي به يوما يصير الى بلى ونفاد
 جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على الميعاد
 ثم يقرأ :

كم تركوا فيها من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم ولعمرة كانوا فيها فاكهين
 كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء الآية .
 قال له العنقاء ما تقول فيما ذكر الكركدن قال البوم صدق فيما قال : ولكن
 لا يمكن المصير الى هناك

قال العنقاء لم ذاك قال لان بنى آدم يبغضونى ويتطيرون برؤيتى ويشتمونى
 من غير ذنب اليهم ولا اذية تنالهم منى فكيف اذا رأونى وقد اظهرت لهم الخلاف
 ونازعتهم فى الكلام والمناظرة وهى ضرب من الخصومة تنتج العداوة والعداوة
 تدعو الى المحاربة والمحاربة تخرب الديار وتهاك أهلها.

قال العنقاء للبوم فمن ترى يصلح لهذا الامر ، قال البوم ان ملوك بنى آدم
 يجبون الجوارح من البزاة والصقور والشواهين وغيرها ويكرمونها ويمجدونها
 على ايديهم ويمسحون بها بكاملهم فلو بعث الملك بواحدة منها اليهم لكان رأيا صواباً

قال العنقاء للجماعة قد سمعتم ما قال البوم وأى شئ عندكم قال البازي صدق
 البوم فيما قال : لكن ليست كرامتنا على بنى آدم لقراية بيننا وبينهم ولا لم ولا
 أدب يمدونه عندنا ولكن لانهم يشاركوننا فى معاشنا ويأخذون من كاسبنا
 كل ذلك حرصاً منهم على ذلك وشرها واتباعاً للشهوات واللعب والبطر والاضول
 لا يشتغلون بما هو واجب عليهم من اصلاح امر معادهم ولما هو لازم لهم من طاعة
 ربهم وما هم مسئولون عنه يوم المعاد

فقال العنقاء للبازي فمن ترى يصلح لهذا الامر قال البازي أظن أن البيغاء
 يصلح لهذا الامر لان بنى آدم يجبونها ، ملوكهم ونسأؤهم وخاصتهم وعامتهم

وشييوخهم وصبيانهم وعلماؤهم وجهلاؤهم ويكاهنهم ويسمعون منه ما يقولون ويحاكيهم في كلامهم واقاويلهم .

فقال العنقاء للبعغاء ماتقول فيما قال البازي ، قال صدق فيما قال وأخبر ، واني ذاهب الى هناك وأنوب عن الجماعة بحول الله وقوته وعونه ولكني محتاج الى المعاونة من الملك ومن الجماعة قال له العنقاء ماذا تريد قال الدعاء لله والسؤال منه بالنصر والتأييد ، فدعا له الملك بالنصر وأمنت الجماعة

ثم قال البوم أيها الملك ان الدعاء اذا لم يكن مستجاباً فعناء ونصب وتعب بلافائدة لان الدعاء لقاح والاجابة نتيجة فاذا لم يكن الدعاء مع الشرائط لم ينجح ، قال الملك فما شرائط الدعاء المستجاب ، قال النية الصادقة ، واخلاص القلوب كالمضطر ، وأن يتقدمه الصوم ، والصلاة ، والتوبات والصدقة ، والبر والمعروف . قالت الجماعة صدقت وبررت فيما قلت أيها الزاهد الحكيم العالم العابد

قال العنقاء للجماعة من الجوارح الحضور : أما ترون معشر الطيور ما وقعنا فيه من جور بني آدم وتعذيبهم الحيوانات حتى بلغ الامر الينا مع بعدديارنا منهم ومجانبتنا اياهم وتركنا مداخلهم ، فأنا مع عظم جثتي وخلقي وشدة قوتي وسرعة طيراني تركت ديارهم وهربت منهم الى الجزائر والبحار والجبال ، وهكذا أخي الكركدن لزم البراري والقفار وبعد من ديارهم طلباً للسلامة من شرهم ثم لم نتخلص من شرهم حتى أحوجوننا الى المناظرة والمحااجة والمحاكمة ولو أراد أحد منا أن يختطف كل يوم منهم عدداً كثيراً لكننا قادرين عليهم ولكن من شيم الاحرار أن يجاوروا الاشرار ويعاملوهم ويكافؤوهم على سوء أفعالهم ولا يفعلوا مثل فعلهم بل يتركونهم ويبعدون عنهم ويكلونهم الى ربهم ويشغلون بمصالحهم وبما يجر المنفعة وراحة القلب في المعاد

ثم قال العنقاء وكم من مركب في البحر طرحته الرياح عندي فهديتهم الطريق وكم غريق كسر به المركب فأنجيته الى السواحل والجزائر كل ذلك طلباً لمرضاة

ربى وشكراً للنعمة التي أعطاني من عظم الخلقه وكبر الجثة فشكراً له على إحسانه
إلي وهو حسبنا ومعيننا ونعم المولى ونعم النصير

﴿ نصل ﴾

ثم لما وصل الرسول الى ملك حيوان البحر وهو التنين وعرفه الخبير نادى
مناديه فاجتمعت اليه أصناف الحيوانات البحرية من التنانين والكواسج
والتماسيح والدلافين والحيتان والسموك والسرطانات والكرازنك والسلاحف
والضفادع وذوات الاصداف والفلوس وهي نحو سبعمائة صورة مختلفة الالوان
والاشكال فعرفها الخبير وماقاله الرسول ثم قال التنين للرسول بماذا يفتخر بنو
آدم على غيرهم أبكبر الجثة أم بالشدة والقوة أو بالقهر والغلبة ؟ ان كان افتخارهم
بواحدة منها ذهبت الى هناك وتفخت نفخة واحدة أحرقتهم من أولهم الى آخرهم
ثم جذبهم برجوع نفسي فبلعتهم

قال الرسول لا يفتخرون بشيء من ذلك ولكن برجحان العقل وفنون
العلم وغرائب الأدب ولطائف الحيل ودقة الصنائع والفكر والتميز والروية
وذكاء النفس

قال التنين صف لي شيئاً منها لاعلمه . قال نعم أيها الملك أأنت تعلم ان بنى
آدم ينزلون بحيلهم ودلوهم وحكمهم الى قرر البحار الزاخرة المظلمة الكثيرة
الامواج ليستخرجوا من هناك الجواهر من الدرر والمرجان وهكذا يعملون الحيلة
ويصعدون الى رؤوس الجبال الشاخمة فينزلون منها النسور والعقبان وهكذا بالحيلة
يعملون العجلة من الخشب ويشدونها في صدور الثيران وأكتافها ثم يحملون
عليها الاحمال الثقال وينقلونها من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق
ويقطعون البراري والقفار والمفاوز

وهكذا بالعلم والحيلة يبنون السفن والمراكب ويحملون فيها الامتعة ويقطعون
بها سعة البحار البعيدة الاقطار

وهكذا بالعلم والحيلة يدخلون في كهوف الجبال ومفازات التلال وعمق الارض فيخرجون منها الجواهر المعدنية والذهب والفضة والحديد والنحاس وغير ذلك .

وهكذا بالعلم والحيلة اذا نصب أحدكم على ساحل بحر أو على شط جزيرة أو على شرعة نهر طلسماً أو صنماً أو لعبة لم تقدر عشرة آلاف منكم يادعشر التنايين والكواسج والتماسيج أن تجناز هناك أو تقرب من ذلك المكان ، ولكن ليس أيها المالك بحضرة مالك الجن الا العدل والانصاف في الحكومة والحجة المينة لا بالقهر والغلبة والمكر والحيلة

ولما سمع التنين مقالة الرسول قال لمن حوله من جنوده ألا تسمعون ، ماذا ترون وأي شيء تقولون ، أيكم يذهب الى هناك فيناظر الانس وينوب عن الجماعة من اخوانه وأبناء جنسه .

قاله الدلفين منجبي الغرقى : الحوت أولى حيوان البحر بهذا الامر هولاً أنه أعظمها خاتمة وأكبرها جسماً وأحسنها صورة وأنظفها بشرة وأنقاها بياضاً وأملسها بدنناً وأسرعها حركة وأشدّها سباحة وأكثرها عدداً وتاجاً ومن كان من ابناء جنسها من السموك حتى انه قد امتلأت منها البحار والانهار والبطائح والعيون والجداول والسواقي صغاراً وكباراً ولاحوت ايضاً يد بيضاء عند بني آدم حيث تجار نبياً لهم وآواه في بطنه ورده الى مأمنه ، والانس ايضاً يرون ويعتقدون ان مستقر الارض على ظهر الحوت

قال التنين للحوت ماذا ترى فيما قال الدلفين . قال صدق في كل ما قال ولكن لا ادري كيف اذهب الى هناك وكيف اخاطبهم وليس لي رجلان امشي بهما ولا لسان ناطق ولا صبر لي عن الماء ساعة واحدة ولكن ارى ان السلك خفاء يصلح لهذا الامر لانه يصبر عن الماء ويرعى في البر ويعيش كما يعيش في البحر ويتنفس في الهواء كما يتنفس في الماء وهو مع هذا قوي البدن صلب الظهر جيد العضو حلیم وقور صبور على الأذى محتمل الاثقال .

قال التنين للساحفة فماترى فيما قال . قال صدق الحوت ولكنى لا يصلح لهذا الامر لاني ثقيل المشى والطريق بعيد وقليل الكلام أخرس ولكن السرطان يصلح لهذا الامر والشان لأنه كثير الأرجل جيد المشى سريع العدو حاد المخالب شديد العض ذوفكين وأظافر حداد كثير الأسنان صاب الظهر مقاتل متدرع

قال التنين للسرطان ماذا ترى فيما ذكر السلاحف

قال صدق ولكن لا ادري كيف أذهب الى هناك مع عجيب خاقتى وتموج صورتي أخاف أن أكون شهرة هناك . قال التنين كيف ذلك

قال لانهم يروني حيواناً بالارأس عيناه على كتفيه فه في صدره وفسكه مشقوقتان من جانبين وله ثمانية أرجل مقوسة معوجة ويمشى على جانبه وظهره كأنه من رصاص . قال التنين صدقت فمن ترى يصلح لهذا الامر أن يتوجه الى هناك . قال السرطان أظن ان التمساح يصلح لهذا الامر لانه طويل الخلقه شديد الارجل جيد المشى سريع العدو واسع الفم طويل اللسان كثير الاسنان قوي البدن مهيب النظر شديد الرصد لمطلبه غواص في الماء وفي الطلب

قال التنين للتمساح ماذا تقول فيما ذكر السرطان . قال صدق ولكنى لا أصلح لهذا الامر لاني غضوب ضجور وثاب مختلس فرار غدار وان الامر ليس هناك بالقهر والغلبة ولكن بالحلم والوقار والعدل والتميز والفصاحة والبيان والعدل والانصاف في الخطاب

قال التمساح ولست أتعاطى شيئاً من هذه الخصال ولكنى أرى الضفدع يصلح لهذا الامر لأنه حلیم وقور صبور ورع كثير التسبيح والتهليل بالليل والنهار وفي الاسحار كثير الصلاة والدعاء بالعشى والابكار وهو يداخل بنى آدم في منازلهم وله عند بنى اسرائيل يد بيضاء مرتين احدهما يوم طرح النمرود ابراهيم خليل الرحمن في النار فانه كان ينقل الماء بفيه فيصبه في النار على ابراهيم لتطفى ، ومرة أخرى فانه كان أيام موسى بن عمران معاوناً له على فرعون وهو مع ذلك فصيح اللسان جيد البيان كثير الكلام والتسبيح والتهليل والتكبير

وهو من الحيوان الذي يعيش في الماء ويأوي البر والبحر ويمسح المشى والسباحة جميعاً وله رأس مدور مقنع وعينان براقتان وذراعان وكفان مبسوطان ويمشى متخطياً ومتقفزاً سريعاً ويقعد مربعاً ويدخل منازل بني آدم ولا يخافهم ولا يخافون منه

قال التنين لضفدع ماذا ترى فيما ذكر التمساح قال صدق انا امر الى هناك وأنوب عن الجماعة من اخواننا وحيوان الماء أجمع ولكني أريد أن تدعو الله بالنصر والتأييد والدعاء بدعاء مستجاب قال التنين كيف يكون الدعاء المستجاب قال كما ذكر البوم للعنقاء في الفصل الذي قبل هذا الفصل قالوا نعم صدق فدعو الله جميعاً بالنصر والتأييد له وودعوه وسار عنهم وقدم على ملك الجن

✽ فصل في بيان شفقة الثعبان على الهوام ورحمته لهم ✽

ولما وصل الرسول الى ملك الهوام وهو الثعبان وعرفه الخبر نادى مناديه فاجتمعت اليه أصناف الحيوانات من الهوام مثل الافاعي والحيات والعقارب والجرارات والدخالات والصنوب وسام ابرص والحرايبي والعظايا والخنافس وبنات وروان والعناكب والنمل والجنادب والبراغيث والقمل والسوالك والفارو والصراصر وأصناف الديدان مما يتكون في العفونات أو يدب على رؤس الاشجار أو يتكون في لب الحبوب وقلوب الشجر وجوف الحيوانات الكبار والارضه والحيوان الذي يتولد في الخل أو في الثلج أو في ثمرة الشجرة والسوس وما يتولد في السرقين أو في الطين وما يدب في المغارات والظلمات والاهوية ، فاجتمعت كلها عند ملكها لا يحصيها عدد ولا يعلمها الا الله الذي خلقها كلها وصورها ورزقها ويعلم مستقرها ومستودعها

فلما نظر الملك اليها وهي من عجائب الصور وأصناف الاشكال بقي متعجباً منها ساعة طويلة ثم فتشها فاذا هي اكثر الحيوانات عدداً وأصغر حاجثة وأضعفها بنية وأقلها حيلة وحواساً وشعوراً وبقي متفكراً في أمرها . ثم قال الثعبان لوزيره الافعى من ترى يصلح من هذه الطوائف أن نبعثه هناك للمناظرة فان اكثرها

حسبكم عمي بلا يدين ولا رجلين ولا جناحين ولا منقار ولا مخلب
 ولا ريش على أبدانها ولا شعر ولا وبر ولا صوف ولا فلوس وان أكثرها عراة
 حفاة حسرى ضعفاء فقراء مساكين بلا حيلة ولا حول ولا قوة وأدر كته رحمة
 عليها وتحنن وشفقة ورأفة ورق قلبه عليها ودمعت عيناه من الحزن ، ثم نظر
 الى السماء ثم دعا وقال في دعائه يا خالق الخلق ويا باسط الرزق ويا مدبر الامور
 ويا أرحم الراحمين ويا من هو بالمنظر الاعلى ويا من هو يسمع ويرى ويا من يعلم السر وأخفى
 أنت خالقها ورازقها وأنت مصورها ومدبرها ومبدؤها ومعيدها ومحبيها ومميتها
 كن لها ولنا ولياً وحافظاً وناصرأ ومعيناً وهادياً ومرشداً يا أرحم الراحمين ويا رب
 العرش العظيم فنطقت كلها بلسان فصيح وقالت آمين آمين رب العالمين

فصل في بيان خطبة الصرصر وحكمته

فلما رأى الصرصر ما أصاب الثعبان من التحنن والرأفة والرحمة على رعيتيه
 وجنوده وأعدائه وأبناء جنسه ارتقى الى حائط بالقرب منه وحرك أوتاره وزمر
 يزماره وترنم بأصوات وألحان ونغمة لذيذة بالتحميد لله والتوحيد له . فقال
 الحمد لله نعمده ونستعينه ونشكره على نعمائه السابغة وآلائه الدائمة فسبحان
 الله الحنان المنان الדיان . سبحان الواحد الاحد سبوح قدوس ، رب الملائكة
 والروح الحي القيوم ذو الجلال والاكرام والاسماء العظام والآيات والبرهان
 قبل الاماكن والازمان والجواهر ذوات الكيان لا هواء فوقه ولا ماء تحته ،
 محتجباً بنوره متوحداً بوحدايته وأسرار غيبه حين لا سماء مبنية ولا أرض
 مدحية . فسبحان الظاهر بالنسبة الى ذاته لكل شيء والخفي بالنسبة الى ذاته
 عن كل شيء ثم قضى ودبر وقدر كما شاء قدر وأراد ثم أبدع نوراً بسيطاً لامن
 هيولى متهيئة ولا من صورة متوهمة ، بل بقوله كن فكان فهو العقل الفعال ذو
 العلم والاسرار خلق الخلائق لالوحشة كانت في وحدته ولا لاستعانة بها على

امر من أموره واكن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا مرد لقضائه وهو السريع الحساب

ثم قال أيها الملك المشفق الرحيم الرؤوف المتحنن على هذه الطوائف لا يغمك ما ترى من ضعف أبدان هذه الطوائف وصغر جثتها وعمرها وفقرها وقلة حيلتها. فان لله الذي هو خالقها ورازقها هو أرحم الراحمين بها وعليها من الوالدة المشفقة على أطفالها ومن الآب الرحيم على أولاده وذلك ان الخالق جل ثناؤه لما خلق الحيوانات المختلفة الصورة مفضنة الاشكال ورتبها مراتبها على منازل شتى ما بين كبير الجثة عظيم الخلقة قوي البنية شديد القوة وما بين صغير الجثة ضعيف البنية قليل الحيلة ساوى بينهما في المواهب الجزيلة من الآلات والادوات التي تتناول بها المنافع وتدفع بها المضرات فصارت متكافئة في العظيمة

مثال ذلك انه لما أعطى الفيل الجثة العظيمة والبنية القوية والقوة الشديدة ليدفع المكاره عن نفسه بأنيابه الطوال الصلاب ويتناول المنافع بخرطوم الطويل أعطى أيضاً البقرة الصغيرة الجثة الضعيفة البنية عوضاً من ذلك الجناحين اللطيفين وسرعة الطيران فتنجوا من المكاره وتتناول الغذاء بخرطومها فصار الصغير والكبير في هذه المواهب التي تجز بها المنفعة وتضرر بها المضرة متساوية فهكذا أمر الخالق البارئ والمصور لهذه الطوائف الضعفاء الفقراء اللواتي تراها عراة حفاة حسرى • وذلك ان البارئ جل ثناؤه لما خلقها على هذه الاحوال التي تراها كفاهها أمر مصالحها من جر المنفعة أو دفع المضرة عنها

فانظر أيها الملك وتأمل واعتبر أحوالها فانك ترى ما كان أصغر منها جثة وأضعف بنية وأقل حيلة كان أروح بدنا وأربط جأشا وأسكن روعاً في دفع المكاره عن غيرها وكان أطيب نفساً وأقل اضطراباً في طلب المعاش وجر المنافع وأخف مؤنة مما هو أعظم جثة وأقوى بنية وأكثر حيلة

بيان ذلك انك ترى اذا تأملت وجدت الكبار منها القوية البنية الشديدة

القوة تدفع عن نفسها المكاره بالقهر والغلبة والقوة والجلد كالسباع والفيلة والجواميس وأمثالها وسائر الحيوانات الكبيرة الجثة العظيمة الخلقة الشديدة القوة ، فمنها ما تدفع عن نفسها المكاره والضرر بالفرار والهرب وسرعة العدو كالغزلان والارانب وغيرها من حمر الوحش ، ومنها بالطيران والتخلف بالجو كالطيور ومنها بالغوص في الماء والسباحة فيه ، ومنها ما تدفع المكاره والمضار بالتحصن والاختفاء في الاحجرة والثقب كالفارة والنمل كما قال تعالى : « ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » وقيل لما سمع سليمان عليه السلام ذلك أمر باحضار النملة فلما دخلت قالت : سلام عليك يا نبي الله اني وقعت فيما احترزت منه فتعجب سايمان من قولها

فلما وضعها علي كفه سأل النملة لماذا قلت ليحطمنكم سايمان وجنوده ألت تدرين اني لا أظلم أحداً ولا أرضى أن نظلم جنودي فلو سمعت من هذا شيئاً فاخبريني ولماذا قلت اني وقعت فيما احترزت منه . ألت تعلمين اني لست بمجائر ولا ظالم على خاق الله تعالى فلم قلت هذا . قالت النملة معاذ الله اني أريد بتلك الاشارات حسبا فهت ليكني أريد بذلك ان الله أعطاك ملكا لا يكون لأحد من بعدك من الزينة والعدل والانصاف وناديت من أجل أنهم لا يخرجون من البيوت ولا يشتغلون بالنظارة ليفوت عنهم ذكر الله تعالى أردت بذلك الاشارة الى هذا المعنى . ومنها ما قد ألبسه الله من الجلود التخزينية الجزلة كالساحفاء والسرطان والحلزون وذوات الاصداف من حيوان البحر . ومنها ما تدفع المكاره والضرر عن نفسها بادخال رؤوسها تحت أبدانها كالقنفذ أما فنون تصاريقها في طلب المعائش والمنافع فمنها ما يصل اليه ويهتدي اليه بجودة النظر وشدة الطيران كالنسور والعقبان

ومنها بجودة الشم كالنمل والجملان والخنافس وغيرها ومنها ما يهتدي ويصل اليه بجودة الذوق كالسمك وغيرها من حيوان الماء ومنها بجودة الاستماع والاصواف كالنسر ولما منع الباري الحكيم هذه

الطوائف والحيوانات الصغار الجثة الضعاف القوى والبنية القليلة الحيلة هذه الآلات والادوات والحواس وجودتها لطف بها وكفاها مؤونة الطلب وأسباب الهرب ، وذلك انه جعلها في مواضع كنيئة وأما كن حريزة ، اما في الثقب ، واما في حب النبات ، واما في أجواف الحيوانات الكبار ، أو في الطين أو في السرقين وجعل غذاءها مختصا بها ، وموادها حواليتها ، وجعل في أبدانها قوى جاذبة تمتص بها الرطوبات المغذية لا بدانها المقوية لاجسادها ولم يحوجها الى الطاب ولا الى الهرب

فمن أجل هذا لم يخلق لها رجلين تمشى ولا يدين تتناول ولا فماً يفتح ولا أسناناً تمضغ ولا حلقوما يبلع ولا مرياً يزدرد ولا حوصلة تنقع فيها ولا فائصة ولا معدة ولا كرشاً ينطبخ الكيموس فيها ولا أمعاء ولا مصارين للثقل ولا كبداً تصفي الدم ولا طحالاً تجذب فضلات الكيموس الغليظة ولا مرارة تجذب اللطيفة ولا كليتان ولا مثانة تجذب البول ولا أوراداً يجري الدم فيها للنفض ولا أعصاباً من الدماغ للحس ولا تعرض لها الامراض المزمنة والعلل المؤلمة ولا تحتاج الى دواء ولا علاج ولا اعناء من الآفات التي تعرض للحيوانات الكبيرة الجثة العظيمة البنية الشديدة القوة فسبحان الله الخالق الحكيم الذي كفاها هذه المطالب وهذه المؤونة وأراحها من التعب والنصب فله الحمد والمنة والشكر والثناء على جزيل مواهبه وعظيم نعمائه وحسن آلائه

فلما فرغ الصرصر من هذه الخطبة ، قال له الثعبان ملك الهوام بارك الله فيك من خطيب ما أفصحك ومن مذكر ما أعلمك ومن واعظ ما أبلغك والحمد لله الذي جعل في أجناس هذه الطائفة مثل هذا الحكيم الفاضل المتكلم الفصيح ، ثم قال له الثعبان امض الى هناك فتنوب عن الجماعة في المناظرة مع الانس قال نعم سماعاً وطاعة للملك ونصيحة للاخوان ، قالت الحية عند ذلك لا تذكر عندهم انك رسول الثعبان والحيات ، قال الصرصر ولم ذلك قالت لان بين بنى آدم وبين

الحيات عداوة قديمة وحقد كامن لا يقدر قدره حتى أن كثيراً من الانس يعترضون على ربهم فيقولون لم خلقها فانه ليس في خلقها منفعة ولا فائدة ولا حكمة بل ضرر كله قال الصرصر ولم يقولون ذلك قالت من أجل السم الذي بين فكيتها فانه ليس فيه منفعة الا هلاك الحيوانات وموتها كل ذلك جهل منهم بمعرفة حقائق الاشياء ومنافعها ومضارها ثم قالت لاجرم فان الله جل ثناؤه ابلاهم بها وعاقبهم على ذلك حتى أحوج ملوكهم الى اقتناء سمومها تحت فصوص الخواتم لوقت الحاجة اليها فلو انهم فكروا واعتبروا أحوال الحيوانات وتصاريح أمورها لتبين لهم ذلك وعرفوا عظيم منفعة السموم في فكوك الافاعي لم خلقها البارى تعالى وما الفائدة فيها ، ولو عرفوها لما قالوا ذلك ولا اعتراضوا على ربهم في أحكام مصنوعاته لان البارى تعالى لو خاق سبب هلاك الحيوانات في بصاقتنا لجعل لحومنا سبباً لدفع تلك السموم وذلك أن الاطباء الاقدمين قد وجدوا في لحومنا قوة تقاوم سمومنا فادخلوا لحومنا في الترياق لتقاوم السم ولكن اكثر الناس لا يشكرون

قال الصرصر أفدنا أيها الحكيم فائدة أخرى وعرفنا لتكون على علم منها قالت الحية نعم أيها الخطيب الفاضل

اعلم بان البارى الحكيم لما خلق هذه الحيوانات التي ذكرتها في خطبتك وقلت أنه أعطى كل جنس منها أدوات وآلات لتجر المنفعة أو لتدفع المضرة فاعطى بعضها معدة حارة أو كرشاً أو قانصة فينضج الكيموس فيها بعد المضغ الشديد ويصير غذاء لها ، ولم يعط الحياة معدة حارة ولا قانصة ولا كرشاً ولا أضراراً تمضغ اللحوم فانه جعل في فكيتها عوضاً منها سماً حاراً منضجاً لما تأكل من اللحمان وذلك انها اذا قبضت على جثة الحيوانات وحصلت بين فكيتها قلبت من ذلك السم عليها لمضغها من ساعتها وتبلعها وتزرددها وتستمرؤها فلولم يكن هذا السم لما استمرت الاكل ولا حصل لها غذاء ولما ت جوعاً وضرراً وهلكت عن آخرها وما بقي أحد منها في ديار

قال الصرصر لعمرى قد تبين لى منفعة السم فما منفعة الحيات للحيوان وما الحكمة والفائدة في خلقتها وكونها في الارض بين الهوام

قالت كمنفعة السباع وكونها بين الوحوش والانعام والبهائم وكمنفعة كون التنين في البحر والكواسج والتماسيح وكمنفعة النسور والعقبان والجوارح في الطيور

قال الصرصر زيدينى بياناً قالت نعم ان الله جل ثناؤه أبداع الخالق واخترعه بقدرته ودبر الامور بمشيئته فجعل قوام الخلائق بعضها ببعض وجعل لها عللاً واسباباً لما رأى فيها من اتقان الحكمة وصلاح الكل ونفع العموم ولكن ربما يعرض من جهة العلل والاسباب آفات وفساد لبعض لا يقصد من الخالق تعمداً ولكن بعلمه السابق بما يكون قبل ان يكون ولم يمنع علمه بما يكون منها من الفساد والآفات أن يخلقها اذ كان النفع فيه أعم والصلاح أكثر من الفساد

بيان ذلك أن الله عز وجل لما خلق الشمس والقمر وسائر الكواكب جعل الشمس سراجاً للعالم وحياة وسبباً للكائنات بجزارتها ومحلها من العالم محل القلب من البدن تنبث منه الحرارة الغريزية الى سائر أطراف البدن التي هي سبب الحياة وصلاح الجملة

وهكذا حكم الشمس حياة وصلاح للكل والنفع للعموم . ولكن ربما يعرض منها تلف وفساد لبعض الحيوانات والنبات فيكون ذلك مغفوراً في جنب نفع العموم وصلاح الكل

وهكذا حكم زحل والمريخ وسائر كواكب الفلك . خلقها لصلاح العالم ونفع العموم ، وان كان يعرض لها في بعض الاحيان المناس من افراط حر أو برد

وهكذا حكم الامطار يرسلها الله لحياة البلاد ، وصلاح العباد من الحيوان والنبات والمعادن ، وان كان ربما يكون منها فساد وهلاك لبعض الحيوانات والنبات

وهكذا حكم الحيات والسباع والتنين والتاسيح والهوام والحشرات والجراد كل ذلك خلقه الله من المواد الفاسدات والعفونات الكائنة ليصفوا الجو والهوام ولئلا يعرض لها الفساد من البخارات المتصاعدة فيتعفن الهواء ويكون من ذلك أسباب للوباء وهلاك الحيوانات كلها دفعة واحدة

بيان ذلك أن الديدان والذباب والبق والخنافس لا تكون في دكان البراز والحداد والنجار بل في دكان القصاب أو السمان أو اللبان أو الدباس أو في السمام والسرقين فإذا خلقها الله تعالى من تلك العفونات امتصت ما فيها وتغذت بها وصفا الهوى منها وسلم من الوباء ، ثم تكون تلك الحيوانات الصفار مأ كولة وأغذية لما هو أكبر منها وذلك من حكمة الخالق جل جلاله انه لا يصنع شيئاً بلا نفع ولا فائدة ، فمن لا يعرف هذه النعم فربما يعترض على ربه فيقول : لم خلقها وما النفع فيها كل ذلك جهلاً منه واعتراضاً على ربه في أحكام صنعته وتدبيره في ربوبيته وقد سمعنا بأن جهالة الانس يزعمون بأن عناية الباري لم تتجاوز فلك القمر فلو انهم فكروا واعتبروا الأحوال الموجودات لعلموا وتبين لهم أن العناية شاملة لصغير الخلقه وكبيرها بالسوية

ولما قالوا الزور والبهتان في حق الله تعالى ، تعالى الله عما يقول الظالمون علا علواً كبيراً اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فبهذا انقضى الكلام من الرسل

فصل

ولما كان الغد وردت زعماء الحيوانات من الآفاق وقعد الملك لفصل القضاء ونادى المنادي الأمان له مظلمة . الأمان له حكومة فليحضر فان الحاجات تقضى لان الملك قد جلس لفصل القضاء وحضرت قضاة الجن وفقهاؤها وعدولها وحكامها وحكماؤها وحضرت الطوائف الواردة من الآفاق من الجن والانس والحيوانات فاصطفت يمنة ويسرة أمام الملك ودعت له بالتحية والسلام

ثم نظر الملك يمنة ويسرة فرأى من أجناس الحيوانات، واختلاف الصور،
وفنون الاشكال والالوان والاصوات والنفحات وبقي متعجبا منه ساعة.
ثم قال سبحان الذي خلق الاشياء برحمته وأوجد الحيوانات بقدرته وجعل
بعضها شريفاً وبعضها خسيساً وبعضها كبير الجثة وبعضها صغير الجثة، وبعضها
ذو نطق وبعضها أخرس وجعل مقر بعضها في الهواء ومقر بعضها في الماء وبعضها
في البراري والقفار والجبال والكهوف والمغارات ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك
ما أعظم شأنك

ثم التفت الملك الى حكيم من فلاسفة الجن فقال له ألا ترى هذه الخلائق
العجيبة الشأن من خلق الرحمن

قال نعم أيها الملك أراها بعين رأسي وأشاهدصانعها بعين قلبي والملك متعجب
منها وأنا متعجب من حكمة الصانع الحكيم الذي خلقها وأنشأها وبرأها ويربها
ويرزقها ويحفظها ويعلم مستقرها ومستودعها كل ذلك في كتاب مبين عنده ولا
لغلط ولا لنسيان بل لتحقيق وبيان لانه لما احتجب عن رؤية الابصار بحجب
الانوار وجل وعلا عن تصور الاوهام والافكار أظهر مصنوعاته الى مشاهدة
الابصار وأخرج ما في مكنون غيبه الى الكشف والاظهار والبيان ليدركه العيان
ويستغنى عن الدليل والبرهان

ثم اعلم أيها الملك العادل ان هذه الصور والاشكال والهيكل والصفات
التي تراها في عالم الاجسام وجواهر الاجرام هي مثالات وأشباه وأصباغ
لتلك الصور التي في عالم الارواح غير أن تلك نورانية شفافة وهذه
ظلمانية كاسفة ومناسبة هذه الى تلك كنسبة التصاوير والنقوش التي على وجوه
الالواح وسطوح الحيطان الى هذه الصور والاشكال التي عليها هذه الحيوانات
من اللحم والدم والعظام والجلود لان تلك الصور التي في عالم الارواح محركات
وهذه متحركات والتي دون هذه ساكنات صامتات ومحسوسات فانبات باليات
فاسدات وتلك ناطقات معقولات روحانيات غير مرئيات باقيات

ثم قام حكيم الجن فخطب وحمد الله واثى عليه فقال الحمد لله خالق المخلوقات وباريء المبروات ومبدع المبدعات ومخترع المصنوعات ومقلب الازمان والدهور والاوقات ومنشئ الاماكن والجهات مدبر الافلاك وموكل الاملاك ورافع السبع السموات وباسط الاراضين المدحوات من تحت طباق السموات ومصور الخلائق ذوي الاوصاف المختلفة والالوان واللغات هو المنعم بأنواع العطايا وفنون الروايات خلق فسوى وقدر فهدى وأمات وأحيا وهو بالنظر الأعلى وهو القريب البعيد بعيد من ادراك الحواس المدركات قريب في الخلوات من ذوي المناجاة فسبحان الذي جعل الطيبين للطيبات وجعل الخبيثين للخبيثات وسبحان الذي خاق المؤمنين والمؤمنات وأوجد المسلمات وأظهر العابدين والعابدات والهلم القائمين والقائمات وأعان الصائمين والصائمات وهدى التائبين والتائبات وانطق الذاكرين والذاكرات لا تدركه الابصار ولا تمثله الاخبار كلت ألسن الواصفين له بكنه الصفات وتحيرت عقول ذوي الالباب بالفكرة في جلال عظمتة وعز سلطانه ووضوح آياته وبرهانه فلا القوة العقلية تدركه ولا القوة النطقية تصفه وهو الله الواحد القهار العزيز الغفار الذي خلق الجن قبل آدم من نار السموم أرواحاً خفية وأشباحاً لطيفة ورأعجية وحركات سريعة تسبح في الجو كيف تشاء بلا كدر ولا عناء وذلك من فضل الله علينا وهو الذي خلق أصناف الخلائق من الجن والانس والملائكة والحيوانات البرية والبحرية أصنافاً مختلفة الاشكال والصور ورتبها أصنافاً كما شاء

فما هي مراتبها في أعلى عليين وهم الملائكة المقربون وعباده المصطفون خلقهم من نور عرشه فهم حملته

ومنها ما هي في الأسفل السافلين وهم مردة الشياطين واخوانهم من الكافرين والمنافقين والحاسدين والمنكرين لمصنوعاته من الجن والانس اجمعين

ومنها ما بين ذلك وهم عباده الصالحون من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين
والمسلمات فالحمد لله الذي أكرمنا بالايمان وهدانا الى الاسلام وجعلنا خلفاء في
الارض كما قال تعالى « لننظر كيف تعملون » والحمد لله الذي خص ملكنا بالعلم
والحلم والاحسان والعدل والانصاف وذلك من فضل الله علينا فاسمعوا وأطيعوا
ان كنتم تعقلون أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم
فلما فرغ الحكيم من كلامه نظر الملك الى جماعة من الانس وهم وقوف نحو
سبعين رجلا مختلفي الهيئات واللباس واللغات والاشكال والالوان فقال

سبحان الذي خلق الانسان من ماء مهين . سبحان الذي خلق الانسان من
نطفة في قرار مكين . سبحان الذي خلق الانسان من صلصال كالفخار . سبحان
الذي جعل النطفة علقة ثم جعل العلقة مضغة ثم جعل المضغة عظاماً ثم كسا العظام
لحمًا وجلدًا ثم نفخ فيه من روحه فتبارك الله أحسن الخالقين . سبحان الذي قدر
وهدى ، وأمات وأحيا . سبحان الذي جعل الانسان أكرم الحيوانات وأفضل
الموجودات . سبحان الذي خلق الانسان في احسن تقويم . سبحان الله رب
العرش العظيم

ثم نظر الملك فرأى فيهم رجلا معتدل القامة مستوى البنية حسن الصورة
مليح البزة لطيف الجملة صافي البنية حلو المنظر خفيف الروح فقال للوزير من هو
ذاك ومن أين هو . فقال رجل من بلاد ايران شهري يعني به العراق قال الملك قل
له يتكلم فأشار اليه الوزير قال سمعاً وطاعة

فصل

فقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين وصلى
الله على محمد وآله الطيبين ، والحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد الحنان المنان
ذي الجلال والاكرام ذي الفضل والانعام الذي كان قبل الاماكن والازمان
والجواهر والاكوان ذوات الكيان ثم بدأ واخترع وأخرج من مكنون غيبه

نوراً ساطعاً ومن النور ناراً أجاجاً وبحراً من الماء رجراجاً وجمع بين الماء والنار
 وكان دخاناً مورداً وزبداً ملبداً نخلق من الزبد السموات المسموكات ومن الزبد
 الارضين المدحوات وثقلها بالجبال الراسيات وحفر البحار الزاخرات فأرسل الرياح
 الداريات بتصاريفها في الجهات وأثار من البحار البخارات المتصاعدات ومن الارضين
 الدخانات المعتكرات والفس منها الغيوم والسحاب المنشآت وساقها بالرياح الي
 البراري والقفار والفلوات وأنزل منها القطر والبركات وأنبت العشب والنبات متاعاً
 لنا ولا نعمانا

والحمد لله الذي خلق من الماء بشراً وخاق منها زوجها ليسكن اليها وبث منهما
 رجالاً كثيراً ونساءً وبارك في ذريتهما وسخر لهما في البر والبحر متاعاً الى حين
 ثم انهم بعد ذلك لميتون ثم انهم يوم القيامة يبعثون

والحمد لله الذي خصنا بأوسط البلاد مسكناً وأطيبها هواءً ونسباً وتربة
 وأكثرها أنهاراً وأشجاراً وثماراً وفضلنا على كثير من عباده تفضيلاً فله الحمد
 والمن والثناء إذ خصنا بذكاء النفس وصفاء الاذهان ورجحان العقول فنحن
 يهدايتة استنبطنا العلوم الغامضة وبرحمته استخرجنا الصنائع البديعة وعمرنا البلاد
 وحضرنا الانهار وغرسنا الاشجار وبنينا البنيان ودبرنا الملك والسياسة وأوتينا
 النبوة والرسالة

فما نوح النبي عليه السلام ، وادريس الرفيع ، وابراهيم خليل الرحمن ،
 وموسى الكليم ، وعيسى المسيح ومحمد المصطفى عليهم صلوات الله وتحياته ومنا
 كانت الملوك الفاضلة مثل أفريدون النبطي وسليمان بن داود الاسرائيلي
 ومنوچهر الحريري ودارا التميمي وتبع الحميري وازد شير بن بابكان الفارسي
 وبهرام وأنوشروان وبزر جهر بن تختان وملوك الطوائف من آل ساسان وبنى
 سامان الذين شقوا الانهار وأمروا بغرس الاشجار وبنيان المدن والقري ودبروا
 الملك والسياسة والجنود والرعية فنحن لب الناس والناس لب الحيوان والحيوان

لب النباتات والنبات لب المعادن والمعادن لب الاركان فنحن لب أولى الالباب
فلا اله الحمد والمنة وله الشكر والثناء واليه المصير بعد الهرم وأقول قولى هذا
واستغفر الله لى ولكم .

ثم قال الملك لمن كان حاضراً من حكماء الجن ماتقولون فيما قال الانسى من
الاقاويل فى ما ذكر من فضائلهم وافتخر به قالوا صدق فى ما قال وتكلم غير واحد
من حكماء الجن كان يقال له صاحب العزيمة والصرامة فانه ما كان يجابى أحداً واذا
تكلم واحد وكان على خطئه وزلته رده عن غيه وضلالته

فقال يامعشر الحكماء اعلموا أن هذا الانسى قد ترك شيئاً لم يذكره فى
خطبته وهو ملاك الامر وعمدته فقال الملك وما هو قال لم يقل ومن عندنا
خرج الطوفان فغرق ما على وجه الارض من النبات والحيوان وفى بلادنا اختلفت
الالسن وتبليت العقول وتجبرت الالباب

ومنا كان عمرو الجبار ونحن طارحنا ابراهيم فى النار ومنا كان بخت نصر مخرب
ايليا ومحرق التوراة وقاتل أولاد سليمان عليه السلام وآل اسرائيل وهو الذي
طرد آل عدنان من شط الفرات الى بلاد الحجاز المتمرد الجبار الفتاك السفاك للدماء
فقال الملك كيف يقول هذا ويذكره وكاه عليه لاله فقال صاحب العزيمة
ليس من الانصاف فى الحكومة والعدل فى القضية ان يذكر أحد فضائله ويقتخر
بها ولا يذكر مساويه ويتوب ويعتذر منها

ثم ان الملك نظر الى الجماعة فرأى رجلاً أسمر نحيف الجسم طويل اللحية
موفور الشعر متوشحاً بازار أحمر على وسطه فقال من هو فقال رجل من بلاد
الهند من جزيرة سرنديب قال الملك للوزير مرده فأمر له أن يتكلم

﴿ فصل ﴾

قال الهندي الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد القديم السرمد الذي كان
قبل الدهور والازمان والجواهر والاكوان ثم أنشأ بحراً من النور عجاجاً فركب

فيه الافلاك وأدارها وصور الكواكب فسيرها وقسم البروج فأطلعها وبسط الارض فأسكنها وخط الاقاليم وحفر البحار وأجرى الانهار وأرسي الجبال وفسح الفلوات وأخرج النبات وكون الحيوان وخصنا بأوسط البلاد مكاناً وأعد لها زماناً حيث يكون الايل والنهار متساويين والشتاء والصيف معتدلين والحر والبرد غير مفرطين وجعل تربة بلادنا أكثر معادناً وأشجارها طيباً ونباتها أدوية وحيوانها فيلة ودوحها ساجاً وقصبها قنا وعكرشها خيزراناً وحصاها ياقوتاً وزبرجداً وجعل مبدأ كون آدم عليه السلام هناك.

وهكذا حكم سائر الحيوانات بدأ كونها تحت خط الاستواء ثم ان الله تبارك وتعالى خصنا فبعث في بلادنا الانبياء وجعل أكثر أهلها الحكماء.

فمنهم البدو والبرهمنين وبوداسف وبلوهر وخصنا بالطف العلوم سحراً وعزاً ثمنا وكهانة وجعل أهل بلادنا أسرع الناس حركة وأخفهم وثباً وأجسرهم على اسباب المنايا اقداما وبالموت تهاوناً .
أقول قولي هذا واستغفر الله تعالى لي ولكم .

قال صاحب العزيمة لو أتممت الخطبة وقلت ثم بلينا بحرق الاجساد وعبادة البدور والاصنام والقروود وكثرة أولاد الزنا واسوداد الوجوه وأكل التبول والفلافل

ثم نظر الملك فرأى رجلاً آخر فتأمل فاذا هو طويل مرتد برداء اصفر بيده مدرجة ينظر فيها ويزمزم ويترجح قداما وخلفاً .

فقال الملك للوزير من هو ذلك فقال رجل من اهل الشام عبراني من آل اسرائيل فقال الملك : فر له أن يتكلم فامر الوزير للعبراني قال سمعاً وطاعة

﴿ فصل ﴾

قال العبراني الحمد لله الواحد القديم الباري الحكيم القهار الحى القيوم الذي كان فيما مضى من الدهر والازمان ولم يكن سواه

ثم بدأ الخلق نوراً ساطعاً ومن النور ناراً وقاداً وبحراً من الماء جراً جاً وجمع
بينهما وخلق منهما دخاناً وزبداً فقال للدخان كن سماءها هنا وقال للزبد كن ارضها
ها هنا فخلق السموات فسوى خلقها في يوهين وبسط الارض في يومين وخلق بين
اطباقها اصناف الخلائق من الملائكة والجن والانس والطير والسباع والوحوش
والبهائم والانعام وغير ذلك في يومين ثم استوى على العرش في اليوم السابع واصطفى
من خلقه آدم ابا البشر ومن اولاده وذريته نوحا ومن ذريته ابراهيم خليل
الرحمن ومن ذريته اسرائيل ومن ذريته موسى بن عمران عليهم السلام وكله
ونجاه واعطاه آية اليد والعصا والتوراة وكتب الانبياء عليهم السلام
وفلق البحر واغرق فرعون عدوه وأنزل على نبي اسرائيل المن والسلوى
وجعلهم ملوكاً وأعطاهم ما لم يعط أحداً من العالمين فله الحمد والثناء والشكر والنعمة
أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

فقال صاحب العزيمة نسيت ولم تقل وجعل من القردة والخنازير وعبد الطاغوت
أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل وضربت علينا الذلة والمسكنة وباؤوا
ببغضب على غضب ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم جزاء بما
كانوا يعملون .

ثم نظر الملك فرأى رجلاً طويلاً عاياً ثياب من الصوف وعلى وسطه منقطة
من السيور ويده يرم عود يطرحه ويبخر فيه النار رافعاً صوته يقرأ كلماته ويلحنها
فقال الملك للوزير من هو ذلك قال رجل سرياني من آل المسيح عليه السلام
قال الملك للوزير فمر له ان يتكلم فأمره الوزير قال سمعاً وطاعة :

﴿ فصل ﴾

قال السرياني الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد وكان
بني بدئه بلا كفؤ ولا احد ولا عدد ولا مدد .
ثم فلق الاصباح ونور الانوار وأظهر الارواح وخلق صور الاشباح وبرأ

والاجسام وركب الاجرام ودور الافلاك ووكل الاملاك وسوى خاق السموات
والاراضين المدحوات وارسى الجبال الراسيات وجعل البحار الزاخرات والبرارى
والفلوات مسكناً للحيوان والنبات

الحمد لله الذي اتخذ من العذراء البتول جسد الناسوت وقرن به جوهر
اللاهوت وايده بروح القدس وأظهر على يده العجائب وأحيا به آكل اسرائيل
من موت الخطية وجعلنا من اشياعه وانصاره وجعل منا القسيسين والرهبان فنحن
لاناستكبر في الارض وجعل في قلوبنا رافة ورحمة ورحمانية فله الحمد والشكر والثناء
ولنا فضائل تركنا ذكرها واستغفر الله لي ولكم انه الغفور الرحيم.

قال صاحب العزيمة قل أيضاً فما رغيناها حق رعايتها وكبرنا وقلنا
ثالث ثلاثة وعبدنا الصليبان وأكلنا لحم الخنزير في القربان وقلنا على الله
الزور والبهتان.

ثم نظر الملك الى رجل واقف فتأمله فاذا هو اسمر شديد السمرة نحيف
الجسم فعليه ثوبان ازار ورداء شبه المحرم راكعاً ساجداً يتلو القرآن ويناجي
الرحمن فقال من هو ذلك قال الوزير رجل من تهامة قرشى قال الملك فمر له ان
يتكلم فأمر له الوزير قال سمعاً وطاعة

﴿ فصل ﴾

قال القرشى الحمد لله الواحد الصمد الفرد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً
أحد هو الأول والآخر والظاهر والباطن الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء
الظاهر على كل شيء قدرة وسلطاناً والباطن في كل شيء غلماً ومشية وتفاذا واردة
وهو العظيم الشأن الواضح البرهان الذي كان قبل الاماكن والازمان والجواهر
ذوات الكيان.

ثم قال له كن فيكون فسوى وقدر فهدى وهو بالمنظر الاعلى الذي رفع السماء
بغير عمد و بناها ورفع سمكها فسواها واغطش لياها واخرج ضحاها والارض
بمد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم، ولا نعامكم
وما كان معه من إله إذا ذهب كل الهم بما خلق ولعل بعض بعضهم على بعض سبحان الله عما
يصفون كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيدا وخسروا خسرا نابيا
هو الذي ارسل رسوله محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون وصلى الله عليه وعلى آله واصحابه وعترة وعلى ملائكته المقربين وانبيائه
المرسلين وعلى عباده الصالحين من اهل السموات واهل الارضين والمسلمين وجعلنا
واياكم منهم برحمته انه ارحم الراحمين .

والحمد لله الذى خصنا بخير الاديان وجعلنا من أمة صاحب الفرقان واكرمنا
بتلاوة القرآن وصوم شهر رمضان والطواف حول بيته الحرام والركن والمقام
واكرمنا بليلة القدر والعرفات والزكاة والطهارات والصلوات والجماعات والاعياد
والمنابر والخطب وفقه الدين وعلم سنن النبيين وسيرة الربانيين .

وعرفنا اخبار واحوال الأولين والآخرين وحساب يوم الدين ووعدنا ثواب
النبيين والشهداء والصالحين في دار النعيم ابد الابديين ودهر الداهرين والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وامام المرساين ولنا فضائل اخرى يطول
شرحها تركنا ذكرها مخافة التطويل واستغفر الله لى ولكم

قال صاحب العزيمة قل ايضا ثم انا تركنا ورجعنا مرتدين بعد وفاة نبينا اشاكين
منافقين وقتلنا الأئمة الخيرين الفاضلين طابا للدنيا بالدين

ثم نظر الملك فرأى رجلا على رأسه مشدة قائما في الملعب بين يديه آلات
الرصدف فقال للوزير من هو ذلك قال رجل من أهل الروم من بلاد يوناذ فقال الملك مره
فأمر له ان يتكلم قال سمعاً وطاعة .

﴿ فصل ﴾

قال اليوناني الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي كان قبل الهيولى ذات الصورة ، والابعاد كالواحد قبل الاعداد ، والازواج والافراد والمتعالى عن الانداد والاضداد

والحمد لله الذي تفضل وتكرم وأفاض من جوده العقل الفعال ذا العلوم والاسرار ، وهو نور الانوار ، وعنصر الارواح

والحمد لله الذي انتج من نوره العقل والبحث من جوهر النفس السكية الفلكية ذات الحركات وعين الحياة والبركات

والحمد لله الذي أظهر من قوة النفس عنصر الاكوان ذوات الهيولى والكيان والحمد لله خالق الاجسام ذوات المقادير والابعاد والاماكن والازمان

والحمد لله مركب الافلاك والكواكب السيارات الموكل بدورانها النفوس والارواح والملائكة ذات الصور والاشباح ذوى النطق والفكر والحركات الدورية وجعلها مصابيح الدجى ومشرق الانوار فى الآفاق والاقطار

والحمد لله مركب الاركان ذوات الكيان وجعلها مسكناً للنبات والحيوان والانس والجان وأخرج النبات وجعل ذلك مادة للابدان وغذاء الحيوان وهو المخرج من قعر البحار وصم الجبال ، الجواهر المعدنية الكثيفة ذوات المنافع والحمد لله الذي فضلنا على كثير من عبادة تفضيلاً اذ خص بلادنا بكثرة البقول والنعم وجعلنا ملوكاً بالخصال الفاضلة والسير العادلة ورجحان العقول ودقة التمييز وجودة الفهم وكثرة العلوم والصنائع العجيبة والطب والهندسة والنجوم وعلم تركيب الافلاك ومعرفة منافع الحيوان والنبات والمعادن والحركات وآلات الرصد والطلسمات وعلم الرياضات والمنطقيات والطبيعيات والالهيات فله الحمد والثناء والشكر على جزيل العطاء . ولنا فضائل أخر يطول شرحها واستغفر الله لى ولكم

فقال صاحب العزيمة من أين لكم هذه العلوم والحكمة التي ذكرتم؟
 وافتخرت بها لو لا انكم أخذتم بعضها من آل اسرائيل أيام بطليموس وبعضها
 من علماء أهل مصر أيام مسيطوس فنقلتموها الى بلادكم ونسبتموها الى أنفسكم
 فقال الملك لليوناني ماذا تقول فيما ذكر قال صدق الحكيم فيما قال فاذا
 أخذناها منهم فان علومنا وعلوم سائر الامم بعضها من بعض ولو لم يكن كذلك
 من أين للفرس علم النجوم وتركيب الافلاك وآلات الرصد لو لا انهم أخذوها
 من أهل الهند . ومن أين كان لبني اسرائيل علم الحيل والسحر والعزائم ونصب
 الطاسمات واستخراج المقادير لو لا ان سليمان عليه السلام أخذها من خزائن ملوك
 سائر الامم حينما غلب عليهم ونقلها الى لغة العبرانيين والى بلاد الشام وكانت مملكته
 في بلاد فلسطين وبعضها ورثها بنو اسرائيل من كتب أنبيائهم التي القتها اليهم
 الملائكة بالوحي والانباء من الملائكة الأعلى الذين هم سكان السماوات وملوك
 الافلاك وجنود رب العالمين

قال الملك للحكيم ما تقول فيما ذكر . قال صدق انما تكثر العلوم في أمة دون
 أمة وفي وقت دون وقت من الزمان فاذا صار الملك والنبوة فيها فتقلب سائر
 الامم وتأخذ فضلها وفضائلها وعلومها وكتبها فتقلها الى بلادهم وينسبونها
 الى انفسهم

ثم نظر الملك الى رجل عظيم الجثة قوي البنية حسن البزة ناظراً نحو
 السماء يدير بصره مع الشمس كيفما دارت . فقال من هو ذلك ؟ . قال الوزير
 رجل من أهل خراسان من بلاد مرو والشاهها . فقال الملك فر له ليتكلم فأمر
 له الوزير فقال سمعا وطاعة

فصل

قال الخراساني الحمد لله الواحد الاحد الكبير المتعال العزيز الجبار القوي
 القهار العظيم الغفار ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير الذي تقصر عن كيفية

صفاته ألسن الناطقين ولا تبلغ كنهه أوصافه أفهام المتفكرين تميرت في عظيم جلالته بقول ذوي الالباب والابصار من المستبصرين علا فدنا وظهر فتجلى وهو بالمنظر الاعلى « لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » احتجب بالانوار قبل خلق الليل والنهار وركب الافلاك الدائرات ورفع سموك السماوات ذوات الاقطار المتباعدات فله الحمد خالق الخلائق أجناساً من الملائكة والجن والانس من الشياطين ومن الخليقة أصنافاً ذوي أجنحة مثنى وثلاث ورباع وذوات رجلين واربع وما ينساب على بطنه وما يغوص في الماء ويسبح فيه ، ثم جعلها أنواعاً وأشخاصاً ومن بنى آدم شعوباً وقبائل مختلفة ألوانها وألسنتها ودثارها وأما كنهها وأزمانها ثم قسم عليهم أنعامه وأفضاله ومواهبه واحسانه

والحمد لله على ما أعطى ووهب من آلائه وعلى ما وعد من أنعامه
والحمد لله خصنا وتفضل علينا اذ جعل بلادنا أكثر البلدان مدناً وأسواقاً
ومنازل وقلاعاً وحصوناً وأنهاراً وأشجاراً وجبالاً ومعادن وحيواناً ونباتاً
ورجالاً ونساء ، فنساؤنا في قوة الرجال ، ورجالنا في قوة الجمال ، وجمالنا في قوة
عظم الجبال

والحمد لله على ما خصنا ومدحنا على ألسن النبيين بالبأس الشديد ، والقوة
المتين ، ومحبة الدين ، واتباع المرسلين . فقال عز وجل « ونحن اولو قوة وأولو
بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين » وقال عز وجل للمخلفين من
الاعراب « ستدعون الى قوم أولو بأس شديد » وقال « سوف يأتي الله بقوم
يحبهم ويحبونه » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو كان الايمان معلقاً بالثريا
لتناوله رجل من أبناء فارس) وقال صلى الله عليه وسلم (طوبى لاخواني من
رجال فارس يجيئون في آخر الزمان يجدونه سواداً على ينياض ويؤمنون بي
ويصدقوني)

والحمد لله على ما خصنا باليقين والايمان والعمل للأخرة والتزود للمعاد وان
 منا من يقرأ الانجيل ولا يدري منه شيئاً ويؤمن بالمسيح ويصدقه ومنا من
 يقرأ القرآن ويلحنه ولا يعرف معناه ويؤمن بمحمد ويصدقه وينصره ونحن
 لبسنا السواد وطلبنا بثأر الحسين وطردها البغاة من بني مروان طغوا وعصوا
 وتعدوا حدود الله والدين ونحن نرجو أن يظهر من بلادنا الامام المهدي عليه السلام
 المنتظر من آل محمد صلى الله عليه وسلم فان عندنا له خبراً وأثراً والحمد لله على
 ما أعطى ووهب وانعم وأكرم أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

فلما فرغ الفارسي من كلامه نظر الملك الى من حوله من الحكماء . وقال
 ماذا ترون فيما ذكر قال رئيس الفلاسفة صدق فيما ذكر لولا أن فيهم جفاء الطبع
 وفحش اللسان ونكاح الغلمان وتزويج الامهات وعبادة النيران ويسجدون للشمس
 من دون الرحمن

فصل

في بيان صفات الاسد وأخلاقه ومناقبه من الخصال المحموده
 والمذمومة من بين السباع والوحوش

ولما كان في اليوم الثالث حضر زعماء الطوائف على الرسم فوقف في مواضعها
 كالأمس في المجلس . ونظر الملك يمنة ويسرة فرأى ابن آوى واقفاً الى جنب
 الحمار وهو ينظر شذراً ويلتفت يمنة ويسرة شبه المريب الخائف الوجمل
 من الكلاب

فقال الملك على لسان الترجمان من أنت ؟ قال أنا زعيم السباع . قال ومن
 أرسلك ، قال ملكنا ، قال من هو ، قال الاسد ابو الحمار

قال الملك أين يأوى من البلاد . قال في الآجام والغياض والدحال ، قال
 ومن رعيته ، قال حيوان البر من الوحوش والانعام والبهايم

قال ومن جنوده وأعوانه ، قال النمورة والفهود والذئباب وبنى آوى والثعالب
وسناير البر وكل ذي مخلب وناب من السباع ، قال صف لى صورته وأخلاقه
وسيرته في رعيته وجنوده

قال نعم أيها الملك هو أكبر السباع جثة وأعظمها خلقة وأقواها وأشدّها
قوة وبطشا وأعظمها هيبة وجلالا عريض الصدر دقيق الخصر لطيف المؤخر
كبير الرأس مدور الوجه وضاح الجبين واسع الشدقين منفرج المنخرين متين
الزندان حاد صلب الاياب والمخالب براق العينين جهير الصوت شديد الزئير عبل الساقين
شجاع القلب هائل المنظر لا يهاب أحداً ولا يرهب لشدة بطشه الجواميس ولا
الفيلة ولا التماسيح ولا الرجال ذوو البأس الشديد ولا الفرسان ذوو السلاح الشاك
المدرعة وهو شديد العزيمة ، حازم الرأي اذا هم بأمر قام اليه بنفسه لا يستعين
بأحد من جنوده وأعوانه ، سخى النفس اذا اصطاد فريسة أكل منها وتصدق
بباقيها علي جنوده وخدمه غفيف النفس عن الامور الدنية لا يتعرض للنساء
ولا للصبيان ولا للنيام كريم الطبع اذا رأى ضوءاً بعيداً ذهب نحوه في ظلم الليل
ووقف بالبعد منه وسكنت ثورة غضبه ولانت صولته ، واذا سمع نغمة طيبة
قرب منها وسكن اليها لا يفرع من شيء ولا يتأذى الا من النمل الصغير فانها
مسلطة عليه وعلى أشباله كما سلط البق على الفيلة والجواميس وتسلط الذباب على
الملوك الجبابرة من بنى آدم قال كيف سيرته في رعيته ، قال أحسنها واعدلها
وأنا أذكر بعد هذه

فصل

في بيان صفة العنقاء وصفة الجزيرة التي تأوى اليها وما فيها من النبات والحيوان
ثم نظر الملك الى الطوائف الحضور هناك فرأى البيغاء قاعدة على غصن
شجرة بالقرب وهي تنظر وتتأمل كل من يتكلم من الجماعة الحضور. وينطق
بمحكاة في كلامه وأقوابله

فقال له الملك : من أنت ؟ : قال أنا زعيم الجوارح من الطير . قال من ارسلك
قال ملكنا ، قال من هو ؟ قال عنقاء مغرب ، قال أين يأوي من البلاد ، قال
الى أطواد الجبال الشاخنة في جزيرة البحر الاخضر التي قل ما بلغ اليها مراكب
البحر ولا أحد من البشر

قال صف لنا تلك الجزيرة . قال نعم ، طيبة التربة معتدلة الهواء تحت خط
الاستواء عذبة المياه من العيون والانهار كثيرة الاشجار من دوح الساج العالية
في جواهر الهواء قصب آجامها القنا وعكرشها الخيزران وحيواناتها الثميل والجواميس
والخنازير واصناف اخر ، لا يعلمها الا الله . قال صف لنا صورة العنقاء واخلقها
وسيرتها قال نعم هي اكبر الطير جثة واعظمها خلقة واشدها طيراناً كبيرة الراس عظيمة
المنقار كأنه معول من الحديد عظيمة الجناحين اذا نشرتهما كأنهما شرعان من شرعات
مراكب البحر وذنب مناسب لهما كأنه فارة تمرود الجبار واذا انقضت من الجوفي
طيرانها تهتز الجبال من شدة تموج الهواء من خفقان جناحيها وهي تخطف الجواميس
والفيلة من وجه الارض في طيرانها كما يخطف الحداة الفارة في طيرانه من وجه
الارض في طيرانها قال ما سيرتها قال احسن واعدلها وأنا اذكر بعد هذا

﴿ فصل ﴾

في بيان صفة الثعابين والتنين وعجيب خلقهما وهائل منظرهما
ثم ان الملك سمع نعمة وطنيناً من شق حائط كان بالقرب من هناك هي تترنم
وتندمر ولا تبدأ ساعة ولا تسكن فتأمله فاذا هو صرصر واقف يحرك جناحيه
له حركة خفيفة سريعة يسمع لها نغمة وطنين كما يسمع لوتر الزبير .
فقال له الملك من أين أنت قال أنا زعيم الهوام والحشرات قال من ارسلك
قال ملكنا قال من قال الثعبان .

قال أين يأوي من البلاد قال الجبال الشاخنة المرتفعة الى كورة النسيم عند
كورة الزمهرير حتى لا يرتفع الى هناك سحاب ولا غيوم ولا يقع امطار ولا ينبت
نبات ولا يعيش حيوان من شدة برد الزمهرير .

قال فمن جنوده واعوانه قال الحيات والجرادات والحشرات أجمع قال فاين تأوي جنوده قال في الاض بكل مكان فهم أمة وخلائق لا يحصى عددها الا الله الذي خلقها وصورها وبرأها ويعلم مستقرها ومستودعها .

قال الملك ولما ارتقم الثعبان الى هناك مع جنوده وأبناء جنسه قال ليستريح يبرد الزمهرير من شدة وهج حرارة السم الذي بين فكليه وتلهبها في جسمه قال صف لنا صورته واخلاقه وسيرته قال صورته كصورة التنين واخلاقه كاخلاقه قال فمن لنا بوصف التنين قال زعيم حيوان الماء قال من هو قال ذلك الراكب الخشبة .

فنظر الملك فاذا الضفدع راكب خشبة على ساحل البحر بالقرب من هناك وهو ينق باصوات تسبيحات لله وتكبيرات وتحميداً وتهليلاً لا يعلمها الا الله والملائكة الكرام البررة .

قال الملك من أنت قال أنا زعيم حيوان الماء قال ومن ارسلك قال ملكنا قال ومن هو قال التنين قال أين يأوي من البلاد قال في قعر البحار حيث الامواج المتلاطمة ومنشؤ السحاب والغيوم المؤلفة قال من جنوده واعوانه

قال التماسيح والدلافين والسرطانات واصناف من الحيوانات البحرية التي لا يحصى عددها الا الله الواحد القهار .

قال صف لنا صورة التنين وأخلاقه وسيرته قال نعم أيها الملك هو حيوان عظيم الخلق عجيب الصورة طويل القامة عريض الجثة هائل المنظر مهول المخبر تخافه وتهابه حيوانات البحر أجمع لشدة قوته وعظم صولته اذا تحرك تحرك موج البحر من سرعة سباحته، كبير الرأس براق العينين واسم النهم كثير الاسنان، يبلع من حيوانات البحر عددا كثيرا لا يحصى واذا امتلأ جوفه منها واتخم تقوس والتوى واعتمد على رأسه وذنبه ورفع وسطه خارجا من الماء مرتفعاً في الهواء مثل قوس قزح يشرق في عين الشمس ويستروح بجرها ليستمرىء ما في جوفه

وربما عرض له وهو على هذه الحالة غشية وينشأ سحابة من تحته ترفعه فترمي به الى البر فيموت وتأكل من جثته السباع اياما وترمي به الى أمة ياجوج ومأجوج الساكنين من وراء السد وهما امتان صورتها آدمية ونفوسهما سبعية لا يعرفان التدبير ولا السياسة ولا البيع ولا الشراء ولا الحرفة ولا الحرث ولا الزرع بل الصيد من السباع والوحوش والسماك والنهب والغارات بعضها على بعض ويأكل بعضها بعضاً .

واعلم أيها الملك بان كل حيوانات البحر تقزع من التنين وتها به وهو لا يفرع من شيء الا من دابة صغيرة تشبه الكرور والجرجيس فتلسمه وهو لا يقدر عليها بطشا ولا منها احترازا فاذا لسعته دب سمها في جسمه فمات واجتمعت عليه الحيوانات البحرية تأكله فيكون لها عيشاً رغداً أياما من جثته فهي تأكلها مدة من الزمان كما تأكل السباع كبارها صغارها مدة من الزمان وهكذا حكم الجوارح من الطير، وذلك ان العصافير والقنابير والخطاطيف وغيرها تأكل الجراد والنمل والذباب والبق وما شاكلها، ثم ان البواشق والشواهين وما شاكلها تصطاد العصافير والقنابير وتأكلها، ثم ان البزاة والصقور والنسور والعقبان تصطادها وتأكلها ثم انها اذا ماتت أكلها صغارها من النمل والذباب والديدان .

وهكذا سيرة بنى آدم فانهم يأكلون لحوم الجدي والحملان والغنم والبقر والطيور وغيرها ثم اذا ماتوا أكلتهم في قبورهم الديدان والنمل والذباب وهكذا يأكل صغار الحيوانات كبارها وتارة تأكل كبارها صغارها ومن أجل هذا قال الحكماء المنطقيون من الانس :

ان من فساد شيء آخر يكون صلاح شيء آخر قال الله سبحانه « وتلك الايام نداولها بين الناس وما يعقلها الا العالمون »

وقد سمعنا أيها الملك ان هؤلاء الانس يزعمون انهم اربابنا وان سائر الحيوانات عبيد لهم فهلا يفقهون فيما وصفت من تصاريح احوال سائر الحيوانات هل بينها فرق فيما ذكرت فانهم تارة آكلون وتارة هم مأكلون فبماذا يفتخر

بنو آدم على الحيوانات وعاقبة أمرهم مثل عاقبة أمرها وقد قيل الاعمال بخواتيمها
وكلهم من التراب خلقوا واليه مصيرهم

ثم قال الضفدع اعلم أيها الملك الحكيم بأنه لما سمع الثنين قول الانس وادعاءهم
على الحيوانات انها عبيد لهم وانهم ارباب لها تعجب من قولهم الزور والبهتان.
وقال ما أجهل هؤلاء الانس وأشد ظفيا نهم واعجابهم بانفسهم ومكابرتهم
لاحكام العقول كيف يجوزون أن تكون السباع والوحوش والجوارح والشعابين
والتنانين والتماسيح والكواسيح عبيداً لهم وخلق من أجلهم أفلا يتفكرون
ويعتبرون يانه لو خرجت عليهم السباع من الاجام وانقضت عليهم الجوارح
من الجو وتزلت عليهم الشعابين من رؤوس الجبال وخرجت اليهم التماسيح
والتنانين من البحر فحمت على الانس حملة واحدة هل يبقى منهم أحد وانها لو
خالطتهم في ديارهم ومنازلهم هل كان يطيب لها عيش أو حياة معهم أفلا يتفكرون
في نعم الله تعالى عليهم حين صرفها وابعدها من ديارهم لدفع ضررها عنهم وانما
غرم كون هذه الحيوانات السليمة الاسيرة في ايديهم التي لاشوكة لها ولا صولة
ولا حيلة وهم يسومونها سوء العذاب ليلاً ونهاراً فاخرجهم ذلك الى هذا القول
من غير حق ولا برهان.

فصل

ثم ان الملك نظر الى جماعة الانس وهم وقوف نحو اثنين وسبعين رجلاً مختلفي
الالوان والصفات والزي واللباس فقال لهم قد سمعتم ما قال فاعتبروا وتفكروا فيه
ثم قال لهم من ملككم قالوا لنا عدة ملوك قال فأين ديارهم قالوا في بلدان شتى
كل واحد في مدينة له جنوده ورعيته قال الملك لأي علة وأي سبب صارت
هذه الطوائف من الحيوانات لكل جنس منها ملك واحد مع كثرتها والانس
ملوك عدة مع قلتهم.

قال زعيم الانس العراقي نعم أيها الملك أنا اخبرك ما العلة وما السبب في كثرة

ملوك الانس وقلة ملوك سائر الحيوانات مع كثرتها قال الملك وما هي:
قال لكثرة مأرب الانس وفنون تصاريف أمورهم واختلاف احوالها
فاحتاجوا الي كثرة الملوك وليس حكم سائر الحيوانات كذلك .

وخصلة أخرى ان ملوكهم انما هم بالاسم من جهة كبر الجثة وعظيم الخلقة
وشدة القوة حسب .

وان حكم ملوك الانس ربما يكون بخلافه وذلك انه ربما يكون الملك
أصغرهم جثة ولطفهم بنية وأضعفهم قوة وانما المراد من الملوك حسن السياسة
والعدل في الحكومة ومراعاة أمر الرعية وتفقد أحوال الجنود والاعوان وترتيبهم
مراتبهم والاستعانة بهم في الامور المشاكلة لهم .

وذلك ان رعية ملوك الانس وجنودها واعوانها أصناف وصفات شتى فمنهم
حملة السلاح الذين بهم يبطش الملك باعدائه ومن خالف أمره من الثوار والخوارج
واللصوص وقطاع الطرق والغوغاء والعيارين ومن يريد الفتن ويشيرها ويريد الفساد
في البلاد .

ومنهم الوزراء والكتاب والعمال وأصحاب الدواوين وجباة الخراج وبهم
يجمع الملك الاموال والذخائر وارزاق الجند وما يحتاج اليه من الأمتعة
والثياب والأثاث .

ومنهم البنائون والدهانون والمزارعون وارباب الحرث والنسل وبهم عمارة
البلاد وقوم أمر المعاش للسكل .

ومنهم القضاة والعلماء والفقهاء الذين هم قوام الدين وحكام الشريعة التي لا بد
للملك من دين وحكم وشريعة يحفظ بها الرعية والامة ويسوسهم ويدبر أمورهم
على أحكمه وأحسنه .

ومنهم التجار والصناع واصحاب الحرف والمتعاونون في المعاملات والتجارات
والصناع في المدن والقرى الذين لا يتم أمر المعاش وطيب الحياة الا بهم ومعاونة
بعضهم بعضاً .

ومنهم الخدم والغلمان والجواري والحجاب والوكلاء أصحاب الخزائن والفيوج والرسل وأصحاب الاخبار والندماء المختصون ومن شا كلهم ممن لا بد للملوك منهم في تمام السيرة .

وكل هؤلاء الطوائف الذين ذكرتهم لا بد للملك من النظر في أمورهم وتفقد أحوالهم والحكومة بينهم .

فمن أجل هذه الخصال احتاجت الانس الى كثرة الملوك في كل بلد أو في كل مدينة ملك واحد يدبر أمر أهلها كلها كما ذكرت ولم يمكن أن يقوم بها كلها واحد لان أقاليم الارض سبعة اقاليم وفي كل اقليم عدة بلدان وفي كل بلدة عدة مدن وفي كل مدينة عدة خلأق لا يحصى عددها الا الله وهم مختلفو الألسن والاخلاق والآراء والمذاهب والاعمال والاحوال والمآرب .

ولهذه الخصال واجب في الحكمة الالهية والعناية الربانية أن تكون ملوك الانس كثيرة وكل ملوك بني آدم خلقاء الله في أرضه ملكهم بلاده وولاهم عباده ليسوسوهم ويدبروا أمورهم ويحفظوا نظامهم ويتفقدوا أحوالهم ويقمعوا الظلم وينصروا المظلوم ويقضوا بالحق وبه يعدلون ويأمرون بأوامره وينهون عن فواهيه ويتشبهون به في تدبيرهم وسياستهم إذ كان الله تعالى هو سائس الكل ومدبر الخلائق من أعلى عليين الى أسفل سافلين وحافظهم وخالقهم ورازقهم ومبدأهم ومعيدهم كما شاء وكيف شاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

فصل

في بيان فضيلة النحل وعجائب أموره وتصاريف أحواله وما خص به من الكرامات والمواهب دون غيره من الحشرات فلما فرغ زعيم الانس من كلامه نظر الملك الى اصناف الحيوانات فسمع دويًا وطنينًا فاذا هو باليعسوب أمير النحل وزعيمها واقف في الهواء يحرك

جناحيه حركة خفيفة يسمع لها دوي وطنين مثل نغمة الزبير من أوتار العود وهو يسبح الله ويقدسه ويهلله .

فقال له الملك من أنت . قال أنا زعيم الحشرات وأميرها قال كيف جئت بنفسك ولم ترسل رسولا من رعيتك وجنودك كما أرسلت سائر طوائف الحيوانات . قال اشفاقاً عليهم ورحمة لهم وتحنناً عليهم أن ينال أحداً منهم سوء أو مكروه أو أذية . قال له الملك وكيف خصصت بهذه الخصال دون غيرك من ملوك سائر الحيوانات . قال إنما اختصني ربي من جزيل مواهبه ولطيف انعامه وعظيم إحسانه بما لأحصيه

قال الملك اذكر منها طرفاً لأسمعه وبينه لأفهمه .

قال نعم أيها الملك مما خصني الله به وأنعم به علي وعلى آبائي وأجدادي ان أنا الملك والنبوة التي لم تكن من بعدنا لحيوانات آخر وجعلها ورثة من آبائنا وأجدادنا وذخيرة لاولادنا وذرياتنا يتوارثونها خلفاً عن سلف الى يوم القيامة وهما نعمتان عظيمتان جزيلتان مغبون فيهما أكثر الخلائق من الجن والانس وسائر الحيوانات ومما خصنا ربنا وأنعم به علينا أن ألهمنا وعلمنا دقة الصنائع الهندسية ومعرفة الاشكال الفلكية من اتخاذ المنازل وبناء البيوت وجمع الذخائر فيها ومما خصنا به أيضاً وأنعم به علينا سبيل الرشاد ومما خصنا أيضاً وأنعم به علينا أن جعل لنا الاكل من كل الثمرات ومن جميع أزهار النبات ومما خصنا وأنعم به علينا أن جعل الله في مكاسبنا وذخائرنا وما يخرج من بطوننا شراباً حلواً لذيذاً فيه شفاء للناس وتصديق مما قال الله تعالى « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس »

ومما خصنا به ربنا أيضاً وأنعم به علينا أن جعل خلقه صورتنا وهياكلنا وجميل أخلاقنا وحسن أفعالنا وأعمالنا وتصاريف أمورنا وحسن سياستنا وتدابير

رعيتمنا عبرة لأولى الاباب وآية لأولى الابصار وذلك ان الله تعالى بحكمته جعل خلقتنا خلقة لطيفة وبنيتنا بنية ظريفة وصورتنا صورة عجيبة وذلك انه تعالى جعل بنية جسدنا ثلاث مفاصل مخروطية فوسط جسدنا مربع مكعب ومؤخر جسدنا معوج مدبج مخروط ورأسنا مدور مبسوط وركب في وسط أبداننا أربعة أرجل ويدين متناسبات المقادير كأضلاع الشكل المسدس في الدائرة لنستعين بها على القيام والقعود والوقوف والنهوض ونقدر على أساس بناء منازلنا . وبيوتنا مسدسات مكتنفات ففي بنيان بيوتنا وأشكال منازلنا إلهامات ربانية ومعقولات روحانية إذعجز الرياضيون عن موضوعات أشكالنا وتسديسات منازلنا .

والغرض من المتساوية الاضلاع والزوايا المكشوفات كيلا يدخلها الهواء فيضر بأولادنا وينفسد شرابنا الذي هو قوتنا وذخائرنا

وبهذه الاربعة الأرجل واليدين نجتمع من ورق الاشجار وزهر الأثمار الرطوبات الدهنية التي نبنى بها منازلنا وبيوتنا ، وجعل الله على كتفي أربعة أجنحة حريرية النسيج آلة لي في الطيران في جو الهواء مستقلاً بها وجعل مؤخر بدننا مخروط الشكل مجوفاً مدرجاً مملوءاً بالهواء ليكون موازناً في ثقل رأسنا في الطيران ، وجعل لي حمة حادة كأنها شوكة وجعلها سلاحاً لي أخوف به أعدائي . وأزجر به من يتعرض ليؤذني وجعل رقبتى خفيفة ليسهل بها علي تحريك رأسي . يمنة ويسرة وجعل رأسي مدوراً عريضاً وجعل في جنبي عينين براقيتين كأنهما مرآتان مجلوتان وجعلها آلة لنا لادراك المرئيات المبصرات من الالوان والاشكال والأ نوار والظلمات وأثبت على رأسنا شبه قرنين لطيفين لينين وجعلهما آلة لنا لاحساس المموسسات واللين من الخشونات والصلابة والرخاوة وفتح لنا منخرين . وجعلهما لاحساس المشمومات الطيبة والروائح الجيدة وجعل لنا فماً مفتوحاً فيه قوة ذائقة نتعرف بها قوة الطعام والطيبات من المأكولات والمشروبات وخلق لنا مشفرين حادين نجتمع بهما من ثمرة الاشجار رطوبات لطيفة

وعجز الطبيعيون والاطباء من اليونانيين من معرفتنا على طبائع النباتات

والاطلاع على خصائص منافعها وخلق في جوفنا قوة جاذبة وماسكة وهاضمة وطابخة منضجة تصير تلك الرطوبات عسلاً حلواً لذيذاً شراباً صافياً غذاء لنا ولأولادنا وذخائر للشتاء كما جعل في ضرور الانعام قوة هاضمة تصير الدم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين وجعل فضالتنا وفضالة أولادنا سبباً وشفاء لأخص خاق الله تعالى إذ في تشكياننا وتخطيطنا المسدسات وترتيب الزوايا المتساويات جعل شفاء للأرواح الانسانية وفي فضالتنا وبصاقتنا ولعابنا جعل شفاء للجسد الانساني وجعل فضالة فضالتنا وهو الشمع سبباً للضياء في ظلم الليالي عوضاً عن الضياء النوراني الحاصل من الشمس

فمن أجل هذه النعم والمواهب التي خصنا الله تعالى بها صرنا مجتهدين في كثرة الذكر لها وأداء شكرها بالتسبيح لربنا والتهليل والتكبير والتمجيد والتحميد . آناء الليل وأطراف النهار والشفقة على رعيتنا وتفقد أحوال جنودنا وأعواننا وتربية أولادنا لأننا لهم كالرأس من الجسد وهم لنا كالأعضاء من البدن لا تقوام لا حدهما الا بالآخر ولا صلاح لهما الا بصلاح الآخر . فلماذا جعلت نفسى فداء لهم في أشياء كثيرة من الامور الخطيرة اشفاقاً عليهم ، ومن هذا السبب الذي ذكرت اخترت مجيئى بنفسى رسولا ونائباً وزعيماً من رعيتنا وجنودنا

فما فرغ النحل من كلامه قال الملك بارك الله فيك من خطيب ما أفصحك ووحكيم ما أعلمك ومن رئيس ما أحسن سياستك ومن مالك ما أفضل رعايتك ومن عبد ما أعرفك بانعام ربك وهو اهاب مولاك .

ثم قال الملك أين تأوون من البلاد قال في رؤوس الجبال والتلال وبين الاشجار والدحال ومنا من يجاور بنى آدم في منازلهم وديارهم .

قال المنك كيف عشرتهم وكيف تسلمون منهم .

قال أما من بعد منا من ديارهم فيسلم على الامر الا كثروا لکن ربما يجيئوننا في طلبنا ويتعرضون لنا بالاذية فاذا ظفروا بنا خربوا منازلنا وأحفوا بيوتنا

ولم يبألوا بأن يقتلوا أولادنا ويأخذوا مساكننا وذخائرنا ويتقاسموها
ويستأثروا بها دوننا

قال الملك وكيف صبركم عليهم وعلى ذلك منهم ، قال صبر المضطر تارة كرها
وتارة رضا وتسليما ان غضبنا وهربنا وتباعدنا من ديارهم جاءوا خلفنا يطلبوننا
ويترضوننا بالهدايا من العطر وانواع الحيل من أصوات الدفوف والطبول والمزامير
والهدايا المزدوجة المزخرفة من الدبس والتمر وعملهم مثل عمل الطرارين الذين
يمشون في المحال ويعطون الزبيب والجوز الى الصبيان ويأخذون منهم أثوابهم
ودراهمهم ويسخرون على الصبيان

فهؤلاء أيضاً يعملون مثل السخرية بحيث انهم يبعثون الينا الهدايا من التمر
والدبس إذ كلاهما يضر بأبدانهم ويأخذون منا عسلا صافياً لذيذاً جعله الله
تعالى سبباً لشفاء أبدانهم وزوال أمراضهم فنحن من حسن أخلاقنا لانضايقتهم
فنصالحهم اذ الصلح خير لنا ولهم لان العداوة والخصومة تؤدي الى هلاك
الحيوان وتؤدي الى خراب البلاد فنحن نراجعهم ونصالحهم لما في طبائعنا من
الخيرة ولما في صدورنا من السلامة وقلة الحقد والحسد وحسن المراجعة وقلبتنا
صار موضع الهام الله تعالى لا يجوز أن يكون موضع الحقد والحسد إذ هاضدان
لا يجتمعان وذلك ان الله تعالى جعلنا من المقربين والصالحين والقي الوحي علينا
لا يليق بنا أن نكون فاسقين طاغين

ومع هذا كله لا يرضون منا هؤلاء الانس حتى يدعون علينا باننا عبيد لهم
يهم موال وارباب لنا بغير حجة ولا بيان ولا برهان غير الزور والبهتان إذ نحن
ير محتاجين اليهم حسب ما يكون العبيد محتاجين الى الموالى في تصارييف أمورهم
لهم محتاجون الينا مثل ما يحتاج الخدم الى السيد والله المستعان أقولى قولى هذا
استغفر الله لى ولكم انه هو الغفور الرحيم .

* فصل *

في بيان حسن طاعة الجن لرؤسائها وملوكها
ثم قال اليسوب لملك الجن كيف حسن طاعة الجن لرؤسائها وملوكها قال
أحسن طاعة وأطوع انقياد لامرها ونهيها قال يتفضل الملك ويذكر منها شيئاً
قال نعم :

فاعلم أن الجن اخيار واشرار ومسالمون وكفار وابرار وفجار كما يكون في
الناس من بنى آدم فاما حسن طاعة الاخيار منها لرؤسائها وملوكها ففوق الوصف
مما لا يعرفه البشر من بنى آدم لان طاعتها الملوكها كطاعة الكواكب في الفلك
للنير الاعظم الذي هو الشمس .

وذلك ان الشمس في الفلك كالمملك وسائر الكواكب لها كالجنود والاعوان
والرعية ونسبة المريخ من الشمس كنسبة صاحب الجيش من الملك والمشتري
كالثقاضي وزحل كالحازن وعطارد كالوزير والزهرة كالحرم والقمر كولى العهد
وسائر الكواكب كالجنود والاعوان والرعية وذلك انها كلها مربوطة بفلك
الشمس تسير بسيرها في استقامتها ورجوعها ووقوفها واتصالاتها وانصرافاتها
كل ذلك بحسبان لا تتجاوز رسومها ولا تتعدى حدودها وجريان عاداتها في
طلوعها وغروبها وتشريقها وتغريبها وجميع احوالها ومتصرفاتها لا يرى منها
معصية ولا خلافة .

قال النحل لملك الجن من أين للكواكب حسن هذه الطاعة والاتقياد
والنظام والترتيب لملكها قال من الملائكة الذين هم جنود رب العالمين .
قال كيف حسن طاعة الملائكة لرب العالمين : قال كطاعة الحواس الخمس
للنفس الناطقة .

قال زدني بياناً : قال نعم ألا ترى أيها الحكيم ان الحواس الخمسة في ادراكها
محسوساتها وايرادها اخبار مدركاتها الى النفس الناطقة لا تحتاج الى امر ولا نهى

ولا وعد ولا وعيد بل كلما همت النفس الناطقة بأمر محسوس امتثلت الحاسة لما همت به النفس وادركتها وأوردتها اليها بلا زمان ولا تأخير ولا إبطاء وهكذا طاعة الملائكة لرب العالمين الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرهم الذي هو رئيس الرؤساء وملك الملوك ورب الأرباب ومدبر السكك وخالق الجميع وأحكم الحاكمين لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العالمين .

وأما الأشرار والكفار والفساق من الجن فانها أحسن طاعة لرؤسائها واطوع انقياداً لملوكها من اشرار الانس وخارجهم وفساقهم والدليل على ذلك حسن طاعة مردة الجن لسليمان عليه السلام لما سخرت له فيما كان يكلفها من الاعمال الشاقة والصنائع المتعبة فيجعلون له ما يشاء من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات .
ومن الدليل أيضاً على حسن طاعة الجن لرؤسائها ما قد عرفه بعض الانس الذين يسافرون في المفاوز والقلوات ان أحدهم اذا نزل بواد يخاف فيه من لمم الجن ويسمع دويهم وزجالاتهم فيستعين برؤسائها وملوكها ويقراً آية من القرآن والانجيل والتوراة ويستجير بها عنهم وعن تعرضهم وأذيتهم فانهم لا يتعرضون له مادام في مكانه

ومن حسن طاعة الجن لرؤسائها انه اذا تعرض أحد من المردة وشياطين الجن لأحد من بنى آدم بتخيل أو فزعة أو تخبط أو لم فيستعين المعزم برئيس قبيلة أو ملك أو جنوده فانهم يعزمون عليها ويحشرون اليها ويمتشلون ما يأمرهم وينهاهم في صاحبهم

ومن الدليل أيضاً على حسن طاعة الجن وسهولة الانقياد وسرعة اجابتها للداعي لها اجابة نقر من الجن لمحمد عليه السلام في ساعة اجتازوا به ووجدوه يقرأ القرآن ووقفوا عليه فاستمعوه واستجابوه وولوا الى قومهم منذرين كما هو مذكور في القرآن من نعمتهم في نحو عشرين آية فهذه الآيات والدلالات

والعلامات دالات على حسن الطاعة للجن وسهولتها وسرعة انقيادها واجابته
 لمن يدعوها أو يستعين بها خيراً كان أو شراً
 فاما طباع الانس وجبلتهم فبالضد مما ذكرت وذلك ان طاعتهم لرؤسائهم
 وملوكهم أكثرها خداع ومكر ونفاق وغرور وطلب للعوض والارزاق والمكافات
 والخلع والمأرب والكرامات فان لم يروا ما يطلبون أظهروا العصبية والخلاف
 وخلعوا الطاعة والخروج من الجماعة والعداوة والحرب والقتال والفساد
 في الارض .

فكذا حكمهم مع انبيائهم ورسول ربهم تارة ينكرون دعوتهم بالجحود ودفع
 العيان وحجة الضرورات ويطلبون منهم المعجزات بالعناد وتارة الاجابة بالنفاق
 والشك والارتياب والمكر والدغل والنش والخيانة في السر والجهر كل ذلك
 لغلظ طباعهم ورداءة جبلتهم وسوء عاداتهم وسيئات أعمالهم وتراكم جهالاتهم
 وعمى قلوبهم ثم لا يرضون حتى يزعمون انهم ارباب وغيرهم عبيد لهم بلا حجة
 ولا برهان .

فلما رأَت جماعة الانس طول مخاطبة ملك الجن لليعسوب زعيم الحشرات
 تعجبت وأنكرت وقالت :

لقد خص الملك زعيم الحشرات اليعسوب بكرامة ومنزلة لم يخص بها أحد
 من زعماء الطوائف الحضور في هذا المجلس

فقال لهم حكيم من حكماء الجن لاتنكروا ذلك ولا تتعجبوا منه فان اليعسوب
 وان كان صغير الجثة لطيف المنظر ضعيف البنية فانه عظيم المخبر جيد الجوهر
 ذكى النفس كثير النفع مبارك الناصية حكيم الصنعة وهو رئيس من رؤساء
 الحشرات وخطيبها وملكها ونبياها والملوك يخاطبون من كان من أبناء جنسهم
 في الملك والرياسة وان كان مخالفاً لهم في الصورة وكانوا متباينين في الملك ولا
 تظنوا بان الملك العادل الحكيم يميل في الحكومة الى واحدة من الطوائف

دون غيرها لهوى غالب أو طبع مشا كل أو ميل لسبب من الاسباب وعلة
من العال .

فلما فرغ حكيم الجن من كلامه نظر الملك الى الجماعة الحضور فقال سمعتم
يامعشر الانس أمر شكايه هذه البهائم من جوركم وظلمكم ونحن قد سمعنا ادعاءكم
عليها الرق والعبودية وهي تأبى ذلك وتجده وطلبتكم بالدليل والحجة على دعواكم
فأوردتم ما ذكرتم وسمعنا ما اجابوكم فهل عندكم شىء آخر غير ما ذكرتم بالأمس
فهااتوا برهانكم ان كنتم صادقين ليكون لىكم حجة عايتها

فصل

فلما سمع الانس جميع ما قال ملك الجن في حقهم قام زعيم من رؤساء الروم
فقال الحمد لله الحنان المنان ذي الجود والاحسان والعمو والغفران الذي خلق
الانسان والهمه العلوم والبيان وبين له الدليل والبرهان واعطاه العز والسلطان
وعرفه تصاريف الدهور وتقاب الازمان وسخر له النبات والحيوان وعرفه منافع
المعادن والاركان .

نعم أيها الملك لنا خصال محمودة ومناقب حمة تدل على ما قلنا واذكرنا
قال الملك وماهي ، قال الرومى كثرة علومنا وفنون معارفنا ودقة تمييزنا
وجودة فكرنا ورويتنا وسياستنا وتديبرنا وعجيب متصرفاتنا وصلاح معائشنا
ومعاونتنا فى الصنائع والتجارة والحرف فى أمور دنيانا وآخرتنا كل ذلك دليل
على ما قلنا إنا ارباب لهم وهم عبيد لنا .

قال الملك للجماعة الحضور من الحيوانات ما تقولون فيما ذكرنا واستدلوا على
مادعوا عليكم من الربوبية والتملك

فأطرقت الجماعة ساعة متفكرة فيما ذكر الانسى من فضائل بنى آدم وما اعطاهم
الله من جزيل المواهب التى خصوا بها من بين سائر الحيوان
ثم تكلم النحل وقام خطيباً مذكراً مسبحاً وقال :

الحمد لله الواحد فاطر السموات وخالق المخلوقات ومدبر الاوقات ومنزل القطرات والبركات ومنبت العشب في الفلوات ومخرج الزهر من النبات وقاسم الارزاق والاقوات نسبحه في صباحنا بالغدوات ونحمده في رواحنا بالعشيات بما عملنا من الصلوات والتحيات كما قال الله تعالى « وإن من شيء إلا يسبح بحمده

ولكن لا تفقهون تسبيحهم »

أما بعد أيها الملك العادل يزعم هذا الانسى بأن لهم علوماً ومعارف وفكراً وروية وتدبيراً وسياسة تدل على أنهم أرباب لنا ونحن عبدهم فلو أنهم فكروا في أمرنا واعتدوا أيضاً أحوالنا لبان لهم من أمرنا وعرفوا من تصاريف أحوالنا وتعاوننا في إصلاح شأننا أن لنا أيضاً علماً وفهماً ومعرفة وتمييزاً وفكراً وروية وسياسة وتدبيراً أدق والطف وأحكم وأتقن مما لهم

فن ذلك اجتماع جماعة النحل في قراها وتعليمها علمها رئيساً واحداً واتخاذ ذلك الرئيس أعواناً وجنوداً ورعية وكيفية مراعاتها وسياساتها وكيفية اتخاذها المنازل والبيوت المسدسات المتجاورات المكتفات من غير بركار ومعرفة هندسة كأنها أنابيب مجوفة مسدسة ثم كيفية ترتيبها البوابين والحجاب والحراس والمحتسبين وكيف تذهب الى المرعي أيام الربيع وليال القمر في الصيف وكيف تجمع الشمع بأرجلها من ورق الأشجار والعسل بمشافيرها من زهر النبات . ثم كيف تخزنها في بعض البيوت وكيف تشد رأسها كأنها رؤوس انبراق مشدودة بالقراطيس وكيف تبيض في بعض البيوت وتحضن وتفرخ ، وكيف تأوى في بعض البيوت وتنام فيها أيام الشتاء والصيف والبرد والرياح والأمطار ، وكيف يقتاتون من ذلك العسل المخزون هي وأولادها يوماً بيوم لا إسرافاً ولا تقتيراً الى أن تنقضى أيام الشتاء وتجيء أيام الربيع وبنيت العشب ويطيب الزمان ويخرج النبات والزهر والنور وكيف ترعى كما كانت عام الاول وذلك دأبها من غير تعليم من الاستاذين ولا تأديب من المعلمين ولا تلقين من الآباء والامهات بل تعليماً من الله تعالى ووحياً إلهاماً وانعاماً وتكرماً وتفضلاً علينا وأنتم يامعشر

الانس تدعون علينا بالرقعة وأنتم موالينا فلم ترغبوا في فضاءنا وتفرحوا عند
وجداننا وتستشفوا عند تناولنا فمن كان ملكا كيف يحرص ويرغب في فضالة الخدم
والخول. ونحن مستغنون عنكم فليس لكم سبل الى هذه الدعوات اذا الدعوى
زور وبهتان.

وأيضاً أيها الملك لو علم الانسى من حال النمل وكيف تتخذ القرية تحت
الأرض منازل وبيوتاً وأزقة ودهاليز وغرفاً وطبقات منعطفات وكيف تملأ
بعضها حبوباً وذخائر وقوتاً للشتاء وكيف تجعل بعض بيوتها منخفضاً مصوناً
كي لا تجري اليها المياه وبعضها مرتفعاً. تحبىء الحب والقوت في بيوت منعطفات
الى فوق حذراً عليها من المطر، واذا ابتل منها شيء كيف تنشره أيام الصحو
وكيف تقطع حب الحنطة نصفين وكيف تنشر الشعير والباقلا والعدس لعلمها
بأنه لا ينبت مع التقشير وتراها كيف تعمل أيام الصيف ليلاً ونهاراً باتخاذ البيوت
وجمع الذخائر وكيف تنصرف في الطلب يوماً يئمة ويوما يسرة في القرية كأنها
قوافل ذاهبين وجائين وانبا اذا ذهبت واحدة منها فوجدت شيئاً لا تقدر على
حمله أخذت منه قدرأ ما، وذهبت راجعة مخبرة للباقين وكلما استقبلتها واحدة
شامتها مما في فيها لتدها على ذلك الشيء

ثم ترى كيف كل واحدة منها على هذا الطريق الذي جاءته من هناك . ثم
كيف يجتمع على ذلك الشيء جماعة منها وكيف يحملونه ويحترزونه بمجدد وعناء
في المعاونة

واذا علمت أن واحدة منها توانت في العمل أو تكاسلت في التعاون
اجتمعت على قتلها ورمت بها عبرة لغيرها فلو تفكر الانسى في أمرها واعتبر
أحوالها لعلم أن لها علماً وفهماً وتميزاً ومعرفة ودراية وتدبيراً وسياسة مثل ما لهم
ولما افتخر علينا بما ذكر

وأيضاً أيها الملك لو تفكر الانسى في أمر الجراد انها اذا سمعت أيام الربيع
من الرعى كيف تطاب أرضا طيبة التربة رخوة الحفرة وكيف تنزل هنالك
(٢ - ١٧)

وتحفرت بأرجلها ومخالبها وتدخل أذناها في تلك الحفرة وتطرح بيضها فيها وتدفنه ثم طارت وتعيش أياماً ثم تأكلها الطيور ويموت من بقى ويهلك من حر وبرد وتطير

ثم اذا دارت عليها الحول وجاءت أيام الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء فكيف ينشر من ذلك البيض المدفون مثل الدبيب الصغار على وجه الارض وأكلت من ورق الشجر وسمنت وباضت مثل عام أول وهذا دأبها وذلك تقدير العزيز العليم

فليعلم هذا الانسى ان لنا علما ومعرفة

وهكذا أيضا أيها الملك دود القز التي تكون على رؤوس الاشجار والجبال فانها اذا شبعت من الرعى في أيام الربيع وسمنت أخذت تنسج على نفسها من لعابها في رؤوس الجبال شبه العش والكن ثم تنام أياما معلومة فاذا انتبعت طرحت بيضها في داخل ذلك الكن الذي نسجته على أنفسها ثم ثقتها وخرجت منها وسدت ذلك الثقب وخرجت لها أجنحة وطارت فبدأت كل الطير أو ماتت من الحر والبرد والرياح والمطر وبقى ذلك البيض في تلك الجوزات محروزا أيام الصيف والخريف والشتاء من الحر والبرد والرياح والأمطار الى أن يحول الحول وتجيء أيام الربيع ويحضن ذلك البيض في الجوزات ويخرج من ذلك الثقب مثل الدبيب الصغار وتدب على ورق الشجر أياما معلومة فاذا شبعت وسمنت أخذت ونسجت على نفسها من لعابها مثل العام الاول وذلك دأبها أبداً وذلك تقدير العزيز العليم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى الى أمور مصالحها ومنافعها

وكذلك أيضا أيها الملك حال الزنابير الصفرة والحمر والسود فانها تبنى أيضا منازل في السقوف والخيطان ومن بين أغصان الاشجار مثل ما يفعل النحل وتبيض وتفرخ ولكنها لا تجمع القوت للشتاء ولا تدخر للغد شيئا ولكن تقوت يوما بيوم ما طاب لها الوقت فاذا أحست بتغيير الزمان ومجيء الشتاء ذهبت الى الاغوار والمواضع الكئينة الدفئة

ومنها ما يدخل في ثقب الحيطان والمواضع الكنيئة الحصينة وينام فيها أياما طول الشتاء وإذا جاء الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء نفخ الله تعالى فيما سلم من تلك الجئمة روح الحياة فعاشت وبنيت البيوت وباضت وحضنت أولادها مثل العام الاول فهذا دأبها تقدير العزيز العليم .

وكل هذه الانواع من الحشرات والهوام تبيض ونحضن وتربي أولادها بعلم ومعرفة ودراية وشفقة ورحمة ورأفة وتحن ولطف ورفق ولا تطلب من أولادها البر والمكافأة والجزاء

فأما أكثر الانس فيريدون من أولادهم برأ وصلة وجزاء ومكافأة ويعنون عليها في تربيتهم اياهم . وأين هذا من المروعة والفضل والكرم والجود والسخاء الذي هو من شيم الاحرار الكرام من أرباب الفضل ، وبماذا يفتخر الانس علينا اذ الذمأ كولاتهم فضالتنا وأحسن ملبوساتهم فضالة دود القز فهم في مأ كولاتهم وملبوساتهم تحت بمننا ولنا أبدأ النعمة عليهم . فكيف يدعون أنهم أرباب لنا ونحن عبيد لهم

ثم قال النحل أما البراغيث والبق والديدان وما شاكلها من أبناء جنسها فانها لا تبيض ولا تحضن ولا تلد ولا ترضع ولا تربي أولادها ولا تبني البيوت ولا تدخر العشب ولا تتخذ الكن بل تقطع ايام حياتها مرفهة ومستريحة بما يقاس غيرها من برد الشتاء والرياح والامطار وحوادث الزمان

وإذا تغير عليها الزمان واضطرب الكيان وتغالبت طبائع الاركان أسامت نفسها للنوائب والحدثان وانقادت للماث لعلمها يقينا بالمعاد وتعلم ان الله تعالى منشئها ومعيدها في العام القابل للكون كما انشأها أول مرة ولا تنكر كما أنكر الانس وقالت « انا لمرودون في الحافرة أنذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة »

فلو اعتبر هذا الانسي أيها الملك فيما ذكرت من هذه الاشياء من تصارييف أمور هذه الحشرات والهوام لعلم وتبين له بأن لها علماً وفهماً ومعرفة وتمييزاً

ودراية وفكراً وروية وسياسة وتدبيراً كل ذلك عناية من الباري تعالى ولما
افتخر علينا فيما ذكر انهم أرباب ونحن عبيد لهم أقول قولي هذا وأستغفر الله
لي ولكم انه هو الغفور الرحيم

فلما فرغ النحل من كلامه قال له الملك بارك الله فيك من حكيم ما أعلمك
ومن خطيب ما أفصحك ومن مبین ما أبلغك

❦ فصل ❦

ثم قال الملك : يامعشر الانس قد علمتم وسمعتم ما قال وفهمتم ما أجاب فهل
عندكم شيء آخر

فقام انسى آخر أعرابي وقال نعم أيها الملك لنا خصال ومناقب تدل على اننا
أرباب وهم عبيد لنا . قال الملك هات واذا ذكر منها شيئاً . قال نعم وماهي

قال طيب حياتنا ولذيذ عيشنا وطيبات مأكولاتنا من ألوان الطعام والشراب
والملاذ مما لا يحصى عددها الا الله تعالى وماهؤلاء معنا شركة فيها بل هي بمعزل
عنها وذلك ان طعامنا لب الثمار ولها قشورها ونواها وخطبها ولنا لباب الحبوب
ولها تنبها وورقها ولنا شيرجها ودبسها ولها كنسها وخشبها ولنا بعد ذلك ألوان
الخبز والرغفان والاقراص والجرادق من السميد والمتلون والكمك وغيرها
ولنا ألوان الطبخ من السكباغ والاسفيداج والفظائر والهرايس والجواديت
وألوان الكواسيج وغيرها من الرواصين وألوان الأشربة وألوان الشوى والحلوى
والخبيص والقطائف واللوزبيج

ولنا ألوان الأشربة من الخمر والنبيذ الخالص الجيد والقارص والسكنجبين
والجلاب والفقاع ، والوان الألبان من الحليب والرائب والماست والدوغ والسمن
والزبد والكشك والمصل وما يعمل منها من ألوان الطبخ والملاذ والطيبات
والمشتميات ولا يحصى كثرة ذلك إلا الله تعالى وكل ذلك عنهم بمعزل وخشونة
طعامهم وغلظها وجفافها وقلة الرائحة الطيبة منها وقلة دسومتها وحلاوتها دليل

على قلة لذتهم منها وهذه الخصال للعبيد وتلك حال أرباب النعم الاحرار الكرام
وكل هذا دليل على اننا أرباب لهم وهم عبيد وخول لنا . أقول قولي هذا وأستغفر
الله لي ولكم

فصل

فنطق عند ذلك زعيم الطيور وهو الهزار داستان وكان قاعداً على غصن
شجرة يتنم فقام وقال :

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد القديم الأبد الدائم السرمد بلا شريك
ولا ولد بل هو مبدع المبدعات وخالق المخلوقات وعلّة الموجودات ومسبب الكائنات
من الجمادات والنباتات وبارئ المبروات مركب السموات ومولد المولدات كيف
شاء وأراد

واعلم أيها الملك الكريم ان هذا الانسى افتخر بطيب مأكولاتهم ولذيد
مشروباتهم ولا يدري ان ذلك كله عقوبات لهم وأسباب الشقاوة وعذاب أليم
إذ في حرامها عذاب وفي حلالها حساب وهم فيما بينهما من الخوف والرجاء .
قال الملك وكيف ذلك بين لنا

قال نعم وذلك انهم يجمعون ذلك ويحصلونه بكد أبدانهم وتعب نفوسهم
وجهد أرواحهم وعرق جبينهم وما يلقون في ذلك من الشقاوة والهوان مما لا يعد
ولا يحصى من كد الحرث والزرع واثارة الارض وحفر الانهار وسد الشق وعمل
البريدات ونصب الدواليب وجذب الغروب والسقى والحفظ والنظافة والحصاد
والحمل والجمع والدراس والتذرية والكيل والقسمه والوزن والطحن والعجن
والخبز وبناء التنور ونصب القدور وجمع الحطب والشوك والسرقتين ووقود
النيران ومقاسات الدخان وبناء الديكدان ومعا كسة القصاب ومحاسبة البقال
والجهد والعناء في اكتساب الاموال والدرام وتعلم الصنائع والمكاسب المتعبة
للأبدان والاعمال الناقه على النفوس والمحاسبات والتجارات والذهاب والمجيء

في الاسفار البعيدة في طلب الامتعة والحوائج والجمع والادخار والاحتكار
والاتفاق بالتقدير مع مقاساة البخل والشح
فان كان جمعها من حلال وأنفقها في وجه الله فلا بد من الحساب وان كان من
غير حل واتفاهة في غير وجه الله فالويل والحساب والعذاب إذ لا بد من القوت
والثياب مثل ما لا بد من الموت والحساب

ونحن بمعزل من هذه كلها وذلك ان طعامنا وغذاءنا هو مما يخرج لنا من
الارض من أمطار سمائها من ألوان البقول الرطبة والخضرة النضرة اللينة
والحشائف والعشب ومثل ألوان الحبوب اللطيفة المكنونة في غلفها وسنبلها
وقشرها ومن ألوان الثمار المختلفة الاشكال وأنواع الطعوم والروائح الزكية
والاوراق الخضرة النضرة والازهار والرياحين في الرياض وتخرجها لنا الارض
حالا بعد حال وسنة بعد سنة بلا كد ولا تعب أبداننا ولا عناء من نفوسنا ولا
نصب من أرواحنا ولا نحتاج الى كد حراث ولا عناء ولا سقي متمعب لأرواحنا
ولا نحتاج الى بذر ولا حصاد ولا دراس ولا طحن ولا خبز ولا طبخ ولا شواء وهذه
كلها علامات الكرام الاحرار

وأيضاً اذا أكلنا قوتنا يوماً بيوم تركنا ما يفضل عنا بماكانه لا نحتاج الى حفظه
ولا نحتاج الى خازن ولا ناطور ولا حارس ولا احتكار الى وقت آخر بلا خوف
لص ولا قاطع طريق تنام في أما كنا أو اوطاننا أو أوكارنا بلا باب ولا غلق ولا حصن
آمنين مطمئنين مودعين مستريحين وهذه علامات الاحرار وأنتم عنها بمعزل

وأيضاً فان لكم بكل لذة ذكرت من فتون ما كولاتكم وألوان مشروباتكم
فتوناً من العقوبات وألواناً من العذاب مما نحن بمعزل عنه من الامراض المختلفة
والاعلال المزمنة والاسقام المهلكة والحميات المحرقة من الغب والربع والثانية
والثالثة والرابعة والتخم والجشأ الحامض والهيضة والقولنج والنقرس والبرسام
والسرسام والطاعون واليرقان والديبلان والسل والجذام وذات الجنب والبرص

والسكته والصداع والسكره والرمل وعسر البول والجرب والجدرى والثويل
والدمامل والخنزير والحصبه والجراحات وأصناف الاورام مما تحتاجون فيها
الى أنواع عذاب المعالجات من الكي والبتر والحقنة والسعوطات والحجامة
والفصد وشرب الادوية المسهلة الكريهة الرائحة ومقاساة الحمية وترك الشهوات
المركوزة في الجبلة وماشا كل هذه من ألوان العذاب والعقوبات المؤلمة للانس
والارواح والاجساد

كل ذلك أصابكم لما عصيتم ربكم وتركتم طاعته ونسيتم وصيته . فان أول
الناس آدم « وعصى آدم ربه فغوى » « ان الانسان كان ظلوما جهولا » ونحن
بمعزل عن هذه كلها فمن أين زعمتم انكم أرباب ونحن عبيد لولا الوقاحة والمكابرة
وقلة الحياء وأنتم ما دمتم في الحياة صحيحي البدن ففي تعب وكد لتحصيل
الالتباسات والمشتهيات وما دمتم مرضى ففي عقوبة وحسرة وبعد الموت في العقاب
والعذاب والخطاب ووقوف الحساب ونحن فارغون من هذه الجملة فمن الموالى ومن
العبيد منا ومنكم

قال الانسى قد يصيبكم يا معشر الحيوان من الامراض مثل ما يصيبنا ليس
يخصنا دونكم . قال زعيم الطيور انما يصيب ذلك من يخالطكم منا من الحمام
والديك والدجاج والبهائم والانعام أو من هو أسير في أيديكم ممنوع عن التصرف
برأيه في أمر مصالحه فأما من كان منا مخلي برأيه وتديره لمصالحه وسياسته
ورياضته لنفسه فقل ما تعرض له الامراض والاولجاع وذلك انها لا تأكل ولا تشرب
الا وقت الحاجة بقدر ما ينبغي من أجل ما ينبغي من لون واحد قدر ما يسكن
ألم الجوع ثم تستريح وتنام وتروض وتمنع من الافراط في الحركة والسكون في
الشمس الحارة أو في الظلال الباردة أو السكون في البلدان الغير الموافقة لطباعها
أو أكل الماء كولات غير الملائمة لمزاجها

فاما الذي يخالطونكم من الكلاب والسنانير ومن هو أسير في أيديكم من البهائم
والانعام ممنوع من التصرف برأيه في مصالحه في أوقات ما تدعوها طباعها المركوزة

في جبلتها ، وتطعم وتسقى في غير وقته أو غير ما تشتهي او من شدة الجوع والعطش تأكل أكثر من مقدار الحاجة ولا تترك أن تروض نفسها كما يجب بل تستخدم وتتعب ابدانها فتعرض لها بعض الامراض من نحو ما يعرض لكم وهكذا حكم أمراض أطفالكم وأوجاعهم وذلك أن الحوامل من نساءكم وجواريتكم المرضعات يأكلن ويشربن بشرهن وحرصهن أكثر ما ينبغي من الوان الطعام والشراب التي ذكرت وافتخرت بها فتتولد في أبدانهن من ذلك أخلاط غليظة متضادة الطباع فيؤثر ذلك في أبدان الاجنة التي في بطونهن وفي أبدان اطفالهن من ذلك اللبن الرديء، ويصير سبباً للأمراض والعلل والاوراجع من الفالج والقوة والزمانة واضطراب البنية وتشويه الخلق وسماجة الصورة

وما ذكرت من اختلاف الاوجاع والامراض مما اتم مرتنون بها معرضون لها وما يعقبها من موت الفجأة وشدة النزع وما يعرض لكم من ذلك من الغم والحزن والنوح والبكاء والصراخ والمصائب وكل ذلك عقوبة لكم وعذاب لانفسكم من سوء أعمالكم ورداءة اختباراتكم ونحن بمعزل من هذه كلها وشيء آخر ذهب عليكم أيها الانسى التائه النظر فيه قال ماهو قال ان اطيب ماتاً كلون والذمات شربون وانفع ماتتداون به هو العسل وهو لعاب النحل وليس منكم بل من الحشرات فبأى شيء تفتخرون به علينا وقد كان آباؤنا مشاركين فيه لا بآبائكم بالسوية أيضاً أيام كانوا في ذلك البستان الذي بالمشرق على رأس ذلك الجبل فكانوا يأكلون من تلك الثمار والحب بلا كد ولا تعب ولا عناء ولا عداوة بينهم ولا حسد ولا استئثار ولا جنى ولا ادخار ولا حرص ولا بخل ولا خوف ولا هم ولا غم ولا حزن حتى تركا وصية ربهما واذترا يقول عدوهما وعصيا ربهما وأخرجا من هنالك عريانين مطرودين وربيا من رأس ذلك الجبل الى أسفله فوقعا في بركة قفر لاماء فيها ولا شجر ولا كن فبقيا فيها جائعين عريانين يبكيان على ما فاتهما من النعم التي كانا فيها هناك

ثم ان رحمة الله تداركتهما فتاب عليهما وأرسل اليهما من هناك ملكا يعلمهما
الحرث والزرع والحصاد والدراس والطحن والخبز واتخاذ اللباس من حشيش
الارض والقطن والكتان والقصب بعناء وتعب وجهد وشقاء لا يحصى عددها
الا الله مما قد ذكرنا طرفاً منها من قبل .

فلما تولدت وكرت أولادهما وانتشروا في الارض برأ وبجرأ وسهلاً وجبلاً
وضيقوا على سكان الارض من اصناف هذه الحيوانات أما كنها وغلبوها على
أوطانها وأخذوا منها ما أخذوا وأسروا منها ما أسروا وهرب منها ما هرب وطلبوها
أشد الطلب وبغيتم عليها وطغيتم حتى بلغ الامر الى هذه الغاية التي انتم عليها
الآن من الافتخار والمناظرة والمنازعة والمخاصمة .

وأما الذي ذكرت بان لكم مجالس اللهو واللعب والفرح والسرور وما ليس
لنا من الاعراس والولائم والرقص والحكايات المضحكات والتحيات والتهنئات
والمدح والثناء والحلى والتهيجان والاسورة والخلاخل وما شاكلها مما نحن بمعزل
عنه فان لكم أيضاً بكل خصلة منها ضرباً من العقوبات وفنوناً من المصائب
وعذابا اليها مما نحن بمعزل عنه

فمن ذلك ان لكم بازاء الاعراس المأتم وبدل التهنئة التعزية وبدل الاحزان
والغناء النوح والصراخ وبدل الضحك البكاء وبدل الفرح والسرور الغم والحزن
وبدل المجالس والايوانات العالية المضيقة من القبور المظلمة والتوايت الضيقة المظلمة
وبدل الحصون الواسعة الجبوس والمطامير الضيقة المظلمة وبدل الرقص الدسبندان
والسياط والعذاب والضرب والعقاب وبدل الحلى والتهيجان والخلاخل والاسورة
القيود والاغلال والسواوير والمقاطر والنكال وما شا كل المدح والثناء الهجو
والشتم وسوء الثناء وبدل كل حسنة سيئة وبدل كل لذة ألم وبدل كل نعمة بؤس
وبدل كل فرح غم وهم وحزن ومصيبة مما نحن بمعزل عنه وهذه كلها من
علامات الأشقياء وان لنا بدلا من مجالسكم وصحوناتكم وأيواناتكم ومناذمتكم
هذا القضاء الفسيح وهذا الجو الواسع والرياض والخضرة على شطوط الأنهار

وسواحل البحار والطيران على رؤوس البساتين والاشجار والتحليق على رؤوس
الجبال نسرح ونروح حيث نشأ من بلاد الله الواسعة ونأكل من رزق الله
الحلال من غير تعب وكد ألوان الحبوب والثمار نجدها من غير أذية أحد
ونشرب من مياه الغدران والانهار بلا مانع ولا دافع ولا نحتاج الى حبل ولا
الى دلو ولا الى كوز ولا قربة مما أنتم مبتلون به من حملها واصلاحها وبيعها
وشرائها أو جمع أثمانها بكد ونصب وتعب ومشقة من الابدان وعناء النفوس
وهموم القلوب وهموم الارواح وكل ذلك من علامات العبيد الاشقياء فمن أين
ثبت انكم أرباب ونحن عبيد لكم

ثم قال الملك لزعيم الانس قد سمعتم الجواب فهل عندكم شيء آخر من البيان
قال نعم لنا فضائل ومناقب تدل على أن هؤلاء عبيد لنا ونحن أرباب قال الملك
ما هو فهات البيان والبرهان

﴿ فصل ﴾

فقام رجل من أهل العراق عبراني وقال : الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين
ولا عدوان الا على الظالمين « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل
عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » وهو الذي أكرمنا
بالوحي والنبوات والكتب المنزلات والآيات المحجّات وما فيها من ألوان الحلال
والحرام والحدود والاحكام والوامر والنواهي والترغيب والترهيب من الوعد
والوعيد والمدح والثناء والتذكار والاخبار والامثال والاعتبار وقصص الاولين
والآخرين وصفات يوم الدين وما وعدنا من الجنان والنعيم وما أكرمنا به
أيضاً من الغسل والطهارة والصوم والصدقة والزكاة والاعياد والجمعات والذهاب
الى بيت العبادات والمساجد والبيع والصلوات

ولنا المنابر والخطب والاذان والمواقيت والافاضات والاحرام والتلميحات
والمناسك وما شاكلها

وكل هذه الخصال كرامات لنا وأنتم بمعزل عنها وكل ذلك دليل على اننا

أرباب وأنتم لنا عبيد

قال زعيم الطيور لو تذكرت أيها الانسي ونظرت واعتبرت لعلمت وتبين

لك ان هذه كلها عليكم لا لكم

قال الملك كيف ذلك بينه لنا قال لأنها كلها عذاب وعقوبات وغفران للذنوب

ومحو للسيئات ونهي عن الفحشاء والمنكر كما ذكر الله تعالى بقوله « ان الصلاة

تمنهي عن الفحشاء والمنكر » وقال « ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى

للمذاكرين » وقال النبي عليه السلام صوموا تصحوا ونحن براء من الذنوب والسيئات

والفحشاء والمنكر فلم نحتاج الى شيء مما ذكرت، وافتخرت

واعلم أيها الانسي ان الله تعالى لم يبعث رسله ولا أنبيائه الا الى الامم الكافرة

الجاهلة وعامة المشركين معه غيره والمنكرين ربوبيته والجاحدين وحدانيته

والمدعين معه إلهاً آخر اذ قولكم ان الله ثالث ثلاثة وقولكم عزيز ابن الله

وقولكم مسيح ابن الله ، وقولكم ان الله تعالى على صورة شاب أمر له

بعد قطط

فن هذه الخرافات والمجازات التي تجيء منكم وانتم المغيرون أحكامه

والعاصون وأوامره ، والهابون من طاعته ، والجاهلون احسانه . والغافلون

عن ذكره ، والناسون عهده وميثاقه ، الضالون المضلون الغاؤون العادلون عن

الصراط المستقيم

قل هذا بعث الانبياء والرسل اليكم ليعرفوكم طريق الهدى وسبيل الرشاد

لما طوعاً أو جبراً أو جهراً بل قتلاً وصلباً ونحن براء من هؤلاء لاننا عارفون

بربنا مسلمون مؤمنون به موحدون به غير شاكين ولا ممترين ولا ضالين

ثم اعلم أيها الانسي ان الأنبياء عليهم السلام هم أطباء النفوس ومنجموها

ولا يحتاج الى الطبيب الا المرضى وصاحب العلة المزمنة ولا يحتاج الى المنجم

الا المنحوسون الاشقياء والضالون عن نجم الهدى كما قال عليه السلام ان مثل

أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم

ثم اعلم أيها الانسى ان الغسل والطهارة انما فرضت عليكم من أجل ما يعرض لكم عند النكاح من الجماع وشدة الشبق وشهوة الزنا واللواطر والخلق والمغنا والسحق ومن نن الصبيان والبخر ورائحة العرق لاستكثارها واستعمالها ليلا ونهاراً وغدواً ورواحاً ضحوة وبكرة ونحن بمعزل عنها لا نهيج ولا نسفد الا في السنة مرة لا لشهوة غالبية ولا لذة داعية ولكن لبقاء النسل

وأما الصوم والصلاة فانما هي فرضت عليكم ليكفر عنكم سيئاتكم من الغيبة والنميمة والقبيح من الكلام واللعب واللهو والهديان فالانبياء عليهم السلام يعالجونكم بهذه المداواة اذ انتم مرضى من المعاصي ونفوسكم قد امتلأت من مأكولات الذنب ومشروبات النميمة والغيبة وهي تناول لحوم الاخوان فأمر الشريعة بالحمية عن المأكولات الرديئة المضرة والحمية هو الصوم لأن الحمية رأس الدواء والبطن رأس الداء

ثم لما نظر الانبياء في أحوالكم وعصيانكم في الليل والنهار وتناول طعام الذنوب والشكوك ومشروبات الظنون الكاذبة بالله فأمروكم بالحركات المختلفة الاشكال لتستمرى عنكم تلك المتناولات والحركات المختلفة الاشكال هي الصلاة الخمس لأن الطبيب يأمر بحركات وخطوات من الاعلى الى الاسفل ومن الاسفل الى الاعلى وعلى وجه الارض بعد ثقل الطعام على المعدة وتناول الاشياء الثقيلة في الليالى ونحن براء من جميع ذلك وبمعزل عنه فلم يجب الصوم ولا الصلاة ولا فنون العبادات علينا

وأما الصدقات والزكوات انما فرضت عليكم من أجل انكم تجمعون من فصول الاموال من الحلال والحرام والغصب والسرقه والصوصبة من البخس في الكيل والموازين وكثرة الجمع والدخائر والامساك عن النفقة في الواجبات فضلا عن المسنونات والبخل والشح والاحتكار ومنع الحقوق وتجمعون ما لا تأكلون وتكثرون ما لا تحتاجون اليه ، الذين يكثرون الذهب والفضة ولا ينفقونها

في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم « فلو أنكم كنتم تنفقون ما فضل عنكم على فقرائكم وضعفائكم لما وجبت عليكم الزكوات والصدقات ونحن بمعزل عنها إذ كنا مشفقين على أبناء جنسنا ولا نبخل بشيء مما وجدنا من الارزاق ولا ندخر من الذخائر مما فضل علينا بل نظير جاععين متكئين على الله تعالى ونرجع بحمد الله مشبعين

وأما الذي ذكرت بأن لكم في الكتب آيات محكمات بينات للحلال والحرام والحدود والاحكام فكل ذلك تعليم لكم وتأديب لجهلكم وعماكم وقلة معرفتكم بالمنافع والمضار وان الانسان كان ظلوماً جهولاً ، محتاجون الى المعلمين والاستاذين والمذكّرين والواعظين لكثرة غفلاتكم وسهوكم ونسيانكم

وانما مبين لكم الحلال والحرام لان الحرام مثل طعام حار جداً يتضرر بتناوله من غلبت عليه الحرارة وهو شاب ابن ثلاثين سنة ويسكن في البلدان الحارة جداً في أكثر الاوقات أن يوقعه في هاوية البلى أو في البلى أو في جهنم الدق والذبول ويصير مثل ماسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم

والحلال مثل طعام خفيف الحرم كثير الفائدة صالح الكيموس كثير الغذاء ينتفع بتناوله من كان مزاجه معتدلاً وهو صحيح البنية ويسكن في البلدان الشريفة عند خط الاستواء الصراط المستقيم ففي أكثر الامران من هذا شأنه وبدأ به يبقى مدة مديدة في جنة الصحة ودار السلام من اعتدال البنيان ودار النعيم وقلة الامراض فانقبه أيها الانسى من نوم الغفلة ورقدة الجهالة

وأعلم ان هذه الاحكامات والموضوعات قيود وأغلال وسلاسل عليكم إذ الحكمة الالهية اقتضت هذه الأسرار الواجبة وجعل الموضوعات الشرعية والحكمية أستاذاً ومؤدباً لكم ونحن بمعزل عن جميع ذلك إذ قد ألهمنا الله تعالى الى جميع ما محتاج اليه من أول الامر إلهاماً ووحياً بلا واسطة من الرسل ولا نداء من وراء حجاب كما اوحى الى النحل بقوله تعالى « وارحى ربك الى النحل ان

اتخذني من الجبال بيوتا « وكما قال تعالى « كل قد علم صلاته وتسبيحه » وعلم سليمان منطق الطير

فأفهم ايها الغافل الانسى وقال « فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة أخيه » قال « يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى فأصبح من النادمين » من عمى قلبه لانا دما على ذنبه وخطيئته .

وأما الذي ذكرت بان لكم أعياداً وجمعات وذهابا الى بيوت العبادات وليس لنا شيء من ذلك .

فأعلم انكم لو كنتم مهذبى الاخلاق معاوونى الاخوان عند المضائق والشدائد وكنتم كنفس واحدة في مصالح أموركم لما وجب عليكم الاعياد واجتماع الجمعات لان صاحب النواميس اقتضت هذا لتجتمع الناس بعد غيبتهم بعضهم الى بعض حتى يحصل من اجتماعهم الصداقة اذا الصداقة اس الاخوة والاخوة اس المحبة والمحبة اس اصلاح الامور واصلاح الامور صلاح البلاد وصلاح البلاد بقاء العالم وبقاء النسل .

فلهذا أمرت الشريعة أن يجتمع الخلائق في السنة مرتين الى موضع مخصوص وفي كل اسبوع مرة الى مواضع مخصوصة وفي كل يوم خمس مرات في مساجد المحال والسوق ليحصل الغرض المطلوب

فلهذه الاسرار قال سيد المرسلين لاصلاة لجار المسجد الا في المسجد وليس لنا شيء من ذلك لاننا لا نحتاج الى ذلك لان الاماكن كلها لنا مساجد والجهات كلها قبلة أينما توجهنا فثم وجه الله والايام كلها لنا جمعات وعيد والحركات كلها صلوات وتسبيح فلم نحتاج الى شيء مما ذكرت إذ الصلاة عبارة عن طهارة القلوب من خبث الحقد ونجاسة الشك والتقرب الى الله تعالى بخالص النية وصحة الاعتقاد والتوجه الى قبلة الامر بالمعروف والقيام بمصالح المؤمنين والقعود عن العداوة والبغضاء والركوع والسجود بالتواضع والحلم والتشهد مع الاخوان الا برار

والتسليم من الجهل

فاذا حصلت هذه الافعال المخصوصة تسمى صلاة ونحن مشتغلون بهذه أينا
تولوا فثم وجه الله ونكون مجتمعين في جميع أوقاتنا ولا نشغل بأذية أبناء جنسنا
ونكون قائلين بمصالح الاخوان وقاعدن عن الشتم والمفسدة ورا كعين بالخضوع
مع الانسان وساجدين بالتواضع لهم عند لقط الحبوب فهذه خصائلنا
فلهذا ما وقت علينا الجمعات والاعياد والايام كلها لنا أعياد وجمعات
والحركات كلها لنا صلاة وتسبيح فلم نحتاج إذ لسنا محتاجين الى شيء مما ذكرتم
وافتخرتم بذلك علينا .

فلما فرغ زعيم الطيور من كلامه نظر الملك الى جماعة الانس الحاضرين قال
قد سمعتم ما قال الطير وفهمتم ما ذكر فهل عندكم شيء اخر فاذكروه وبيوه ان
كنتم صادقين .

﴿ فصل ﴾

وقام عند ذلك العراقي وقال الحمد لله خالق الخلق وباسط الرزق وسابغ
النعيم الذي أكرمنا وأنعم علينا في البر والبحر وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا
نعم أيها الملك لنا خصال أخر ومناقب ومواهب وكرامات تدل على اننا أرباب
لهم وهم عبيد لنا فمن ذلك حسن لباسنا ولين ثيابنا وستر عوراتنا ووطأ فرشنا
ونعومة دثارنا ودفء غطائنا ومحاسن زينتنا من الحرير والديباج والخز والقز
والقطن والكتان والسمور والسجاب وألوان الفراء والاكسية من البسط
والانطاع والمخاد والفرش والابود والبربوني وماشا كلها مما لا يعد كثرته وكل هذه
المواهب دليل على ما قلنا بأننا أرباب لهم وهم عبيد لنا وخشونة لباسها وغلظ
جلودها وسماجة دثارها وكشف عوراتها دليل على انها عبيد لنا ونحن أربابها
وملاكها ولنا ان نحتكم فيها بحكم الارباب ونتصرف فيها تصرف الملاك
فلما فرغ الانسى العراقي من كلامه نظر الملك الى طوائف الحيوان الحضور

وقال ماذا تقولون فيما اذكره وافتخر به عليكم ان كان لكم جواب فهااتوا به
قالوا لنا جواب أجود واحكم من ذلك

فصل

وقام بعد ذلك زعيم السباع وهو كائلة اخو دمنة فقال :

الحمد لله القوي العلام خالق الجبال والاكمام ومنشئ النبات والاشجار في
الغياض والاحياء وجاءها اقواتاً للوحوش والانعام وهو العلى الاعلى خالق
السباع ذوات البأس والشجاعة والاقدام ذوات الزنود المتينة والمخالب الحداد
والانياب الصلاب والافواه الواسعة والقفزات السريعة والوثبات البعيدة
المنتشرات في الليالي المظلمات للمطالب والاقوات وهو الذي جعل اقواتها من
جيف الانام ولحوم الانعام بمتاعاً الى حين ثم تضى على جميعها الموت والفساد
والمصير الى البلى فله الحمد على ما وهب واعطى وعل ما حكم به الصبر والرضى
ثم التفت زعيم السباع الى الكافة هناك من حكماء الجن وزعماء الحيوانات
فقال :

هل رأيتم يا معشر الحكماء او سمعتم معشر الخطباء اكثر سهواً وغفلة من
هذا الانسى . قال الجماعة وكيف ذلك . قال لانه ذكر من فضائلهم كيت وكيت
من حسن اللباس ولين الثياب والدثار

ثم قال أيها الانسى خبرني هل كان لكم هذا الذي ذكرتموه وافتخرتم به
الا بعد ما أخذتم عن غيركم من سائر الحيوانات واستعرتموها من سواكم من
السباع وغلبتموها عليها . قال الانسى ومتى كان ذلك . قال أليس ألبن ما تلبسون
وأحسن ما تزينون به من اللباس والحريير والديباج الابريسم . قال بلى قال أليس
ذلك من ألعاب أضعف الحيوان الذي هي ايس من بنى آدم . بل هي من جنس
الهوام وقد نسجتها على أنفسها ليكون كنهها لها وليبيضها ولتنام فيها وتكون لها
غطاء ووظء وحرزاً من الآفات والحر والبرد والرياح والامطار وحوادث الايام
ونوائب الزمان فحتمتم أنتم وأخذتموها قهراً وغلبتموها عليها جبراً وجوراً فعاقبكم

الله بها وابتلاكم بشلها وقتلها وغزلها ونسجها وخياطتها وقصارتها وقطعها وتطريزها وما شا كل ذلك من العناء والتعب والشقاء الذي أنتم مبتلون به ومعاقبون من اصلاحها وبيعها وشراؤها وحفظها بشغل القلوب وتعب الابدان وشقاء النفوس لاراحة لكم ولا قرار ولا سكون ولا هدوء في دائم الاوقات

وهكذا حكمكم في أخذكم أصواف الانعام وجلود البهائم وأوبار السباع وشعورها وريش الطيور كل ذلك أخذتموه قهراً ونزعتموه غصباً وغلبتموها عليها ظلماً وجوراً ونسبتموها الى أنفسكم بغير حق ثم جئتم تفتخرون به علينا ولا تستحون ولا تذكرون ولا تعتبرون ولو كان في ذلك نخراً وتباهياً لكانا بذلك الفخر اولى منكم اذ قد أنبت الله تعالى ذلك على ظهورنا وأنشأها من جلودنا وجعلها لباساً لنا ودثاراً وغطاء ووظاء وستراً وزينة لنا كل ذلك تمضلا منه علينا ورفقا بنا ورحمة علينا وشفقة ونحننا على أولادنا وصغارنا اجنا وذلك أنه إذا ولد واحد منا فعليه جلده انصلح له وعلى جلده الشعر والصوف والوبر والريش والفوس كل ذلك لباس ودثار وستر على حسب كبر جثته وعظم خلقتة ولا يحتاج في اتخاذها الى عمل ولا يحتاج الى حليج أو غزل أو قتل أو نسج أو قطع أو خياطة مثل ما أنتم به مبتلون ومعاقبون عليه لاراحة لكم الى الموت كل ذلك عقوبة لكم لذنب أبيكم لما عصي وترك وصية ربه فغوى

قال ملك الجن لزعيم السباع كيف كان مبتداء آدم في خلقه وأول ابتداءه

داخبرنا عنه

قال نعم أيها الملك ان الله تعالى لما خلق آدم وزوجته عليهما السلام أزاح عليهما خيما يحتاجان اليه في قيام وجودهما وبقاء أشخاصهما من المواد والغذاء والدثار واللباس مثل ما فعل بسائر الحيوان التي كانت في تلك الجنة التي على رأس جبل الياقوت الذي بالشرق تحت خط الاستواء وذلك أنه لما خلق آدم وحواء عليهما السلام عريانين أنبت علي رأس كل واحد منهما شعراً طويلاً مدلى على جسده كل واحد منهما في جميع الجوانب سبطاً جعداً وأسود لينا أحسن ما يكون على رأس

الجواري الابكار وأنشأهما شابين أمردين ترفين في أحسن صورة من صور تلك
الحيوانات التي هناك
وكان ذلك الشعر لباساً لهما وسستراً لعورتيهما ودثاراً لهما ووطاء وغطاء
ومانعاً عنهما البرد والحر فكأننا يمسيان في ذلك البستان ويمجتيان من ألوان
تلك الثمار فيأكلان منها ويتقوتان بها ويتزهان في تلك الارض والرياح والروح
والريحان والزهر والنور مستريحين ملتذذين منعمين فرحين غير خائفين بلاتعب من
البدن ولا عناء من النفس وكانا منهيين عن تجاوز طورهما وتناول ما ليس لهما
قبل وقتها فتركا وصية ربهما واغترا بقول عدوهما فتناولوا ما كانا منهيين عنه فسقطت
مرتبتهما وتناثرت شعورهما وانكشفت عورتاهما وأخرجنا من هناك عريانين مطرودين
مهانين معاقبين فيما يتكلفان من اصلاح المعاش وما يحتاجان اليه من قوام الحياة
الدنيا كما زعم زعيم الطيور في الفصل الاول وكما ذكر حكيم الجن في فصله
مثل ذلك

فلما بلغ زعيم السباع الى هذا الموضع من الكلام قال له زعيم الانس أما أنتم
يا معشر السباع فسبيلكم أن تسكتوا وتستجوا ولا تتكلموا
قال له كليله ولم ذلك . قال لأنه ليس من الطوائف الحضور هاهنا جنس أشرف
منكم معشر السباع ولا أقسى قلوباً ولا أقل نفعا ولا أكثر ضرراً ولا أشد
حرصاً على أكل الجيف وطاب المعاش
قال كيف ذلك ؟ . قال لانكم تقترسون معشر السباع هذه البهائم والانعام
بمخالب حداد فتخرقون جلودها وتكسرون عظامها وتشربون دماءها وتنهشون
لحومها بلا رحمة عليها ولا فكرة فيها ولا رفق بها
قال زعيم السباع منكم تعلمنا وبكم اقتدينا فيما تعملون في هذه البهائم . قال
الانسي كيف كان ذلك ؟

قال لأنه قبل خلق أبيكم آدم وأولاده ما كانت السباع تفعل من ذلك شيئاً
ولا تصطاد الاحياء منها لان جيفها كانت كثيرة وما يموت منها كل يوم بأجلاً

كفاية لها تتقوت به وما تحتاج الى صيد الاحياء منها وحمل المخاطرة على
أنفسها في الطلب والانتهاك والمحاربة والتعرض لاسباب المنايا وذلك ان الاسود
والنمور والفهود والذئاب وغيرها من أصناف السباع الآكلة اللحوم لا تتعرض
للفيلة والجواميس والخنازير ما دامت تجد من جيفها ما يقوتها ويكفيها الا عند
الاضطرار وشدة الحاجة لان لها أيضاً اشفاقاً على أنفسها كما يكون لغيرها من
سائر الحيوانات

فلما جئتم أنتم يامعشر الانس وانزعتم منها قطعان الغنم والبقر والجمال والخيول
والبغال والحمير وأحرزتموها ولم تتركوا منها في البراري والقفار والآجام واحداً
منها عدمت السباع جيفها فاضطرت الى صيد الاحياء منها وحل لها ذلك كما حلت
لكم الميتة والدم ولحم الخنزير عند الاضطرار

وأما الذي ذكرته من قلة رحمتنا عليها وقساوة قلوبنا فلسنا نرى ما تشكوا
منا هذه البهائم كما تشكوا منكم ومن جوركم ومن ظلمكم وتعديكم عليها . وان
الذي ذكرت باننا نقبض عليها بمخالب حداد وأنياب صلاب ونخرق جلودها
ونشق أجوافها ونكسر عظامها ونشرب دماءها ونأكل لحومها فكذا أنتم تفعلون
بها وتذبجونها بسكاكين حداد وتسلخون جلودها وتشقون أجوافها وتكسرون
عظامها بالسواطير والسكاكين ونار الطبخ وحر الشوى زيادة على ما تفعل نحن بها
وأما الذي ذكرت من ضررنا على الحيوانات فالقول كما قلت ولكن لو
فكرت واعتبرت لعلمت وتبين لك بأن كل ذلك صغير حقير في جنب ما تفعلون
أنتم بها من الضرر والجور والظلم كما ذكر زعيم البهائم في الفصل الاول

وأما ضرر بعضكم لبعض وضرب بعضكم ببعض بالسيوف والسياط والسكاكين
والطعن بالرماح والزوينيات والضرب بالدبائس والكل وقطع الايدي والارجل
والحبس في المطامير والسرقه والاصوصية والغش والخيانة في المعاملة والغمز
والسعاية والمكر والحيل في أسباب العداوة وما شا كل هذه الخصال مما لا تفعله

السباع من ذلك بالحيوانات ولا بعضها ببعض ولا تعرفه فيزيد على ذلك كله، واما ما ذكرت من قلة منافعها لغيرها فلو فكرت واعتبرت لعلمت وتبين لك بان النفع منكم بين ظاهر مما تنتفعون به من جلودنا وشعورنا ووبرنا وأصوافنا ومما تنتفعون به من صيد الجوارح منا وقد سخرتموها ولكن اخبرنا أيها الانسى أي منفعة منكم لغيركم من الحيوانات فاما الضرر فهو ظاهر بين اذ قد شاركتموننا في ذبح هذه الحيوانات واكل لحمانها والانتفاع بجلودها وشعورها وبختم عليها بالانتفاع بجيفكم وقد دفنتموها تحت التراب حتى لا تنتفع بكم أحياء ولا أمواتا وأما الذي ذكرت من غارات السباع على الحيوانات وقبضها عليها وقتلها فان ذلك كله انما فعلته السباع بعد ما رأيت ان بنى آدم يفعلون بعضهم ببعض منذ عهد قابيل وها بيل والى يومنا هذا نرى كل يوم من القتل والجرحى والصرعى في الحروب والقتال مثل ماشوهد في ايام رسم واسفنديار وايام جمشيد وتبع وايام الضحاك وأفريدون وايام سيواس ومتوجهر وايام دارا والاسكندر وايام بخت نصر وآل داود وآل بهرام وآل عدنان وايام قسطنطين وأهل بلاد اليونان وايام عثمان ويزدجر وايام بنى العباس وبنى مروان وهلم جرا الى يومنا هذا نرى في كل سنة وشهر ويوم وقعة من بنى آدم بعضهم على بعض ومع بعض وما يحدث فيها من أسباب الشرور والبلايا والقتل والجراح والمثلة والنهب والسبي ما لا يقدر ولا يعد. ثم الآن جئتم تفتخرون علينا وتعيرون السباع انها شرخلقة في الارض اما تستحون من هذا القول الزور والبهتان علينا ومتى رأى الانس ان السباع قد فعلت بعضها ببعض مثل ما تعملون انتم بعضكم ببعض في كل يوم ثم قال زعيم السباع لزعيم الانس لو تفكرتم يامعشر الانس في أحوال السباع واعتبرتم تصاريف امورها لعلمتم وتبين لكم انها خير منكم وأفضل قال زعيم الانس كيف ذلك دلنا عليه قال نعم أليس خياركم الزهاد والعباد والرهبان والاحبار والسياح قال نعم قال أليس اذا تناهى واحد منكم في الخيرية والصلاح خرج من بين أظهركم وهرب منكم وذهب يأوي الى رؤوس الجبال والتلال وبطون الاودية والسواحل

والآجام مأوى السباع ويخالطها في اماكنها في الكهوف والمغارات ويعاشرها في أوطانها ويجاورها في اكنافها ولا تتعرض له السباع قال بلي كما قلت كذا نقول قال فلو لم تكن السباع أخياراً لما جاورها أخياركم وعاشرها الصالحون منكم لان الاخيار لا يعاشررون الاشرار بل يفرون منهم وينفرون عنهم فهذا دليل على أن السباع صالحة لا كما زعمتم انها شر خاق الله فهذا القول الذي ذكرتم زوراً وبهتاناً عليها ودليل آخر ان السباع صالحة لا كما زعمت هوان من سنة ملوككم الجبابة اذا شكوا في الصالحين منكم والاخيار من أبناء جنسكم يطرحونهم بين السباع فان لم تأكله علموا بانه من الاخيار لانه لا يعرف الاخيار الا الاخيار كما قال الشاعر

يعرفه الباحث عن جنسه وسائر الناس له منكر

﴿واعلم﴾ ايها الانسى ان في السباع أخياراً وأشراراً وان الاشرار منها لا تأكل الاشرار كما يأكل الاشرار الاشرار من الانس كما ذكر الله تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

فلما فرغ زعيم السباع من كلامه قال حكيم من الجن صدق هذا القائل ان الاخيار يهربون من الاشرار ويأمنون بالاخيار وان كانوا من غير جنسهم وان الاشرار أيضاً يبغضون الاخيار ويهربون منهم ويلجأون الى أبناء جنسهم من الاشرار فلو لم يكن بنو آدم اكثرهم أشراراً لما هرب أخيارهم من بين ظهرانيتهم الى رؤس الجبال والآجام ومأوى السباع وهي من غير جنسهم ولا تشبههم في الصورة ولا في الخلقة الا في أخلاق النفوس من الخيرية والصلاح والسلامة قالت الجماعة كلها صدق الحكيم فيما قال وذكر وأخبر فحجرات جماعة الانس عند ذلك ونكست رؤوسها حياء وخجلاً مما سمعت من التوبيخ والتعريض وانقضى المجلس ونادى مناد انصرفوا مكرمين لتعودوا غداً آمنين مطمئنين

* فصل *

ولما كان من الغد جلس الملك مجلسه وحضرت الطوائف كلها على الرسم واصطفت فنظر الملك الى جماعة الانس وقال قد سمعتم ماجرى أمس وما ذكرتم وسمعتم الجواب عما قلتم فهل عندكم شيء آخر غير ما ذكرتم بالأمس فقام عند ذلك الزعيم الفارسي وقال نعم أيها الملك العادل ان لنا مناقب آخر وفضائل حجة وخصالا عدة تدل على صحة ما نقول وندعي قال الملك هات واذكر منها شيئاً قال نعم ثم قال الحمد لله الذي اختلفت الحكماء في اسمائه واتفقت في وجوده وقدمه الذي أوجد الخلائق بقدرته وخص من بينهم آدم وأولاده برحمته وشرفهم تشريفاً بخلة الايمان ولباس الكرامة من بين سائر الحيوانات والهمهم طريق الهدى كما قال تعالى «ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً» والصلاة على خير خلقه وصفوة أنبيائه محمد وآله

اما بعد فاعلم أيها الملك ان منا الملوك والامراء والخلفاء والسلاطين وان منا الرؤساء والوزراء والكتاب والعمال وأصحاب الدواوين والحجاب والقواد والنقباء والخواص وخدم الملوك وأعوانهم من الجنود ومنا أيضاً التجار والصناع وأصحاب الزروع والنسل ومنا أيضاً الدهاقين والاشراف والاغنياء وارباب النعم وأصحاب المروءات ومنا أيضاً الادباء وأهل العلم والورع وأهل الفضل ومنا أيضاً الخطباء والشعراء والفصحاء والمتكلمون والنحويون وأصحاب الاخبار ورواة الحديث والقراء والعلماء والفقهاء والقضاة والحكام والعدول والمزكون والمذكرون والحكماء والمهندسون والمنجمون والطبيعيون والاطباء والعرافون والمعزومون والكهنة والمعبرون والكيميائيون وأصحاب الطلسمات وأصحاب الارصاد وأصناف آخر يطول شرحها وكل هذه الطوائف والطبقات لهم أخلاق وسجايا وطبائع وشمائل ومناقب وخصال حسنة ومذاهب حميدة وعلوم وصنائع حسان مختلفة متفننة وكل هذه لنا وغيرنا من الحيوان بمعزل عنها فهذا دليل

بأنتا أرباب لها وهي عبيد لنا وفي الجملة قوام العالم بنا وبوجودنا اذ هذه الجملة التي ذكرت من الصنائع واختلاف الاشخاص صار سبباً لقوام العالم وبقائه من غير شك

﴿ فصل ﴾

فلما فرغ زعيم الانس من كلامه نطق البيغاء وقال الحمد لله خالق السماوات المسموكات والاراضين المدحوات والجبال الراسيات والبحار الزاخرات والبراري والقنمار والرياح الذاريات والسحب المنشئات والقطر الهاطلات والشجر والنبات والطيير الصافات كل قد علم صلواته وتسييحه

ثم قال اعلموا رحمكم الله ان هذا الانسى قد ذكر أصناف بني آدم وعد طبقاتهم فلو انه تفكر أيها الملك فعادل واعتبر كثرة أجناس الطيور وأنواعها لعلم وتبين له من كثرتها ما يصغر ويقبل عنده أصناف بني آدم وعدد طبقاتهم في جنب ذلك كما قد تقدم ذكره في فصل من هذا الكتاب كما قال شاه مرغ للطاووس من خطباء الطيور وفصحائها

ولكن خذ الآن أيها الانسى ازاء كل ما ذكرت وافتخرت به بقولك قولاً آخر معكوساً وبدل كل حسن نسبت أصنافاً أخر قبيحة ونحن بمعزل منها وذلك أن عندكم الفراعنة والنماردة والجبابرة والفسقة والمشركين والمنافقين والملحدين والمارقين والناكثين والخوارج وقطاع الطريق والاصوص والعيارين والطرارين ومنكم أيضاً الدجالون والباغون والظاغون والمرتابون

ومنكم أيضاً القوادون والمخانيث والمؤاجرون واللواطة والسحاقيات والبغايا ومنكم أيضاً الغمازون والكذابون والنباشون . ومنكم أيضاً السفهاء والجهال والأغبياء والناقصون وما شاكل هذه الاوصاف والاصناف والطبقات المذمومة أخلاق أهلها الردية طباعهم القبيحة سيرتهم وأفعالهم السيئة سيرهم وأعمالهم المذمومة الجائرة ونحن بمعزل عنها كلها ونشاركهم في اكثر الخصال المحموده

والسير العادلة ، وذلك أن أول كل شيء مما ذكرت وافتخرت به أن منكم الملوك
والرؤساء ولهم أعوان وجنود ورعية

أما علمت بأن جماعة النحل وجماعة النمل وجماعة الطيور وجماعة السباع رؤساء
وأعواناً وجنوداً ورعية وان رؤساءها وملوكها أحسن سياسة وأشد رعاية من
ملوك بني آدم بها وأشد تحنناً عليها ورأفة بها وشفقة عليها
بيان ذلك أن أكثر ملوك الانس ورؤساءها لا ينظرون في أمر الرعية
وجنودهم وأعوانهم الا لجر منفعة منها أو دفع مضرة عنها أو الى نفس من يهواه
لشهوته كائناً من كان قريباً أو بعيداً ولا يفكر بعد ذلك في واحد ولا يهمه أمره
كائناً من كان من قريب أو بعيد

وليس هذا من فعل الملوك والفضلاء ولا عمل الرؤساء ذوي السياسة الرحماء
بل من سياسة الملك وشرائطه وخصال الرياسة أن يكون الملك والرئيس رحيماً
رؤوفاً برعيته مشفقاً متحنناً على جنوده وأعوانه اقتداءً بسنة الله تعالى الجواد
الكريم الرؤوف الرحيم خلقه وعباده كائناً من كان الذي هو رئيس الرؤساء وملك
الملوك . وملوك أجناس الحيوانات ورؤساؤهم هم بسنة الله تعالى أحسن اقتداءً من
ملوك الانس ورؤسائهم

وذلك أن ملك النحل ينظر في أمر رعيته ويتفقد أحوالهم وأحوال جنوده
وأعوانه لا لهوى في نفسه وشهواتها وجر المنفعة اليها ودفع المضرة عنها أو الى
نفس من يهواه لشهوته بل يفعل ذلك رأفة ورحمة لرعيته وشفقة وحنناً لهم ،
وعلى جنوده وأعوانه

وهكذا يفعل ملك النمل وملك الكركى في حراسته وطيرانه وملك القطا في
وروده وصدوره

وهكذا حكم سائر الحيوانات التي لها رؤساؤها ومديروها لا يطلبون من
رعاياهم عوضاً ولا جزاء فيما يسوسونهم كما لا يطلبون من أولادهم برأ ولا صلة
ولا مكافأة لهم كما يطلب بنو آدم من أولادهم البر والمكافأة في تربيتهم لهم ، بل

نجد كل جنس من الحيوانات التي تنزو وتمد وتحمل وترضع وتربي أولادها والتي
تسعد وتبيض وتحضن وتزق الفراخ والاولاد وتربي أولادها لا تطلب من
أولادها براً ولا صلة ولا مكافأة . وانكها تربي أولادها تحننا عليها وشفقة
ورحمة بها ورأفة لها كل ذلك اقتداء بسنة الله تعالى اذ خلق عبيده وأنشأهم
ورباهم وأنعم عليهم وأحسن اليهم وأعطاهم من غير سؤال منهم ولا يطلب منهم
جزاء ولا شكوراً ولو لم يكن من لؤم طباع الانس وسوء أخلاقهم وسيرتهم
الجائرة وعاداتهم الرديئة وأعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ومذاهبهم الضالة
وكفرهم بالنعم لما أمرهم الله تعالى بقوله « ان اشكر لى ولوالديك الى المصير »
كما لم يأمر أولادنا اذ لا يكون منهم العقوق والكفران وانما توجه الامر
والنهي والوعد والوعيد اليكم يامعشر الانس دوننا لانكم عبيد سوء يقع منكم
الخلاف والمكر والعصيان فأنتم بالعبودية أولى منا ونحن بالحرية أولى منكم فن
أين زعمتم انكم أرباب لنا ونحن عبيد لكم لولا الوقاحة والمكابرة وقول
الزور والبهتان

ثم لما فرغ البيغاء من كلامه قالت الجماعة صدق هذا القائل في جميع ما ذكر
وأخبر به فخرجت جماعة الانس عند ذلك ونكسوا رؤوسهم من الحياء والخجل
لما توجه عليهم من الحكم ولم يمكن الانس أن ينطقوا بعد ذلك
ولما بلغ البيغاء من كلامه الى هذا الموضع قال الملك لرئيس الحكماء من الجن
من هؤلاء الملوك الذين ذكرهم هذا القائل وأثنى عليهم ووصف شدة رحمتهم
واشفائهم على رعيتهم وتحننهم ورأفتهم لجنودهم وأعوانهم وحسن سيرتهم .
أنا أظن أن في ذلك رمزاً من الرموز وسراً من الاسرار عرفني ما حقيقة هذه
الاقاويل واشارة هذه المرامي . قال سمعاً وطاعة

فصل

قال حكيم الجن اعلم أيها الملك ان اسم الملوك مشتق من اسم الملك واسم الملك من أسماء الملائكة وذلك أنه ما من جنس من هذه الحيوانات ولا نوع منها ولا شخص ولا كبير ولا صغير الا وقد وكل الله تعالى به ملائكة تربيته وتحنظه وتراعيه في جميع تصرفاته وهي أشد رحمة ورأفة وتحننا وشفقة من الوالدات لأولادها الصغار وتناجها الضعيفة

قال الملك الحكيم ومن أين للملائكة هذه الرحمة والرأفة والتحنن والشفقة التي ذكرت

قال من رحمة الله تعالى ورأفته بخلقه وشفقته وتحننه على بريته وكل رحمة ورأفة من الملائكة ومن الوالدات والآباء والامهات ورحمة الخلق بعضهم على بعض فهي جزء من ألف جزء من رحمة الله تعالى ورأفته بخلقه وشفقته وتحننه على عباده

ومن الدليل على صحة ما قلنا وحقيقة ما وصفنا ان ربهم لما أبداهم وأبدعهم وخلقهم وسواهم وتمهم ورباهم وكل بحفظهم الملائكة الذين هم صفوته من خلقه وجعلهم رحماء كرماء بررة وخلق لهم المنافع والمرافق في طريق الهياكل العجيبة والضور والاشكال الطريفة والحواس الدراكة اللطيفة والههم دفع المضار وجر المنافع وسخر لهم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الاله الخلق والامر ويديرهم في الشتاء والصيف في البر والبحر والسهل والجبل وخلق الاقوات من الشجر والنبات متاعاً لهم الى حين وأسبغ عليهم نعمته ظاهرة وباطنة ولو عدت لما أحصيت وكل هذه دلالة وبراهين على شدة رحمة الله ورأفته وتحننه وشفقته على خلقه

قال الملك فن رئيس الملائكة المقربين الموكلين ببني آدم وحفظهم ومراعاة أمرهم قال الحكيم هي النفس الناطقة الانسانية الكلية التي هي خليفة الله في

أرضه وهي التي قرنت بجسد آدم لما خلق من التراب وسجدت له الملائكة كلهم
أجمعون وهي النفوس الحيوانية المنقادة لطاعة النفس الناطقة الباقية الى يومنا
هذا في ذرية آدم كما ان صورة الجسد الجسمانية باقية في ذريته الى يومنا هذا وبها
ينشأون وبها ينمون وبها يفوزون وبها يجازون وبها يؤخذون واليها يرجعون
وبها يعرفون يوم القيامة وبها يبعثون وبها يدخلون الجنة وبها يصعدون الى عالم
الافلاك أعنى صعود النفس الناطقة التي هي خليفة الله في أرضه وأبى ابليس عن
سجدة لا دم وهي القوة الغصبية والشهوانية والنفس الامارة بالسوء

ليعلم الملك جميع ذلك لأن أكثر كلام الله تعالى وكلام أنبيائه وأقوابل
الحكماء رموز لسر من الاسرار مخفياً عن الاشرار وما يعلمها الا الله تعالى
والراسخون في العلم . وذلك ان انقلوب والخواطر ما كانت تحمل فهم معاني ذلك
ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « كلوا الناس على قدر عقولهم » وافشاء سر
الربوبية كفر

وأما الخواص من الحكماء الذين هم الراسخون في العلم فهم لا يحتاجون الى
زيادة بيان إذ هم مطلعون على حقائق جميع الاسرار والمرموزات . من ذلك قول
الله تعالى « علمناه منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا هو الفضل المبين »
وقوله « ن والقلم وما يسطرون » وقوله « والطور وكتاب مسطور » وقوله
« سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي
باركنا حوله » وقوله « في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى انى أنا الله رب
العالمين » وقوله « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين » وقوله
« اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت » وقوله « وجنة عرضها السموات
والارض » وقوله « لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » وقوله « من يحيى
العظام وهي رميم » وقوله « وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم
يعقب ياموسى » وقوله « من فعل هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا

فاسألوهم « وقوله « يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً »
 وقوله « يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم » وقوله (كهيعص) وقوله (طه)
 ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) وقوله (عسق) وقوله (إنا أنزلناه في ليلة القدر)
 وقول النبي عليه السلام رجعنا من الجهاد الا صغر الى الجهاد الا كبر وقوله صوموا
 تصحوا وسافروا تغنموا وقوله عليه السلام شاوروهن وخالفوهن وقوله عليه
 السلام الجنة تحت أقدام الامهات ونظائر ذلك من الآيات والاخبار تحت ذلك
 سر من الاسرار التي لا يجوز أن تكشف على العوام والجهال سيما في آخر الزمان
 فلهذا الغرض ألبسوا حقائق الاشياء بلباس غير ما يليق بذلك حسب فهم عامة
 البشر لكن الخواص والحكماء يعلمون الغرض والحقيقة في ذلك ويخفون عن
 الاشرار والاجلاف

فمن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

ثم قال الملك بارك الله فيك من حكيم ما أعلمك ومن عالم ما أفهمك وجزاك
 الله خيراً زدني بياناً آخر فقال نعم

ثم قال الملك للحكيم لم لاتدرك الابصار الملائكة والنفوس قال لانها جواهر
 شفافة نورانية ليس لها لون ولا جسم ولاتدركها الحواس الجسمانية مثل الشم
 والامس والذوق وقل تراها الابصار القوية اللطيفة مثل ابصار الانبياء والرسل
 واسماعهم فانهم بصفاء نفوسهم وانتباههم من نوم الغفلة واستيقاظهم من رقدة
 الجهالة وخروجهم من ظلمات الخطايا قد انتعشت نفوسهم فصارت مشاكلة لنفوس
 الملائكة تراها وتسمع كلامها وتأخذ منها الوحي والانباء وتؤدي الى أبناء جنسهم
 من البشر بلغات مختلفة لمشاكاتهم اياهم باجسادهم قال انك جزاك الله خيراً تمام
 كلامك يا بيبغاء

فصل

ثم قال البيغاء أيها الانسى أما الذي ذكرت بان منكم صناعا وأصحاب حرف
فليس ذلك بفضيلة لكم دون غيركم ولكن قد شاركم فيها بعض أصناف الطيور
والهوام وغير ذلك من الحيوانات

وبيان ذلك ان النحل هي من الحشرات وهي في اتخذها البيوت وبناء
منازل الاولاد أحذق وأعلم وأحكم من صنائعكم وأجود وأحسن من بناء
المهندسين والبنائين منكم وذلك انها تبني منازلها طبقات مستديرات كالتراس بعضها
فوق بعض من غير خشب ولا لبن ولا آجر ولا جص كأنها غرف من فوقها غرف
وتجعل تقدير بيوتها مسدسات متساويات الاضلاع والزوايا لما فيها من اتقان
الصنعة واحكام البنية ولا تحتاج في عمل ذلك الى قراءة كتب الهندسة ولا الى
آلة البركار والمسطرة كما يحتاجون الى بركار تديرون بها والى مسطرة تخطون بها
والى شاقول تدلون بها والى كونيأ تقدرون بها كما يحتاج البناء اليها من بنى آدم
ثم انها تذهب في الرعي وتجمع الشمع من ورق الاشجار والنبات بارجلها
والعسل من زهر النبات ونور الاشجار ووردها تجمعها بمشافيرها ولا تحتاج في
ذلك الى زنبيل ولا الى سلة ولا ملقطة ولا مكمل تجمعها فيها أو آلة أو أدوات
تغرفه بها كما يحتاج البنائون منكم الى آلات وأدوات مثل الفأس والمسحات
والراقود والمسائح وما شاكلها.

وهكذا أيضاً العنكبوت وهي من الهوام في نسج شبكتها أولاً وتقريرها
هندامها هي أعلم وأحذق من الحاكاة والنساجين منكم وذلك انها تمد عند نسجها
شبكتها أولاً خطأ من حائط الى حائط أو من شجرة الى شجرة أو من غصن الى
غصن أو من جانب نهر الى جانب آخر من غير أن تمشى على الماء أو تطير في الهواء
ثم تمشى على ذلك الذي تمده أولاً وتمد من شبكتها أولاً خطوطاً مستقيمة كأنها
أطناب الخيم المضروبة ثم تنسج لمتها على الاستدارة وتترك وسطها دائرة

مفتوحة حتى تتمكن فيها لصيد الذباب وكل ذلك تفعل من غير مغزل لها ولا مفتل
ولا كاركة ولا مشط ولا أدوات مثل ما يفعل الحائك والنساج منكم فيما يحتاجون
اليه من الآلات والأدوات المعروفة المشهورة في صناعتهم .

وهكذا أيضاً دودة القز وهي من الهوام وهي أحق في صنعتها وأحكم من
صناعكم فمن ذلك أنها إذا شبت من الرعي طلبت مواضعها بين الأشجار والشوك
ومدت من لعابها خيوطاً دقاً ملساً لزجة متينة ونسجت هناك على أنفسها
كناكشبه كيس ليكون لها حرزاً من الحر والبرد والرياح والأمطار ونامت
الي وقت معلوم .

كل ذلك تفعله من غير تعليم من الاستاذين ولا تعليم من الآباء والأمهات بل
إلهاماً من الله تعالى وتعلماً منه وكل ذلك يفعل من غير حاجة إلى مغزل ومفتل أو مخيط
أو مقصر كما يحتاج الخياطون والرفاثون والنساجون

وهكذا الخطاف وهو من الطير يبني لنفسه منزلاً ولاولاده مهداً معلقاً في
الهواء تحت السقوف من الطين من غير حاجة إلى سلم يرتقي عليه أو راقود
يحمل الطين عليه أو عمود يسند بيته اليه ولا يحتاج إلى آلة من الآلات أو الأدوات
وإذا عميت أولادها تحمل من الطين حشيشة تسمى الماميراف تحمك بها عين
الأولاد فيضىء بصرها كل ذلك تعليم من الله تعالى لا من البشر وأنتم محتاجون
إلى الاستاذين والمعلمين في أدنى صنعة وأخس عمل وأنتم من تلقاء أنفسكم
لا تقدر على عمل من غير تعلم مدة من الزمان

وهكذا أيضاً الأرضة وهي من الهوام تبنى على أنفسها بيوتاً من الطين الصرف
شبه الأزج والأزقة من غير أن تجمع التراب أو تيل الطين أو تستسقي الماء فقولوا
أيها الحكماء من أين لها ذلك الطين ومن أين تجمعه وكيف تجعله ان كنتم تعلمون
وعلى هذا المثال حكم أجناس الطيور والحيوانات في اتخاذها المنازل والأكار
والاعشاش وتربية أولادها تجدها أحق وأعلم وأحكم من عمل الأنس فمن ذلك
تربية النعامة وهي مركبة من طائر وبهيمة لفرار يخها وذلك أنها إذا جمعت لها بيضاً

عشرين أو ثلاثين أو أربعين قسمتها ثلاثة أقسام منها ما تدفنه في التراب وثلاثاً تتركه في الشمس وثلاثاً تحضنه فاذا خرجت فرارينحها كسرت ما كان في الشمس وسقتها ما كان فيها من تلك الرطوبات التي فيها مما ذوبتها الشمس ورققتها فاذا اشتدت فرارينحها وقويت أخرجت المدفون منها وفتحت لها ثقباً كي يجتمع فيه الذباب والبق والهوم والنمل والحشرات ثم تطعمها فرارينحها حتى اذا قويت عدت ولعبت ورعت .

فقل أيها الانسى أي نسائكم تحسن مثل هذا في تربية أولادها ان لم تكن القابلة تشيلها وتقمطها. وداية تعلمها كيف تقطم سره ولدها وتقمطه وتدهنه وتكحله وتسقيه وتنومه ولا تعلم شيئاً ولا تعرفه

وكذلك أيضاً حكم أولادكم في الجهالة وقلة المؤنة يوم يولدون لا يعلمون من مصالح أمورهم ولا يعقلون شيئاً من جر منفعة ولادفع مضرة الابعد اربع سنين أو سبعة أو عشرة يحتاجون أن يعلموا كل يوم علماً جديداً وأدبامستأنفاً الى آخر العمر يوم الممات

وتجد أولادنا اذاخرج أحدهم من الرحم أو من البيض يكون معلماً أو ملهما كل ما يحتاج اليه من أمر مصالحه ومضاره ومنافعه لا يحتاج الى تعليم الاباء والأمهات

فمن ذلك فرارينح الدجاج والدراج والقياج والطيهورج وماشا كلها فانك تجدها تنقشر عنها البيضة وتخرج وتعدو من ساعتها أو تلتقط الحب وتهرب من المطالب لها حتى ربما لاتلحق

كل ذلك من غير تعليم من الاباء والامهات بل وحيماً والهاماً من الله تعالى كل ذلك رحمة منه خلقة وشفقة ورأفة وتحنناً

وذلك ان هذا الجنس من الطيور لما لم يكن الذكر يعاون الانثى في الحضانه وتربية الاولاد كما يعاون باقي الطيور كالحمام والعصافير وغيرها أكثر الله عدد

فخراريجها وأخرجها مكثفية مستغنية من تربية الآباء والامهات من شرب اللبن أو زق الحبوب والغذاء مما يحتاج اليه غير هذا الجنس من الحيوانات والطيور وكل ذلك عناية من الله تعالى وتقدس وحسن نظر منه لهذه الحيوانات التي تقدم ذكرها.

فقل لنا أيها الأنسى أيهما أكرم عند الله الذي عنايته به أكثر ورعايته به أتم فسبحان الله الخالق الرؤف الرحيم بخلقه الودود الشفيق الرفيق بعباده ونحمده ونسبحه في غدونا ورواحنا ونقدسه في ليلنا ونهارنا فله الحمد والمن والشكر والفضل والثناء والألاء والنعماء وهو ارحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأحسن الخالقين .

وأما الذي ذكرت بأن منكم الشعراء والخطباء والمتكلمين والمذكرين وما شا كلهم فلو انكم فهمتم منطق الطير وتسبيح الحشرات والهوام وتهليلات البهايم وتذكار الصرصر ودعاء الضفدع ومواء البلابل وخطب القناير وتسبيح وتكبير الكراكي وأذان الديك وما يقول الحمام في لحنه وقراءة القهاري ونعيب الغراب الكاهن من الزجر وما تصف الخطاطيف من الامور وما يخبر الهدهد وما يقول النمل وما يزعم النحل ووعيد الذباب وتحذير البق وغيرها من الحيوانات ذوى الاصوات والطنين والزمير لعلمتم معشر الانس وتبين لكم أن في هذه الطوائف خطباء وفصحاء ومتكلمين وواعظين ومذكرين ومسبحين مثل ما في بني آدم فلماذا افتخرتم علينا بخطبائكم وشعرائكم ومن شا كلهم

وكفى دلالة وبرهاننا على ما قلت وذكرت قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فنسبكم الى الجهل وقلة العلم والفهم بقوله لا تفقهون ونسبنا الى العلم والفهم والمعرفة بقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون قالها على سبيل التعجب لانه يعلم كل عاقل ان الجهل لا يستوي مع العلم لا عند الله ولا عند الناس فبأي شيء

تفتخرون علينا يامعشر الانس وتدعون انكم ارباب ونحن عبيد لكم مع هذه الخصال التي فيكم كما بينا قبل غير قول الزور والبهتان

فاما الذي ذكرت من أمر المنجمين والراقين منكم فامناهوا ان لهم تمويهات وتوهيمات وتلبيسات ورزقا رقيقاً ينفق على الجهلاء من العوام والخواص والنساء والصبيان والحمقى ويخفى عليكم ايضاً وعلى كثير من المعتلاء والادباء وذلك ان احدهم يخبر بالكائنات قبل كونها ويرجم بالذنب ويرجف به من غير معرفاة صحيحة ودلائل عقلية واضحة وبراهين مثبتة فيقول بعد كذا وكذا شهراً وكذا وكذا سنة في بلد كذا وكذا يكون كيت وكيت وهو جاهل لا يدري أى شيء يكون في بلده وقومه وجيرانه وأي شيء يكون ويحدث عاينه في نفسه أو في ماله أو في أولاده أو غلمانة أو من يهيمه امرهم وانما يرجم بالغيب في مكان بعيد أو في زمان طويل لئلا يقع عليه الاعتبار ويتبين صدقه وكذبه وتمويهه ومخرقته

ثم اعلم ايها الانسى انه لا يفتخر بقول المنجم الا الطغاة والبغاة من الملوك والجبابة منكم والنراغنة والتماردة والمغرور بعاجل شهواتها المنكرون أمر الآخرة ودار المعاد الجاهلون بالعلم السابق والقدر المحتوم مثل نمروذ الجبار وفرعون ذي الاوتاد وشمود وعاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد من قتل الاطفال . يقول المنجمون الذين لا يعرفون خاتق النجوم ومدبرها بل يظنون ويتوهمون ان أمور الدنيا تدبرها الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر ولا يعرفون المدبر الذي فوق الكل الذي هو رب الارباب ومسبب الاسباب ومالك يوم الدين وقد أراهم الله قدرته مرة بعد اخرى وتفاذ أوامره ومشئته في دفعات وذلك ان نمروذ الجبار أخبره المنجمون بمولود في مملكته في سنة من السنين بدلائل القرانات وانه يتربى ويكون له شأن عظيم ويخالف دين عبدة الاصنام فقال لهم في أى بيت يكون وفي أى موضع يتربى وفي أى يوم يولد فلم يبدروا ولكن أشار وزراؤه وجلساؤه بأن يقتل كل مولود يولد في تلك السنة

ليكون هو في جملة من قد قتل وظنوا أن ذلك يمكن وذلك لجهلهم بالعلم السابق والقضاء المحتم والمقدور الواقع الذي لا بد أن يكون ، ففعل ما أشاروا به عليه فيما وقع . وخلص الله تعالى ابراهيم خليله من كيدهم ونجاه من حيلتهم ومادبروا من مكرهم

وهكذا فعل فرعون بأولاد بني اسرائيل لما اخبره المنجم بمولد موسى عليه السلام فنجى الله كلمه من كيدهم ومكرهم لما أراد من بلوغ أمره ورأى فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون وعلى هذا المثال والقياس تجري أحكام النجوم . لم ينفعهم ذلك من قضاء الله وقدره

ثم أنتم يامعشر الانس لا تزدادون الا غروراً بقول المنجمين وطغياناً ولا تعتبرون ولا تتفكرون ولا تتنبهون من جهالاتكم
ثم جئتم الآن تفتخرون علينا بأن منكم منجمين وأطباء ومهندسين وحكماء متفلسفين . فلما بلغ الببغاء الى هذا الموضع من كلامه قال الملك أحسن الله جزاك نعم ما قلت ويينت

فصل

ثم قال الملك لزعيم الجوارح أخبرنا ما الفائدة والعائدة في معرفة الكائنات قبل كونها بالدلائل وما يخبر عنه أهلها بفنون الاستدلالات الزجرية والكهانية والنجومية والقال والقرعة وضرب الحصى والنظر في الكف وما شا كل هذه الاستدلالات اذا كان لا يمكن دفعها ولا المنع لها ولا التحرز منها مما يخاف ويحذر من المناحس وحوادث الايام ونوائب الحدثنان في السنين والازمان . قال الزعيم نعم يمكن دفع ذلك والتحرز منه أيها الملك . ولكن لا على الوجه الذي يطلب ويلتمس أهل صناعة النجوم وغيرهم من الناس . قال كيف ذلك وعلى أي وجه ينبغي ان يلتمس ويدفع ويحترز منه قال الزعيم بالاستغاثة برب النجوم وخالقها ومدبرها . قال كيف تكون

الاستغاثة به . قال باستعمال سنن النواميس الالهية وأحكام الشرائع النبوية من الدعاء والبكاء والتضرع والصوم والصلاة والصدقات والقراين في نيوت الصلوات والعبادات وصدق النيات واخلاص القلوب والسؤال لله تبارك وتعالى بدفعها وبصرفها عنهم كيف شاء أو يجعل لهم في ذلك خيرة وصلاحاً لان الدلائل النجومية والزجرية انما تنخر عن الكائنات قبل كونها مما سيفعله رب النجوم وخالقها ومدبرها ومصورها والاستغاثة برب النجوم والقوة التي فوق الفلك وفوق النجوم أولى وأحرى وأوجب من الاستغاثة بالاختبارات النجومية الجزئية على دفع موجبات الاحكام الكائنات مما أوجبها بأحكام القرانات والادوار وطوالع السنين والشهور وغير ذلك في المواليذ

قال الملك فاذا استعملت سنن النواميس على شرائط ما ذكرت ودعوا الله يرفع عن أهلها ما هو في المعلوم انه لا بد كائن . قال لا بد من كون ما هو في المعلوم . ولكن ربما يدفع الله عن أهلها شر ما هو كائن ويجعل لهم فيها خيرة وصلاحاً ويجعلهم في حيز السلامة

قال الملك كيف يكون ذلك بين لي قال أيها الملك أليس النمرود الجبار لما اخبره منجموه بالقران يدل على أنه سيولد في الارض مولود يخالف دينه دين عبدة الاصنام وكانوا يعنون به ابراهيم خليل الرحمن

قال نعم . قال أليس نمرود خاف على دينه ومملكته ورعيته وجنوده فساداً ومناحس

قال نعم قال أليس لو انه سأل رب النجوم وخالقها أن يجعل له ورعيته وجنوده فيه خيرة وصلاحاً كان الله تعالى يوفقه للدخول في دين ابراهيم هو وجنوده ورعيته . وكان في ذلك خيرة لهم وصلاح قال نعم . قال وهكذا أيضاً فرعون لما اخبره منجموه بمولد موسى عليه السلام لو انه سأل ربه أن يجعله مباركا عليه وقره عين له وكان يدخل في دينه أليس كان صلاحاً له ولقومه وجنوده كما فعل

بأمراته وأحب الناس إليه وأخصهم به وهو الرجل الذي ذكره الله تعالى في القرآن ومدحه وأثنى عليه .

فقال رجل من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله الى قوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا وحق بأل فرعون سوء العذاب أوليس قوم يونس عليه السلام لما خافوا ما أظلمهم من العذاب دعوا ربهم الذي هو رب النجوم وخالقها ومدبرها فكشف عنهم العذاب فاذا قد تبينت فائدة علم النجوم والاخبار بالكائنات قبل كونها وكيفية التحرز منها أو دفعها أو الخيرة والصلاح فيها ومن أجل هذا أوصى موسى عليه السلام بنى اسرائيل فقال لهم متى خفتم من حوادث الايام ونوابب الحداث من الغلاء والقحط والفن والجذب أو غلبة الاعداء ودولة الاشرار ومصائب الاختيار فارجعوا عند ذلك بالتضرع والدعاء واقامة سنة التوراة من الصلاة والزكاة والصدقات والقرايين والندم والتوبة والبكاء والتضرع الى الله تعالى فانه اذا علم صدق قلوبكم ونياتكم صرف عنكم ما تحذرون وكشف عنكم ما تخافون وما أنتم عليه وبه مبتلون

وعلى هذا المثال جرت سنة الانبياء والرسل عليهم السلام من لدن آدم أبو البشر الى محمد عليهما الصلاة والسلام والتحية والرضوان

فعلى مثل هذا ينبغي أن تستعمل أحكام النجوم والاخبار بالكائنات قبل وجودها وما يدل عليها من حوادث الايام ونوابب الزمان لا على ما يستعمله المنجمون ومن يغتر بقولهم بأن يختاروا طالعاً جزوياً ويتحرزوا اليها من موجبات أحكام الكل بالجزء وكيف لا يجوز ان يستعمل بقوة رب الفلك على الفلك كما فعل قوم يونس عليه السلام والمؤمنون من قوم صالح وقوم شعيب

وعلى هذا المثال ينبغي ان تكون مداواة المرضى والاعلال بالرجوع الى الله تعالى أولاً بالدعاء والسؤال له والرجاء منه ان يفعل بهم مثل ما ذكرت في أحكام النجوم من الكشف والدفع والصلاح في ذلك كما بين الله تعالى عن ابراهيم حيث

يقول « الذي خلقني هو يهدين والذي يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين » ولا ينبغي ان يكون الرجوع الى أحكام الاطباء الناقصة في الصناعة الجاهلة بأحكام الطبيعيات الغافلة عن معرفة رب الطبيعة ولطفه في صنعته

وذلك انك ترى أ كثر الناس يفرعون عند ابتداء مرضهم الى الطبيب فاذا طال بهم العلاج والمداواة ولم ينفعهم ذلك وايسوا منهم ومن مداواتهم رجعوا عند ذلك الى الله تعالى ودعوا دعوة المضطرين وربما يكتبون الرقاع ويلصقونها في حيطان المساجد والبيعم واساطينها ويدعون على انفسهم وينادون بالشهرة والنكال وقولهم رحم الله من دعا للمبتلي كما يفعل بالمشهورين هذا جزاء من سرق أو قطع أو عمل ما يشبهه . ولو انهم رجعوا الى الله تعالى في أول الأمر ودعوه في السر والاعلان لكان خيراً لهم وأصلح من الشهرة والنكال

فعلى مثل هذا يجب أن تستعمل أحكام النجوم في دفع مضار النكبات والتحرز من موجبات أحكامها وما يدل عليها من الحوادث لا على مثل ما يستعمله المنجمون من الاختبارات بطوالع جزئيات ليتحرزوا بها من موجبات أحكامها الكائنات التي توجبها طوالع السنين والشهور والاجتماعات والاستقبالات والاختيارات للأوقات الجيدة لاستجابة الدعاء وطلب الغفران والمسألة الى الله تعالى بالكشف لما يخافون ويحذرون بأن يصرف عنهم كيف شاء بما ذكروا أن ملكاً أخبره منجموه بحادث كائن في وقت من الزمان يخاف منه هلاكاً على بعض أهل المدينة فقال لهم من أي وجه يكون وبأي سبب فلم يدروا تفصيلاً ولكن قالوا من سلطان لا يطاق فقال لهم متى يكون ذلك فقالوا في هذه السنة في شهر كذا فشاور الملك أهل الرأي كيف التحرز منه فأشار عليه أهل الدين والورع والمتأهلون بان يخرج واهل المدينة كلهم الى خارج المدينة فيدعون الله أن يصرف عنهم ما أخبرهم به المنجمون مما يخافون ويحذرون فقبل الملك مشورتهم وخرج في ذلك الشهر الذي يخافون كون الحوادث فيه وخرج معه أكثر أهل المدينة

فدعوا الله ان يصرف عنهم ما يخافون وباتوا تلك الليلة على حالهم وبقى قوم في المدينة لم يكثرثوا لما اخبرهم به المنجمون وما خافوا وما حذروا منه فجاء بالليل مطر عظيم وسيل العرم وكان بناء المدينة في مصب الوادي فهلك من كان في المدينة بائناً ونجا من كان قد خرج وكان بائناً في الصحراء فمثل هذا يندفع من قوم ويصيب قوماً واما الذي لا يندفع وما لا بد منه ولا يمكن يجعل الله لاهل الدعاء والصدقة والصلاة والصيام في ذلك خيرية وصلاحاً كما فعل بقوم نوح فمن آمن منهم نجا وجعل لهم خيرية في ذلك كما ذكر الله تعالى بقوله فانجيناه ومن معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوماً عمين . واما متفلسفوك الطبيعيون والمنطقيون والجديليون فانهم عليكم لالكم قال الانسى وكيف ذلك قال لانهم هم الذين يضلون بنى آدم عن المنهاج المستقيم وصواب الطريق والدين وأحكام الشرائع بكثرة اختلافهم وفنون آرائهم ومذاهبهم ومقالاتهم وذلك ان منهم من يقول بقدم العالم ومنهم من يقول بقدم الهوى ومنهم من يقول بقدم الصورة ومنهم من يقول بعلمتين اثنتين ومنهم من يقول بثلاثة ومنهم من يقول باربعة ومنهم من قال بخمسة ومنهم من قال بستة ومنهم من قال بسبعة ومنهم من قال بالصانع والمصنوع معاً ومنهم من قال بلا نهاية ومنهم من قال بالتناهي ومنهم من قال بالمعاد ومنهم من قال بالانكار ومنهم من اقر بالرسول والوحي ومنهم من انكر ومنهم من شك وارتاب وتحير ومنهم من قال بالعقل والبرهان ومنهم من قال بالتقليد من الاقوال المختلفة والاراء المتناقضة التي بنوا آدم بها مبتلون وفيها متحIRON متبلملون شاكون وفيها مختلفون ونحن كلنا مذهبنا واحد وطريقتنا واحدة وربنا واحد ولا نشرك به شيئاً نسبحه في غدونا ونقدسده في رواحنا لا نريد لاحد منا سوءاً ولا نضمير له شراً ولا نتفخر على أحد من خلق الله تعالى راضون بما قسمه الله تعالى انا خاضعون تحت أحكامه لانقول لم وكيف ولماذا فعل ودبر كما يقول المعترضون على ربهم في أحكامه وتدبيره وصنعه

فأما الذي ذكرت من أمر المهندسين والمساح منكم وافتخرت به فلعمري ان لهم التعاطي في البراهين التي تدق عن الفهم وتبعد عن التصور لما يدعون فيها ولكن أكثرهم لا يعقلون لتركهم تعلم العلوم الواجب تعلمها ولا يسعهم الجهل بها. يربون علي ما يدعون من الفضولات التي لا يحتاج اليها وذلك ان أحدهم يتعاطى مساحة الآجام والأوتاد ومعرفة ارتفاع رؤوس الجبال وعمق قعر البحر وتكسير البراري والقفار وتركيب الافلاك ومراكز الانتقال وماشا كل ذلك وهو مع ذلك كاه جاهل بكيفية تركيب جسده ومساحة جثته ومعرفة طول مصارينه وأمعائه وسعة تجويف صدره وقلبه ورئته ودماعه وكيفية خلقة معدته وأشكال عظامه وتركيب هندام مفاصل بدنه وماشا كل هذه الاشكال التي معرفته بها أسهل وفهمه لها أقرب وعلمها بها أوجب والتفكر فيها أوقع والاعتبار بها أهدي وأرشد الى معرفة ربه وخالقه ومصوره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه

ومع جهله بهذه الاشياء أيضاً ربما يكون تاركا للعلم بكتاب الله وفهم أحكام شريعته ودينه ومفروضات سنن مذهبه ولا يسعه تركها ولا الجهل بها وأما افتخاركم باطبائكم والمداوين لكم فلعمري انكم محتاجون اليهم مادامت نلكم البطون الرحبة والشهوات المؤذية والنفوس الشرهة والمأكولات المختلفة وما يتولد منها من الامراض المزمنة والاسقام المؤلمة والواجع المهلكة تاجئكم نالى باب الاطباء ولنعم ما قيل في الشعر

ان الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع مكروه أتى

فزادكم الله أطباء لأنه لا يرى على باب دكان الطبيب الا كل عليل مريض سقيم كما لا يرى على باب دكان المنجم الا كل منحوس أو منكوب أو خائف لا يزيد المنجم الا نحساً على نحس يأخذ قطعة ولا يقدر على تعجيل سعادة ولا تأخير منحة الا زخرف القول غروراً تخميناً وحزراً بلايقين ولا برهان وهكذا حكم المتطبين منكم يزيدون العليل سقماً والمريض عذاباً بالحمية من

تناول اشياء ربما يكون شفاء العليل في تناولها وهو ينهاه ويمنعه منها لجهله ولو تركه مع حكم الطبيعة لعله كان أسرع لبرئه وأنجح لشفائه فافتخارك أيها الانسى بأطبائكم ومنجميكم هو عليكم لالكم

فأما نحن فغير محتاجين الى الاطباء والمنجمين لانالانا كل الاقوت يوم وبلغه يوم من لون واحد وطعام واحد فلا تعرض لنا الامراض المختلفة والاعلال المتفننة ولا نحتاج الى الاطباء ولا الى الشراب والدرياقات وفنون المداوات مما تحتاجون أنتم اليه فهذه الاحوال كلها التي هي بالاحرار والاخيار أشبه والكرام أولى وتلك بالعبيد والاشقياء أولى وبهم اليق فمن أين زعمتم أنكم أرباب لنا ونحن لكم عبيد بلا حجة ولا برهان الاقول الزور والبهتان

وأما تجاركم ورؤسائكم ودهاقينكم الذين ذكرتهم وافتخرتم بهم فلا فخر لكم ولا لهم إذ كانوا هم أسوأ حالا من العبيد والاشقياء والفقراء الضعفاء وذلك انكم تراهم طول نهارهم مشغولى القلب متعوبى الابدان مغمومى النفوس معذبى الارواح فيما يبنون ما لا يسكنون ويفرسون ما لا يجنون ويجمعون ما لا يأكلون ويعمرون الدور ويخربون القبور أكياس في أمور الدنيا بله في أمور الآخرة يجمع أحدهم الدينار والمتاع ويبخل أن ينفق على نفسه ويتركه لزوج امرأته او لزوج ابنته أو لزوجة ابنه ولوارثه كادون لغيرهم مصلحون أمور سواهم لراحة لهم الى المهات .

وأما تجاركم فيجمعون من حرام وحلال ويبنون الدكاكين والخانات ويعلمونها من الامتعة ويحتكرونها ويضنون بها على أنفسهم وجيرانهم واحبابهم ويمنعون الفقراء والمساكين حقوقهم ولا ينفقون حتى تذهب جملة واحدة إما في حرق أو غرق أو سرقة أو مصادرة سلطان جائر أو قطع طريق وما شاكل ذلك ويبقى هو يحزنه ومصيبته معاقباً بما كسبت يده فلا زكاة أخرج ولا صدقة أعطى ولا يتأمر بر ولا معروف لضعيف أسدى ولا صلة لذي رحم ولا احسانا الى صديق ولا تزود للمعاد ولا قدم للآخرة

والذين ذكرتهم من أرباب النعم وأهل المروءات فلو كانت لهم مروءة كما
 ذكرت لكان لا يهينهم العيش اذاروا فقراءهم وجيرانهم واليتامى من أولاد
 اخوانهم والضعاف من أبناء جنسهم جياعا عراة مرضى زمنى مفاليج مطروحين.
 على الطريق يطالبون منهم كسرة ويسألونهم خرقة وهم لا يلتفتون اليهم ولا يرحمونهم
 ولا يفكرون فيهم فأى مروءة لهم وأي فتوة فيهم وكيف تهينهم لذاتهم إلا أنهم
 كالانعام بل هم أضل سبيلا

وأما الذين ذكرتهم من الكتاب والعمال وأصحاب الدواوين وافتخرت بهم.
 فهكذا يليق بكم الافتخار بالاشرار الذين يهتدون الى أسباب الشرور ما لا يهتدي
 غيرهم ويصلون الى ما لا يصل اليه سواهم لدقة افهامهم وجودة تمييزهم ولطف
 مكائدهم وطول سنتهم وتقاذ خطابهم في كتبهم يكتب أحدهم الى أخيه وصديقه
 زخرفاً من القول غروراً بالفاظ مسجعة وكلام حلو وخطاب فصيح يغريه وهو
 من ورائه في قطع دابره والحيلة في ازالة نعمته والوصول الى أسباب نكايته وتدوين
 الاعمال في مصادراته وتأويلات الاخذ للماله

وأما قراؤكم وعبادكم الذين تظنون أنهم أختياركم وترجون استجابة دعائهم
 وشفاعتهم لكم عند ربهم فهم الذين غروكم باظهارهم الورع والخشوع والتقشف
 والذسك من حذف الاسئلة وتقصير الاكمام وتشمير الازار والسراويل ولبس
 الخشن من الصوف والشعر والمرقعات وطول الصمت وكثرة التنسك وترك انتفقه
 في الدين وتعلم احكام الشرائع وسنن الدين وترك تهذيب النفس واصلاح الخلق
 واشتغلوا بكثرة السجود والركوع بلا علم حتى ظهر أثر السجود على جباههم
 والنفثات على ركبهم وتركوا الاكل والشرب حتى جفت ادمغتهم ونحلت شفاههم
 وانحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم وانحنت ظهورهم وقلوبهم مملوءة بغضاً وحقداً
 وجفاءً ان ايس مثلمهم وتوسمهم مملوءة وساوس وخصومة مع ربهم بضائرهم لم
 خلق ابليس والشياطين والكفار والفراغة والفساق والفجار والاشرار ولم رباهم
 ورزقهم ويمكنهم ويمهلهم ولا يهللهم

ولماذا فعل هذا وما شا كل هذه المحاولات والخرافات والوساوس التي
قلوبهم مملوءة منها ونفوسهم شاكّة متحيرة فهم عند الله اشرار وان كانوا عندكم
أخيار فهؤلاء وان كانوا بالصورة الظاهرة انسان ففي الصورة المعنوية ليسوا
كذلك فأبي افتخار لكم بهم وانما هم عار لكم
وأما فقهاؤكم وعلماؤكم فهم الذين يتفقهون في الدين طلباً للدنيا وابتغاء للرياسة
والولاية والقضاء والفتاوى بارائهم وقياساتهم فيجملون تارة ويحرمون تارة
بتأويلاتهم ويتبعون ما تشابهه ويتبركون بحقيقة ما أنزل الله من الآيات المحكمات
فخبنود وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ويتبعون ما تلو الشياطين على قلوبهم من
الخيالات .

كل هذا طلباً للدنيا وتكسباً للرياسة من غير ورع ولا تقوى من الله تعالى
فأولئك هم وقود النار في الآخرة أو يتوبون الى الله وتستغفرونه فأبي فخر لكم
وأما قضاتكم وعدولكم والمزكون لكم فأدهى وأظلم وأبصر وهم أشرسرة
من الفراعنة والجبابرة وذلك انك تجد الواحد منهم قبل الولاية قاعدا بالغدوأة
في مسجده حاذظاً لصلاته مقبلاً على شأنه يمشى بين جيرانه على الارض وناحى
اذا ولي الحكم والقضا تراه راكباً بغلة فارهة وحماراً مصرياً بسرج ومركب
وغاشية يحماها السودان وخفاقين تنجر في الارض قد ضمن القضاء من السلطان
الجائر بشيء يؤديه اليه من اموال اليتامى ومال الوقوف وصالح عدو له بشيء
من السحت والبراطيل فقبل منهم الرشوة ويرخص لهم في الجنايات وشهادات
الزور وترك اداء الامانات والودائع فأولئك هم الذين وبخوا في التوراة والانجيل
والفرقان ابالله تغترون وعليه تجرؤون

وأما خلفاءكم الذين تزعمون انهم ورثة الانبياء اعابهم السلام فكفى في وصفهم
ما قال الله تعالى وقال رسول الله (ص) ما من نبوة الا ونسختها الجبروتية ويسمون
باسم الخلافة ويسرون بسيرة الجبابرة وينهون عن منكرات الامور ويرتكبون

هم منها كل محذور ويقتلون اولياء الله وأولاد الانبياء عليهم السلام ويسبونهم
ويغصبونهم على حقوقهم ويشربون الخمر وينادرون الى الفجور واتخذوا عباد الله
خولا وایامهم دولا وأموا لهم مغنا فبدلوا نعمة الله كفراً واستطالوا على الناس
بافتخاراً ونسوا امر المعاد وباعوا الدين بالدنيا والآخرة بالاولى فويل لهم مما
كسبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون . وذلك انه اذا ولى أحد منهم ابتداءً اولاً
بالتبض نلى من تقدمت له حرمة لآبائه وأسلافه وازال نعمته وربما قتل اعمامه
واخوانه وأبناء عمه وأقرباءه وربما كحلهم أو حبسهم ونفاهم أو تبرأ منهم كل
ذلك يفعلون بسوء ظنهم وقلة يقينهم مخافة أن يفوتهم المقدور او رجأ أن ينالوا
بالميس في المقدر كل ذلك حرصاً على طلب الدنيا وشدة الرغبة فيها وشحاً عليها
وقلة الرغبة في الآخرة وقلة اليقين بمجزاء الاعمال في المعاد وليست هذه الخصال
من شيم الاحرار ولا فعل الكرام فافتخارك ايها الانسى على الحيوان بذكر
ملوككم وامرائكم وسلاطينكم عليكم لالكم وادعائكم علينا العبودية
ولا نفسم الربوبية صار باطلا وزوراً وبهتاناً . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى
ولكم انه هو الغفور الرحيم .

فصل

فلما فرغ البغاء من كلامه قال الملك لمن حوله من حكام الجن والانس
أخبروني من الذي يحمل الى الارضة ذلك الطين الذي تبنى به على نفسها تلك الازاج
والعقود شبه الرواق والدهاليز وهي دابة ليس لها رجلان تعدو بهما ولا جناحان
تطير بهما

فقال الحكيم الخبير من العبرانيين نعم أيها الملك سمعنا ان الجن تحمل اليها
ذلك الطين مكافأة لها على ما أسدت اليها من الاحسان في اليوم الذي أكلت منسأة
سليمان بن داود عليه السلام نخر وعلمت الجن بموته فهربت ونجت من العذاب
الآليم .

فقال الملك لمن حوله من علماء الجن ماذا تقولون فيما ذكر الانس
فقالوا لسنا نعرف هذا الفعل من الجن لأنه لو كانت الجن تحمل اليها التراب
والطين والماء ذهبي بعد إداً في العذاب المهين . لان سليمان لم يكن يسوئها شيئاً
غير حمل الماء والتراب في اتخاذ البنيان

فقال الحكيم اليوناني عندنا أيها الملك من ذلك علم هو غير ما ذكر هذا
العبراني . فقال الملك أخبرني ماهو . قال نعم اعلم أيها الملك ان هذه الدابة دابة
ظريفة الخالقة عجيبة الطبيعة . من ذلك ان طبيعتها باردة جداً وبدنها متخلخل
منتفخ المسام يتداخلها الهواء ويتجمد من شدة برد طبيعتها ويصير ماء ويرشح
على ظاهر بدنها ويقع عليها غبار الهواء دائماً فيبتل ويجمع شبه الوسخ فهي
تجمع ذلك من بدنها وتبنى على نفسها تلك الازاج كئنا لها من الآفات ولها
منفران حادان شبه المشراطين تقرض بهما الحب والخشب والتمر والنبات وتنقب
الآجر والحجارة

فقال الملك للصرصر هذه الدابة من الهوام وأنت زعيمها فاذا ترى فيما قال
اليوناني . فقال الصرصر صدق فيما قال ولكن لم يتمم ولم يفرغ من الوصف .
فقال الملك تممه أنت فقال نعم :

ان الخالق تعالى لما قدر أجناس الخلائق وقسم بينها المواهب والعطايا عدل
في ذلك بينها بحكمته لئيتكافؤوا ويتساوا وعدلا منه وإلهاماً وإنصافاً بها سبحانه
وبحمده فمن الخالق ماقد وهب له جثة عظيمة وبنية قوية ونفساً ذليلة مهينة مثل
الجمال والفيل ومهما ماقد وهب له نفساً قوية عزيزة عليمه حكيمة وبنية صغيرة
ليتكافأ في المواهب والعطايا عدلا من الخالق الوهاب وحكمة

فقال الملك للصرصر زدني في البيان . قال نعم ألا ترى أيها الملك الى الفيل
مع كبر جثته وعظيم خلقته كيف هو ذليل النفس منقاد للصبى الركب على كتفه
يصرفه كيف شاء . ألم تر الى الجمل مع عظم جثته وطول رقبته كيف ينقاد لمن
جذب خطامه ولو كانت فأرة أو خنفساء . ألم تر الى الجرادة في الحشرات الصغار

تأتى هي أصغر منها اذا ضربت الفيل بحماتها كيف تقتله وتهلكه وكذلك الارضة وان كانت لها جثة صغيرة وبنية ضعيفة فان لها نفساً قوية . وهكذا حكم سائر الحيوانات الصغار الجثة مثل دودة القز ودودة الدرة وزنابير النحل فان لها أنفساً علاوة حكيمة وان كانت أجسادها صغاراً وبنيتها ضعيفة

قال الملك ماوجه الحكمة في ذلك . قال لان الخالق تعالى علم بأن البنية القوية والجثة العظيمة لا تصلح إلا للكرد والعمل الشاق وحمل الاثقال ولو قرن بها أنفساً كبارا لما انقادت للكرد والعمل الشاق ولأبت وأتقت ولجت وشمست وامتنعت فسيحان الخالق العالم بمصالح خلقه . وأما الجثث الصغار والانس الكبار العلامة فانها لا تصلح إلا لالحذق في الصنائع مثل أنفس النحل ودودة القز ودودة الدرة وأمثالها .

قال الملك زدني في البيان . قال نعم ان الخذق في الصناعة هو أن لا يدري كيف عملها الصانع ومن أى شيء عملها وبأى شيء يعمل مثل صناعة النحل لانه لا يدري كيف تبنى منازلها وبيوتها مسدسات من غير بركار ولا مسطرة ولا أدوات آخر ولا يدري من أين تجمع العسل والشمع وكيف تعمله وكيف تميزه فلو كانت لها جثة كبيرة لبان ذلك وشوهد ورأى وأدرك وهكذا حكم دودة القز لو كانت لها جثة عظيمة لرأى كيف تمد ذلك الخيط الدقيق وتفزله وتقتله . وهكذا بناء الارضة لو كانت لها جثة عظيمة لرأى كيف تبل ذلك الطين وكيف تبنى . وأخبرك أيها الملك ان الخالق تعالى قد أرى الدلالة على قدرته للحكماء من بنى آدم المنكرة المجداد العالم لامن هيولى موجودة، من صناعة النحل بأخذها البيوت من الشمع وجمعها العسل من غير هيولى موجودة

قال الملك زعمت الانس بأنها تجمع من زهر النبات وورق الشجر . قال فلم لا يجمعون هم منها شيئاً مع زعمهم بأن لهم العلم والقدرة والحكمة والفلسفة وان كانت تجمع ذلك من وجه الارض أو من الماء أو من وجه الهواء فلم لا يرون منها شيئاً ولا يدرون كيف تجمع ذلك وتحمله وتميزه وتبنى وتخزن . وهكذا أرى

الخالق قدرته لجبابرتهم الذين طغوا وبغوا لما كثرت نعم الله تعالى لديهم مثل نمرود الجبار قتله أصغر جثة من الحشرات وهكذا فرعون لما طغي وبغى على موسى أرسل عليه جنود الجراد وأصغر من الجراد القمل وقهره فلم يعتبر ولم ينزجر وهكذا لما جمع الله لسليمان عليه السلام الملك والنبوة وشيد ملكه وسخر له الجن والانس وقهر ملوك الارض وغلبهم شككت الجن والانس في أمره وظنت ان ذلك بحيلة منه وقوة وحول له مع انه قد نفى هو ذلك عن نفسه بقوله « هذا من فضل ربي ايلوني أشكر أم أ كفر » فلم ينفعهم قوله ولم يزل الشك من قلوبهم في أمره حتى بعث الله هذه الارضة فأكلت منسأته وخر على وجهه في محرابه فلم يجسر على ذلك أحد من الجن والانس هيبة منه واجلالا وبين الله قدرته ليكون عظة لملوكهم الجبابرة الذين يفتخرون بكبر أجسادهم وعظم جثتهم وشدة صولتهم ومع هذه كلها لا يتعظون ولا ينتبهون ولا يزجرون بل يلحون ويتمردون ويفتخرون علينا بملوكهم الذين هم صرعى بأيدي صغارنا والضعفاء من أبناء جنسنا

واما دودة الدرة فهي اصغر حيوان البحر بنية وأضعفها قوة والطفها جثة واكبرها نفساً واكثرها علماً ومعرفة وذلك انها تكون في قعر البحر مقبلة على شأنها في طلب قوتها حتى اذا حان وقت من الزمان صعدت من قعر البحار الى سطح الماء في يوم المطر فتفتح أذنين لها شبه شفقتين فيقطر فيهما من ماء المطر حبات فاذا علمت بذلك ضمت تلك الشفقتين ضماً شديداً اشفاقاً أن يرشح فيها من ماء البحر المالح ثم تنزل برفق الى قعر البحار كما كانت بدءاً وتمكث هناك منضمة على الصدفتين الى ان ينضج ذلك الماء فينعقد منه الدر فاي علماء الانس يعمل مثل هذا خبروني ان كنتم صادقين

وقد جعل الله تعالى في جبلة نفوس الانس محبة لبس الحرير والديباج والابرسم وما يتخذ منها من اللباس الحسن الذي هو كله من لعاب هذه الدودة الصغيرة الجثة الضعيفة البنية الشريفة النفس وجعل في ذوقهم الذمياً كاون العسل الذي

هو بصاق أضعف الحيوانات الصغيرة الجثة الضعيفة البنية الشريفة النفس الحاذقة في الصنعة وأحسن ما يوقدون في مجالسهم الشمع الذي هو فضلة من فضالة النحل وجعل أيضاً أفخر ما يترنون به الدر الذي يخرج من جوف هذه الدودة الصغيرة الجثة الشريفة النفس ليكون دلالة على حكمة الصانع الخالق الحكيم ليزدادوا به معرفة ولنعمائه شكراً وفي مصنوعاته فكرة واعتباراً . ثم هم مع هذه كلها معرضون غافلون ساهون لاهون طاغون باغون وفي طغيانهم يترددون لانعامه كافرون ولا آلاءه جاحدون ولصنعتهم منكرون وعلى ضعفاء الخلق مفتخرون متعدون جائرون ظالمون

فلما فرغ الصرصر وهو زعيم الهوام من كلامه قال الملك بارك الله فيك من حكيم ما أبلغك ومن متقن ما أحكمك ومن خطيب ما أفصحك ومن موحد ما اعرفك بربك ومن ذاكر شاكر لانعامه ما أفضلك

﴿ فصل ﴾

ثم قال الملك للانسي قد سمعتم ما قال وفهمتم ما اجاب فهل عندكم شيء آخر قالوا نعم خصال ومناقب تدل على انهم عبيدنا ونحن ارباب قال وما هي اذكرها قال وحدانية صورتنا وكثرة صورها واختلاف أشكالها فان الرياسة والربوبية بالوحدة أشبه والعبودية بالكثرة اشبه فقال الملك للجماعة ماذا ترون فيما قال وذاكر فاطرقت الجماعة ساعة مفكرة فيما قال

ثم تكلم زعيم الطيور وهو الهزار داستان قال صدق ايها الملك فيما قال ولكن نحن وان كانت صورنا مختلفة كثيرة فنفسنا واحدة وهؤلاء الانس وان كانت صورتهم واحدة فان نفوسهم كثيرة مختلفة قال الملك وما الدليل على ان نفوسهم كثيرة مختلفة قال كثرة آرائهم واختلاف مذاهبهم وفنون دياناتهم وذلك انك تجد فيهم اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين ومن عبدة الاصنام والنيران والشمس والقمر والنجوم والكواكب وغيرها وتجد أيضاً أهل الدين

الواحد مختلفي المذاهب والآراء مثل سامري وغيابي وحالوتي ونسطوري وبعقوبي
وملكاني وشنوي ومانوي وخرمي ومزدكي ويسانى وبهرمي وشمسى وخارجى
وزافضى وناصبى وقدرى وجهى ومعتزلى وسنى وجبري وماشا كل هذه المذاهب
التي يكفر أهلها بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً ويقتل بعضهم بعضاً ونحن من
هذه كلها برآء مذهبنا واحد واعتقادنا واحد وكلنا موحدون مؤمنون مسلمون
غير مشركين ولا منافقين ولا فاسقين ولا مرتابين ولا شاكين ولا متحيرين ولا
ضالين ولا هضابين نعرف ربنا وخالقنا ورازقنا ومحيينا ومميتنا فندسب بوجه ونهلله
ونقدسه ونكبره بكره وعشياً ولكن هؤلاء الاناس لا يفقهون تسبيحهم
فقال الانسى الفارسي نحن أيضاً كذلك ان ربنا واحد وإلهنا وخالقنا
ورازقنا واحد ومحيينا ومميتنا واحد لا شريك له فقال الملك فلم يختلفون في
الآراء والمذاهب والديانات والرب واحد قال لان الديانات والآراء والمذاهب
الما هي طرق ومسالك ومحاريب ووسائل والمقصود واحد من أي الجهات توجهنا
نقم وجه الله قال فلم يقتل بعضهم بعضاً إذ كانت الديانات كلها قصدها واحد وهو
التوجه الى الله.

فقال المستبصر الفارسي نعم أيها الملك ليس ذلك من جهة الدين لان الدين
لا اكره فيه ولكن من جهة سنة الدين الذي هو الملك . قال وكيف ذلك بينه
لى . قال ان الدين والملك اخوان توأمان لا يفترقان ولا قوام لأحدهما الا بأخيه
غير ان الدين هو الأخ المقدم والملك هو الأخ المؤخر المعقب له فلا بد للملك
من دين يدين به الناس ولا بد للدين من ملك يأمر الناس بإقامة سنته طوعاً أو
كرهاً . فاهذه العلة يقتل أهل الديانات بعضهم بعضاً طالباً للملك والرياسة كل
واحد يريد انقياد الناس أجمع لسنة دينه وأحكام شريعته وأنا أخبر الملك وفقه
الله لفهم الحقائق وأذكره بشيء يقين لا شك فيه

قال الملك وما هو ؟ . قال ان قتل النفس سنة في جميع الديانات والملل
والدول كلها غير أن قتل النفس في سنة الدين وهو أن يقتل طالب الدين نفسه.

وفي سنة الملك أن يقتل طالب الملك غيره
فقال الملك أما قتل الملوك غيرها في طلب الملك فبين ظاهر . وأما قتل طالب
الدين نفسه في سائر الديانات فكيف هو ؟

قال نعم ألا ترى أيها الملك أن ذلك سنة دين الاسلام كيف هو بين ظاهر
وذلك قول الله تعالى « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم
الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون »

ثم قال « فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به » . وقال « يجاهدون في سبيل
الله ولا يخافون لومة لائم » . وقال « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً »
وقال في سنة التوراة « فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند
بارئكم » وقال المسيح عليه السلام في الانجيل من أنصاري الى الله قال
الحواريون نحن أنصار الله

فقال استعدوا للقتل والصلب ان كنتم تريدون أن تنصروني وتكونوا معي
في ملكوت السموات عند أبي وأبيكم والا فلستم في شيء فقبلوا وقتلوا ولم
يرتدوا عن دين المسيح

وهكذا يفعل البراهمة من أهل الهند بقتلون أنفسهم ويحرقون أجسادهم
طلباً للدين ويرون ويعتقدون بأن أقرب قربان الى الله تعالى أن يقتل التائب جسده
ويحرق بدنه ليكفر عن ذنوبه يقيناً منه بالمعاد

وهكذا يفعل المانية والمثنوية تمنع أنفسها من الشهوات وتحمل عليها كد
العبادات حتى تقتلها وتخلصها من دار البلاء والهوان

وعلى هذا القياس يوجد حكم سنن أهل الديانات في جعل قتل النفوس
من فنون العبادات وأحكام الشرائع كلها وضعت لطب النفوس وطالب النجاة
من نار جهنم والفوز بالوصول الى نعيم الآخرة دار المعاد والقرار وأخبر
الملك وأذكره أن في أهل الديانات والمذاهب اختياراً وأشراراً ولكن أشر
الأشرار من لا يؤمن بيوم الحساب ولا يرجو ثواب الاحسان ولا يخاف مكافأة

السيئات ولا يقر بوحداية الصانع البارى الحكيم الخالق الرازق المحيى المميت.
المعيد الذى يرجع اليه المرجع واليه المصير

فصل

ثم قال زعيم الهند نحن بنو آدم أكثر من الحيوانات عدداً وأماً وأجناساً
وأنواعاً وأشخاصاً وأعرف بفنون تصاريف أحوال الزمان وما ربه وعجائبه

قال الملك وما يدريك ؟ قال لأن الربع المسكون من الارض يحوي على نحو
سبعة عشر ألف مدينة مختلفة الامم الكثيرة العدد التى لا تعد ولا تحصى فن
تلك الامم التى لا تعد ولا تحصى أهل الهند وأهل الصين وأهل السند وأهل
الزنج وأهل الحجاز وأهل اليمن وأهل الحبشة وأهل نجد وأهل بلاد النوبة وأهل
مصر وأهل بلاد الصعيد وبلاد الاسكندرية وأهل برقة وأهل قيروان ، وأهل
البربر وأهل البوادي وأهل طنجة وأهل بلاد الخالدات وأهل بلاد مردمانه ،
وأهل كيوان وأهل بلاد كله وأهل بلاد الاندلس وبلاد الرومية وبلاد قسطنطينية
وبلاد دجلة وبلاد مقدونية وبلاد برجان وبلاد الصقالبة وبلاد الرومية وبلاد
املاج وبلاد الابواب وبلاد اذربيجان وبلاد ارمينية وبلاد اهل الاسلام وبلاد
اهل الشام وبلاد اهل يونان وبلاد الديارات وبلاد العراق وبلاد خراسان وبلاد
خوزستان وبلاد الجبال وبلاد جيلان وديلمان وطبرستان وبلاد جرجان وبلاد
نيسابور وأهل كرمان وبلاد فارس وبلاد مكران وبلاد كابلستان ومولتان وبلاد
سجستان وبلاد ما وراء النهر وبلاد غور واستادان وباميان وصخارستان وكيلان
وبلاد خوارزم وبلاد ياجوج وماجوج وفرغانه وبلاد صعانيات وبلاد كيماك
وبلاد خاقان وسيستان وبلاد جوجير وبلاد تبت وأهل بلاد جاج وماجين وأهل
بلاد الجزائر والسوادات والجبال والقلوات والسواحل هذه سوى القرى
والاعراب والأكراد وأهل البراري والبوادي والجزائر والغياض والآجام .
وأهل هذه البلاد كلها امم من الانس من بنى آدم مختلفة ألوانهم وألسنتهم وأخلاقهم

وطباعهم وآرائهم ومذاهبهم وصنائعهم وسيرتهم في دياناتهم لا يحصى عددها
 الا الله تعالى الذي خلقهم وأنبأهم ورزقهم ويعلم سرهم ونجواتهم ويعلم مستقرهم
 ومستودعهم كل كتاب في مابين فكثرة عددهم واختلاف أحوالهم وفنون تصارييف
 أمورهم وعجائب ما ربههم يدل على أنهم أفضل من غيرهم وأكرم من سواهم
 من أجناس الخلائق التي في الارض من الحيوانات جميعاً وأنهم أرباب والحيوانات
 عبيد لهم وخول ومماليك ولنا فضائل حمة أخر ومناقب شتى يطول شرحها أقول
 قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

فصل

فلما فرغ الانسي من كلامه نطق عند ذلك الضفدع وقال : الحمد لله الكبير
 المتعال العلي الجبار العزيز الغفار الرحيم القهار خالق الأنهار الجارية والبحار
 الزاخرة المرة المالحة البعيدة القرار الواسعة الاقطار ذوات الامواج والهيجان
 معدن الدر والمرجان وهو الذي خاق في أعماق قرارها الظلمة وأمواجه المتلاطمة
 أصناف الخلائق ذوات الفنون والطوائف فمنها ذوات الجثة العظام والهيأ كل
 الجسم قد ألبس بعضها الجلود الثخان والفاوس المنضدة الصلاب والاصداف
 المجمدة ومنها كثيرة الارجل الدبابة

ومنها ذوات الاجنحة الطيارة ، ومنها ذوات البطون الخميصة المناسبة ،
 ومنها ذوات الرؤوس الكبار والأفواه المفتحة والعيون البراقة والاشداق
 الواسعة والاسنان القاطعة والمخالب الحداد والاجواف الرحبة والجلود المرصعة
 والأذنان الطويلة والحركات الخفيفة والسباحة السريعة

ومنها صغار الجثة ملس القدود بلا آلة ولا أدوات . ومنها قابلة الحركات
 والحس . كل ذلك لأسباب وعلل لا يعلم ولا يعرف كنه معرفتها الا الله الذي
 خلقها وصورها وينشئها ويرزقها ويتممها ويكملها ويبلغها الى أقصى مدى غاياتها
 ومنتهى نهاياتها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مابين لا لمخافة غلظ ولا

احتراز من النسيان لكن لوضوح وبيان

ثم قال الضفدع ذكر هذا الانسى أيها الملك العادل أصناف بنى آدم وعدد طبقاتهم ومراتبهم وأفتخر بها على الحيوانات فلو أنه رأى أجناس الحيوانات من حيوان الماء وشاهد صور أنواعها وعجائب أشكال أشخاصها وطوائف فنون هياكلها لعابن عجائب ولصغر في عينه ما ذكر من كثرة أصناف بنى آدم والامم الكثيرة التي ذكر أنها في المدن والقري والبراري والبلدان وذلك ان في الربع المسكون نحو من أربعة عشر بحراً كبيراً منها بحر الروم وبحر جرجان وبحر جيلان وبحر القلزم وبحر فارس وبحر هند وبحر سند وبحر الصين وبحر أجوج ومأجوج وبحر الاخضر وبحر الغربي وبحر الشمال، وبحر الجنوب، وبحر الشرقي وبحر الحبشة . وفي هذا الربع المسكون نحو من خمسمائة بحر صغار ونحو من مائتي نهر طوال مثل جيحون ودجلة وفرات ونيل مصر ونهر الكروالرس باذربيجان وهار مندوسدسكتان وماشا كل هذه الانهار طول كل واحد من مائة فرسخ الى ألف فرسخ

وأما الأجام والبطائح والغدران والانهار الصغار والسواقي ما لا يعد ولا يحصى . وفي كل هذه من اجناس السموك والسرطانات والكرازنك والسلاحف والكواسج والتماسيح والدلافين وأنواع أخر لا تعد ولا تحصى ولا يعلمها الا الله وقد قيل أنها تسع مائة صورة جنسية سواء أنواعها وأشخاصها وان في البر نحو خمسمائة صورة جنسية ونوعية من أجناس الوحوش والسباع والبهائم والانعام والحشرات والهوام والطيور والجوارح وغيرها من الطيور الانسية . وكل هذه الخلائق عبيد الله تعالى مما ليك له خلقهم بقدرته وصورهم برحمته وأنشأهم ورباهم ورزقهم وحفظهم ورعاهم لا تخفى عليه خافية من أمرهم يعلم مستقرهم وهستودعهم ثم قال الضفدع فلو تأملت واعتبرت فيما كان ذلك أيها الانسى لعلمت وتبين لك بأن افتخارك بكثرة بنى آدم وعدد أصنافهم وطبقاتهم لا يدل على أنهم أرباب وغيرهم عبيد لهم بته

فلما فرغ الضفدع من كلامه قال حكيم من الجن ذهب عليكم يامعشر الانس

من نبي آدم ويا، عشر الحيوانات الأرضية وذوي الأجسام الثقيلة والجثة العظيمة الغليظة والأجرام ذوي الأبعاد الثلاثة من ساكني البحر والبر والجو وخفت عنكم معرفة كثرة الخلائق الروحانية والصور النورانية والأرواح الخفية والأشباح اللطيفة والنفوس البسيطة والصور المفارقة التي مسكنها في فسحة أطباق السموات وسريانها في فضاء سعة عالم الافلاك من أصناف الملائكة الروحانيين الكرويين وحملة العرش أجمعين وما في سعة كرة الاثنين من الأرواح النارية وما في سعة كثرة الزمهرير من قبائل الجن واخوان الشياطين وجنود ابليس أجمعين فلو انكم يامعشر الانس ويا معشر الحيوانات عرفتم كثرة أجناس هذه الخلائق التي ليست بأجسام ذوات أركان ولا أجرام ذوات أبعاد وعلمتم كثرة أنواعها وكثرة صورها وعدد أشخاصها وأشكالها لصغرت في أعينكم كثرة أجناس الحيوانات اجمع من الجسمانية والأشكال الجرمانية والأشكال الجزوية . وذلك لأن مساحة كرة الزمهرير تزيد على مساحة سعة البر والبحر أكثر من عشرة أضعاف .

وهكذا سعة كرة الاثير تزيد على سعة كرة الزمهرير أكثر من عشرة أضعاف

وهكذا سعة كرة فلك القمر تزيد على سعة كرة الجميع أضعافا

وهكذا نسبة فلك عطارذ الى فلك القمر . وعلى هذا المثال حكم سائر الأفلاك السبعة المحيطات بعضها ببعض الى أعلى فلك المحيط وكلها ممتلئة فضاءها وفسحات سمعتها من الخلائق الروحانية حتى انه ليس فيها موضع شبر الا وهناك جنس من الخلائق كما أخبر النبي عليه السلام فانه سئل عن قول الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال عليه السلام ما في السموات السبع موضع شبر الا وهناك ملك مقرب قائم أو راكم أو ساجد لله تعالى

ثم قال الحكيم لو تفكرتم واعتبرتم يامعشر الحيوان والانس فيما ذكرت لعلتم أنكم أقل الخلائق عدداً وأدونهم مرتبة ومنزلة فلا فتخار بالكثرة ايها الانسى لا يدل على انكم ارباب وغيركم عبيد لكم

بل كلنا عبيد الله و جنوده و رعيته مسخر بعضنا لبعض كما اقتضت حكمته و اوجبت ربوبيته فله الحمد على ذلك و على سابغ نعمته حمداً كثيراً
 فلما فرغ حكيم الجن من كلامه . قال الملك سمعنا يا معشر الانس ما ذكرتم
 و ما افتخرتم به ، و قد سمعتم منا الجواب فهل عندكم بيان آخر غير ما ذكرتموه
 فأوردوه و بينوه لنسمع ان كنتم صادقين

﴿ فصل ﴾

فقام عند ذلك الخطيب الحجازي المكي المدني و قال نعم أيها الملك لنا فضائل
 خرى و مناقب حسان تدل على اننا ارباب و هذه الحيوانات عبيد لنا و نحن
 ملاكها و هو اليها .

قال الملك ماهي قال مواعيد ربنا لنا بالبعث و النشور و الخروج من القبور
 و حساب يوم الدين و الجواز على الصراط و دخول الجنان من بين سائر الحيوانات
 و هي جنة الفردوس و جنة النعيم و جنة عدن و جنة الخلد و جنة المأوى و دار
 السلام و دار المقام و دار المتقين و شجرة طوبى و عين السلسبيل و انهار من خمر
 لذة للشاربين و انهار من عسل مصفى و انهار من لبن و ماء غير اسن و بالدرجات
 في القصور و تزويج الحور و مجاورة الرحمن ذي الجلال و الاكرام و التنسم من ذلك
 الروح و الريحان المذكور في القرآن في نحو من سبعمائة آية .

كل ذلك بمعزل عن هذه الحيوانات فهذا دليل على اننا ارباب و هي عبيد لنا
 و لنا مناقب اخر غير ما ذكرنا أقول قولى هذا و استغفر الله لى و لكم

فقام عند ذلك زعيم الطيور و هو الهزار داستان فقال نعم لعمرى ان الامر
 كما قلت أيها الانسى و لكن اذكر أيضاً ما وعدتم به معشر الانس من عذاب
 القبر و سؤال منكر و نكير و أحوال يوم القيامة و شدة الحساب و الوعيد بدخول
 النيران و عذاب جهنم و الجحيم و السعير و لظى و سقر و الحطمة و الهاوية و سراويل
 من قطران و شرب الصديد و أكل شجرة الزقوم و مجاورة مالك الغضبان و جوار

الشياطين مع جنود ابليس اجمعين .

وما هو مذكور في القرآن بمجنب كل آية من الوعد آية من الوعيد كل ذلك لكم دوننا ونحن بمعزل عن جميع ذلك وكما لم نوعد بالثواب لم نوعد بالعقاب . وقد رضينا بحكم ربنا لا لنا ولا علينا كما رفع عنا حسن الوعد صرف عنا خوف الوعيد فتكافأت الأدلة بيننا وبينكم وتساوت الاقدار فما لكم والافتخار .

قال الحجازي وكيف تساوت الاقدار بيننا وبينكم فانا على أي حالة كانت باقون أباد الأبدن ودهر الداهرين ان كنا مطيعين فمع الانبياء والاولياء والأئمة ، والأوصياء والحكماء والاخيار والفضلاء والابدال والزهاد والصالحين والعباد العارفين المستبصرين وأولى الالباب وأولى الابصار وأولى النهي والمصطفين الاخيار والذين هم بملائكة الله الكرام يتشبهون والى الخيرات يتسابقون والى لقاء ربهم يشاققون وفي جميع اوقاتهم عليه مقبلون ومنه يسمعون واليه ينظرون وفي عظمتهم وجلالته يتفكرون وفي جميع الامور عليه يتوكلون واياه يسألون ومنه يطلبون واياه يرجون ومن خشيته مشفقون .

ولو كنا مردودين اذن تتخلص بشفاعة نبينا محمد عليه السلام ونكون باقين في الجنة مع الحور والغلمان والروح والريحان ولقاء الرحمن ونداء الذين أحسنوا الحسنى وزيادة في حقنا قال تعالى « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين »

وأتم يامعشر الحيوانات بمعزل عن جميع ذلك لانكم بعد المفارقة تفسدون وتبلون وتفنون ولا تبقون فهذا دليل على اننا ارباب وأنتم عبيد وخول لنا فقالت حينئذ زعماء الحيوانات وحكام الجن باجمعهم الآن جئتم بالحق ونطقتم بالصواب وقلتم الصدق لان بامثال ما ذكرتم يفتخر به المفتخرون ومثل اعمالهم فليعمل العالمون

وفي مثل سيرهم وأخلاقهم وآدابهم وآرائهم وعلومهم فليرغب الراغبون وفي

ذلك فليتنافس المتنافسون

ولكن خبرونا يا معشر الانس عن أوصافهم وبينوا لنا سيرهم و عرفونا طريق
معارفهم ومحاسن اخلاقهم وصالح أعمالهم ان كنتم صادقين ثم اذكروها ان
كنتم بها عارفين

فسكتت الجماعة حينئذ يتفكرون فلم يكن عند أحد منهم جواب فقال واحد
منهم ان الجنة أعدت للمتقين .

فقام عند ذلك العالم الخبير الفاضل الذكي المستبصر الفارسي النسبة العربي
الدين الحنفي المذهب العراقي الاداب العبراني المخبر المسيحي المنهج الشامي
النسك اليوناني العلوم الهندي البصيرة الصوفي السير الملكي الاخلاق الرباني
الرأي الالهى المعارف الصمداني فقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا
عدوان الا على الظالمين وصلوات الله على خاتم الانبياء وخلاصة الاصفياء محمد
 وآله اجمعين .

ثم قال أيتها الملك العادل وأنتم معشر الجماعة الحضور اعلموا أن هؤلاء
الذين هم أولياء الله وصفوته من خلقه وخيرته من عباده وبريته أوصافا حميدة
وأعمالا زكية وعلوما مفننة وصفاتاً جميلة وأعمالا زكية ومعارف ربانية واخلاقاً
ملكية وسيرة عادلة قدسية واحوالا عجيبة قد كات الالسن عن ذكرها وقصرت
أوصاف الواصفين عن كنه صفاتها واكثر الذاكرون في وصفهم لهم واطال الواعظون
الخطب في مجالس الذكر عن بيان طريقتها ومحاسن اخلاقها طول الازمان
والدهور ولم يبلغوا كنه معرفتها فكيف يأمر الملك العادل في حق هؤلاء الغرباء
وما جوابهم.

فامر الملك أن تكون الحيوانات باجمعهم تحت أوامرهم ونواهيهم ويكونون
مأمورين بالانس حتى يستأنف الدور

ثم بعد ذلك حكم حكماً آخر ثم بعد ذلك قام واحد من خدما الملك ونادى
مناد الا قد سمعتم معشر الحيوانات بيان هؤلاء الانس وقبلتم مقالاتهم ورضيتم

بذلك فانصرفوا آمنين في حفظ الله وأمانه

ثم اعلم أيها الاخ انا قد بينا في هذه الرسالة ما هو الغرض المطلوب ولا تظن بنا ظن السوء ولا تعد هذه الرسالة من ملاعبة الصبيان ومخارفة الاخوان إذ عادتنا جارية على أن نكسوا الحقائق الفاظاً وعبارات وإشارات كيلا يخرج بنا عما نحن فيه وفقكم الله لقرائتها واستماعها وفهم معانيها وفتح قلوبكم وشرح صدوركم ونور بصائركم بمعرفة اسرارها ويسر لكم العمل بها كما فعل بأوليائه وأصفيائه وأهل طاعته انه على ما يشاء قدير وبمنه وجوده ولطفه وكرمه وفضله ورحمته تمت رسالة الحيوانات بعون خالق المخلوقات وبمحمد وآله الأئمة الهداة عليهم من الله أفضل السلام والصلاة ويتلوها رسالة تركيب الجسد .



الرسالة التاسعة

من الجسمانيات الطبيعية

في تركيب الجسد

﴿ وهي الرسالة الثالثة والعشرون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى . آله خير أما يشركون
اعلم أيها الاخ أيديك الله وإيانا بروح منه إنا قد فرغنا من ذكر رسالة
الحيوانات وبيان عجائب هياكلها وغرائب أحوالها والغرض منها هو البيان عن
أجناس الحيوانات وكيفية أنواعها واختلاف صورها وطبائعها وكان لنا أيضاً غرض
آخر من ذلك انا أردنا أن نبين حقائقها بتلك الاشارات والعبارات فلا يخفى على
الحكماء غرضنا في ذلك حسب ما بينا في الفصل المعين عند ذكرنا الملك والملائكة
وكان لنا أن نذكر في هذه الرسالة تركيب جسد الانسان اذ آخر مرتبة الحيوانية
متصل بأول مرتبة الانسانية وغرضنا من هذه الرسالة أن نبين كونا الانسان هو
عالم صغير فنقول :

اعلم وفقك الله ان الانسان اذا ادعى معرفة الاشياء وهو لا يعرف نفسه
بمثله كمثل من يطعم الناس وهو جائع وكمثل من يداوي غيره وهو مريض سقيم
عليل أو كمن يكسو الناس وهو عريان وعورته للناس بادية ما ان يوارئها أو كمثل

من يهدي الناس الى الطريق وهو ضال لا يعرف طريق بيته وقد علمتم ان في هذه الاشياء ينبغي للانسان أن يتدبىء أولاً بنفسه ثم بغيره

واعلموا ان اسم الانسان انما هو واقع على هذا الجسد الذي هو كالبيت المبنى وعلى هذه النفس التي تسكن هذا الجسد وهما جميعاً جزآن له وهو جملتهما والمجموع منهما ولكن أحد الجزئين الذي هو النفس أشرف وهو كالباب او الجزء الآخر الذي هو الجسد كالقشر والانسان هو الذي جملتهما والمجموع منهما ولكن أحد الجزئين الذي هو النفس كالشجرة والآخر كالثمر ومن وجه آخر أحدهما كالركب وهي النفس والآخر كالمركوب وهو الجسد والانسان هو جملتهما كالفرس . فمن أجل هذا يحتاج كل انسان أن يعرف نفسه بالحقيقة ويحتاج في معرفة ذلك الى أن ينظر فيه من ثلاثة أوجه :

أحدها النظر في حالات الجسد ماهو وكيف هو من تركيب أجزائه وتأليف أعضائه وماالصفات المخصوصة به خلواً من النفس

والجهة الثانية النظر في أمر النفس مجردة من الجسد وقواها وماهي وكيف هي وماالصفات المخصوصة بها

والجهة الثالثة النظر في مجموعهما ومايظهر من جملتهما من الاخلاق والافعال والحركات والصنائع والاعمال والاصوات وماشاكل ذلك. وتبتدىء أولاً بذكر حالات الجسد وصفاته بكلام مختصر كما يكون دليلاً على أمر النفس وحالاتها لان حالات الجسد ظاهرة مكشوفة متخيلة مدركة بالحواس وأما أمر النفس وحالاتها فغائب عن ادراك الحواس وباطن في عمق الجسد مستور خفي وانما يدرك بالعقل

فاعلموا أيها الاخوان ان الشاهد من حالات الجسد يدل على الغائب من حالات النفس والظاهر يدل على الباطن والمكشوف على المستور والجلي على الخفي والمحسوس على المعقول وقد قلنا في الرسالة الاولى ان الجسد مؤلف من

اللحم والدم والعظام والعروق والعصب والجلد وماشا كلها وهذه كلها أجسام أرضية مينة مظامة ثقيلة متجزئة متغيرة فاسدة وأما النفس فان جواهرها سماوية روحانية ناطقة نورانية غير ثقيلة ولا متجزئة وغير فاسدة بل متحركة باقية علامة دراية لصور الاشياء وحقائقها

﴿ فصل ﴾

(في كيفية تركيب الجسد وكيفية أخلاط البدن ومزاج الطبائع)

فنعول : اعلم وفقك الله ان البارئ تعالى لما خلق الجسد وسواه ونفخ فيه من روحه وأحياه ثم أسكن فيه النفس وأولاه وكان مثل أساس بنية الجسد وتركيب أجزائه وتأليف أعضائه كمثل أساس بناء مدينة بنيت من أشياء مختلفة كاللحجارة والطين والآجر والنورة والرمال والخشب والاجذاع والحديد وماشا كلها فأحكم بنيتها وشيد بنيانها وحصن سورها وخططت شوارعها وقسمت محالها وزينت مجالسها ورتبت منازلها وملئت خزائنها وأسكنت دورها وسلكت طرقها وأجريت أنهارها وفتحت أسواقها واستعمل صناعاتها وأقعد فيها تجارها وديرها ملكها وخدمة أهلها

وذلك ان الله تعالى لما أراد تركيب الجسد ابتداءً أولاً فاخترع أربع طبائع منفردات متعاديات القوى بسطانها بعضها على بعض ، ثم الف بين كل اثنين منها وأربعة أركان مزدوجات مؤتلفات الطبائع متناسبات القوى من أركانها ثم أسس بنية هذا الجسد من هذه الاربعة الاركان التي هي أساس لبنيانها ثم ابتدأ بنيانها من أربعة أخلاط متعاديات طباعها متناسبات قواها التي هي مجموعات من أصل أركانها .

ثم جمع هذه الاربعة الاخلاط فخلق منها تسعة جواهر مختلفة أشكالها هي ملاك بنيانها ثم الفها وركب بعضها فوق بعض عشر طبقات متصلات بهندامها ثم أسندها وأقامها بمائتين وثمانية وأربعين عموداً مستويات القداً أقرانا ، ثم سمرها

ومد حبالها وشد أوصالها بسبعمائة وخمسين رباطاً ممدودات محتويات ملتفات عليها كالحبال وفصلها حذراً من نقضها ونقصانها ، ثم قدر بيوتها وقسم خزائنها وأودع إحدى عشر خزانة معدورة مملوءة من الجواهر مختلفة أنواعها وألوانها وخط شوارعها وأنفذ طرقاتها وفتح ابوابها وجعل لها ثمانمائة وستين مسلكاً لسكانها واستخرج منها عيوناً وشق فيها أنهاراً هي ثمانمائة وتسعين جدولاً مختلفات في الجهات لجريانها وفتح على سورها اثني عشر روزناً مزدوجات المسالك لجريانها واحكم بناء هذه المدينة على أيدي سبعة صناع متعاونين هم خدامها ووكل بمحفظها خمس حراس حراساً على حفظ أركانها

ثم رفع هذه المدينة في الهواء على رأس عامودين وحركها على ست جهات بمجنحين ، ثم اسكن فيها ثلاث قبائل من الانس والجن والملائكة وجعلهم سكانها ثم رأس عليهم ملكاً واحداً وعلمه اسماء بن فيها وأمر بمحفظها وأوصاه بسياستهم فقال « انبئهم باسمائهم » وأمرهم بطاعته له « فقال تعالى اسجدوا لآدم فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى واستكبر

فأما تفصيل تلك الطبائع المفردات الأربع . الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . والأركان الأربعة المزدوجات الطبائع المتناسبات القوي هي النار والهواء والماء والارض . والاخلاط الأربعة المتعاديات الطبائع هي الصفراء والدم والبلغم والسوداء . والجواهر التسعة هي العظام والمخ والعصب والعروق والدم واللحم والجلد والظفر والشعر

والطبقات العشرة هي الرأس والرقبة والصدر والبطن والجوف والحقو والوركين والفيخذان والساقان والقدمان .

وأما الأعمدة فهي العظام والرباطات هي الأعصاب وأما الخزائن الأحدى عشرة فهي الدماغ والنخاع والرئة والقلب والكبد والطحال والمرارة والمعدة والأمعاء والكليتان والاثنيان والشوارع والطرقات هي العروق الضواريب والأنهار هي الأوردة

وأما الابواب الاثنى عشر فهي العينان والاذنان والمنخران والسبيلان والثديان
والفم والسرة .
وأما الصناعات السبعة فهي القوة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والنامية
والغاذية والمصورة .

وأما الحواس الخمس فهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس
وأما العمودان فهما الرجلان ، وأما الجناحان فهما اليدين
وأما الجهات الست فهي تدام وخاف ويمنة ويسرة وفوق وتحت .
وأما القبائل الثلاث فهي النفس الثلاثة وقواهن وأفعالهن فالنفس الشهوانية
وأخلاقها وأفعالها فهي كالجن والنفوس الحيوانية وأخلاقها وحواسها كالانس
والنفس الناطقة وتمييزها ومعارفها هي كالملائكة والرئيس الواحد هو العقل

فصل

في ان الجسد كالدار وان النفس كالساكن في الدار

اعلم ان النظر في ماهية النفس مجردة من الجسد والتصوير بذاتها خلو منه
عسر جدا على المرتاضين بالرياضات الحكمية فكيف على غيرهم ولكنه اذا نظر
الى ما يظهر من افعالها من الجسد واعتبر تصرف احوالها مع الجسد يسهل
عليه ذلك ويقرب من فهم المتعلمين والتصوير في افكار المتفكرين وجودها وتبين
شرف جوهرها . ونريد ان نبين من ذلك طرفا ونضرب امثالا كما يكون
اوضح للبيان واقرب من فهم المبتدئين وأبلغ للتصوير في افكار المفكرين
فنقول اعلم ان هذا الجسد لهذه النفس هو بمنزلة دار لساكنها بنيت واحكم
بناؤها وقسمت بيوتها وملئت خزائنها وسقفت سطوحها وفتحت ابوابها وعلقت
ستورها واعد فيها كلما يحتاج اليه صاحب المنزل في منزله من الفرش والاوزان
والاثاث والمتاع على اتم ما يكون وأكمله وأتقنه فرجلاه وقيام الجسد عليهما كأساس
الدار ورأسه في أعلا بدنه كالغرفة في أعلا الدار وظهره من خلفه كظهر الدار

ووجهه أمامه كصدر الدار ورقبته وطولها كرواق الدار وفتح حلقومه رجريان الصوت فيه كدهليز الدار وصدرة في وسط بدنه كصحن الدار والأوعية التي في صدره كالبيوت والخزائن في الدار ورئته وبردها كالبيت الصيفي والخيشوم وجريان النفس في الحلقوم كالباداهج وقلبه مع الحرارة الغريزية كالبيت الشتوي ومعدته ونضج الغذاء فيها كالمطبخ وكبدته وحصول الدم فيه كبيت الشراب ومجاري عروقه وجريان الدم والنبض الى سائر أطراف البدن كمسالك الدار وطحاله وحصول عكر على الدم فيه كخزانة الاثاث ومرارته ووحدة الصفراء فيها كبيت السلاح وجوفه والحجب التي فيه كبيت الحرم وأمعائه وثقل الطعام فيها كبيت الخلاء ومثانته وحصول البول فيها كبيت البول وسبيله في أسفل البدن. كمجاري الدار وعظامه وقوام الجسد عليها كالحيطان في الدار والعصب الممدودة على المفاصل كالأجذاع والعوارض على الحيطان. ولحمه في خلل العظام والعصب كالملاط وأضلاعه كالأسطين في الدار والتجويفات التي في جوف العظام كالصناديق والأدراج والمخ فيها كالجواهر والمتاع في الأدراج والثقب التي في رؤوسها كرواشن في غرف الدار وتنفسه كالدخان ووسط دماغه كالايوان وحدثام كبيت العرض والغشاوات التي بينهما كالستور وفيه كباب الدار وأنفه كطابق باب الدار وشفته كصراعي الباب وأسنانه كالدرابزين ولسانه كالخاجب وعقله في وسط دماغه كالمملك القاعد في وسط العرصة وصدر الدار والمجلس وحواسه الباطنة كالندماء وحواسه الظاهرة كالجند والجواسيس وعيناه كالديديبان وأذناه كأصحاب الاخبار ويدها كالحدام وأصابعه كالصناع وبالجملة ما من عضوي الجسد الا وله مثال من فعل رب المنزل

ثم أن هذا الجسد لهذه النفس من جهة أخرى بمنزلة دكان الصانع وأن جميع أعضاء الجسد للنفس بمنزلة اداة الصانع في دكانه وان النفس بكل عضو من أعضاء الجسد تظهر ضرورياً من الأفعال وفنوناً من الأعمال كما أن الصانع بكل اداة يعمل ضرورياً من الأعمال وفنوناً من الحركات كالنجار فانه ينحت بالفأس وينشر

بالمشاش ويثقب بالمتقب ويبرد بالمبرد وينقر بالمنقار
وهكذا الحداد فانه ينفخ بالمنفاخ ويأخذ بالكيتبر ويترك بالمطرقة
وعلى هذا القياس سائر الصناعات كل واحد منهم يعمل بأدوات مختلفة أعمالاً
مختلفة وحركات متباينة .

فهي كما حال النفس تبصر بالعينين وتسمع بالأذنين وتشم بالمنخرين وتذوق
باللسان وتتكلم بالشفيتين واللسان وتمس باليدين وتعمل الصنائع بالأصابع وتمشى
بالرجلين وتبرك على الركبتين وتتعد على الاليتين وتنام على الجنين وتستند بالظهر
وتحمل الأثقال على الكتفين وتفكر بوسط الدماغ الأشياء وتنخيل بمقدم
الدماغ المحسوسات وتحفظ بمؤخر الدماغ المعلومات وتصوت بالملقوم وتستنشق
الهواء بالخياشيم وتقطع الطعام بالأسنان وتزدد بالمري وما شاكل ذلك
وبالجملة ما من عضو في الجسد الا وللنفس فيه ضرب من الأفعال وفنون
من الأعمال

ثم اعلم ان هذا الجسد لهذه النفس الساكنة فيه يشبه مدينة عامرة بأهلها
مأنوسة بسكانها وحالات الجسد تشبه حالات المدينة وتصرف النفس يشبه
تصرفات أهل المدينة فيها

وذلك أن لهذا الجسد أعضاء ومفاصل تشبه المحال في المدينة . وفي تلك
الأعضاء والمفاصل أوعية ومجار تشبه المنازل في المحال . وفي تلك الأوعية
والمجاري حجب وأغشية تشبه البيوت في منازل الأسواق في المحال والدكاكين
في الأسواق

بيان ذلك أن الاعضاء والمفاصل تشبه المحال في المدينة فالرأس وما حوى
والصدر وما وعى والبطن وما ملئ والرجلان والبدن

وأما الأوعية والمجاري التي تشبه المنازل في المحال فالدماغ والقلب والرئة
والطحال والمرارة والمعدة والمصارين والأمعاء والكليتان والعروق . وأما الحجب

والاغشية التي تشبه البيوت في المنازل والدكاكين في الاسواق فالتجوينات التي في الدماغ والرئة والتي في القلب والتي في العظام وغير ذلك

فصل

ثم اعلم ان في هذه النفس الساكنة في هذا الجسد قوى طبيعية وأخلاقاً غريزية منبثة في أعضاء هذا الجسد تشبه قبائل أهل تلك المدينة وشعوبها النازلين في المحال بتلك المدينة وان لتلك القوى وتلك الاخلاق أنعلا وحركات منبثة في أوعية هذا الجسد ومجاري مفاصله تشبه أفعال أهل تلك المدينة في منازلهم وحركاتهم في طرقها وأعمالهم في أسواقهم فأما القوى الطبيعية والاخلاق الغريزية التي تشبه القبائل والشعوب فهي ثلاثة أجناس

فمنها قوى النفس النباتية ونزعاتها وشهواتها فضائلها وورذائلها ومسكنها الكبد وأفعالها تجري مجرى الاوراد الى سائر أطراف الجسد ومنها قوى النفس الحيوانية وحركاتها وأخلاقها وحواسها وفضائلها وورذائلها ومسكنها القاب وأفعالها تجري مجرى العروق للضوارب الى سائر أطراف الجسد ومنها قوى النفس الناطقة وتميزاتها ومعارفها وفضائلها وورذائلها ومسكنها الدماغ وأفعالها تجري مجرى الاعصاب الى سائر أطراف الجسد

ثم اعلم ان هذه النفوس الثلاث ليست متفرقات متباينات بعضها من بعض ولكنها كلها كالقروع من أصل واحد متصلات بذات واحدة كاتصال ثلاثة أغصان من شجرة واحدة تتفرع من كل غصن عدة قضبان ومن كل قضيب عدة أوراق وثمار أو كعين واحدة ينشق منها ثلاثة أنهار كل نهر ينقسم عدة أعمدة كل عمود عدة جداول أو كقبيلة واحدة يتشعب منها ثلاثة شعوب من كل شعب يتفرع عدة بطون من كل بطن عدة أفخاذ وعشائر أو كرجل يعمل ثلاثة صنائع تسمى بثلاثة أسماء فيقال حداد نجار بناء اذا كان يحسن الثلاثة أو كرجل يقرأ

ويكتب ويعلم فيقال قاريء كاتب معلم لان هذه الاسماء تقع على الفاعل بحسب ما يظهر منه من الافعال والحركات والصنائع والاعمال

فكذا أمر النفس فانها واحدة بالذات وانما تقع عليها هذه الاسماء بحسب ما يظهر منها من الافعال وذلك اذا فعلت في الجسم الغذاء والنمو فتسمى النفس النامية ، واذا فعلت في الجسم الحس والحركة والنقلة فتسمى النفس الحيوانية ، وإذا فعلت الفكر والتمييز فتسمى النفس الناطقة

ثم اعلم ان لكل عضو من اعضاء الجسد قوة من قوى النفس مختصة بها وهي تدبر ذلك العضو وتعمل به افعالا خلاف ما تفعل قوة اخرى من عضو آخر وان تلك القوة تسمى نفساً لذلك العضو المختصة به

مثال ذلك القوة الباصرة فانها تسمى نفس العين والقوة السامعة تسمى نفس الاذن . والقوة الذائقة تسمى نفس اللسان . والقوة الشامة تسمى نفس الانف وعلى هذا القياس سائر الاعضاء للقوى التي تدبرها وتعمل بها

ثم اعلم ان هذه النفوس الثلاث الاجناس وقواها كالانواع وافعال تلك القوى الاشخاص

فأما القوى التي هي كالانواع فهي خمسة وعشرون نوعاً اربعة منها مفردات كرؤساء وسبعة منها متعاونات كالصناع والاعوان وخمسة كالجلايين وثلاثة مناولات كالخدم وثلاثة هن كالارباب وثلاثة هن كالامراء

واما افعالها اعني افعال هذه القوى التي هي كالأشخاص فكثيرة لا يحصى عددها الا الله . ولكن نذكر من ذلك طرفاً ليكون دليلاً على الباقي وذلك ان افعال هذه القوى بعضها يشبه افعال الاشراف والرؤساء في المدينة وبعضها يشبه افعال التجار والباعة وجلاي الامتعة الى المدينة وبعضها يشبه افعال العيارين والمفسدين في المدينة . وبعضها يشبه افعال السلطان والجند المقاتلين في المدينة وبعضها يشبه افعال القضاة والعدول والمصلحين في المدينة وبعضها يشبه

أفعال الصبيان والعبيد والنساء والحمقاء وبعضها يشبه أفعال الشياطين والفتيان والجهال وبعضها يشبه أفعال العلماء والفقهاء وأهل الدين

وأما تنصيل ذلك فنقول أن القوى الأربعة المفردات التي هي كالرؤساء فهي قوى النفس النباتية وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وعليها تدور حالات الجسد من الصلاح والفساد . وذلك أن أفعال هذه القوى في أعضاء الجسد إذا هي اعتدلت وتساوت استقام امر البدن على الصحة والسلامة تشبه أفعال الامراء والاشراف والرؤساء الذين هم ملاك المدينة وأربابها وبهم قوام أمر المدينة وصلاحها واستدامة أحوالها وأفعال هذه القوى عند ورود الطعام والشراب الى الجسد وتناول كل واحدة من هذه القوى وما شاكلها من الغذاء على ما ينبغي تشبه أفعال أهل تلك المدينة في أخذهم وعطائهم وبينعهم وشرائهم وانصافهم في معاملاتهم فيما بينهم . وأفعالها إذا كانت على غير ما ينبغي تشبه أفعال أهل تلك المدينة إذا تنازعوا فيما بينهم وتخاصموا في مطالباتهم وتظالموا في معاملاتهم وافعال هذه القوى المميزة التي تقسم بين كل عضو ما يشاكله من الغذاء لتسوي القوى وتعديل الاخلاط في بنية الجسد تشبه أفعال القضاة والعدول والمصلحين في المدينة بين الناس

وأما أفعال هذه القوى إذا هجن وتعادين وأدخلن السقم والمرض على الجسد فتشبه أفعال العيارين وأصحاب العصبية إذا هاجوا وأثاروا الفتن وتقاتلوا وأحرقوا الاسواق وخربوا المنازل ونهبوا الأموال وأفسدوا في المدينة

وأما أفعال هذه القوى عند ورود الدواء والاشربة واخراج فضول الاخلاط من الجسد فتشبه أفعال الساطان والجند إذا قاتلوا العيارين وسكنوا الفتنة وأخذوا الدعار وقطعوا أيديهم وأخرجوهم من المدينة

وأما أفعال هذه القوى عند خروج فضول الاخلاط من الجسد وذهاب الامراض واصلاح حال الجسد بعد السقم فيشبه أفعال رؤساء أهل تلك المدينة

اذا تصالحوا فيما بينهم وتهادنوا وأصلحوا ما أفسد العيارون من حالات المدينة وعمرروا ما خربوا منها

وأما القوى التي هي كالارباب فهي القوة الشهوانية والقوة الغضبية والقوة الناطقة فأفعال القوة الشهوانية في أعضاء الجسد اذا لم ترأسها وتلزمها القوة الغضبية تشبه أفعال النساء والصبيان والحمقى اذا لم يرأسهن أزواجهن ولم يؤدبهن آباؤهم ومواليهم

وأما القوة الغضبية اذا لم ترأسها وتلزمها القوة الناطقة فتشبه أفعال الشياطين والشبان والجهال والسفهاء اذا لم يرأسهم عقلاؤهم ويلزمهم مشايخهم ولم يأمر وينهي عليهم مشايخهم

وأما أفعال القوة الناطقة اذا لم يرأسها ويلزمها العقل فتشبه أفعال العلماء والقراء اذا تنازعوا في أحكام الدين واختلفوا فيها وصاروا ذو مذاهب كثيرة ومقالات اذا لم يرأسهم امام عادل من خلفاء الانبياء عليهم السلام

وأما القوى الخمس التي هي كالخشار والجلالين فهي الحواس الخمس فمنها القوة السامعة الداركة للاصوات ومجراها الاذنان ، ومنها القوة الباصرة المدركة للانوار والالوان والاشكال ومجراها الحدقتان ، ومنها القوة الذائقة ومجراها اللسان ، ومنها القوة الشامة المدركة للروائح ومجراها في المنخرين ، ومنها القوة اللامسة المدركة للخشونة واللين والصلابة والرخاوة والبرودة والرطوبة واليبوسة ومجراها في الاعصاب وفي جميع الجسد وأفعال هذه القوى في ادراكها صور المحسوسات من خارج الجسد وحملها الى القوة المتخيلة التي في مقدم الدماغ تشبه أفعال الخشار والجلالين الذين يحملون الامتعة من النواحي والحوائح ويحملونها الى المدينة ويعرضونها على التجار

وأما القوى الثلاث المتناولات التي هي كالتجار والباعة فهي القوة المتخيلة ومسكنها مقدم الدماغ والقوة المفكرة ومسكنها وسط الدماغ والقوة الحافظة ومسكنها مؤخر الدماغ

فأما أفعال القوة المتخيلة وتناولها رسوم المحسوسات من الحواس ودفعها الى القوة المفكرة فتشبه أفعال السماسرة والباعة المدين يكونون في عرصات المدينة والاسواق

وأما أفعال القوة المفكرة وتناولها رسوم المحسوسات وتميزها وتفصيل بعضها من بعض ودفعها الى القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ فتشبه أفعال التجار والذين يشترون الامتعة ويحملونها الى البيوت والدكاكين والخانات وأما أفعال القوة الحافظة وتناولها رسوم الاشياء من القوة المفكرة وحفظها وامساكها الى وقت التذكار فتشبه أفعال الخزان والوكلاء والمحتكرين ومن شا كلهم وأما القوى الثلاث اللواتي كالامراء فالقوة الغضبية والقوة الشهوانية والقوة الناطقة وقد بينها

وأما القوى السبع المتعاونة وهي التي أفعالها في أعضاء الجسد فتشبه أفعال الصناع في أسواق المدينة وهي القوة الجاذبة والقوة الماسكة والقوة الهاضمة والقوة الدافعة والقوة الغازية والقوة المصورة والقوة النامية وذلك ان هذه القوى بعضها يخدم بعضاً كما يخدم التلامذة الاستاذين والأجراء المستأجرين وبعضها يعاون بعضاً كما يعاون الصناع بعضهم بعضاً في الاسواق كتعاون الحدادين للنجارين والنجارين للبنائين وكتعاون الحلاج للنداف والنداف للغزالين والغزالين للنساج والنساج للخياطة وماشا كل ذلك

فان كل واحد من هؤلاء يهيء صناعة صاحبه ويعطيها له فكذا أفعال هذه في أعضاء هذا الجسد وتعاون بعضها بعضاً فيما يفعلون وذلك ان القوة الجاذبة من شأنها جذب الطعام والشراب الى المعدة وجذب الكيموس من المعدة الى الكبد وجذب الدم من الكبد الى العروق ومن العروق الى سائر اطراف الجسد

ومن شأن القوة الماسكة امساك ما يرد على العضو من الاخلات
ومن شأن القوة الهاضمة أن تنضج ذلك الخلط هيئته للقوة والغازية

ومن شأن القوة الدافعة أن تدفع من العضو ما لا يصلح له من الاخلاط الى عضو آخر
ومن شأن القوة النامية الغذائية أن تلتصق بكل عضو ما يشاء من مادة الغذاء
ومن شأن القوة النامية أن تناول المادة وتزيد في أقطار ذلك العضو
ومن شأن القوة المصورة أن تأخذ من كل عضو ما يفضل من تلك المادة
وتصور مثل ذلك وهذه القوة مختصة بالرحم

وهذه القوى السبعة أفعالها كثيرة في اعضاء الجسد في كل عضو ضروب
من الصنائع بخلاف ما في أي عضو آخر وتشبه أفعال الصنائع في اسواق المدينة
ونذكر منها طرفاً ليكون دليلاً على الباقي

من ذلك ان افعالها في المعدة من جذب الطعام والشراب اليها وامساكها وهضمها
ونضجها بالحرارة الغريزية تشبه افعال الخبازين والطباخين وما شاكلهم في اسواق
المدينة وأفعالها بعد نضج الكيموس في المعدة وتصفيته واستخراج لطيفها من
الطعم واللون والرائحة الحلاوة والدسومة وتمييزها ودفعها الى الكبد ودفع
عكرها الى الامعاء تشبه افعال العطارين اللذين يستخرجون الشيرج من ثمر
الاشجار والادهان من حبوب النبات والزبد والسمن من لبن الحيوان في أسواق
المدينة وأفعالها في الكبد وطبخها صفو الكيموس مرة ثانية ونضجها حتى يكون
دما قرمزياً ثم تصفيته بعد ذلك وتمييزه ودفعها عكر الدم الى الطحال والمحترق
اللطيف الى المرارة والرقيق المائي الى المثانة والمعتدل الصافي الى القلب تشبه
افعال الخلاقين والدباسين والذين يعملون الجلاب والسكنجيين وما شاكل ذلك
في اسواق المدينة

وأفعالها في القلب في تلطيف الدم مرة ثالثة وتصفيته واجرائها في العروق
تشبه أفعال الذين يعملون الماورد ويصعدون الخل ويقطرون الرطوبات اللطيفة
وما شاكلها في أسواق المدينة

وأفعالها في الدماغ وتلطيفها الدم الذي يصعد اليها حتى يصير رطوبة لطيفة

روحانية كالذي يجري في عصاري الاذنين والعينين والمنخرين واللسان والبخارات
الذي يكون منها التحليل

واتفاعلات الحواس تشبه أفعال الذين يعملون الادهان اللطيفة كدهن البنفسج
ودهن النيلوفر والزيتون وما شا كلها في أسواق المدينة
وأفعالها في دفع ثقل الكيموس من المعدة الى الامعاء والمصارين واخراجها
من الجسد تشبه افعال الكناسين والزبالين والسادين وافعالها في اجرائها الدم
في الاوراد الى سائر الاطراف الجسد تشبه افعال الذين يحفرون الانهار والآبار
والاقلية لتجري فيها المياه خلل المنازل في المدينة
وافعالها في تعقيد الدم وتجنيف المادة حتى تصير لحمًا وشحمًا وعظمًا وما
شا كاه تشبه أفعال الذين يعقدون المائعات من الناطفين والحلوانيين والعجانين
وما شا كلهم

وأفعالها في تجنيف المادة وتصلبها حتى تصير عظاماً تشبه أفعال الذين يطبخون
الآجر والخزف والزجاج وما شا كلها

وافعالها في تسوية عظام الساقين والفخذين والزراعين وما شابه ذلك تشبه
أفعال النجارين الذين ينجرون الاساطين وقوائم الاسرة وما شا كل ذلك
وافعالها في تركيب مفاصل الركبتين والفخذين والذراعين والاصابع يشبه
تركيب نومادجات المفاتيح والصناديق وما شا كله

وأفعالها في تركيب خرزات الظهر والرقبة والاضلاع تشبه افعال الذين
يبنون السماريات والسفن وما شا كل ذلك وافعال ذلك في تركيب عظام القحف
وهندامها تشبه افعال الصغارين والذين يعملون القماقم والاباريق في تركيبها
وأفعالها في خلقة الاسنان وتركيبها وترصيعها تشبه أفعال النحاتين الذين يعملون
خرزة الدواليب والارحية وندانجاتها

وأفعالها في خلقة الاعصاب وتمديدها وقتلها ولفها على الاعضاء تشبه أفعال
الغزالين والحبالين والمقتلين ومن شا كلهم

وأفعالها في خلقة الجلود والغشاوات تشبه أفعال الخاكة والنساجين ومن

شاكلهم

وأفعالها في الحام الجراحات والقروح تشبه أفعال الرفاتين والجرازين والخياطين.

وأفعالها في نبت الشعر على الجلد تشبه أفعال الزراعين والغراسين ومن شاكلهم.

وأفعالها في خلقة الاظفار تشبه أفعال الذين يعملون المساحيء والمجاوف

والرفائش وما شاكل ذلك

وأفعالها في خلقة الكروش والامعاء والمصارين تشبه أفعال الذين يعملون

الطنافس والمسوح والغليظ من الثياب وأفعالها في خلقة الحجب والامعاء تشبه

أفعال الذين ينسجون ثياب القطن والكتان وما شاكل ذلك

وأفعالها في خلقة الغشاوات التي في العينين تشبه أفعال الذين ينسجون

الحرير والرقيق من الثياب

وأفعالها في تبيض العظام وتحمير اللحم وتضمير الشحم وتسويد الشعر

تشبه أفعال الصباغين والمزوقين والدهانين

وأفعالها في الرحم وتصوير الجنين وخلقة الفراخ في البيض تشبه أفعال

المصورين والنقاشين وأصحاب اللعب وما شاكل ذلك

فان قال قائل من الاطباء والطبيعيين ان هذه كلها أفعال الطبيعة فليعلم ان

القدماء قد قالت ان الطبيعة فعل النفس وان قال قائل من الشرعيين ان هذه

كأها للخالق البارئ يفعل ما يشاء ويصور كما يريد فليعلم أيضاً ان النفس من

فعل البارئ تبارك وتعالى وانما ذكرنا هذه الافعال ونسبناها الى النفس لأن

البارئ تعالى لا يباشر الافعال بذاته بل يصدر منه على سبيل الامر والكيما ينتبه

الانسان من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ويفكر في نفسه ويشاهد هذه العجائب

في الاسرار ويعلم بأن الصانع عليم حكيم وان المصنوع مبدع لهذا الحكيم لان

بالمصنوع المحكم المتقن تتبين للصانع الحكيم حكمته ويستدل عليها كما قال الله

تعالى « وفي أنفسكم أفلا تبصرون »

وان من الموجودات كلها موضوع الله لان حكمته تعالى وصنعه تبين
بالمصنوعات المحكمة والموجودات المرتبة « وفي أتمسكم » آيات الله وأسراره
ومصنوعاته وعجائبه « أفلاتبصرون » أيها الغافلون وأفلاتنظرون أيها الجاهلون
وبالجملة ان هذا الجسد مع النفس وانبثاث قواها في جميع أعضائه الباطنة
والظاهرة واظهار أفعالها وفنون حركاتها في مجاري مفاصله وحواسها في مجاري
ثقب رأسه في حال اليقظة تشبه مدينة عامرة مأنوسة لساكنها قدفتحت أبوابها
وسلكت طرقها وقعدت تجارها واشتغل صناعها وسمى متعيشوها وتحركت
حيوانها وسمع منها دوي حيواناتها

وان حال هذا الجسد في وقت النوم وهدوء الحواس وسكون الحركات
تشبه حال تلك المدينة بالليل اذا أغلقت أسواقها وتعطل صناعها وخلت طرقها
ونام أهلها وسكنت حركاتهم وهدأت أصواتهم

وأيضاً حال الجسد عند مفارقة النفس له تشبه حال تلك المدينة اذا رحل
عنها أهلها وخلت من ساكنيها وباد جيرانها وبقيت خراباً وصارت مأوى للسباع
والبوم ثم تساقطت حيطانها وخرت سقوفها وصارت تلالاً ورواب لا تبين فيها الا
الحجارة والآجر والطين والتراب ، كذلك حال الجسد عند الموت الذي هو فراق
النفس اياه وهو فراق لا يكون الوصل بعده ولنعم ما قيل : مامن صباح يصبح
العباد فيه الا وملك ينادي كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب ، ثم ان الجسد
يتغير وينتفخ ويصير مأوى الديدان والذباب والنمل ثم يبلى ويصير تراباً لا يتبين
الا العظام والعصب تلوح كما تلوح الحجارة في تلك المدينة وأجرها « منها
خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » « واليه يرجع الامر كله
فاعبده وتوكل عليه وماربك بغافل عما تعملون »

وفقك الله وإيانا وجميع أخواننا للسداد وهداك وإيانا سبيل الرشاد انه

رؤوف رحيم بالعباد

﴿ تمت رسالة تركيب الجسد وتتلوها رسالة الحاس والمحسوس ﴾

الرسالة العاشرة

من الجسمانيات الطبيعية

في الحاس والمحسوس

في تهذيب النفس واصلاح الاخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آله خير أما يشركون

فصل

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيديك الله وإيانا بروح منه انه لما فرغنا من تركيب جسد الانسان وبيان ان الانسان عالم صغير وأن بنية هيكله تشبه مدينة فاضلة وان نفسه تشبه ملكا في تلك المدينة فريد الآن أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً من المعلومات فنقول :

ان علم الانسان بالمعلومات يكون من ثلاثة طرق : أحدها طريق الحواس الخمس الذي هو أول الطرق ويكون جمهور علم الانسان ويكون معرفته بها من أول الصبا ويشترك الناس كلهم فيها وتشاركهم الحيوانات والثاني طريق العقل الذي ينفصل به الانسان دون سائر الحيوانات ومعرفته به تكون بعد الصبا عند البلوغ

والثالث طريق البرهان الذي يتفرد به قوم من العلماء دون غيرهم من الناس وتكون معرفتهم بها بعد النظر في الرياضيات الهندسية والمنطقية

وقد بينا لم صارت طرق العلوم ثلاثة في آخر هذه الرسالة ونريد أن نذكر الآن طرق الحواس الخمس ونصف كيفية ادراك القوى الحساسة لمحسوساتها ولكن قبل ذلك ينبغي أن نذكر الامور المحسوسة التي هي كلها أعراض جسمانية وبها يكون الجسم محسوساً ونضبط أيضاً كيفيةها لانها أبين وأوضح وأقرب من فهم المبتدئين المتعلمين ثم نذكر بعد ذلك النفس وقواها الحساسة التي هي كلها أمور روحانية لطيفة غامضة بعيدة عن فهم المبتدئين بالنظر في العلوم والمعارف الحقيقية فنقول

اعلم وفقك الله انه لما كانت الامور المحسوسة كلها أعراض جسمانية داخلية عليه بعد كونه جسماً احتجنا أن نذكر الجسم المطلق ونصفه بما هو جسم حسب ثم نذكر بعد ذلك الاعراض الداخلة التي هي كلها صفات زائدة على كونه جسماً فنقول ان الجسم جوهر مركب من الهيولى والصورة حسب . والدليل على ذلك قول العلماء في حد الجسم هو الشيء الطويل العريض العميق والشيء هو الجوهر وهو الهيولى والطول والعرض والعمق هي الصور ، والجسم بهذه الصفات يكون جسماً لا بأنه جوهر لان النفس والعقل أيضاً هما جوهران لا يوصفان بالطول والعرض والعمق فهذا أحد الفروق بين الجواهر الجسمانية والجواهر الروحانية ثم اعلم أن كل صفة يوصف بها الجسم بعد الطول والعرض والعمق هي صفات زائدة داخلية عليه بعد كونه جسماً وتسمى الصورة المتممة

مثال ذلك قول الحكماء ان الجسم لا ينفك عن الحركة والسكون والاجتماع والافتراق وان يكون مظلماً أو مضيئاً وان يكون مشفأً أو غير مشفأ وان يكون حاراً أو بارداً أو ان يكون رطباً أو يابساً وان يكون خفيفاً أو ثقيلاً وان يكون صلباً أو رخواً وان يكون خشناً أو ليناً وان يكون ذا طعم ولون ورائحة وما شأ كلها من الصفات التي كلها أعراض داخلية في الجسم زائدة بعد كونه جسماً متممة له فنحتاج أن نذكر ونصف هذه الاعراض والصفات واحدة واحدة

فنتول أن هذه الاعراض والصفات كلها صورة متممة للجسم مبلغة الى افضل غاياته وان بعضها بالجسم أولى من بعض وذلك ان السكون أولى بالجسم من الحركة والاجتماع أولى به من الانتراق والظلمة أولى من النور والمكان أولى من الزمان

بيان ذلك ان الجسم بالسكون أولى من الحركة هو ان الجسم ذو جهات ستة ولا يمكنه أن يتحرك الى جميع الجهات دفعة واحدة وايسر حركته الى جهة أولى من جهة فاذا السكون أولى به من الحركة فاما كون بعض الاجسام متحرك دائماً مثل الافلاك والنار فهو أمر آخر على كونه جسماً

وقد بينا في رسالة الهيولى ان الحركة هي صورة روحانية داخلية على الجسم متممة له وأما السكون فهو عدم تلك الصورة .

واما الاجتماع والانتراق الذي يقال ان الجسم لا ينفك من احدهما فليس ذلك من حيث هو جسم ولكن من حيث تشخص بعض الاجسام وذلك ان جسم العالم باسره لا يفترق بعرضه عن بعض ولا يجتمع مع غيره لانه ليس الا عالم واحد وانما الاجتماع والافتراق لاشخاص الحيوانات والنبات والمعادن ولبعض اجزاء الامهات التي تحت فلك القمر .

فاما ما يقال في الكواكب انها تجتمع أو تفترق فليس لذلك حقيقة لان كل كوكب هو ملازم لفلكه أو درجته الذي هو فيها، وان معنى اجتماعها هو أن يصير بعضها موازياً لبعض على خط واحد وهو الخط الذي يخرج من ابصارنا الى الفلك المحيط

وأما ما يقال ان الجسم لا ينفك من المكان فليس ذلك الا من أجل ان الكواكب والافلاك لما كان بعضها محيطاً ببعض قيل له محيط انه مكان المحيط به .

وقد بينا اختلاف العلماء في ماهية الزمان والمكان في رسالة الهيولى وأما ما قيل من ان الجسم لا ينفك من الزمان فليس ذلك من حد الجسم ولكن

من أجل الحركة وذلك أن الزمان ليس شيء سوى حركة الفلك بالتكرار في دورانه كما بينا في رسالة الهيمولي

فأما ما قيل أن الجسم لا ينفك من أن يكون مظلماً أو نيراً فليس هذه قسمة صحيحة ولكن يقال أن بعض الاجسام مظلم وبعضها نير وبعضها لا شيء ولا مظلم ولكن مشف وذلك أن المظلم من الاجسام ما يكون له والنير الذي لا ظل له والمشف هو الذي يقبل الضوء تارة والظلمة تارة

ثم اعلم انه ليس في العالم من الاجسام ماله ظل غير الارض والقمر حسب ولكن وجه القمر صقيل يرد النور ويقبله ، ووجه الارض غير صقيل يعرف حقيقة ما قلنا أهل الصناعة الناظرون في علم المجسطي

وأما الاجسام النيرة فليس في العالم الا جنسان : الكواكب والنار التي عندنا وأما النار التي تحت فلك القمر التي تسمى الاثير فايست بنيرة لانها لو كانت تيرة لمنعت عنا ضوء الكواكب كما يمنع ضوء أحد سراجين عن ابصارنا ضوء الاخر اذا كانا على خط واحد وأحدهما خلف الآخر.

وأما الاجسام المشفة فهي الافلاك والنار والهواء والماء وبعض الاجسام الارضية مثل البلور والياقوت والزجاج وما شا كل ذلك .

والجسم المشف الذي ليس له لون طبيعي ، واللون الطبيعي هو ما كان ملازماً للجسم كسواد العين وبياض الثلج وصفرة الزعفران وحمرة العصفرو خضرة النبات . وأما اللون العرضي فهو كالزرقعة التي ترى في الجو وفي عمق الماء القعير وقد جعل الله عز اسمه زرقعة الجو وخضرة النبات صلاحاً لابصار الحيوان لان هذين اللونين مقويان للابصار وكل الحيوان محتاج في دائم الاوقات بالنظر الى الجو في مسالكه والى النبات في طلب معاشه

وأما الحرارة في بعض الاجسام فهي من أجل غليان أجزاء الهيمولي وفورانها بالحركة الخفيفة

وأما البرودة في بعضها فهي من أجل سكون تلك الاجزاء أو جود ذلك الغليان

وأما الرطوبة في بعض الاجسام فهي من أجل اختلاط الاجزاء المتحركة مع الاجزاء الساكنة .

وأما اليبوسة في بعضها فهي من أجل حركة تلك الاجزاء كلها أو سكونها كلها ، ومن أجل هنا صارت النار حارة يابسة من أجل ان أجزاء الهیولی فيها كلها متحركة ، وصارت الارض باردة يابسة من أجل ان أجزاء الهیولی كلها ساكنة ، وصار الماء والهواء رطبين لان أجزاء الهیولی فيهما بعضها متحرك وبعضها ساكن ، وليكن الاجزاء الساكنة في الماء أكثر والاجزاء المتحركة في الهواء أكثر فصار الهواء من أجل هذا حاراً رطباً وصار الماء بارداً رطباً

وأما الثقل والخفة في بعض الأجسام فهو من أجل ان الاجسام الكليات كل واحد له موضع مخصوص ويكون واقعاً فيه لا يخرج إلا بقسر قاسر واذا خلى رجع الى مكانه الخاص به ، فان منعه مانع وقع التنازع بينهما ، فان كان النزوع نحو مركز العالم يسمى ثقلاً ، وان كان نحو المحيط يسمى خفيفاً . وقد بينا في رسالة السماء والعالم كيفية ذلك

وأما الصلابة في بعض الاجسام ، فمن أجل غلبة البرد واليبس عليه وقد بينا ماهية البرد واليبس في رسالة الكون والفساد

وأما الرخاوة في بعضها فمن أجل غلبة الاجزاء المائية على الاجزاء الارضية وأما الخشونة في بعض الأجسام فمن أجل أن وضع الاجزاء الذي في ظاهر سطحه متفاوت بعضها مرتفع وبعضها منخفض كالمبرد وما شابهه

وأما كون بعضها أملس فمن أجل وضع تلك الاجزاء في سطح واحد كوجه المرأة وما شاكله . واذا فد فرغنا من ذكر الاجسام وأعراضها المحسوسة الحائلة فيها بقول وجيز فلنذكر الآن آلات الحواس الخمس ومواضع مجارى القوى الحساسة فيها الروحانية

* فصل *

فنعول أولاً ما الحواس الخمس ، وما القوى الحساسة ، وما الحس ، وما الاحساس ، وما المحسوسات ؟ جواب ذلك

فاعلم أن الحواس هي آلات جسدانية وهي خمس : العين ، والاذن ، واللسان والانف ، واليد . وذلك ان كل واحد منها عضو من الجسد وأما القوى الحساسة فهي قوى روحانية نفسانية يختص كل منها بعضو من أعضاء الجسد كما بيننا بعد هذا الفصل

وأما المحسوسات فالأشياء المدركة بالحواس والمدركة بالحواس هي أعراض حالة في الاجسام الطبيعية مؤثرة في الحواس مغيرة لكيفية مزاجها والحس هو تغيير مزاج الحواس عن مباشرة المحسوس لها والاحساس هو شعور القوى الحساسة لتغيرات كيفية امزجة الحواس

بيان ذلك أن القوة الباصرة مجراها في العينين وهي مستبطنة الحدقتين في الرطوبة الجلدية ، والقوة السامعة مجراها في الاذنين وهي مستبطنة الصماخين مما يلي البطن المؤخر من الدماغ والقوة الشامة مجراها في المنخرين وهي مستبطنة الخياشيم مما يلي البطن المقدم من الدماغ والقوة الذائعة مجراها الفم وهي مستبطنة في رطوبة اللسان والقوة اللامسة مجراها في عامة سطح بدن الحيوان الرقيق الجلد ولكنها في الانسان أظهر وخاصة في الانملة كما قيل الانامل حكمة البدن وهي مستبطنة في الجلدين الذين أحدهما ظاهر البدن والآخر مما يلي

واعلم أن المحسوسات كلها خمسة أجناس منها المدركات بطريق اللمس ، وهي عشرة أنواع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة واللين والصلابة والرخاوة والخفة والثقل

والجنس الثاني المدركات بطريق الذوق التي هي الطعوم وهي تسعة أنواع الحلاوة ، والمرارة ، والملوحة ، والدسومة ، والمجوضة ، والحرافة ، والعفوصة ، والعدوبة والقبوضة ،

والجنس الثالث هي الروائح المدركة بطريق الشم . وهي نوعان الطيب والنتن
والجنس الرابع هي الاصوات المدركة بطريق السمع وهي نوعان حيوانية
وغير حيوانية . وهذه نوعان طبيعية وآلية . والحيوانية نوعان : منطقية وغير
منطقية . والمنطقية نوعان . دالة وغير دالة

والجنس الخامس هي المبصرات المدركات بطريق البصر وهي عشرة أنواع :
الانوار ، والظلم ، والالوان والسطوح والاجسام ، نفسها ، وأشكالها ، وأوضاعها
وابعادها ، وحركاتها

واذ قد فرغنا من تعدد أجناس المحسوسات بقول وجيز فلنذكر الآن
كيفية ادراك القوى الحساسة لمحسوساتها واحداً واحداً ونبتدىء أولاً بقوة اللمسة
ووصفها لان ادراكها للمحسوسات كان ادراكها لجسمانياً تختم بوصف القوة الباصرة
لان ادراكها لمحسوساتها كان ادراكاً روحانياً

❖ فصل ❖

في كيفية ادراك القوة اللمسة للحرارة والبرودة

اولاً هو ان مزاج بدن الحيوان في دائم الاوقات يكون على قدر ما من
الحرارات والبرودات فاذا لاقاه جسم آخر فلا يخلو أن يكون ذلك الجسم
أشد حرارة من البدن وأشد برودة منه أو مساوياً له في ذلك فان كان اشد
حرارة منه زاد سخونة ما عند ملاقاته إياه وإن كان ابرد منه زاد برودة ما
فتحس القوة اللمسة بذلك التغيير والاستحالة فتؤدي خبرها إلى القوة المتخيلة
التي مسكنها مقدم الدماغ . وان كان ذلك مساوياً لمزاج البدن في الحرارة
والبرودة جميعاً فلا يغير منه شيئاً ولا يؤثر فيه ولا تحس القوى بشيء ولكن
لا يخلو ذلك الجسم من ان يكون اخشن من البدن أو ألين منه فتحس القوة
بذلك التغيير والاستحالة وان كان مساوياً أيضاً في هاتين الصفتين فلا يؤثر فيه
شيئاً ولا يقع الحس فيه ولكن لا يخلو ذلك الجسم من أن يكون أشد صلابة

من البدن وأشد رخاوة منه فيؤثر فيه فتحس القوة بذلك التغيير وقل ما يوجد جسمان يكونان متساويين في هذه الصفات الستة من الحرارة والبرودة واللين والخشونة والصلابة والرخاوة

وأما كيفية ادراك هذه القوة والصلابة والرخاوة فهو أن بدن الحيوان متى صده جسم آخر فلا يخلو من أن يقع أحدهما في الآخر فان وقع التغيير في ذلك الجسم مثل ما يغمر الاصبع في العجين فتحس القوة بذلك اللين فتؤدي خبره الى القوة المتخيلة فان وقع التغيير في البدن مثل ما يغمر الاصبع على الحديد فتحس القوة بالصلابة فتؤدي خبرها الى القوة المتخيلة

وأما كيفية ادراك هذه القوة الخشنة والملاسة فهو كما قلنا ان الاجزاء التي في ظاهر سطوح الأجسام اذا كان وضعها متفاوتاً بعضها مرتفع وبعضها منخفض يكون ذلك جسماً خشناً اذا كان صلباً .

واذا كان وضعها كلها في سطح واحد فاذا تلاقيا جسمان أملسان أنطبق السطحان المتماسان أحدهما على الآخر بلا خلل بينهما واذا كانا غير أملسين أو أحدهما فلا ينطبقان لانه يبقى بينهما خال .

وأما بدن الحيوان فاذا لاقاه جسم صلب ردت الاجزاء الناتئة منه بضع أجزاء البدن الى داخله فيصير سطح البدن خشناً فتحس القوة بذلك التغيير فتؤدي خبره الى القوة المتخيلة واذا لاقاه جسم أملس رد ما كان من أجزاء البدن ثانياً الى داخله فيصير سطح البدن أملس فتحس القوة بذلك التغيير

فهذا الباب يختلف بحسب اختلاف مزاج أعضاء البدن وذلك ان الانسان اذا وضع يده على ثوب فوجدته ليناً ثم مسحه على خده وجمده خشناً لان خد الانسان أبداً ألين لمسا من يده في أكثر الاوقات

وكذلك لو مسح يده على مسح فوجدته خشناً ثم مسحه برجله لوجدته ليناً لان الرجل أخشن من اليد .

وكذلك اذا دخل الانسان الحمام وهو مقرر وجد البيت الاول حاراً واذا

خرج من البيت الحار وجده بارداً لان المزاج قد تغير به أفلا ترى أن وجدان القوة اللامسة محسوساتها بحسب اختلاف مزاج البدن من الحر والبرد والخشونة واللين والصلابة والرخاوة وبحسب اختلاف احوال المحسوس لان القوة مختلفة في ذاتها وجوهرها .

وأما كيفية ادراك هذه القوة : الرطوبة واليبوسة فهو ان البدن اذا لاقاه جسم يابس تنشف رطوبة البدن ونداوته فتحس القوة بذلك التغير واذا لاقاه جسم رطب زاده رطوبة ونداوة .

وأما كيفية ادراك هذه القوة للثقل والخفة فهو عند الدفع والجذب والحمل تحس بها وقد يختلف الثقل والخفيف بحسب قوة البدن فان من الحيوان ما يحمل مثل وزن بدنه اضعافا كالمثل .

ومن الحيوان ما لا يقدر ان يحمل غير وزن بدنه . وقد بينا في الرسالة التي ذكرنا فيها خواص الحيوانات الغرض والعلة في ذلك .

فصل

وأما كيفية ادراك الذائقة لمحسوساتها التي هي الطعوم حسب ، وهي تسعة أنواع أولها الحلاوة الملائمة لمزاج اللسان ، والثاني المرارة المنافرة لمزاج اللسان ، والثالث الملوحة والرابع الدسومة ، والخامس الحموضة ، والسادس الحرافة ، والسابع العفروسة ، والثامن العذوبة ، والتاسع القبوضة

فادراكها هو أن تنصل رطوبة هذه الطعوم برطوبة اللسان فتمتزجان فيعتبر مزاج اللسان بحسب ذلك الطعم ان كان حلواً فحلواً وان كان مرراً فمرراً وان كان حامضاً فحامضاً وغيرها من الطعوم فيحس بذلك وليس الحس شيء أكثر من أن يصير مزاج الحاس مثل المحسوس بالكيفية حسب ، والاحساس ليس شيء أكثر من شعور النفس بتغيير تلك الامزجة

وأما كيفية ادراك القوة الشامة لمحسوساتها التي هي الروائح وهي نوعان

طيب ، ومنتن ، فهو ان الاجسام ذوات الروائح يتحلل منها في دائم الاوقات بخارات لطيفة تمتزج مع الهواء مزاجا روحانيا ويصير الهواء مثلها في الكيفية ان كان طيبا فطيبا وان منتنا فمنتنا .

فالحيوان الذي له رئة يستنشق الهواء دائما لترويح الحرارة الغريزية التي في القلب فيدخل ذلك الهواء في منخريه ويبلغ الى خياشيمه فيصير ذلك الهواء الذي هناك أيضا مثلها في الكيفية فتحس القوة الشامة بذلك التغيير فتؤدي خبرها الى القوة المتخيلة فان كانت الرأحة طيبة استلذتها الطبيعة وان كانت منتنة كرهتها ونفرت منها.

وقد تختلف في مشام الحيوانات الروائح في المدة والكرهية اختلاف التضاد وذلك ان من الحيوانات ما يستلذ رائحة السماد والجيف مثل الخنازير وبنات وردان والذباب وما شاكلها ومنها ما يكره الرائحة الطيبة . وذلك ان الخنفساء اذا دفنت في الورد غشى عليها حتى لا تتحرك فاذا اراد المرید أن تعيش ردت الى السماد فعاشت وتحركت

ومن الناس أيضا من بهذا الوصف مثل السامدين والكناسين فانه يحكى ان كناسا جاز في سوق العطارين فغشى عليه حتى ظنوا انه قدمات فر عليه طيب فراه وعرف حاله وسبب غشيته فأمر باتيان رجيع يابس فأمر بدقه وسعط فعطس من ساعته وأفاق .

ومن المرضى من هو أيضا بهذا الوصف مثل ما يغلب الصفراء عليه فانه يتأذى برائحة المسلك ويستلذ رائحة الطين وهذا الاختلاف يكون بحسب مزاج الابدان وبحسب الخلط الغالب عليه

وهذه الثلاث القوى التي تقدم وصفها تدرك محسوساتها ادراكا جسمانيا بالماسة وأما القوة السامعة والقوة الباصرة فانها يدركان محسوساتها ادراكا روحانيا قطعاً .

* فصل *

في ادراك القوة السامعة

أما ادراك القوة السامعة لمحسوساتها التي هي الاصوات فاعلم ان الاصوات نوعان حيوانية وغير حيوانية وهي نوعان طبيعية وآلية فالطبيعية الحجر والحديد والخشب والرعد والرياح وسائر الاجسام التي لاروح فيها من الجامدات ، والآلية كصوت الطبل والبوق والزمروالاوراق وماشاكلها وهو هواء يتقلب بين جسمين متصادمين بعنف فيصك الهواء الراكد في آلة السمع وتحت أنواع كثيرة

والحيوانية نوعان منطقية وغير منطقية فغير المنطقية هي أصوات سائر الحيوانات الغير الناطقة، والمنطقية هي أصوات الناس وهي نوعان دالة وغير دالة فغير الدالة كالضحك والبكاء وبالجملة كل صوت لاهجاء له والدالة هي كالكلام والاقاويل التي لها هجاء وهي تقطيع الصياح بانضمام أجزاء النغم فتحدث منه حروف كما تضم الشفتين بنوع ما فتحدث الباء وتضم بنوع آخر فتحدث الميم وكل هذه الاصوات إنما هي قرع يحدث في الهواء من تصادم الاجسام وذلك ان الهواء لشدة لطافته وخفة جوهره وسرعة حركته أجزاءه يتخلل الاجسام كلها فاذا صادم جسم جسم انسل ذلك الهواء من بينهما بحمية وتدافع وتموج الى جميع الجهات فحدث من حركته شكل كروي واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجاج فيها أو الماء الساكن اذا القى فيه حجر فيتزاحم الماء حتى يبلغ الى أطراف الغدير وكما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه الى أن يسكن ويضمحل فمن كان حاضراً من الناس وسائر الحيوانات التي لها أذن بالقرب من ذلك المكان تموج ذلك الهواء الذي هناك فحست عند ذلك القوة السامعة بتلك الحركة والتغيير

واعلم ان كل صوت له نغمة وصيغة وهيئة روحانية خلاف صوت الآخر وان الهواء من شرف جوهره ولطافة عنصره يحمل كل الصوت بهيئة وصيغة

ويحفظها لئلا يختلط بعضها ببعض فتفسد هيأتها الى أن يبلغها أقصى مدى غايتها عند القوة السامعة لتؤديها الى القوة المتخيلة ذلك تقدير العزيز العليم الذي جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاما تشكرون

﴿ فصل ﴾

في ادراك القوة الباصرة

أما كيفية ادراك القوة الباصرة لمحسوساتها التي هي عشرة أنواع : أولها الانوار والظلمة والالوان والسطوح والاجسام أنفسها وأشكالها وأبعادها وحركاتها وسكونها وأوضاعها ، فالمدرك من هذه الانواع بالحقيقة والذات النور والظلمة حسب ، الا ان الظلمة شيء يرى ولا يرى بها شيء آخر والنور هو الذي يرى ويرى به شيء آخر

أولها الالوان ولما كانت الالوان لا توجد الا في سطوح الاجسام صارت السطوح مرئية بها ولما كانت السطوح أيضاً لا توجد الا في الاجسام صارت مرئية بتوسط سطوحها ، ولما كانت الاجسام أيضاً لا تخلو من الاشكال والاوزاع والابعاد والحركات صارت هذه كلها مرتبة بالعرض بالذات

ثم اعلم ان النور والظلمة لوانان روحانيان وان السواد والبياض لوانان جسمانيان وان النور مشا كل للبياض وان الظلمة مشا كة للسواد وذلك ان البياض يلوح على سائر الالوان كما ان في النور ترى سائر المرئيات وعلى السواد لا تتبين الالوان وفي الظلمة لا يرى شيء

ثم اعلم ان النور والظلمة يسريان في الاجسام المشفة كسريان الروح في الجسد وينسلان منها بلا زمان ولكن الضوء اذا سرى في الاجسام المشفة حمل معه ألوان الاجسام وأوصافها التي تقدم ذكرها حملاً روحانياً وحفظها بهيأتها حتى لا يختلط بعضها ببعض فيفسد هيأتها كما حمل الهواء الاصوات بهيأتها كما وصفنا

قبل حتى يبلغها الى أقصى مدى غاياتها عند القوة الباصرة المستنبطة في الرطوبة الجليدية التي في الحدقتين

ثم اعلم ان الحدقتين هما من أحد الاجسام المشفة وهما مرآتا الجسد وذلك انهما رطوبتان مغطاتان بغشائين شفافين وهما غشاء القرنية ويعرف هذا الاصل من كان خبيراً بصناعة الطب فاذا سرى الضوء في الاجسام المشفة وحمل معه ألوان الاجسام الحاضرة واتصل بحدقتي الحيوان الحاضرة هناك وسرى فيهما كسريانه في سائر الاجسام المشفة انطبعت الجليدية بتلك الالوان كما ينطبع الهواء بالضياء فعند ذلك تحس القوة الباصرة بذلك التغيير فتؤدي خبره الى القوة المتخيلة كما تؤدي سائر القوى الحساسة أخبار محسوساتها . ومن يتعجب من وصفنا كيفية حمل الالوان أشكال الاجسام حملاً روحانياً وكيفية حمل الهواء الاصوات أيضاً مثل ذلك فلا ينبغي أن ينكرها من أجل انه لا يتصورها فان حمل القوى الحساسة صور المحسوسات أعجب وأشد روحانية وقد بينا ذلك في رسالة العقل والمعقول وكيفيةتها .

وقد ظن كثير من أهل العلم ان ادراك البصر المبصرات انما يكون بشعاعين يخرجان من العينين وينفذان في الهواء وفي الاجسام المشفة ويدركان هذه المبصرات وهذا ظن من لارياضة له بالامور الروحانية ولا بالامور الطبيعية ولو ارتاض فيها لبان له صحة ماقلنا ووصفنا

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم أن هذه القوة الحساسة ليست هي من أجزاء النفس كما أن الحواس كل واحد منها عضو من الجسد وجزء منه ولكن كل واحد منها هي النفس بعينها وانما وقعت عليها هذه الاسماء المختلفة من أجل اختلاف أفعالها وذلك أنها اذا فعلت الابصار سميت الباصرة واذا فعلت الاسماع سميت السامعة واذا فعلت الذوق سميت الذائقة

وهكذا اذا فعلت في الجسم النمو سميت النامية . واذا فعلت في الجسم الحس والحركة سميت حيوانية . واذا فعلت الفكر والتمييز سميت ناطقة وعلى هذا القياس سائر الاسماء التي يقع عليها بحسب اختلاف افعالها واختلاف افعالها بحسب اختلاف أعضاء الجسد كما أن اختلاف أفعال الصانع يكون بحسب اختلاف أدواتهم فان النجار يذبح بالنمأس وينشر بالمشار . وكذلك الحداد يطرق بالمطرقة ويبرد بالمبرد . وعلى هذا المثال سائر الصناعات تختلف افعالهم في صناعاتهم بحسب اختلاف أدواتهم فهكذا تختلف أفعال النفس في الجسد بحسب اختلاف أعضائه لأن أعضاء الجسد للنفس بمنزلة أدوات الصانع

﴿ فصل ﴾

في كيفية وصول آثار المحسوسات الى القوة المتخيلة

التي مجراها مقدم الدماغ حسب ما تبين هاهنا

فنقول أنه ينتشر من مقدم الدماغ عصبات لطيفة لينة تتصل بأصول الحواس وتتفرق هناك وتنسج في أجزاء جرم الدماغ كنسج العنكبوت . فاذا باشرت كيفية المحسوسات من أجزاء الحواس وتغير مزاج الحواس عندها وغيرها عن كفيياتها وصل ذلك التغيير في تلك الاعصاب التي في مقدم الدماغ والتي منشؤها من هناك كلها فتجتمع آثار المحسوسات كلها عند القوة المتخيلة كما يجتمع رسائل أصحاب الاخبار عند صاحب الخريطة فيوصل تلك الرسائل كلها الى حصرة الملك ثم ان الملك يقرؤها ويفهم معانيها ثم يسلمها الى خازنه ليحفظها فيحفظها الى وقت الحاجة اليها

فهكذا حكم القوة المتخيلة اذا اجتمعت عندها آثار هذه المحسوسات التي أدت اليها القوة الحساسة دفعتها الى القوة المفكرة التي مسكنها وسط الدماغ لتتنظر فيها وترى في معانيها وتعرف حقائقها ومضارها ومنافعها ثم تؤديها الى القوة الحافظة لتحفظها الى وقت التذكار

فصل

في بيان المحسوسات بعضها بالذات وبعضها بالعرض

فنقول : اعلم ان الانسان اذا رأى ثمرة من بعيد يعلم من وقته انها حلوة أو مرة أو طيبة الرائحة أو منتنة أو انها خشنة أو لينة أو صلبة رخوة أو حارة أو باردة أو رطبة أو يابسة وليس علمه بهذه الصفات كلها بطريق البصر ولكن بالقوة المفكرة وبرؤيتها وتجاربها وما جرت لها به العادة .

وكذلك اذا أخطأ في حكم شيء من هذه فليس الخطأ من قبل الباصرة .
ولكن من قبل المفكرة اذا حكمت من غير روية ولا اعتبار .

مثال ذلك اذا رأى انسان السراب فظن انه الماء فليست الباصرة هي المخطئة .

ولكن المفكرة حكمت بان ذلك المتلون يناله اللمس والذوق وهو جسم سيال رطب فلما جاءه لم يجده بهذا الوصف فبان خطأها فسبيل المفكرة اذا أدت اليها المتخيلة أثر حاسة واحدة الا تحكم أو تستخبر حاسة أخرى فان شهدت لها حكمت عند ذلك بانها كيت وكيت .

مثال ذلك اذا رأت الباصرة تفاحة معمولية من الكافور مصبوغة كالون .

التفاح فاوردت خبرها الى المتخيلة فاوردتها هي الى المفكرة فليس سبيلها أن تحكم أن طعمها ورائحتها وملمسها مثل التفاحة التي هي الثمرة أو تستخبر قوة الذائقة والشامة واللامسة .

فاذا اخبرت كل واحدة منها بما لها أن تخبر به حكمت عند ذلك المفكرة بانها

كيت وكيت حتى يكون حكمها صواباً لا خطأ فيه

ثم اعلم أن من أجل هذه العلة منعت القوة الناطقة بان تعبر على السنة الاطفال .

حكم شيء من معاني المحسوسات لان المفكرة بعد لم تحكم معانيها ولم يميزها تمييزاً صحيحاً ، فاذا مضت سنون التربية ودفع القمر التدبير الى عطارده صاحب المنطق والتمييز أطلق لسان المولود بالعبارة والبيان عن معاني المحسوسات التي أدت الحاسة الى المفكرة

فصل

في ماهية اللذة والألم والتعب والراحة وكيفية ادراك الحواس فنقول : اعلم ان الحيوانات في دائم الاوقات لا تخلو من اللذة والألم والتعب والراحة لان ابدان الحيوانات مركبة من مزاج الالميات الاربعة وهي الاخلاط الاربعة وهي متضادات الطباع من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهي كلها في التغير والاستحالة بين الزيادة والنقصان وهما يخرجان المزاج تارة من الاعتدال الى الزيادة في أحد الاخلاط والطباع أو الى النقصان في واحد منها واللذة هي رجوع المزاج الى الاعتدال بعد ما كانت خارجة عنه فن أجل هذا لا يحس الحيوان باللذة الا بعد ما يتقدمها ألم .

واعلم ان كل محسوس يخرج المزاج من الاعتدال فان الحاسة تكرر له وتأنم منه وكل محسوس يرد المزاج الى الاعتدال فان الحاسة تحبه وتلتذ به ثم اعلم ان الراحة هي الثبات على الصحة والاعتدال وان التعب هو التردد بين الألم واللذة .

ثم اعلم أن من نظر في هذه الرسالة وتفكر فيما وصفنا من كيفية أحوال هذه الحواس والمحسوسات تبين له بان المحسوسات كلها أعراض جسمانية وهي صور في الهيولى وان ادراك النفس لها بقواها الخمس الحساسة بطريق الحواس وان الحواس هي آلات جسدانية وان الحس إنما هو تغيير مزاج تلك الحواس عن مباشرة المحسوسات لها وان الاحساس إنما هو شعور القوى الحساسة بتغييرات تلك الامزجة

فصل

في ذكر القوى الخمس الروحانية

فنقول اعلم وفقك الله ان للنفس الانسانية خمس قوى أخر روحانية سيرتها غير سيرة الخمس الحساسة الجسمانية وهي القوة التخيلية والمفكرة والحافظة

والناطقة والصانعة وذلك بادراكها رسوم المعلومات ادراكا روحانيا من غير هيولاها .

فأما الحساسة فلا تدرك محسوساتها الا في الهيولى كما بينا قبل

وأيضاً فان هذه القوى الروحانية تتناول رسوم المعلومات بعضها من بعض على غير سيرة الحساسة ، وذلك ان القوى الحساسة كل واحدة منها مختصة بادراك جنس من المحسوسات كما بينا وذلك ان الباصرة لا تدرك الاصوات ولا الطعوم ولا الروائح ولا المموسات الا الالوان

وكذلك السامعة لا تدرك الالوان ولا الطعوم ولا الروائح ولا المموسات ولا الاصوات ، وهكذا الشاة والذائقة واللامسة كل واحدة لا تشارك غيرها في محسوساتها.

وأما القوى الخمس الروحانية فانها كالمعاونات في ادراكها رسوم المعلومات وذلك ان القوة المتخيلة اذا تناولت رسوم المحسوسات كلها وقبلتها في ذاتها كما يقبل الشمع نقش الفص فان من شأنها أن تناولها كلها الى القوة المفكرة من ساءتها ، فاذا غابت المحسوسات عن مشاهدة الحواس لها بقيت تلك الرسوم بصورة صورة روحانية في ذاتها كما يبقى نقش الفص في الشمع المختوم مصوراً بصور روحانية مجردة عن هيولاها فيكون عند ذلك لها كالهيولى وهي فيها كالصورة

ثم ان من شأن القوة المفكرة أن تنظر الى ذاتها وتراها معاينة وتترولى فيها وتميزها وتبحث عن خواصها ومنافعها ومضارها ثم تؤديها الى القوة الحافظة لتحفظها الى وقت التذكار

ثم ان من شأن القوة الناطقة التي مجراها على اللسان اذا أرادت الاخبار عنها والانباء عن معانيها والجواب للسائلين عن معلوماتها القت لها الفاظاً من حروف المعجم وجعائها كالسمات لتلك المعاني التي في ذاتها وعبرت عنها للقوة السامعة من الحاضرين

ولما كانت الاصوات لا تتمكث في الهواء الا ريثما تأخذ المسامع حظها ثم
تضمحل احتالات الحكمة الالهية بان قيدت معاني تلك الالفاظ بصناعة الكتابة
ثم ان من شأن القوة الصانعة أن تصوغ لها من الخطوط الاشكال بالإقلام
وتودعها وجوه الالواح ويطون الطوامير ليبقى العلم مفيداً فائدة من الماضين
للغابرين وأثراً من الاولين للآخرين وخطاباً من الحاضرين للغائبين وهذه من
جسيم نعم الله عز وجل على الانسان كما ذكر جل ثناؤه فقال :
« اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم
الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم »

فصل

في العلة التي من أجلها صار علم الانسان بالمعلومات من ثلاثة طرق
فنقول انه لما كان الانسان من جملة مجموعة بدن جسماني ونفس روحانية صار
ينفسه الروحانية يدرك العلم كما انه بجسده الجسماني يعمل الصانع .
ولما كانت النفس في الرتبة الوسطى من الموجودات كما بينا في رسالة المبادئ
وذلك ان من الاشياء ماهو أعلى وأشرف من جوهر النفس كالباري تعالى والعقل
والصور المجردة من الهيولي الذين هم ملائكة الله المقربين
ومنها ماهو أدون من جوهر النفس كالهيولي والطبيعة والاجسام أجمع فصارت
معرفة النفس بالاشياء التي دونها في الشرف بطريق الحواس التي هي المباشرة
والمتماسة والمخالطة والاحاطة .

وأما ما كان أشرف منها وأعلى فصارت معرفتها لها بطريق البرهان الذي
يضطر العقول الى الاقرار به من غير احاطة ولا مباشرة وصارت معرفتها بذاتها
وجوهرها بطريق العقل لان نسبة العقل الى النفس كنسبة الضوء من البصر
وكنسبة المرآة الى الناظر فيها فكما ان البصر لا يرى شيئاً من الاشياء الا بالضوء
كالا انسان لا يرى وجهه الا بالمرآة والنظر فيها ، كذلك النفس لا تنظر ذاتها
الا بنور العقل ولا تعرف حقائق الموجودات الا بالنظر الى العقل .

وانما يتسنى للنفس النظر الى العقل بعين البصيرة اذا هي انفتحت وانما تنفتح
لها عين البصيرة اذا هي انتبهت من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ونظرت بعين
الرأس الى هذه المحسوسات وفكرت في معانيها واعتبرت احوالها حتى تعرفها
حق معرفتها .

فمن أجل هذا قدمنا رسالة الحاس والمحسوس على رسالة العقل والمعقول
فاعتبر يا أخي هذه الامور التي وصفنا وتفكر في معانيها وحقائقها تنبته من نوم
الغفلة ورقدة الجهالة وتنفتح عين البصيرة فتعاین في ذاتها صور الاشياء وتبين
في جوهرها معاني الموجودات لانها معادن العلوم كلها ومأوى الحكمة كما قال
الحكيم الفاضل ان العلوم كلها في النفس بالقوة فاذا فكرت في ذاتها وعرفتها
صارت العلوم كلها فيها بالفعل .

تمت رسالة الحاس والمحسوس ويتلوها رسالة مسقط النطفة والحمد لله على
جزيل عطائه وصلواته على خير انبيائه محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين والعترة
الطاهرة من أبنائه وسلم تسليما .



الرسالة الحادية عشرة

من الجسمانيات الطبيعية

في مسقط النطفة

﴿ وهي الرسالة الخامسة والعشرون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى . آله خير أما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيديك الله وإيانا بروح منه بأن الحكمة الالهية دبرت والعناية الربانية قدرت مكث كل واحد وكل حادث في الكون زماناً معلوماً وهو مقدار ما تفيض الاشكال الفلكية قواها كل واحدة بحسب قبول أشخاص ذلك النوع من الكائنات التي تحت فلك القمر لا يعلم تفصيلها الا الله عز وجل ولكن نذكر منها طرفاً ليكون دليلاً على الباقي

من ذلك مكث الانسان في الرحم من يوم مسقط النطفة الى يوم خروج الجنين يوم الولادة ثمانية أشهر ٢٤٠ يوماً الذي هو المكث الطبيعي وأما الذي يزيد على هذا المقدار وينقص عنه فلعلل وأسباب يطول شرحها ونريد أن نذكر تأثيرات الكواكب السبعة في النطفة وفي الجنين واحداً واحداً وشهرأشهرأ ليعلم قياًساً على سائر المواليد من الحيوانات والحوادث والكائنات وقبل

ذلك محتاج أن نذكر أحوال الكواكب السبعة ذكراً مجملاً إذ كانت هي العلة
الموجبة لاختلاف أحوال الكائنات

واعلم يا أخي بأن كل كوكب فله في فلكه ، أعني فلك تدويره ، أربعة أحوال
ومن الشمس أربعة أحوال وللفلك تدويره في فلك الحامل أربعة أحوال وفي فلك
البروج أربعة أحوال فلك ستة عشر حالاً جنسية فإذا ضربت في مثلها كانت
مائتين وستة وخمسين حالاً نوعية فإذا ضربت ذلك في ثلاثمائة وستين درجة كانت
اثنين وتسعين ألفاً ومائة وستين حالاً شخصية

فأما تفصيل أحوال الكواكب في أفلاك تدويرها فهي أن تكون صاعدة
إلى ذراواتها أو هابطة من هناك أو راجعة أو مستقيمة وأما أحوالها من الشمس
فهي أن تكون مقارنته لها أو مقابلة لها أو مشرقة منها أو مغربة
وأما أحوال أفلاك التدوير في الأفلاك الحاملة فهي أن تكون مراكزها
في الأوج أو في الحضيض أو صاعدة من الحضيض إلى الأوج أو هابطة من
الأوج إلى الحضيض

وأما فلك البروج فهي أن تكون ذاهبة من الهبوط إلى الشرف أو من الشرف
إلى الهبوط أو تكون في البروج الشمالية أو الجنوبية أو في المعوجة أو في
المستقيمة أو يكون عرضها وميلها في الجنوب أو في الشمال أو يكون عرضها في
الجنوب وميلها في الشمال أو عكس ذلك وكل هذه الأحوال تختلف تأثيراتها في
الكائنات بحسب الأزمان والأماكن والأجناس والأنواع اختلافاً كثيراً لا يحصى
عدده إلا الله عز وجل ولكن نذكر طرفاً منه

واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه بأن جميع الكائنات التي تحت فلك
القمر ثلاثة أجناس وهي الحيوانات والنبات والمعادن وهي الأصول المحفوظة في
الهيولى صورتها

وأما الأنواع فهي أقسامها المتفرعة منها وأما الأشخاص فهي أعيانها التي
هي دائمة في الكون والفساد والسيلان وأما هيولائها فهي الأركان الأربعة التي

هي النار والهواء والماء والارض . وأما الصانع الفاعل لها فهي النفس الكلية الفلكية السارية في محيط الافلاك باذن خالقها وبارئها ومصورها . وأما الكواكب فهي كالادوات للصانع ذلك تقدير العزيز العليم

فصل

في كيفية اعتبار أفعال الطبيعة في الاركان الاربعة وتأثيرات النفوس
وفي المولدات الكائنات تحت فلك القمر

اعلم يا أخى أيدك الله وايانا بروح منه بأنك اذا دخلت أسواق المدن ونظرت بعيني رأسك الى الصانع البشريين ورأيتهم كيف يعملون صنائعهم في الهيمولى الموضوعه لهم كما بينا في رساله الصنائع العملية فينبغى أن تنظر عند ذلك الى القوى الطبيعية التى هي نفوس جزئية منبثه من النفس الكلية الفلكية السارية في الاركان التى هي لها كالهيمولى الموضوعه والى أشخاص الحيوان والنبات والمعادن التى هي مصنوعاتهما والى الكواكب التى هي كالادوات لها فلعلك تبصر بنور عقلك وترى بصفاء جوهر نفسك القوى الروحانية السارية في هذه الاجسام وتعاين كيفية افعالها فيها وبها ومنها فتعرف عند ذلك نفسك لانها واحدة منها واعلم بأن مثل الاركان الاربعة التى هي الامهات في جوف الفلك كالابن في الوعاء وحركات الكواكب من محيط الافلاك كالخض به والكائنات عنها كالزبدة المجتمعة من لطائفها

ثم اعلم انه اذا تمخضت الاركان من تحريك الاشخاص الفلكية لها واجتمع من لطائف زبدتها شيء وشخص وامتاز عن البسائط ربطت به في الوقت والساعة قوة من قوى النفس الكلية الفلكية في أي مكان كان ذلك الشيء من البر والبحر والهواء والنار في اي وقت كان من الزمان وتشخص تلك القوة وتمتاز عن سائر القوى لتعلقها بتلك الزبدة واختصاصها بتلك الجملة فعند ذلك تسمى تلك القوة نفساً جزئية وعند ذلك تقع الاشارة الى تلك الجملة لانها حادث كائن حيواناً كان او نباتاً او معدناً

واعلم يا أخي أنه لا بد من أن يكون ذلك الوقت وتلك الساعة درجة طالعة من أفق المشرق من الفلك على أفق تلك البقعة التي حدثت تلك الزبدة هناك ويكون شكل الفلك ومواضع الكواكب على هيئة ما يصور من أصحاب الاحكام في زائجات المواليد والتحاويل والمسائل فعند ذلك يضاف الى تلك القوة قوى روحيات سائر الكواكب وتجذب معها تلك الزبدة المواد المشاكلة لها ويكون قبولها بحسب ما في طباع اشخاص أنواع ذلك الجنس من الافعال والاخلاق والخواص حيواناً كان أو نباتاً أو معدناً

أمثال ذلك انه اذا جرت نطفة الانسان التي هي زبدة دم الرجال واجتمعت في الاحليل عند حركة الجماع بعد ما كانت منبثة في أجزاء الدم متفرقة في خلل البدن وخرجت من الاحليل وانصبت في الرحم واستقرت هناك ربطت بها في الوقت والساعة قوى من قوى النفس النباتية السارية في جميع الاجسام النامية التي هي أيضاً قوة من قوى النفس الطبيعية السارية في جميع الاركان الاربعة والتي هي أيضاً قوة منبثة من النفس الكمية الفلكية السارية في جميع الأجسام الموجودة في العالم كما بينا في رسالة معنى قول الحكماء ان الانسان عالم صغير والعالم انسان كبير

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم يا أخي أن للنفس النباتية سبع قوى فعالة وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمصورة وان أول فعلها عند استقرار النطفة في الرحم هو جذبها دم الطمث الى الرحم وامساكها لها هناك وهضمها ثم اعلم يا أخي بانه اذا جذبت هذه القوة الدم الى هناك أخفته حول النطفة وأدارته عليها كما يدور بياض البيض حول محها فيكون عند ذلك حول النطفة كالحمة ودم الطمث حولها كالبياض ثم ان حرارة النطفة تسخن رطوبة الدم فتتضجها فتسخن وتنعقد تلك الرطوبة فتصير علة كما ينعقد اللبن الحليب من

الاتفحة وتستولى عند ذلك على تلك الجملة قوى روحانيات زحل وتبقى في تدبيراتها بمشاركة قوى روحانيات سائر الكواكب شهراً واحداً ثلاثين يوماً سبع مائة وعشرين ساعة كما ذكر ذلك في كتب أحكام النجوم بشرح طويل ونريد أن نذكر من ذلك طرفاً ليكون دستوراً لما أن نتكلم فيما بعد

واعلم يا أخي بان ابتداء تدبير النطفة انما صار لزل من أجل انه أعلى الكواكب السيارة فلما يبلى فلك الكواكب الذي هو مكان الجواهر الشريفة ومنصب القوى الروحانية ومعدن النفس القدسية ومستقر الارواح الخيرة ومبدأ القوى العقلية والملائكة العلامة المفكرة والاجرام النيرة الشفافة ومن هناك تنزل الملائكة بالوحي والتأييد والانباء والخير والبركات والى هناك يصعد بالاعمال الصالحة واليه يعرج بارواح المؤمنين وأنفس الاخيار من عباده الصالحين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا كما بينا في رسالة البعث والقيامة

فانتبه يا أخي من نوم الغفلة ورقدة الجهالة واستعد للرحلة من هذه الدار وتزود فان خير الزاد التقوى فلعل نفسك توفق الى الصعود الى هناك فتجازى باحسن الجزاء لان من هناك ورودها الى هذا العالم والى هناك يكون مرجعها ومستقرها كما بينا في رسالة الادوار والاكوان

ثم اعلم يا أخي بأنه ما دام التدبير لزل الى تمام شهر ثلاثين يوماً فان تلك العلة تكون باقية بحالها غير مختاطة ولا ممتزجة بل جامدة متمسكة جارية اليها المواد لغلبة برد زحل وسكونه وثقل طبيعته الى أن يدخل الشهر الثاني ويصير التدبير للمشتري الذي فلكه يتلو فلك زحل وتستولى عليها قوى روحانيته فيولد عند ذلك في تلك العلة حرارة وتسخن ويعتدل مزاجها ويختلط الماء آن ويمتزج الخلطان ويعرض لتلك الجملة حركة مثل الاختلاج والارتعاش والهضم والنضج فلا تزال هذا حالها ما دامت في تدبير المشتري الى تمام شهرين ثم يدخل الشهر الثالث ويصير التدبير للمريخ الذي يبلى المشتري في الفلك وتستولى على تلك العلة

قوى روحانيته ويشتد اختلاجها وارتعاشها ويتولد فيها فضل حرارة وسخونة وتصير تلك العالقة مضغطة حمراء فلا تزال تنقلب حالاً بعد حال من النضج والاستحكام بمشاركة قوى روحانيات سائر الكواكب للمريخ الى تمام ثلاثة أشهر ثم يدخل الشهر الرابع ويصير التدبير للشمس رئيسة الكواكب وملكة الفلك وقلب العالم باذن الباري جل ثناؤه

﴿ فصل ﴾

في كيفية حال الجنين في الشهر الرابع

واعلم يا أخي بأنه اذا دخل الشهر الرابع من مسقط النطفة وصار التدبير للشمس واستولت على المضغطة قوى روحانياتها نفخت فيها روح الحياة وسرت فيها النفس الحيوانية وذلك لأن الشمس هي رئيسة الكواكب في الفلك ونفسها هي روح العالم بأسره وهي المستولية على الكائنات التي دون فلك القمر وخاصة على مواليد الحيوانات ذوي الرحم وأشد اختصاصاً بمواليد الانس وذلك ان جرمها في العالم بمنزلة جرم القلب في البدن وسائر أجرام الكواكب والافلاك بمنزلة أعضاء البدن ومفاصل الجسد وسريان قوى روحانياتها في العالم كسريان الحرارة الغريزة المنبثثة من القلب السارية في أعضاء البدن

وأما سائر قوى روحانيات الكواكب فهي لها كالجنود والأعوان والخدم كل ذلك باذن الباري جل ثناؤه وذلك تقدير العزيز العليم فتبارك الله أحسن الخالقين

ثم اعلم يا أخي أنها بمسيرها في حدود الكواكب في البروج وشدة اشراق نورها وسريان قوى روحانياتها تحط من الفلك الى عالم الكون والتساقط الذي تحت فلك القمر من قوى روحانيات الكواكب والافلاك والبروج في كل يوم ساعة في درجة ودقيقة ألواناً من التدبير والتأثير غير ما في يوم آخر وساعة أخرى لا يبلغ فهم البشر كنه معرفته ولكن نذكر من ذلك طرفاً ليكون قياساً على

ما قلناه ودليلاً على ما أوضحناه ووصفناه وذلك انه اذا سقطت نطفة في الرحم فلا بد أن تكون الشمس في درجة من برج من الابراج فاذا بلغت بمسيرها أربعة أشهر من مسقط النطفة الى آخر البرج الرابع وقد قطعت من الفلك ثلث الدور وهو من المسافة بمقدار ما بين شرفها الى بيتها تكون قد استوفت طبائع البروج النارية والترابية والهوائية والمائية

وعند ذلك تكون قد اختلطت الطبائع من الاركان الاربعة في تركيب بنية الجنين واعتدل المزاج وانتقشت الصورة وأنشأت الخلقة وظهرت أشكال العظام وركبت المفاصل وتهدم التركيب والتفت الاعصاب على المفاصل وامتدت العروق في خلل اللحم وظهرت البنية محلقه غير مخاقة

فصل

في كيفية الجنين في الشهر الخامس

اعلم يا أخي بأنه اذا دخل الشهر الخامس وسارت الشمس الى البرج الخامس المنمى بيت الولد الموافق طبيعته للبرج الذي كان فيه يوم مسقط النطفة وصار التدبير للزهرة الساعدا الاصغر وصاحبة النقش والتصوير واستولى على الخلقة قوى روحانياتها استتمت الخلقة واستكملت البنية وظهرت صورة الاعضاء واستبان رسم العينين وانشق المنخران وافتح الفم وثقب الاذنين ومجرى السبيلين وتميزت المفاصل ولكن الجنين يكون مجموعاً منظماً منقبضاً كأنه مصرور في صرة ركبته مجموعتان الى صدره ومرفقاه منضمان الى حقوبه وهو منكس رأسه على دفته وعلى ركبتيه وكفاه على خديه وهو شبه نائم محزون

فلو رأيته يا أخي لرحمته لضيق مكانه وضعف أحواله ولكنه لا يحس بما هو فيه رفقا من الله تعالى بخلقته ولطفا بهم وتكون سرته متصلة بسرة أمه تمتص الغذاء منها الى يوم الولادة ويكون وجهه ان كان ذكراً مما يلي ظهر أمه وان كان أنثى فمعكس ذلك

فانظر يا أخي في هذا الفعل وتفكر فيما ذكرنا فلعن نفسك تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فترى بعين قلبك هذا الصانع الحكيم كما رأيت بعيني رأسك مصنوعاته ولا تتبع سبيل الذين لا يعلمون
واعلم يا أخي بأن كثيراً من الحيوانات تتوالد في هذه المدة المذكورة مثل الغنم والظبا وبعض السباع وكل حيوان لا يحتمل الحمل والكد ومنها ما يتأخر ولادتها الى تمام ستة أشهر وتسعة أو عشرة او اثني عشر لاغراض أخرى قد بينها في رسالة الحيوان ونحن نذكر في فصل آخر من هذه الرسالة ما الغرض في تأخير ولادة الانسان الى تمام ثمانية أشهر ومكث الجنين في الرحم الى الشهر التاسع

﴿ فصل ﴾

في كيفية حال الجنين في الشهر السادس

ثم اعلم أنه عند دخول الشهر السادس يصير التدبير لعطارد وتستولى عليه قوى روحانياته فيتحرك عند ذلك الجنين في الرحم ويركض برجليه ويمد يديه ويبدسط جوارحه ويضطرب ويحس بمكانه ويفتح فاه ويحرك شفثيه ويتنفس من منخريره ويدير لسانه في فيه فيكون تارة متحركا وتارة يسكن وتارة ينام وتارة يستيقظ فلا يزال ذلك دأبه الى أن يتم الشهر السادس ويدخل الشهر السابع ويصير التدبير للقمر وتستولى عليه قوى روحانياته فيربو لحم الجنين حينئذ وتضمن جثته وتنتصب قامته وتشتد أعضاؤه وتصلب مفاصله وتقوى حركته ويحس بضيق مكانه ويطلب التنقل والخروج فان قدر له ذلك بما يوجب أحكام النجوم بأسباب يطول شرحها وخروجها على المجرى الطبيعي وكان الجنين كاملا عاش وترين وعمر وان بقى هناك الى ان يدخل الشهر الثامن وتدخل الشمس بيت الموت ويرجع التدبير الى زحل من الرأس فتستولى عليه قوى روحانياته عرض للجنين ثقل وسكون وغاب عليه البرد والنوم وقلة الحركة فان ولد في هذا

الشهر كان بطيء النشوء ثقيل الحركة قليل العمر وربما كان ميتاً وإذا دخل الشهر التاسع وانتقلت الشمس الى البرج التاسع بيت النقلة والاسفار ورجع التدبير الى المشتري السعد الاكبر واستولت عليه قوى روحانياته واعتدل المزاج وقويت روح الحياة ظهرت أفعال النفس الحيوانية في الجسد لأن الشمس تكون قد استوفت طبائع البروج المثلثات النارية والمائية والهوائية والترابية مرتين في الثمانية الاشهر

وقد سارت الشمس في فلك البروج مائتين وأربعين درجة وهذه المسافة مقدار ما بين بيتها الى شرفها التاسع من بيتها المتفقين في طبيعة واحدة وتكون أيضاً في هذه المدة قد قبلت طبيعة الجنين قوى روحانيات الكواكب المنحطة من الفلك مرتين بمسير الشمس في البروج المثلثات مرة الى البرج الخامس ومرة الى البرج التاسع كما تقدم ذكرها ويبقى مرة أخرى كما تبين بعد هذا الفصل ويكون الذي يبقى للشمس الى أن تعود الى الدرجة التي كانت فيها وقت مسقط النطفة أربعة أبراج ومائة وعشرين درجة الى تمام الدور

فاذا خرج الجنين بعد ثمانية أشهر استأنف العمر في الدنيا لكل درجة سنة الذي هو العمر الطبيعي وهو المقدار الذي بقي للشمس الى أن تعود الى الدرجة التي كانت فيها يوم مسقط النطفة ليستوفي الانسان طبائع البروج مرة ثالثة حتى يتم ويكمل

وأما الذي يزيد وينقص عن هذا المقدار فلاسباب وعلل يطول شرحها وهي مذكورة في كتاب أحكام النجوم ومكث الاجنة وأعمار المواليد وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في رسالة العلل والمعلولات ولكن نذكر من ذلك طرفاً ليكون دليلاً على ما وصفنا

واعلم يا أخي بان الكائنات التي تحت فلك القمر تبتديء من أتعص الحالات وأدونها مترقية الى أتمها وأفضلها ويكون ذلك في مر الزمان والاوقات لان طبيعتها

لا تقبل فيض أشخاص فلكية دفعة واحدة ولكن شيئاً بعد شيء على التدرج

كما يقبل المتعلم الذكي من الاستاذ الحاذق

واعلم بأن فيضات الكواكب من محيط الافلاك متصلة نحو مركز الارض في دائم الاوقات ولكنها مفضنة الالوان متغايرة الاشكال وذلك بحسب مواضعها من افلاكها وهوازاتها من فلك البروج وحدودها كما نبين بعد هذا الفصل

واعلم يا أخي بأن الحكمة الالهية والعناية الربانية قد جعلت لكل كائن من الموجودات تحت فلك التمر مقداراً من الوجود والبقاء معلوماً مقدراً أو يكون ذلك بمقدار دور شخص من الاشخاص الفلكية كما بينا طرفاً منه في رسالة ماهية الطبيعة ولكن نذكر من ذلك أيضاً هاهنا مثالا واحداً من الاشخاص الانسانية وذلك ان نطفة الانسان اذا سقطت في الرحم فان مكثها الطبيعي الى أن تقبل صورة الانسانية أربعة أشهر بمقدار ما تسير الشمس أربعة أبراج مائة وعشرين درجة وتستوفي بمسيرها طبائع البروج المثلثات مرة واحدة فعند ذلك يبقى الجنين الى يوم الولادة أربعة أشهر آخر وهو مقدار ما تسير الشمس أربعة أبراج مائة وعشرين درجة وتستوفي بمسيرها طبائع البروج المثلثات مرة أخرى وبذلك يبقى لها أن تعود الى الدرجة التي كانت فيها يوم مسقط النطفة مائة وعشرين درجة فيستوفي المولود العمر الطبيعي في الدنيا مائة وعشرون سنة لكل درجة بقيت للشمس سنة

واعلم يا أخي أيديك الله وايدنا بروح منه بأن أفعال الكواكب وتأثيرات قوى روحانياتها في الاربعة الاشهر الأول تكون مصروفة الى تأسيس بنية الجسد وتكوين أعضائه المختلفة وسريان قوى النفس النباتية وذلك ان لكل عضو من الجسد مثل القلب والكبد والدماع والمعدة والرئة والطحال والامعاء والعروق والاعصاب والعظام والعضلات والمخ والجلد وما شا كما خلقة خلاف ما لعضو آخر ولكل خلقة تركيب ولتركيبه أخلاط ولتلك الاخلاط أمزجة

ولتلك الامزجة طبائع مختلفة في الكمية وفي الكيفية من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة خلاف ما للآخر كما ذكر ذلك في كتاب التشریح بتطويل. وكما ذكرنا ذلك في كتاب طبائع الاغذية ودرجات قواها وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في رسالة النبات وللنفس النباتية في كل عضو فعل طبيعي خلاف ما في عضو آخر كما بينا في رسالة نشوء الانفس الجزئية

فصل

اعلم يا أخي ان بنية الجسد وتركيب أعضائه يتم في هذه الاربعة الاشهر لان الشمس التي هي روح العالم في هذه المدة بمسيرها في أربعة أبراج المثلثات تكون قد حطت طبائع تلك الابراج من محيط الافلاك الى عالم الكون والفساد الذي دون فلك القمر وتكون قد سرت قوي روحانيات الكواكب التي فوق الارض في بنية الجسد وركزت في مراكزها كما بينا في رسالة أفعال الروحانيات وعلة أخرى أيضاً ان في هذه الاربعة الاشهر تكون قد اجتمعت من مادة بنية الجسد ما تحتاج اليه الطبيعة الفاعلة وذلك يوم مسقط النطفة اذ تكون تلك المادة هناك مجتمعة لان الطبيعة كانت تدفعها الى خارج البدن في أيام الحيض فاذا استقرت النطفة في الرحم جذبت عند ذلك تلك المادة الى نفسها كما تجذب نار السراج الدهن بالفتية الى نفسها وكما يجذب حجر المغناطيس الحديد الى نفسه فاذا حصل ذلك الدم حف حول النطفة كما يحف بياض البيضة حول محها ثم ان حرارة النطفة تسخن ذلك الدم وتجمده كما تفعل الانفحة باللبن الحليب وهو أول فعل يكون من قوى روحانيات زحل في النطفة لان من خاصة أفعاله امساك الصورة في الهيولى والسكون والثبيت

وأما تأثيرات الكواكب من البروج في الاربعة الاشهر الثانية فتكون مصروفة الى تميم بنية الجسد واحكام خلقة الاعضاء لكيما تسري فيها قوى النفس الحيوانية ويمكنها اظهار أفعالها

وذلك ان الشمس في هذه المدة بمسيرها في الابراج المثلثات الآخر تحط تلك القوى مرة اخرى فاذا تمت البنية واستحكمت الخلقه سرت فيها قوى النفس الحيوانية ونقلت تلك الجملة من الرحم الى فسحة هذا العالم واستوفت به تدبيراً آخر أربع سنين لكيما تكمل البنية وتستحكم الصورة ويمكن أن تسري فيها القوى الناطقة وتظهر أفعالها فيها وذلك ان تلك القوات الروحانية تصرف تأثيراتها وأفعالها الى تربية المولود وأحكام ادراك الحواس محسوساتها ثم ترد النفس الناطقة وينطلق لسان المولود بالعبارة عن معاني تلك المحسوسات وتمييزها.

فصل

واعلم يا أخى انه لا يمكن أن تفعل هذه الكواكب هذه الافعال والتأثيرات في شهرين ولا ثلاثة الى ما هي عليه الآن كما بينا ونضرب لذلك مثلاً محسوساً من مصنوعات البشر كما يتصور مصنوعات الطبيعة

ذلك ان البناء اذا أراد بناء دارفانه يصرف أولاً همته وأفعاله مدة ما في تأسيس البناء ورفع الحيطان وإقامة الاعمدة وعقد الابراج وتسقيف البيوت ليتبين أولاً رسم الدار ويتمم البيوت والممرات والمجالس وهذه مدة تكوين الدار وايجادها ثم يصرف عنايته وتدييره بعد ذلك في تميمها من تعليق الابواب والشبابيك ونصب البازير وتزيين السطوح وتخصيص الحيطان وتزويق السقوف والنقوش وماشا كلها من التتميم ثم يبقى بعد ذلك كمال الدار وهو أن تفرش وتعاق الستور وتملأ الخزائن من الاموال والاثاث ويسكنها رب الدار ويتمتع الى حين

فهكذا يجري يا أخى أمر تركيب جسد الانسان واقتران النفس معه من يوم مسقط النطفة وتعلق النفس بها الى يوم يموت الجسد وهو أن تفارق النفس الجسد ويدفن في التراب وهذه المدة هي بمقدار دور واحد من أدوار تلك الاشخاص الفلكية كما بينا في رسالة الادوار والاكوان

فلا ينبغي لك يا أخي أن تتوهم أو تظن أن هذه الكواكب والأفلاك والبروج التي ذكرنا أفعالها وتأثيراتها في تركيب الجسد الانساني هي آلات وأدوات للباري جل ثناؤه يخلق بها الانسان بل انما هي آلات وأدوات للنفس الكلية الفلكية وهذه النفس هي عبد مطيع للباري تعالى فقد أيدها بالعقل الكلى الذي هو ملك من ملائكته المقربين « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمدهم ويؤمنون به ويستغفرون لمن في الارض » كما ذكر في كتابه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وآله ، وستعلم يا أخي حقيقة هذه الأسرار والمرامي اذا انتهت لنفسك من نوم الغفلة واستيقظت من رقدة الجهالة وارتفعت في المعارف الربانية وارتضت في العلوم الالهية اذا بعثت يوم القيامة وشاهدت ملكوت رب العالمين ووقفت على جبل الاعراف مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً

وإذ قد فرغنا من ذكر تأثير الكواكب في النطفة مجملاً فنريد أن نذكر طرفاً من تأثيراتها في كل شهر وتردادها في أفعالها اذا كان بعضها في بيوت بعض وحدودها

واعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه بأن للاشخاص الفلكية الموجودات التي تحت فلك القمر من الحيوان والنبات والمعادن وفي كل جنس منها تأثيرات مختلفة بحسب قبول كل نوع منها ولكل نوع من تلك الاجناس تأثيرات مبنية بحسب أماكنها المختلفة ولها في كل شخص من أشخاص تلك الانواع تأثيرات متباينة بحسب قبولها في أزمان مختلفة في طول أعمارها لا يشبه بعضها بعضاً ولا يبلغ فهم البشر كنه معرفتها ولا يعلمها الا الله تعالى ولكن نذكر منها مثالا واحداً ليكون قياساً على الباقية ونجمل المثال من شخص انسان واحد ونذكر فنون تأثيراتها فيه من يوم تسقط النطفة الى يوم الولادة مدة تسعة أشهر ذكراً مجملاً إذ كان شرحها يطول ثم نذكر فصلاً آخر في فنون تأثيراتها فيه من يوم

الولادة الى يوم يموت وهو آخر العمر الطبيعي سنة سنة بقول وجيز ليكون
قياساً على سائر المواليد من الكائنات تحت فلك القمر فنقول :

اعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه بأن تأثيرات الكواكب تختلف في
الكائنات من جهات شتى تارة منها من جهة اختلاف أحوالها في أفلاكها من
الصعود الى أوجاتها أو من جهة النزول من هناك الى الحضيض وتارة من جهة
العرض والميل في الجنوب والشمال وتارة من جهة نسبتها الى الشمس من التشریق
والتغريب والرجوع والاستقامة والوقوف وتارة من جهة كونها في موازنة
بعضها ببعض وتارة من جهة اختلاف مسامتها لبقاع الارض وانحرافاتها منها في
اللاتاد ومايلبها أو مايزول عنها وتارة من جهة اختلاف الشتاء والصيف والربيع
والخريف والليل والنهار وساعاتهما وأوائل الشهور وأواخرها وماشا كل ذلك
يعرف اختلاف هذه الاحوال أهل المجسطي

وأما اختلاف تأثيراتها في هذه الاحوال فيعرفها أصحاب الاحكام الذين
يتكلمون على أحكام المواليد .

وأما معرفة كيفية وصول قوى الاشخاص الفلكية الى هذه الاشخاص
السفلية فيعامها الربانيون الناظرون في علم النفس وقد بينا طرفاً منها في رسالة
أفعال الروحانيات

﴿ فصل ﴾

في كيفية تأثيرات الكواكب

واعلم يا أخي ان هذه الاشخاص الفلكية لما كانت موضوعة بعضها من
بعض على النسبة الموسيقية من ثلاثة أنواع أحدها نسبة اعظام بعضها عند بعض
والآخر نسبة أبعاد مراكزها بعضها من بعض ومن الاركان الاربعة وكذلك
الثالث نسبة حركاتها في سرعة وإبطاء فمن أجل ذلك إذا عرضت لها تلك الحالات
المختلفة التي تقدم ذكرها في الفصل الاول اختلفت مناسباتها فعند ذلك تختلف

تأثيراتها في الكائنات بحسب اختلاف النسبة كما تختلف أصوات الموسيقى ونغماتها عند طول الأوتار وقصرها ودقتها وغلظها وسرعة حركات المضرب وابطائها فتختلف عند ذلك تأثيراتها في نفوس المستمعين بحسب اختلاف طبائعهم وآرائهم وأخلاقهم كما بينا طرفاً من ذلك في رسالة الموسيقى

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن الموجودات التي دون فلك القمر كلها موضوعة لقبول تأثيرات الكواكب ولكن لما كانت جواهرها مختلفة اختلف قبول تأثيراتها وهي كثيرة الانواع لا يحصى عددها إلا الله جل ثناؤه ولكن يجمعها كلها جنسان جواهر جسمانية وجواهر روحانية فالجسمانية هي أجسام الاركان الاربعة ومولداتها الكائنات منها من المعادن والنبات والحيوان والجواهر الحيوانية هي نفوس الحيوانات أجمع

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بأن فنون تأثيرات الكواكب في هذه الاجسام كثيرة لا يحصى عددها الا الله عز وجل وقد ذكرنا طرفاً منها في رسالة الطبيعة وطرفاً في رسالة الآثار العلوية وطرفاً في رسالة الحيوانات وطرفاً في رسالة الاكوان والادوار ونريد أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً من تأثيراتها مما يخص الانسان أما في مزاج بنية جسده أو في طبع أخلاق نفسه كيف تكون تلك التأثيرات ولأبي علة تختلف أخلاق النفوس وطبائعها فانها من أعجب تأثيرات الكواكب وأشرف أفعالها وأدق أسرارها وألطف دلالاتها ونريد أن نشرح طرفاً منها ليتضح ماقلنا ويفهم ماوصفنا وليكن نحتاج أولاً أن نذكر خواص طبائعها وأعراض وحداتها ثم نذكر كيفية تأثيراتها وعجائب دلالاتها فنقول :

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن كل كوكب في الفلك فان الباري قد جعله لامر ولغرض أقصى فزحل هو كوكب الثبات والوقوف خلقه الله جل

ثناؤه لتثبت من جرمه انقوى الروحانية فتسري في الموجودات لامسالك الصور في الهيولى وثباتها وبتائها ودوامها ولولا وجود زحل وكونه في الفلك لما تماسكت صورة في الهيولى وثبتت خلقة في مادة طرفة عين الإسالت وذابت واضمحلت. يعرف صحة ما قلنا وحقيقة ما وصفنا العلماء الراسخون في علم الهيئات العارفون بحقائق الموجودات وكيفية نظام العالم وماهية أسرار الخلقة

واعلم يا أخي بأن زحل دليل الشهر الاول من مسقط النطفة كما وصفنا قبل. فاذا كان سليم المناخس والاحوال المذمومة سلمت تلك النطفة من الآفات العارضة باذن الله تعالى وهكذا حكم الحامل لتلك النطفة فاذا كان بخلاف ذلك كان بالعكس

مثال ذلك انه متى كان زحل صاعداً في فلكه مستقيماً في سيره في حد نفسه من البرج والدرجة فان تلك النطفة تكون مرتفعة الى أعلا بطنها خفيف عليها حملها سليمة من الاوجاع والاعلال وان كان في حد المشتري كانت فرحانة بحملها حسنة الظن برهبها مستقيمة السلامة والتمام

وان كان في حد المريخ تكون نشيطة في أعمالها مستعجلة في أمورها وان كان في حد الزهرة تكون المرأة مسرورة بحملها مستبشرة بولادتها وان كان في حد عطارد فانها تكون عارفة بوقت حملها حاسبة لا يام شهرورها وان كان زحل هابطاً في فلكه راجعاً في مسيره مذموماً في أحواله كان الامر بخلاف ما وصفنا ثم يدخل الشهر الثاني فيصير التدبير للمشتري باذن الله عز وجل وهو كوكب الاعتدال وعلة صحة المزاج في الكائنات وسبب النظام والترتيب في الموجودات وهو دليل العقل في الانسان والفهم والتمييز والعلم والروية والفقه والدين والورع والتقوى والعدل والانصاف والعفة والزهد وماشا كل هذه من الخصال المحموده في الدين وبالجملة كل خصلة يحتاج اليها صاحب الناموس في وضعه الشريعة واجرائه

السنة في الملة وما يحتاج اليه أتباعه وأنصاره من الخلفاء والأئمة والعلماء والفقهاء والقضاة والعباد والزهاد وبالجملة كل من يخدم في الناموس ويعاونه فيه من ولاة الامور وحكام الدين والشريعة

فاذا كان المشتري صاعداً في فلكه مستقيماً في سيره محموداً في أحواله انعجن في تلك المادة المجتمعة في الرحم وانطبع في ذلك المزاج وانغرس في تلك الجملة قبول هذه الخصال المقدم ذكرها ان قدر الله لها التمام والكمال فان كان المشتري في حد نفسه من البروج والدرجة تكون تلك الخصال كلها وأحوالها مصروفة بهمة نفسه الى أمور الدين والشريعة واحكام الناموس وتكون نفسه ملهمة من ربها أو بملك من الملائكة فيتكام بالحكمة شبه النبوة ويدعو الناس الى الله والى الدار الآخرة .

وان كان المشتري في حد زحل يكون المولود بعيد الغور غائص العلم يأتي بالعلامة والمعجزات .

وان كان في حد المريخ يكون ذلك بالقهر والقوة والغلبة والجلادة وان كان في حد الزهرة يكون دعاه للناس بالرفق واللين والموعظة الحسنة . وان كان في حد عطارد يكون ذلك الكلام والحجاج والخصومة والجدال وتكون هذه الخصال كلها أو اكثرها حقاً وصواباً ومقبولة جارية على السداد متى كان المشتري مقبولاً من رب بيته ومثلثته ومن يشاركه من الكواكب في تقاسيم أوقاته

فان كان المشتري غير مقبول في موضعه من ارباب حظوظه يكون ذلك وأكثره بحيل وعكس وتمويه ومخاريق ويعرف صدق ما قلنا وصحة ما ذكرنا أصحاب احكام النجوم والرامسخون في العلم منهم

وان كان المشتري في الشهر الثاني هابطاً في فلكه أو راجعاً في سيره مذموماً في احواله فان المولود يكون بطيء الذهن قليل الفهم بليداً لا يفكر في شيء من

الامور الا ما يرى ويسمع أو يباشره بحواسه مثل البهيمة لا تعرف الا الاكل والشرب والنكاح أو يتعلق بأمر المعاش في الحياة الدنيا ويكون عن أمر الآخرة من الغافلين الا ما يعلم ويلقن تقليداً وإيماناً وتسليماً

ثم يدخل الشهر الثالث ويصير التدبير للمريخ وهو ينبوع الحرارة والاسخاخ والنضج في الكائنات وهو دليل الشجاعة والجسارة والصلابة والبسالة والتشمير والأنفة والحمية وما شاكلها من الخصال والاخلاق والطباع مما يحتاج اليه قادة الجيوش وأصحاب الحروب ومن يتبعهم ويخدمهم ويعاشرهم

فان كان المريخ صاعداً في فلکه مستقيماً في سيره محموداً في أحواله انعجن في تلك المادة وانطبع في ذلك المزاج وانغرس في تلك الجملة التهيؤ والقبول لهذه الخصال ان قدر الله لها التمام والكمال

فان كان المريخ في حد نفسه من البرج والدرجة تكون تلك الخصال والاخلاق مصروفة أو أكثرها بهمة نفسه الى القتال والحروب والمبارزة ومباشرة الاقران وطلب الغلبة بالقهر والأنفة من الاتقياد للغير والاذعان له.

وان كان المريخ في حد زحل اختلط مزاجهما واتحدت قوتاهما وظهرت تلك الخصال المريخية من صاحبها بالثبوت والاناة والصبر والتوقف وقلة العجلة مع الحقد والغضب والمكر والحيلة والانفة من العار والفرار.

وان كان المريخ في حد المشتري اختلط مزاجهما واتحدت قوتاهما وظهرت أفعال تلك القوى والاخلاق والخصال بعقل وروية ومعرفة بمواقع الاقدام وطلب العدل والانصاف والكف عن الغدر والظلم.

وان كان المريخ في حد الزهرة اختلط مزاجهما واتحدت قوتاهما ويكون ذلك الامر سبب الشهوات وعشرة النساء والحرم والحمية والافتخار والخيلاء والمباهات والتعرض للتلذذ

وان كان المريخ في حد عطارد اختلط مزاجهما واتحدت قوتاهما وظهرت

تلك الخصال بدهاء وأدب وفطنة ومراوغة وحقق وسرعة حركة واصابة لحيلة
وان كان المريخ هابطاً في فلكه أو راجعاً في سيره أو منحوساً في احواله
كان ذلك المولود جباناً مهاباً ذليل النفس صغير الهمة محتملاً للذل والهوان
كالنساء والصبيان

ثم يدخل الشهر الرابع ويصير التدبير للشمس باذن الله تعالى التي هي النير
الاعظم قلب الفلك وينبوع النور وفائض الضياء والاشراق ومقر روح العالم
المنبئة من جرمها قوى النفس الكلية الفلكية السارية في الموجودات وهي
أجمع دليل للملك والرياسة في الانسان وكبر النفس وعلو الهمة والعز والسلطان
والعظمة والجلال والقوة والشدة والتدبير والسياسة

وبالجملة كل خصلة وخلق يحتاج اليها الملوك والرؤساء واتباعهم في تدبيرهم
وسياستهم فاذا كانت صاعدة في فلکها أو كانت في بيتها أو شرفها أو أوجها
برية من المناحس والاحوال المزمومة انعجن في تلك المادة وانطبع في ذلك
المزاج وانغرس في طبع تلك الجملة ان قدر الله لها بالتمام والسكمال محبة الرياسة
وكبر النفس وعلو الهمة

وان كان في حد زحل من البرج والدرجة وامتزجت طبيعتهما واتحدت
قوتها كان المولود كبير النفس قوى البنية على الهمة رابط الجأش شديد العزيمة
صابراً في الاعمال بعيد الغور متمسكاً بما يملك حافظاً لما يعلم ثابت الرأي حازماً
في الامور وما شا كل ذلك من الاخلاق والطباع والخصال .

وان كانت في حد المشتري وامتزجت طبيعتهما واتحدت قوتها كان المولود
ان قدر الله له التمام والسكمال متهيء النفس لقبول خصال الملك والنبوة جميعاً وهي
فضائل الانسانية والاخلاق الملكية والمعارف الربانية والعلوم الالهية

وان اتفك مولوده لبرج القران أو بطابع القران أو باحد أوتادها عند
استئناف أحد الادوار كان ذلك المولود النبي المبعوث في ذلك الدور والامام
للناس في ذلك الزمان.

فأما كيفية مبعثه وآياته ومعجزاته وكتابه بأي لغة يكون والى أي أمة
يبعث من الناس وكيف أحكام شريعته ومفروضات سنته وسيرة أمته وتصرف
أحوالهم فيحتاج الى شرح طويل وهو مذكور أو أكثره في كتب القرانات
وأدوار الألوفا

فان كانت الشمس في حد المريخ امتزجت طبيعتها واتحدت قوتاهما وصار
طبع المولود وأخلاق نفسه ممتزجة من طبيعتها متهيئة لقبول تأثيراتها في أيام
حياته وطول عمره

وعلى هذا القياس اذا كانت في حد الزهرة وعطارد امتزجت طباعهما واتحدت
قواهما وصارت نفس المولود متهيئة لقبول تأثيراتها وأخلاقه مركبة وممتزجة
من طباعهما وتأثيراتها مما يطول شرحه

وبعضها مذكور في كتب أحكام التجاويل ويعرف صحة ما قلنا وحقيقة ما ذكرنا
الناظرون في تلك الكتب والباحثون عن هذا العلم

وان كانت الشمس على خلاف ما وصفنا من صلاح أحوالها في الفلك أو كانت
على النسبة الأ دون كان المولود صغير النفس والهمة قليل القبول للفضائل الانسانية
والاخلاق الملكية والمعارف الربانية والعلوم الالهية والهمم الربوية

ثم يدخل الشهر الخامس ويصير التدبير للزهرة دليل النقش والتصاوير والشكل
والدل ، والغنج ، والتهيه ، والحسن ، والزينة ، والجمال ، والبهجة ، والعيش ،
والطبيعة ، والشهوات ، واللذة ، والسرور ، والغبطة

وبالجملة كل خصلة وفضيلة تريد الحياة والبقاء وطول العمر ومن أجلها في
الدنيا والآخرة جميعاً

فان كانت الزهرة صاعدة في فلکها مستقيمة في مسيرها محودة في أحوالها
انعجن في تلك المادة باذن الله وانطبع في ذلك المزاج وانغرس في تلك الجملة محبة
هذه الخصال وشهوتها في غاية ونهاية

فان كانت في وجهها من البرج كانت صورة الجسد بيضاء درية اللون مشوبة

بجمرة أو صفرة فيه جعدة الشعر وغنجة ، جميل المنظر حسن العينين حلو المنظر صحيح الوجه والعين سوادها أكثر من البياض مكثم الوجه صغير الحاجبين مدور الرأس حسن العنق دقيق الشفتين كثير لحم الخدين قصير الاصابع غليظ الساقين ربع القامة دقيق البشرة أكحل وأسهل

وان كانت في حدها أيضاً كان المولود مقبول الجملة خفيف الروح حسن

الاخلاق جيد الطبع حسن العشرة جيد المعاملة

وان كانت في وجه زحل من البرج والدرجة كانت صورة الجسد غليظ الشفتين ضخم العينين جعد الشعر مختلف الاسنان مشقق الرجلين قوي البنية هيوب المنظر احدى عينيه خلاف الاخرى بالصغر أو بالكبر أو اللون أو الحركة أو الشكل وان تكن الزهرة أيضاً في حد زحل من البرج والدرجة يكون المولود شديد العشق والمحبة ثابت المودة ذا وفاء وعهد وأمانة قليل الغدر والخيانة ضابطاً لنفسه صبوراً

وان كان في وجه المشتري من البرج والدرجة فان بنية الجسد تكون معتدلة المزاج متناسبة الاعضاء ويكون حلو الشرائع أبيض اللون الى السمرة عظيم العينين الحدقة أدكن الشعر كث اللحية حسن الهيممة تأتي الوجنتين غليظ الارنبه معتدل اللحم والقدم والقامة نظيف البشرة متهلل الوجه-

وان كانت أيضاً في حد المشتري من البرج والدرجة وامتزجت طبيعتهما واتحدت قوتها كان المولود خيراً بالطبع حسن الاخلاق محمود الخصال عادل السيرة حسن العشرة متصفاً في المعاملة صادقاً في المودة وربما أديباً صحيح الاعتقاد مستقيم المذهب مثل أخلاق الملائكة

فان كانت الزهرة هابطة في فلكها أو راجعة في مسيرها أو مختلفة أحوالها نقصت سعادته لأسباب يطول شرحها مذكورة في كتب الأحكام والمواليد والتحاويل .

ثم يدخل الشهر السادس ويصير التدبير لعطارد صاحب العلوم والمعارف

والحسن والشعور والآداب والحكم والحركات والصنائع والنطق والبيان والكلام والفصاحة والتميز والفطنة والقرأة والنعمة والرياضات والحكمة وهو أخو المشتري الصغير . كما أن الزهرة أخت المريخ ، والقمر أخو زحل ، والشمس أبوهم

فان كان عطارد صاعداً في فلـكه مستقيماً في مسيره صالحاً في أحواله انعجن في تلك المادة وانطبع في ذلك المزاج وانغرس في تلك الجملة قبول العلوم والمعارف والنظر والبيان

فان كان عطارد في حده من البرج والدرجة تصير نفس ذلك المولود باذن الله سبحانه ذكية وقلبه حيا وذهنه صافياً وفهمه خادماً وخاطره سريعاً ومعارفه دقيقة وعلومه بديعة وبيانه فصيحاً

فان كان في حد زحل امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتهما وكان المولود ان قدر الله له بالتمام والكمال دقيق النظر في العلوم بعيد الغور في البحث غائص الفكر في المعارف ثقیل اللسان في البيان عسر العبارة عما في نفسه من المعاني

وان كان عطارد في حد المشتري صارت همه نفس المولود باذن الله سبحانه في علم الدين وكلامه وأقاويله أكثرها في أمر الورع وأحكام الشرع ومواعظ الناموس ووصف العدل وبيان الخلق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر المعاد ووصف أحوال الآخرة والمنقلب بعد الموت عند فراق النفس الجسد الذي هو الغرض الاقصى في رباط الانفس الجزئية بالاجساد البشرية كما بينا في رسالة البعث والقيامة

وان كان عطارد في حد المريخ امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتهما وصارت نفس المولود متهيئة لقبول تأثيراته وتكون همه نفسه أكثرها في الكلام في الخصومات والجدل ووصف الحروب ويكون لسنا متكلمها عجولاً في خطابه سريعاً في جوابه كثير الزلل والخطأ سريع المراجعة وربما كان شاعراً أو خطيباً أو قاضياً أو مناظراً أو مجادلاً

وان كان عطارد في حد الزهرة امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتها وصارت نفس المولود متهيئة لقبول تأثيراتهما وتكون أكثر همة نفسه الكلام في وصف محاسن أمور الدنيا ونعت شهواتها ووصف لذاتها بالأشعار والغناء والالحان والنغمات والايقاعات الموزونة والحركات المنتظمة.

وان كان عطارد هابطاً في فلـكه راجعاً في مسيره أو مذموماً في أحواله كان المولود سكيناً أو أخرس أو بليداً أو معتوهاً.

ثم يدخل الشهر السابع وينتهي مسير الشمس الى البرج السابع المقابل لموضعها الذي كان عند مسقط النطفة ويصير التدبير للقمر النير الاصغر نظير الشمس في المنظر، المخالف في المخبر، المتوسط بين العالمين الأخـذ من طبائع الكواكب فيضها من العالم العلوى الفاضل المؤدى تلك الفيضات والخبرات الى العالم السفلى.

فان كان القمر عند ذلك صاعداً في فلـكه زائداً في نوره سريعاً في مسيره برياً من المناحس انعجن في تلك المادة وانطبع في ذلك المزاج وانغرس في تلك الجملة ذلك الفيضان الذى يؤديه القمر من هناك الى هذا العالم وصارت نفس المولود متهيئة لقبول سائر تأثيرات الكواكب بحسب الحال التى عليها القمر من الخمسة والعشرين حالاً المذكورة في كتاب مدخل النجوم .

وان كان القمر في منزلته أو شرفه أو فى أوجه أو فى ميله أو وجهه كان المولود ان قدر الله عز وجل بالتمام والكمال مسعوداً فى أكثر أحواله محموداً فى أكثر أموره فى الدنيا والآخرة جميعاً .

وان كان القمر فى حد عطارد امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتها وكان المولود ممزوج الطبائع مختلفها متفنن الشرائك متلون الاخلاق متنقلاً فى الآراء والمذاهب متداخلاً فى الامور المشاكلة متشابكاً فى الامور الدنيوية قليل الثبات فيها سريع التغير عنها كثير التنقل فيها سهل الانقياد سريع البلوى موافقاً لهوى نفسه متباعداً عن اخوانه

وان كان القمر في حد زحل كانت الامور التي وصفنا بالضد مما ذكرنا وكان المولود في أكثر أحواله ثابتاً قليل التغير والتنقل الا بعد عسر وشدة وان كان القمر في حد الزهرة وكان المولود ذكراً امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتيهما وكان الظاهر على المولود شمائل الذكور والباطن شمائل الاناث وان كان المولود اثنى كان ظاهراً على شمائله طبائع الانوثة وباطنه طبائع الذكور وان يكن القمر في حد المريخ امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتيهما وكان ظاهر المولود عليه شمائل العامية واخلاق نفسه مريحية وظاهر أحواله عامية ومذاهبه مذاهب صيدية

وان كان القمر في المشتري امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتاهما وكان المولود في أكثر أحواله معتدلاً بين الطرفين متوسطاً في الامور الدنيوية والاخرية جميعاً وان قدر الله سبحانه أن يولد في هذا الشهر عاش وتربى وكان له عمر ، وان بقي الى ان يدخل الشهر الثامن رجع التدبير الى زحل من الرأس ويكون زحل رديء الحال.

وتدخل الشمس البرج الثامن بيت الموت ويغلب على الجنين برد طبيعة زحل وسكونه فان ولد في هذا الشهر كان قليل العمر أو ربما لا يتربى ولا يعيش ثم يدخل التاسع بيت الاسفار والنقلة ويصير التدبير للمشتري من الرأس كما سنبين بعد

﴿ فصل ﴾

قد تبين مما ذكرنا ان مكث الجنين في الرحم تسعة أشهر انما هو لكيما تتم البنية وتستكمل الصورة وتفيض عليها قوى الاشخاص الفلكية ولو أمكن تتميمها وتكملها في يوم واحد لما تركت هناك يومين ولو أمكن في شهرين . وقد يعرف كل عاقل أن من يولد غير تام البنية ولا كامل الصورة لا ينتفع

في هذه الدنيا ونعيمها ولا يتلذذ ولا يتمتع بلذاتها على التمام والكمال ، ولم يزل شقيا منغص العيش مبتلى كالزمنى والمفاليج والناقصى الخلقه الغير تامي الصورة فهكذا الحكم والقياس في الدار الآخرة بعد الموت وذلك ان الانسان انما يترك في هذه الدنيا مقدار ما يمكنه تقديم أحوال نفسه مع الجسد كما ذكر ذلك في كتب الطبيعة والحكمة وتكمل فضائلها بالكون في الدنيا كما ذكر في كتب النبوة

فاذا فارقت النفس الجسد عند الموت الذي هو ولادة ثانية انتفعت بالحياة في الدار الآخرة ويمكنها الصعود الى ملكوت السموات كما قال المسيح عليه السلام من لم يولد ولادتين لا يلج في ملكوت السماء

وقد أوصى الاطباء بالوالدين وأمروا الحوامل من النساء بالرفق بأنفسهن في حركاتهن وتصرفاتهن باعتدال وبوسائط بلا إفراط ولا تقصير كما يسلم الجنين من الآفات العارضة هناك ويخرج الطفل سالماً الى هذه الدنيا ويتربى ويعيش وينتفع بالحياة . وهكذا وصية الانبياء عليهم السلام وواضعي الناموس الذين هم أطباء النفوس للامم المبعوثين اليها فيما فرضوا في أحكام الدين والشرائع والسنن للناس من اجتناب المحارم والمحرّمات والشبهات الممرضة للنفوس المهلكة لها بالانهماك وتجاوز الحد والمقدار في تناولها من غير وجوها المحملة لها كل ذلك لكيما تسلم نفوسهم من آفات هذه الدنيا الغدرة المسكاره المهلكة لا ولادها بعد تربيتها لهم . وكما ان الاشخاص لو ساعدوا الطبيب فيما أمر وبين من جهة ما كولاتهم ومشروباتهم في حالة الصحة والمرض يستفيدون وبمخالفتهم ذلك ينحرف مزاجهم أما الصحيح فالى المرض وأما المريض فالى طول المرض والى الهلاك كذلك ههنا الانبياء هم أطباء النفوس وسبب الهدى وطريق المعاش فمن مال عما أمروا به وانحرف عما وضعوا وبينوا فقد ضل وأضل عن سواء السبيل

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم ان الاستغراق في الشهوات في هذه الدنيا ينسى الانسان أمر الآخرة ويشككه ويبيئسه منها كما قال قائلمهم في هذا المعنى

هي الدنيا وقد وعدوا بأخرى وتسويف الظنون من السوام
وقيل أيضاً في هذا المعنى شعراً
خذوا بنصيب من نعيم ولذة وكل وان طال المدى يتصرم
وقال آخر وقد كان ساهياً من أمر الآخرة
ما جاءنا أحد يخبر انه في جنة من مات أوفى نار
وأشعارهم كثيرة في مثل هذه الظنون والشكوك والحيرة التي وقعوا فيها
عقوبة لهم عند ما تركوا وصية ربهم وأنصيحة أنبيائهم واتباع علمائهم والحكماء فيما
يدعونهم اليه ويرغبون فيه من نعيم الآخرة ويأمرونهم به من الزهد في الدنيا
وينهونهم عنه من الغرور بشهواتها وعاجل حلاوتها

❦ فصل ❦

واعلم أن كل مولود تحت فلك القمر في البر كان أو في البحر أو في الهواء أو
في التراب أو في الماء في وقت ولادته لا بد من أن تكون درجة طالعة من
المشرق على أفق تلك البقعة ولا بد أيضاً من أن يكون كوكب من السبعة السيارة
متولياً على تلك الدرجة الطالعة يسمى النير وها دليل المولود وما تتصرف به
الاحوال وتجري به الامور في مستقبل عمره الى تمام سنة ثم ان السنة الثانية
يصير التدبير فيها لدرجة أخرى مما يتلوها بالطلوع والمستولى عليه ثم السنة الثالثة
للدرجة الثالثة والمستولى عليها . وعلى هذا القياس يجري الامر الى آخر العمر
الطبيعي ويتصرف المولود في الاحوال وتجري به الامور بحسب حالات تلك
الدرجات والمستولى عليها من الكواكب مذكور ذلك كله في كتب أحكام المواليده
بشرح طويل

❦ فصل ❦

واعلم يا أخي بأن الله جل ثناؤه قد جعل بواجب حكمته لكل نوع من
الحيوانات عمراً طبيعياً معلوماً ولا أجله وقتاً معلوماً ولعمره أجلاً مقدراً لا يتجاوز

ولا يقصر عنه اذا جرى على الامر الطبيعي لا يعلم تفصيل ذلك إلا الله عز وجل
وأما العمر الطبيعي الذي جعله الله للانسان فمائة وعشرون سنة كما بينا علته
قبل هذا الفصل

وأما الاعمار لبعض الناس الزائدة عن هذا المقدار والناقصة عنه فلا سباب
شئ وعلل عدة يطول شرحها ولا يعلم تفصيلها الا الله عز وجل فنريد أن نتكلم
عن أحوال الانسان في طول عمره الطبيعي ونصف كيفية مجاري أموره وتصاريف
أيامه إذا جرت على الامر الطبيعي منذ يوم ولادته الى تمام خمس وسبعين سنة
وما يزيد على ذلك الى تمام مائة وعشرين سنة

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بأن لكل مولود من الحيوان أبوين في الفلك كما ان له والدين
في الارض أحدهما دليل عمره يسمى كدخدائي أي رب البيت والآخر يسمى
هيالاج أي ربة البيت فان كانا مسعودين عند ولادته عاش المولود بخير عمراً
طويلاً وإن كانا منحوسين فبالعكس من ذلك وان كان الكدخدائي مسعوداً
والهيالاج منحوساً كان المولود طويل العمر فقيراً سيء الحال وان كان الهيالاج
مسعوداً والكدخدائي منحوساً كان المولود حسن الحال غنياً قصير العمر
فأما علة قصر العمر عن المقدار الطبيعي فهو أن تكون عطية الكدخدائي يسيرة
فاذا فنيت وبلغت درجة المسير الى مركز النحوس وساعاتها مات المولود فجأة
أو باعلال وأمراض وأسباب شتى لا يعلم ذلك إلا الله عز وجل الذي لا تخفى عليه
خافية في الارض ولا في السماء

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم يا أخي بأنه متفق بين أهل صناعة التنجيم في أحكام المواليده انه من
يوم الولادة الى تمام أربع سنين شمسية يكون الطفل في تدبير القمر صاحب النمو
والزيادة والذشو وتشاركه سائر الكواكب في التدبير كل واحد سبع تلك المدة

التي تسمى سنى التربية فتتصرف الاحوال بالطفل من التربية والنمو والزيادة والصحة والسلامة والعز والكرامة والاعلال والأمراض والبؤس والهوان واللذة والألم بحسب ما توجب تلك المدبرات في هذه السنين، مذكور شرح ذلك في كتب تحاويل سنى المواليد

ثم يصير في تدير عطار د ثلاث عشرة سنة وهو صاحب النطق والحركة والتعاليم والآداب والتميز والفهم وتشاركه في التدير سائر الكواكب كل واحد سبع هذه المدة

وكل ما انتهى التدير الى واحد منها ظهرت في المولود الاخلاق والافعال المشاكاة لتلك القوى التي انعجت وامتزجت وانغست في جبلته في الرحم وهو جنين كما يظهر زهر النبات وحبوبها ونور الشجر وثمارها وروائحها والوانها وطعومها عند بلوغها وتامها وكما لها ونضجها بحسب ما في طباعها وأشباحها .

ثم يصير المولود في تدير الزهرة ثماني سنوات وهي صاحبة الحسن والزينة والشهوات واللذة والرغبة في النكاح والحرص على السفاح وتشاركها في التدير سائر الكواكب كل واحد منها سبع هذه المدة

فيظهر من المولود في هذه المدة الرغبة في التزوج والنكاح وطلب الشهوات والتمتع باللذات ومحبة الزينة والحسن والجمال والحرص على جميع الاموال واتخاذ المنازل والدار والدكان والضبيعة والبستان والمباهات والمفاخرة مع الاتراب والاقران باتخاذ الجواري والغلمان والانهماك في الشهوات الى مدة ما

ثم يصير في تدير الشمس صاحبة العز والرياسة والتدير والسياسة عشر سنوات .

ويظهر من المولود الكدخدائية في المنزل وتربية الاولاد وتأديب الاهل والجيران ومراعاة أمر الاقرباء والاخوان وطلب العز والسلطان والرفعة والعلو

والشرف في المنزلة وماشا كل ذلك.

وهذه الخصال والاخلاق والافعال التي يحتاج اليها الملوك والرؤساء ودهاقنة القرى وساسة الجماعات وتشاركها في التدبير سائر الكواكب كل واحد سبع هذه المدة.

ثم يصير في تدبير المريخ سبع سنوات وهو صاحب الحزم والعزم والشجاعة والمواهب والطلب والعطاء والاقدام والحمية والانصاف والعزة وبالجملة كل خصلة وخلق وسجية لا بد منها لساسة الامور وقادة الجيوش ورعاة الجماعات ومدبري الملك والناموس جميعاً وتشاركه سائر الكواكب في التدبير كل واحد سبع هذه المدة فتمتزج طبائعها وتتحد قواها وتظهر أفعالها بشاركة لسائر الكواكب لا يعلم تفصيل ذلك الا الله والراسخون في علم النجوم وقليل ما هم

ثم يصير المولود في تدبير المشتري اثنتى عشرة سنة وهو صاحب الدين والورع والتوبة والندامة وأزهد والعبادة والرجوع الى الله جل ثناؤه بالصوم والصلاة والصدقة والاستغفار وطلب الآخرة والرغبة فيها والتزود للرحلة من هذه الدار الفانية الى دار القرار الباقية. ويشاركه سائر الكواكب كل واحد سبع هذه المدة فتمتزج طبائعها وتتحد قواها وربما ظهرت أفعالها متناقضة من أجل القوى المتضادة

وذلك ان الانسان العاقل ربما حصل في هذه المدة متجاوزاً بين أربعين اثنين متضادين وذلك ان الزهرة اذا استوت بدلائها بشركة المريخ على أحوال المولود دلت له على الرغبة في الدنيا والحرص على شهواتها ولذاتها فيزيد المريخ قوة ونشاطاً وعطارد لطفاً ورفقاً وحيلة وزحل ثباتاً ووقوفاً وصبراً والقمر زيادة ونمواً والشمس عزاً ورفعة وبالضد من هذه كلها . أما المشتري وطباعه اذا استولى على الانسان العاقل بدلائته بشركة زحل على أحوال المولود دل له على الزهد في الدنيا وقلة الرغبة في شهواتها ولذاتها وشدة الرغبة في الآخرة والحرص

على طلبها ويزيد المريخ قوة ونشاطاً في الطلوع ويزيده عطارد لطفاً ورفقاً وحيلاً،
وتزيده الزهرة رغبة وشهوة واستحساناً وتزيينا ويزيده زحل صبراً في العبادة
وثباتاً على التوبة وتزيده الشمس نوراً وهداية وكبر نفس وتسليية وتلفناً عن
الدنيا الدنية ويزيده القمر اتباعاً وأعاوناً على ما هو عليه .

فان اجتهد الانسان وفعل مارسم في الشريعة من لزوم احكامها ومفروضاتها
وعمل بما وصف في الفلسفة وصبر عليه مدة ما فعما قليل يخف عايه كلما هو فيه
من تجاذب الطبيعتين المتضادتين الى ان يصير التدبير الى زحل بعد احدى عشرة
سنة وهو صاحب السكون والهدوء والاكسل وجود نيران الشهوات الجسمانية
وذهاب القوى الحيوانية واسترخاء الاعصاب وذبول الآلات الجسدانية
ووقوف الحواس عن مباشرة المحسوسات

ثم لا يمكن للنفس اظهار الافعال ولا تناول اللذات فعند ذلك تقل رغبته في
هذه الدنيا وينقطع طمعه في المقام في عالم الكون والفساد .

ثم يجيئه الموت الطبيعي على التدريج اذا انطقت الحرارة الغريزية من البدن
وانسلت الروح الحيوانية من الجسد كما ينطفئ السراج ويذهب الضوء اذا فنى
الدهن واحترقت القتيلة.

فان كان الانسان قد ارتاض فيما مضى من عمره وتعلم علماً من العلوم وأدباً
من الآداب أو صناعة من الصنائع أو تدين بمذهب من الآراء أو عمل عملاً من
الاعمال يهدي به الى طريق الآخرة وأمر المعاد فانه يرجى لتلك النفس أن تهتدي
الى الرجوع الى عالمها النفساني ومحلها الروحاني والاحق بابناء جنسها الذين
مضوا قبلها ووصلوا الى هناك وتخلصوا من دركات عالم الكون والفساد وحريق
نيران الآلام والأسقام والأمراض والجوع والعطش والبرد والحر والتعب
والكد والعناء والفقر ومشقة الأعمال المتعبة والأفعال السمجة القبيحة وحرارة
الحرص والرغبة والشهوات المردية والعبادات الرديئة والأخلاق الوحشية والجهالات

المتراكمة والأعمال السيئة وما يلحق أهلها من العبادات والمباغضات فيما بينهم
ومن حسد الجيران وعداوة الأقران وجور السلطان ووساوس الشيطان ونكبات
الزمان ونوائب الحدثنان

فان قال قائل من المنكرين لأفعال الكواكب وتأثيراتها في هذه الكائنات
أو فكر متعجب في كيفية الطباع تلك القوي في مزاج الجنين وانغراس تلك الطباع
في جبلته وكيف يكون ظهور أفعالها بعد الولادة فليعتبر أفعال الدرياقات
والمراهم والشربات وكيف تظهر أفعال تلك العقاقير والأدوية مفردة ومركبة بعد
جمعها واختلاطها وعجنها وطبخها واتخاذ أجزائها وتأليف قواها وكيف يقصد
كل قوة ودواء الى عضو مخصوص ومرض معروف وعلة بعينها فيزيئها ويؤثر
فيها باذن الله

أو فليعتبر أصوات الموسيقىقار ونغمات الألحان كيف تتألف وتتحد ويحملها
الهواء الى مسامع الآذان ويباغها الى صميم الدماغ ويوصل معانيها الى ما في
طباع النفوس

ثم كيف يظهر من كل حيوان أو انسان تأثيرات مختلفة من الفرح والسرور
والضحك والحزن والبكاء والغم والهم والشجاعة والجن والسخاء والبخل أو
النشاط والحركة أو النوم أو الهدوء والسكون أو تذكار شيء قد أنساه الدهر
والتسلي عن مصيبة قريبة العهد وما شا كل هذه التأثيرات في النفوس من استماع
أصوات الموسيقىقار ونغمات الألحان مما لاخفاء فيه على كل عاقل معتبر ، فاذا خفيت
على المتفكر كيفية هذه التأثيرات في النفوس ولم يفهمها فلا ينبغي أن ينكر
تأثيرات الكواكب في النفوس من أجل أنه لا يفهم معانيها ولا يتصور كيفيةها
لأنها أخفى وأدق وألطف من هذه

فصل

واعلم يا أخي ان الله جل ثناؤه قد جعل لكل قاصد غرضاً ما ولغرض كل
قاصد نهاية ما وقدر لصاحب كل غرض في قصده طريقة وسطى بين الزيادة

والنقصان فكون الجنين في الرحم زماناً لغرض ما ومكثه ثمانية أشهر طريقة وسطى
بين الزيادة والنقصان

وهكذا أيضاً كونه في الدنيا زماناً ما لغرض ما وعمره الطبيعي الذي جعل
للإنسان هو مائة وعشرون سنة طريقة وسطى بين الزيادة والنقصان فأما الذي يزيد
على هذين المقدارين وينقص عنهما فلعلل وأسباب شتى يطول شرحها
ولكن ان كنت تريد أن تعلم انه اذا زاد مكث الجنين على ثمانية أشهر نقص
من عمره الطبيعي الذي هو مائة وعشرون سنة فاعرف الأصل والزم القانون
الذي ذكرناه وهو ان كل كائن وحادث في هذا العالم الذي تحت فلك القمر
من وقت حدوثه وكونه الى وقت فناءه وبواره هو من المدة التي هي
مقدار دورة واحدة من أدوار الاشخاص الفلكية العالية كما بينا في رسالة
الأكوان والأدوار

وقد ذكرنا قبل هذا الفصل بأن من مسقط النطفة الى يوم الموت من
المدة اذا جرى مكثه وعمره على الأمر الطبيعي هو مقدار دورة واحدة من
أدوار الشمس

وذلك أنه اذا مكث الجنين في الرحم ثمانية أشهر ثم ولد فان الذي يبقى
للشمس من المسير الى أن تعود الى الدرجة التي كانت فيها يوم مسقط النطفة اربعة
أبراج مائة وعشرين درجة فيستأنف المولود العمر في الدنيا لكل درجة سنة
فان مكث تسعة أشهر فالذي يبقى له ثلاثة أبراج تسعون درجة ويستأنف المولود
العمر تسعين سنة فان مكث عشرة أشهر فالذي يبقى له برجان ستون درجة
فيستأنف المولود العمر ستين سنة فقد تبين بهذا المثال وعلى هذا القياس ان كل
ما زاد في المكث نقص في العمر

فأما الذي يوجد بالتجربة أن جنيناً مكث عشرة أشهر وعاش مائة وعشرين
سنة أو مكث تسعة أشهر أو مات لأقل من ستين سنة فلعلل وأسباب خارجة
عن الأمر الطبيعي يطول شرحها

وعلى هذا المثال يجري حكم سعادة المواليد وذلك ان الله عز وجل قد جعل لكل مولود قدرأ من السعادة في الدنيا وقسمها قسمين قسما جعل منه لطول العمر وقسما لرغد العيش وربما يزيد لأحد المواليد في عمره وينقص من رغد عيشه وربما يزيد لآخر في رغد عيشه وينقص من عمره . فمن أجل هذا ترى كثيراً من سعداء أبناء الدنيا الرغدي العيش يكونون قصيري الأعمار وترى كثيراً طويلى الأعمار ناقصي رغد العيش

ومما يحكى أن ملكاً رأى شيخاً في داره كبيراً سقاء . فقال له كم تعد من الخلفاء فقال له كثير . فقال له شبه المتعجب ما بالك تطول أعماركم وتنقص أعمارنا فقال له السقاء لأن أرزاقكم تحييكم مثل أفواه القرب وان أرزاقنا تجييء مثل قطر المطر

فاستحسن الملك قوله وضحك وأمر له بمجازة حسنة اغناه بها . ثم فقده بعد قليل فسأل عنه فعرف بموته . فقال صدق لما جاء الرزق مثل أفواه القرب قصر عمره

وهكذا أيضاً الحكم والقياس قد جعل الله لكل انسان حظاً من السعادة وقسطاً من النعيم وقسمها قسمين فجعل قسطاً في الدنيا وقسطاً في الآخرة كما ذكر فقال عز من قائل « كل شيء عنده بمقدار » وقال « وما ننزله الا بقدر معلوم » فمقدار ما يدخل الانسان حظه من النعيم ، والتلذذ في الدنيا فبذلك المقدار ينقص حظه من نعيم الآخرة . والى هذا المعنى أشار بقوله تعالى في عتابه للمسرفين « أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها » وقال سبحانه « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب »

وحكى أيضاً قول الربانيين العارفين حقيقة ما نقول حين قالوا لقارون لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك وذلك لانهم علموا بان نصيبه من الدنيا هو مقدار

ما يقدمه لا آخرته ولا يتمتع به كله في الدنيا وقد قال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله وايات كثيرة في القرآن في هذا المعنى الذي ذكرنا فلا تغتربا أخي بما ترى من حال المترفين في الدنيا وما يتنعمون من النعم والتلذذ مع عصيان الله واعراضهم عن الآخرة وتركهم ذكر المعاد فعما قليل سيفني ما هم من نعيم الدنيا ويحضرون للآخرة فيكونون من فقرائها واشقيائها كما ذكر الله تعالى فقال « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » وذلك أنهم ظلموا انفسهم باستعجالهم راحة الدنيا واعراضهم عن الآخرة وعصيانهم عنها وتركهم الاستعداد لها ولم يسعوا في اخلاص نفوسهم وفكك رقابهم منها ولا جرم أنهم سيعلمون أي منقلب ينقلبون وكفى بهذا وعيداً وتهديداً وان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. وقد تبين بما ذكرنا ان مكث الجنين في الرحم مدة ما انما هو لكي يتم الجسد وتستكمل صورة البدن والغرض من ذلك أن المولود ينتفع بالحياة الدنيا بعد الولادة

وكذلك أيضاً قد قال الحكيم ان مكث الانسان العاقل الذي هو تحت الأمر والنهي اما بموجب العقل أو بطريق السمع بأوامر الناموس ونواهيها وفي طول عمره الطبيعي مدة ما انما هو لأن تتم فضائل النفس وتستكمل أخلاقها المختلفة ومعارفها الربانية بالتأمل والبحث في النظر والسعي والاجتهاد في العمل كما ذكر في حد الفلسفة انها التشبه بالاله بحسب طاقة الانسانية أو بما رسم في الناموس من الوصايا والأوامر والنواهي كل ذلك لكي تستكمل النفس فضائل الملائكة فيها والغرض من هذا كلها هو أن يمكنها وتهيأ لها الصعود الى عالم الأفلاك والدخول في سعة السماوات والكون هناك مع أبناء جنسها وأهل ملتها من القرون الخالية الذين مضوا على سنن الديانات النبوية والمناجاة الفلسفية الحكيمية والآداب الملكوتية واللحوق بهم في درجاتهم والمكث هناك متنعمة متلذذة فرحة مسرورة أبد الأبدين ودهر الداهرين مع النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين وحسن اولئك رفيقاً واليههم أشار بقوله سبحانه « وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذى احدثنا دار المقامة من فضله لا يمسننا فيها نصب ولا يمسننا فيها لغوب.

﴿ فصل ﴾

اعلم يا أخى ان الله جل ثناؤه لما علم بأن أكثر الناس لا يعيشون أعماراً طبيعية على التمام ولا يتركون فى الدنيا زماناً طويلاً تهذب فيه نفوسهم وتستكمل فضائلهم لطف بهم من أجل ذلك وبعث اليهم الانبياء والرسول واضعياً النواميس بالوصايا والوامر والنواهي والسنن الزكية والشرائع المرضية اذا استعملوها على نحو مارسهم لهم من السيرة العادلة استتمت فضائل نفوسهم وتهذبت أخلاقهم وان كانوا قصيري الاعمار كما ذكر الله تعالى فقال « فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً » وقال النبي صلى الله عليه وآله من أخلص العبادة لله تعالى أربعين صباحاً شرح الله صدره بنوره وفتح قلبه للإيمان وأطلق لسانه بالحكمة ولو كان أعجمياً أغلقها فهذا هو حكم نفوس البالغين الذين تحت الامر والنهي وأما حكم نفوس الاطفال والمجانين فهى تنجو بشفاعة الآباء والامهات والانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين

وإذ قد تبين لك يا أخى ما الغرض من المكث فى الرحم مدة ما وما الغرض من المكث فى الدنيا مدة ما أيضاً فبادر الآن وتشمر وتزود فان خير الزاد التقوى وشد وسطك للرحيل من الدنيا الفانية الى دار القرار الباقية قبل فناء العمر وتقارب الأجل فقد أعذر من أنذر كما قال الله تعالى « فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والميزان » يعنى العدل « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » أن يقولوا يوم القيامة ما جاءنا من رسول ولا كتاب وكانت أعمارنا ناقصة قصيرة وآجالنا قريبة فارجعنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل

الناس نيام واذا ماتوا اتبهموا فاتبه أياها الأخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة
قبل أن تفارق الاوطان وتدخل في النيران وقبل أن ينادى المنادى قد شقي
خلان وسعد فلان . وفقك الله وإيانا لاسداد انه رؤوف بالعباد
(تمت رسالة مسقط النطفة ويتلوها رسالة قول الحكماء)

